٢٢٦٤
٢٠١١
جامعة بغداد
كلية التربية - ابن رشد
المكتبة المركزية
مكتبة الرسائل والاطاريح الجامعية

جامعة بغداد
كلية التربية-ابن رشد
قسم التاريخ

تطورالاوضاع السياسية الداخلية في الصين ١٨٥٠-١٩١١

اطروحه

تقدمت بها

نادية كاظم محمد العبودي

الى مجلس كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه
فلسفة في التاريخ الحديث

جامعة بغداد
كلية التربية - ابن رشد
المكتبة المركزية
مكتبة الرسائل والاطاريح الجامعية
١١٦
٢٠٠٩

بأشراف

الاستاذ الدكتور

عبد الوهاب عباس القيسي

١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

الإهداء

إلى من أعطت فأجزلت العطاء

إلى من جُبلت على التضحية . . فعاشت لها وبها . .

فكانت إيثاراً منقطع النظير .

إلى من بددت ظلمة الروح والحياة بوهج كلماتها وعنفوان عاطفتها

إلى شقيقتي هنـــاء إعتزازاً ومحبةً

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد و آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الصادقين.

في ختام الجهد الجهيد الذي بذل في إعداد هذه الأطروحة يحتم علي واجب الوفاء أن أتقديم بالشكر و التقدير إلى الاستاذالدكتورعبدالوهاب القيسي لتفضله بالإشراف على هذه الأطروحة. وشعورا بالامتنان أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور يقظان سعدون العامر لمتابعته التفصيلية لفصول هذه الأطروحة كافة وإبداء ملاحظاته حولها . ويأخذني العرفان بالجميل لأتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور نوري عبدالحميدالعاني لتفضله بتقديم الوثائق وعددا من المصادر زيادة على إبداء ملاحظاته حول الفصل الأول من الأطروحة. كما ينبغي أن أسجل شكري وامتناني إلى المشرف اللغوي الدكتور هاشم طه شلاش الذي تفضل بقراءة الأطروحة . وأسجل شكري أيضا إلى أساتذتي في السنة التحضيرية ولا سيما الدكتور جعفر عباس حميدي والدكتور طارق نافع الحمداني والدكتور صادق ياسين الحلو والدكتور عماد عبد السلام رؤوف والدكتورة فوزية صابر . ولا يفوتني أن أخص بالشكر والتقدير من مد يد العون لي أخي و زميلي الدكتور كريم صبح عطية العبيدي ، والدكتورة زينب هادي، والدكتورة مها الشمري ، والدكتورة سهيلة البدري والدكتور محمد عبد الوهاب العسكري .

و أود أن أسجل شكري وتقديري إلى منتسبي دار الكتب والوثائق ، والمكتبة المركزية (الوزيرية) ومكتبة كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد ، ومنتسبي مكتبة وزارة الخارجية لتعاونهم في الحصول على الكتب و الوثائق التي رفدت البحث بمعلومات قيمة ، وأخيرا أسجل شكري وامتناني إلى أسرتي الكريمة التي تحملت معي أعباء إعداد هذه الأطروحة ، والله ولي التوفيق.

نادية

قائمة المحتويات

المحتويات

المحتويات

المحتويات

المقدمة

وتحليل المصادر

يعد شعب الصين أكثر شعوب العالم كثافة، وله حضارة عريقة تضرب جذورها في أعماق التاريخ . وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر قطع أشواطا من النضال ضد النظام الإقطاعي والتدخل الأجنبي، وعبرت بعض طبقاته عن رغبة حقيقية في التقدم والتخلص من أنظمة الحكم القديمة التي لم تعد تلائم روح العصر. ومع ذلك لم يلق تأريخه عناية كافية من باحثينا رغم به حاجة لمزيد من البحث والتقصي، وبقيت المكتبة العراقية خاصة والمكتبات العربية عامة تعاني من نقص كبير في هذا السياق على نحو يبعث على الأسى ، إذ لم تقدم في جامعاتنا دراسات أكاديمية تختص بدراسة تأريخ الصين الحديث. باستثناء الدراسة التي تقدم بها الطالب صفاء كريم شكر العزاوي ، السياسة الأمريكية تجاه الصين (١٨٩٥-١٩٣١) دراسة تأريخية ، وهي أطروحة دكتوراه قدمت الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية عام٢٠٠٥ . وهي دراسة ركزت على بيان سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه بعض التطورات السياسية في الصين ، وركزت على نحو اكبر على دراسة موقفها من قضايا التدخل الدولي في الصين ولاسيما التدخل الياباني . وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة إلا انه مما يؤخذ على الباحث رجوعه الى المصادر الثانوية واختزاله الكبير للموضوع . لذا ، جاء اختيار هذه الدراسة لتختص بدراسة الوضع السياسي الداخلي في الصين . وهو اختيار بني على اهتمامات سبقت مرحلة التقديم لنيل درجة الدكتوراه ، إذ شجع انجاز الباحثة لعدد من البحوث في تأريخ الصين الحديث ومشاركتها في تأليف كتاب تأريخ آسيا الحديث والمعاصر إلى جانب الأستاذ الفاضل الدكتور نوري عبد الحميد العاني وآخرين ، على المضي في إكمال مسيرة البحث . ولاسيما بعد التثبت من توافر الوثائق والمصادر المتعلقة بهذه الدراسة التي تغطي حقبة مهمة من تأريخ الصين الحديث امتازت بتعدد أوجه التدخل الأجنبي وتنوع في أسلوب الاستجابة فتارة تكون الثورة هي الحل الأمثل برأي دعاتها وتارة أخرى يكون الإصلاح السبيل الاصوب لإنقاذ الصين بزعم قادته . وهذا ما تبينت جذوره في عهد الامبراطور تاو كوانغ (١٨٢١-١٨٥٠) الذي ناقشه الفصل الاول ، إذ شهد عهده قيام حرب الافيون الاولى (١٨٣٩-١٨٤٢) واقرار نظام المعاهدات الذي وضع حدا لنهاية سياسة العزلة وألقى بظلاله على الاوضاع الداخلية التي دفعت الى قيام عدد من حركات المعارضة التي دعت الى انهاء حكم المانشو . فيما دعا البعض الآخر الى ضرورة إيجاد صيغ جديدة لمواجهة التحديات الأجنبية . وذلك بالحصول على التكنولوجيا الغربية ومحاولة الاستعانة بالخبرات الأجنبية وتنمية الخبرات الصينية ، وضرورة تغيير الصين سياستها الخارجية .

وسلط الفصل الثاني الضوء على الوضع السياسي في الصين ١٨٥٠-١٨٧٨ مبتدأ بالتحولات المهمة التي شهدها البلاط الإمبراطوري في تلك الأعوام ، وكيفية تأثيرها في تحديد موقف الحكومة من القضايا المحلية والتدخل الأجنبي . وارتبط ذلك بوصول الإمبراطور شيان فنغ إلى العرش (١٨٥٠-١٨٦٠) الذي فسح ضعفه وقلة خبرته المجال أمام تدخل المحظيات والموظفين في شؤون الحكم . وشهد عهده قيام سلسلة من حركات المعارضة التي أوشكت أن تسقط حكومة المانشو ولاسيما ثورة التايبنغ ذات الطابع الديني المسيحي وحركة نيان في ، فضلا عن حركات المعارضة الإسلامية التي جاءت بوصفها رد فعل على سياسة التمييز الديني التي مارستها حكومة المانشو تجاههم .

و في سياق البحث عن مخرج من ذلك الوضع برزت سياسة الإصلاح ١٨٦٠-١٩٠١ التي أوضحها الفصل الثالث ، ودعا إليها عدد من المسؤولين الذين احتكوا بالغربيين سواء في كانتون أم في الموانئ المفتوحة بمعاهدات ، وتأثروا بتجربة الميجي الإصلاحية في اليابان . إلا أن هؤلاء المصلحين انقسموا على أنفسهم في نوعية الإصلاح الواجب تنفيذه ، فزعماء سياسة التعزيز الذاتي أكدوا أهمية الإصلاحات العامة ولم يعطوا أهمية للإصلاح السياسي بل استهدفوا تقوية نظام الحكم نفسه و وضع حد لتمادي الدول الغربية في المطالبة بأمتيازات جديدة . اما التيار الإصلاحي الدستوري الذي مثله كانغ يو وي وليانغ تشي تشاو فقد أكد أهمية الإصلاح السياسي وسعى الى تحقيقه في سياق ما عرف في التأريخ بـ(فترة إصلاح المئة يوم) التي فشلت نتيجة تربص المحافظين المتطرفين بها ، فكان من نتيجة ذلك استمرار الصراع بين المحافظين و الإصلاحيين الدستوريين و قيام حركة البوكسرز .

وتزامن مع نشاط التيار الإصلاحي الدستوري بروز دور التيار الجمهوري ١٨٩٥-١٩١١ الذي ناقشه الفصل الرابع . وأوضح أن إنقاذ الصين برأي المثقفين الصينيين الذين تلقوا تعليمهم في مدارس الإرساليات التبشيرية وفي هونغ كونغ وتأثروا بالثقافة والنظريات السياسية الغربية ولم يخضعوا في تعليمهم إلى الثقافة الكونفوشيوسية ، انما يكمن بإسقاط حكم المانشو وإقامة حكومة جمهورية . وتزعم هذا التيار صن يات صن الذي حاول الإفادة من ظروف التدخل الدولي في الصين لخدمة قضيته . وأفاد على نحو أفضل من دعم المهاجرين الصينيين في اليابان والولايات المتحدة ، وتجلى ذلك واضحا في تشكيله جمعية نهضة الصين و من ثم جمعية التحالف المشترك التي أخذت على عاتقها الإعداد للثورة لإسقاط حكم المانشو الذي جاءت نهايته الفعلية بمساومة يوان شي كاي في التخلي عن حماية أسرة المانشو في مقابل منصب رئاسة الجمهورية . وفي سياق آخر

الأجنبية، بكين، ١٩٧٩. جاءت أهمية هذا الكتاب من تمثيله وجهة نظر الباحثين الصينيين ودقته فيما أورده من معلومات عن أسباب حرب الأفيون ونتائجها، لذا فانه زود الفصل الأول بمعلومات قيمة بذلك الشأن . ناهيك عن اعتماده على الوثائق الصينية ومذكرات الدبلوماسيين الأوربيين الذين عملوا في الصين وعاصروا أحداث تلك الحرب . ولكتاب الحركة الإصلاحية عام ١٨٩٨، بكين، ١٩٧٨ . أهمية قصوى في رفد الفصل الثالث بمعلومات وافية عن بدايات الدعوة للحركة الإصلاحية وآراء المصلحين . فضلا عن ذلك يعد كتاب مملكة تايبنغ، دار النشر باللغات الأجنبية ، (بكين، ١٩٧٧) . من الكتب المهمة التي ناقشت أسباب هذه الثورة ونتائجها التي حاول المؤلفون جعلها الإرهاصات الأولى للثورة الشيوعية في الصين . فضلا عن ذلك اعتمدت الأطروحة على كثير من الكتب والبحوث الوثائقية، باللغتين الانكليزية والفرنسية وأهمها :

S. Tikhvinski, Histories De La Chine Les Temps Modernes, Traduit Du Russ, Edition Du Progres, A Cademie Des Scinces De L'V.R.S.S., (Moscou, 1983).

ترجم هذا الكتاب من اللغة الروسية إلى اللغة الفرنسية وهو دراسة وثائقية شاملة لأوضاع الصين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في منذ بداية حكم أسرة المانشو حتى قيام حركة الرابع من أيار عام ١٩١٩ . ومما زاد في أهميته اعتماده على وثائق وزارة الخارجية الروسية وكتابات الرحالة الروس والمبشرين الذين زاروا الصين في المدة التي هي موضوع بحثه . زيادة على ذلك أن الباحث توخي جانب الدقة و الموضوعية في مناقشته هذا الموضوع . لذا أفاد في تغطية جوانب متعددة من فصول الأطروحة كافة . أما الكتب التي كُتبت باللغة الانكليزية أو التي ترجمت إليها من لغات أخرى كالفرنسية والصينية فكان أهمها كتاب :

Jean Chesneaux and Others, China from the Opium Wars to the 1911, Revolution, Translated from the French by Anne Destenay, (New York, 1976).

ناقش هذا الكتاب أوضاع الصين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية منذ قيام حرب الأفيون الاولى حتى قيام ثورة ١٩١١ وأعطى اهتماماً كبيراً لمسألة التدخل الأجنبي في هذه المدة وطبيعة الاستجابة الصينية نحوها، على الصعيدين الرسمي والشعبي، وابرز هذا الكتاب نشاطات الإرساليات التبشيرية و أثرها في نمو الاتجاهات الإصلاحية في تلك المدة ، وامتاز هذا الكتاب بدقة معلوماته المستندة إلى الوثائق والكتب والبحوث الوثائقية ، وهو الأمر الذي أضفى إليه أهمية كبيرة في تغطية الجوانب المتعددة من الأطروحة التي اعتمدت أيضا على عدد من الكتب التي درست حياة شخصيات سياسية صينية، كان لها دور فعال في رسم سياسة الدولة، وأهمها:

Daniel A. Bays, China Enter the Twentieth Century. Chang Chih-Tung and the Issues of A New Age 1895-1909, University of Michigan, 1978.

ناقش هذا الكتاب دور تشانغ تشي تونغ حاكم إقليم ليانغ جيانغ (هوبي – هونان) وهو أبرز شخصية في تيار المحافظين المعتدلين ، ودوره في الإصلاحات العامة وموقفه من الإصلاح السياسي وأوضح طبيعة الإصلاح نفسه . وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب في رفد الفصلين الثالث و الرابع من الأطروحة بمعلومات قيمة انفرد بذكرها عن بقية المصادر ولاسيما تلك المتعلقة بمواقف المحافظين من الإصلاح وسياسة الحكومة في معالجة هذا الموضوع ، إلا أنه يؤخذ على الباحث اندفاعه في تبرير مواقف تشانغ تشي تونغ في اكثر من موضع ولاسيما في تعامله مع حركات المعارضة التي نظمها الطلاب والمثقفون. فضلا عن ذلك اعتمدت الأطروحة على عدد كبير من البحوث والدراسات الوثائقية المنشورة التي رفدت الفصول كافة بمعلومات قيمة . اما كتابُ

Paul Clyde, and Berrs, The Far East. The History of the Western Impact and the Eastern Response (1830-1970), 5th Edition, (New Jersy, 1971).

فقد بحث التأثير الغربي في الشرق الأقصى (الصين ، اليابان، كوريا) وبين طبيعة استجابة هذه الدول نحوها ، وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب في رفد الأطروحة بمعلومات مهمة في ذلك الشأن إلا أن طول المدة التي درسها وسعة المنطقة المشمولة بالدراسة ، أدت إلى اختزاله للكثير من المعلومات المتعلقة بذلك الشأن . ولكتاب

Geaorge Beckmann, The Modernization of China and Japan, Harpert and Row Publishers, (New York, 1962).

أهمية خاصة في بيان الجوانب التي ركزت عليها سياسة الإصلاح والتحديث في الصين واليابان في القرنين التاسع عشر والعشرين . إلا أن المؤاخذ عليه ندرة استخدامه للجداول والأرقام التي تبين نسبة ما أكمل من مشاريع التحديث . فضلا عن ذلك أن دراسته لعمليات التحديث في بلدين ولقرنين من الزمان أدت إلى عدم تعمقه في الموضوع . وأنفرد كتاب

Harold Z. Schiffrin, Sun Yat-Sen and the Origins of the Chinese Revolution, Second Printing, University of California Press,1968.

في أعطاء معلومات دقيقة ومفصلة عن دور صن يات صن في الإعداد لثورة ١٩١١وتشكيله جمعية نهضة الصين وجمعية التحالف المشترك ، ومحاولته الإفادة من ظروف التدخل الدولي لتحقيق أهداف جمعيته في إسقاط حكم المانشو وإقامة

النظام الجمهوري . وامتاز هذا الكتاب بدقته في ما أورده من معلومات نظرا لاستناده إلى وثائق صينية ومصادر وثائقية صينية وأوربية وأمريكية .

أما المصادر العربية ففضلا عن قلتها فأغلبها لم يعط الموضوع حقه في البحث والتقصي عن الحقائق ، ويستثنى من ذلك عدداً منها . وأهمها كتاب الدكتور نوري عبد الحميد العاني، تاريخ الصين الحديث ١٥١٦-١٩١١، بغداد ، ٢٠٠٣. وهو يعد بحق من أفضل ماكتب عن تأريخ الصين الحديث باللغة العربية، نظراً لسلاسة أسلوبه وشموله مختلف جوانب الحياة الصينية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ودقة معلوماته التي استندت إلى الوثائق الصينية وكتب الرحالة والمبشرين الذين زاروا الصين في المدة التي هي موضوع بحثه . فضلا عن ذلك كتاب فؤاد محمد شبل، حكمة الصين دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني من أقدم العصور، ج٢، القاهرة، ١٩٦٨. الذي ناقش فيه تطور الفكر الصيني ومدى انعكاسه على الأوضاع السياسية، وامتاز بدقة معلوماته وموضوعيته في مناقشة ذلك .

والواقع أن البحث في تأريخ الصين السياسي الحديث مهمة ليست باليسيرة وإنما تتطلب فهماً عاماً لأوضاع الصين الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ومدى انعكاسها على الوضع السياسي . وإذا ما تم فهم ذلك ، نجد أن البحث واجه صعوبات أخرى تتعدى مسألة الحصول على الوثائق والكتب المتعلقة بذلك الشأن ، إلى التفاوت في ورود صيغ أسماء الأشخاص والأماكن فالفرنسي يكتبها بصيغة والانكليزي بصيغة ثانية والعربي بصيغة ثالثة والصيني بصيغة رابعة ومرد ذلك كله إلى صعوبة اللغة الصينية نفسها. وابتغاء للدقة اعتمدنا في اغلب الأحيان الصيغة الصينية للاسم والتي وردت في ثنايا الكتب الصينية الصادرة باللغة العربية عن دار النشر باللغات الأجنبية بكين . وزيادة على ذلك اعتمد الصينيون ، في العصر الإمبراطوري، التقويم على وفق سني حكم أباطرتهم، وأضفى ذلك صعوبة أخرى للبحث إذ تطلب ذلك موازنتها وتحويلها إلى السنوات الميلادية . وحسبنا بذل الجهد ونسأله تعالى العون في مواصلة البحث العلمي انه نعم المولى ونعم المجيب.

الفصل الاول

الصين في فترة حكم الامبراطور تاوكوانغ
١٨٢١-١٨٥٠

اولاً- الاوضاع العامة

١-الارض والسكان

٢-الديانات

٣-نظام الحكم وإدارة الدولة في العصر الامبراطوري

ثانيا- الأوضاع الداخلية والتحديات الاجنبية ١٨٢١-١٨٣٩

ثالثاً- حرب الافيون الاولى وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣٩-١٨٥٠

١-حرب الأفيون الأولى (١٨٣٩-١٨٤٢) وإقرار نظام المعاهدات

٢-الآثار الاقتصادية والاجتماعية لنظام المعاهدات١٨٤٢-١٨٥٠

رابعاً- ردود الفعل الداخلية

١-بدايات التحول الفكري باتجاه تحديث الصين

٢- حركات المعارضة الفلاحية

٣- ظهور جمعية عباد الله (بايشانغدي)



أولاً- الأوضاع العامة

١-الأرض والسكان

تقع الصين في الجزء الشرقي من قارة آسيا، ولها حدود برية طويلة تقدر بـ (٢٠٠٠٠) كيلو متراً، يحدها من الشرق كوريا الشمالية، ومن الغرب الهند والباكستان وافغانستان، ومن الشمال روسيا ومنغوليا الداخلية ، ومن الجنوب الهند الصينية (كمبوديا، لاوس، فيتنام) والهند والنيبال . ولها سواحل طويلة مطلة على المحيط الهادي تقدر بـ (١٨٠٠٠) كيلو متراً[١]، مما وفر لها إمكانية إقامة عدد كبير من الموانئ .

على ان طول سواحلها ، وإحاطتها بعوازل طبيعية مثل صحراء غوبي في الشمال، وهضبة التبت في الغرب، والسلاسل الجبلية العالية الممتدة عبر الحدود الغربية مثل سلسلة جبال الهملايا[٢]، وجبال تيانشان[٣]، جعلتها تكتسب عزلة طبيعية عن العالم الخارجي[٤]. وتبعاً لذلك أطلق الصينيون على بلادهم اسم "إمبراطورية الوسط" او "مملكة الشعب الوسطى الزاهرة "[٥]وتبلغ مساحة الصين اليوم (٩,٦) مليون كيلومترا مربع، أي نحو (٦,٤) بالمئة من مساحة اليابسة وبلغت نحو (١١,٥) مليون كيلومتر مربع في العصر الإمبراطوري . مما جعل حكمها مركزياً، أمراً صعباً ولاسيما مع تخلف وسائل النقل

---

(١) شيوى قوانغ ، جغرافيا الصين ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ١٩٨٧، ص٢.

(٢) تعد جبال الهملايا اعلى السلاسل الجبلية في قارة آسيا وفي العالم، إذ يتجاوز متوسط ارتفاعها (٦٠٠٠) متراً فوق مستوى سطح البحر، ويبلغ معدل طولها الاجمالي٣٠٠٠ كيلومتر، يقع القسم الاعظم منها في الصين، إذ تمتد الى مسافة (٢٤٠٠) كيلو متر من الغرب الى الشرق ، ويمتد مابقى منها والى مسافة (٣٠٠) كيلو متر في اراضي الهند والباكستان والنيبال وسيكيم وبوتان. ينظر: المصدر نفسه، ص ١٦.

(٣) من اعلى السلاسل الجبلية في آسيا اذ أن متوسط ارتفاعها مابين (٣٠٠٠-٥٠٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر، ويبلغ معدل طولها الاجمالي (٢٥٠٠) كيلو متر، منها (١٥٠٠) كيلو متر تقع ضمن الاراضي الصينية، ويتوغل الجزء الآخر ضمن الاراضي الروسية. ينظر: المصدر نفسه، ص١٨.

(٤) دولت احمد صادق وآخرون، الجغرافيا السياسية، الطبعة الثالثة، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥، ص٥٥٦.

(٥) ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة . الشرق الاقصى ، الصين ، ج٤، ترجمة محمد بدران،دار الجيل ، بيروت١٩٩٨،ص ١١-١٢.

في ذلك الحين [١] فضلا عن التنوع الكبير في مظاهر السطح مابين السلاسل الجبلية العالية، مثل جبال الهملايا وجبال تيانشان أنفسها[٢]، والهضاب المرتفعة مثل هضاب تشنغهاي ــ التبت ومنغوليا واللوس ويونان ــ قويتشو، والاحواض الكبيرة مثل احواض تاريم وتورفان وجيونغ كاري وتاسيدام وسيتشوان ، والسهول الواسعة مثل سهل زونغاريا وسهل مجرى نهر اليانغتسي الاوسط والاسفل[٣] والصحارى الشاسعة مثل صحراء تاريم وصحراء قوربان . وفي سياق آخر ترتب على ذلك التنوع في التضاريس تفاوت كبير في درجات الحرارة مابين الشمال ، الذي يطول فيه فصل الشتاء ويقصر فيه فصل الصيف، والجنوب الذي يطول فيه فصل الصيف ويقصر فيه الشتاء ، مما أدى الى تنوع كبير في انتاج المحاصيل الزراعية مثل الرز والقمح والشعير والشاي والعدس واشجار التوت وغيرها . وتنعم الصين بثروات مائية كبيرة وفرتها الانهار والبحيرات، ولاسيما نهر اليانغتسي، وهو اطول انهار الصين وثالث أطول الانهار في العالم، إذ يبلغ طوله نحو(٦٣٠٠) كيلومتر، وينبع من جبال نانقولا جنوب غرب هضبة تشنغهاي ويصب في بحر الصين الشرقي، ويشكل شرياناً مائياً مهماً للمواصلات بين غرب الصين وشرقها. والى جانب ذلك تزخر الصين بالثروات المعدنية مثل الحديد والفحم والذهب والقصدير[٤].

وتكون المجتمع الصيني في العصر الامبراطوري، من ثلاث طبقات هي: الطبقة العليا وتشمل كبار موظفي الدولة وملاك الاراضي الذين كانو يتمتعون بامتيازات كبيرة، وطبقة الفلاحين الذين شكلوا الغالبية العظمى من السكان، وطبقة الحرفيين والتجار الذين انتشروا في المدن[٥]. وينتمي الصينيون الى قوميات متعددة، تقدر بـ(٥٦) قومية، اهمها

---

[١] شيوى كوانغ ،المصدر السابق ،ص١ ؛ ديورانت ، المصدر السابق ،ج٤، ص ٧٨ ؛ مجلة الضياء ،الجزء ١٩ ،حزيران ١٩٠٠ ، ص٦١٤.

[٢] جمهورية الصين الشعبية ، مجلة بناء الصين ، العدد الثاني، شباط ، ١٩٧٢، ص٤٤-٤٣.

[٣] المصدر نفسه، العدد التاسع، ايلول ١٩٧٢، ص٤٠-٤٣ ؛ المصدر نفسه، العدد الثاني عشر، كانون الاول ، ١٩٧٢، ص٤٥-٤٦.

[٤] المصدر نفسه، العدد السادس، حزيران ١٩٧٢، ص١٥-١٨؛ المصدر نفسه، العدد الاول، كانون الثاني، ١٩٧٢، ص٤١-٤٣ ؛ شيوى قوانغ ، المصدر السابق ، ص٤١ وص٦٨ وص٧١.

[٥] نوري عبد الحميد العاني ، تأريخ الصين الحديث (١٥١٦-١٩١١)، مكتب الكلمة الذهبية، بغداد، ٢٠٠٣، ص٢٢-٢٣.

قومية "هان" التي قدر بعضهم نسبتها بـ (٩٤) بالمئة، من السكان، في حين قدرها آخرون بـ (٩١) بالمئة[١]، الى جانب قوميات اخرى مثل المانشو والمغول والاتراك (اويغور، قرغيز، أزبك، قازاق)، والمياو والهاكا والعرب الهوي[٢] والعرب البانطي (المسلمون في البورمية) [٣].

وارتبط التوزيع السكاني للصين بالمؤثرات الطبيعية والاقتصادية والسياسية، فالمناطق الجبلية يقل فيها تركز السكان لوعورتها، في حين يزداد التركز في مناطق السهول وشواطئ الأنهار، ولاسيما في وادي نهر اليانغتسي، الذي يزدهر فيه النشاط الزراعي[٤]. فضلاً عن ذلك كان استمرار تعرض الصين لغزوات القبائل القادمة من أواسط آسيا وشمال الصين، اثر في طبيعة التركز السكاني بشكل واضح ، و قاد ذلك الى اختلاف الكثافة السكانية من مكان إلى آخر[٥]. وقبل ظهور الصناعات الحديثة وتطورها كان (٨٠) بالمئة من السكان يمتهنون الزراعة ، في حين يمتهن الآخرون الصيد، والصناعات اليدوية مثل صناعة الخزف والاقشمة الحريرية ، فضلاً عن التجارة والتحميل [٦] .

٢ – الديانات

لا تستقيم دراسة تأريخ الصين في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، من دون الوقوف عند أهم الفلسفات والأديان التي أثرت في طبيعة الفكر الصيني والحياة الصينية،

---

(١) دولت احمد صادق، المصدر السابق، ص٥٧١؛

Europa Publications Limited, The Far East and Australasia (1977–1978). A Survey and Directory of Asia and the Pacific, Ninth Edition, Staples Printers Limited, Lodon(1977-1978), P.289.

(٢) تعني المسلمون العرب الذين استوطنوا الى جانب قبائل الويغور(الهويغور) في تركستان الشرقية وبمرور الزمن أطلق عليهم الجزء الاول من اسم قبائل الويغور التي اعتنقت الإسلام أيضا .للمزيد ينظر فهمي هويدي، الإسلام في الصين ، عالم المعرفة ،الكويت،١٩٨١، ص٣٧.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٤) دولت احمد صادق، المصدر السابق، ص٥٧٠-٥٧١؛ دار النشر الصينية، الصين الارض والشعب، تايوان (د.ت)، ص٧.

(٥) جورج هـ . ت كمبل، مناطق الهجرة في العالم، ترجمة دولت احمد صادق، دار سعد للطباعة، مصر، (د.ت)، ٨٢-٨٣ .

(٦) ديورانت ، المصدر السابق ،ج٤، ص٢٤٠-٢٤٣.

وألــقت بظلالها على واقع الأوضاع والتوجهات السياسية في المدة التي هي موضوع البحث، وعلى أساس ذلك، برزت ضرورة تقديم عرض موجز بالفلسفات والأديان المذكورة.

الكونفوشيوسية[١]

لم يكن للصينيين ، قبل وصول المسيحية[٢] و الإسلام [١] إليهم، دين سماوي منزل ، بل كانت دياناتهم متعددة تقوم على الاوهام والخرافات، وعبادة الاجرام السماوية والظواهر الطبيعية وعبادة السماء والاسلاف وعظماء الرجال . وبمجــيء كونفوشــيوس (٥٥١-٤٩٧ ق.م) اتسعت دائرة عبادة السماء (الاله الاكبر) والاسلاف وعظماء الرجال. ولا يخفى ان فلــسفة

(١) سميت بالفلسفة الكونفوشيوسية نسبة الى كونفوشيوس (صيغة لاتينية للاسم كون فو تزو - أي المعلم كون). ولد هذا الفيلسوف في امارة لو في مقاطعة شانتونغ، وكان والده ضابطاً في الامارة توفي بعد ولادته بثلاث ســنوات، فكان عليه، فيما بعد اعالة نفسه وهذا ما جعله قريباً من معاناة الشعب الذي شغل اهتمامه، وتمكن كونفوشــيوس من ان يعلم نفسه بنفسه، وهو الامر الذي اهله في التاسعة عشر من عمره، لتولي وظيفة امــين مخــازن غــلال الحكومة، وملاحظاً لاراضيها، ثم منصب وزير العدل ونائبا لرئيس الوزراء في تلك الحكومة، غير ان الــصعوبات التي واجهته في وضع مبادئ فلسفته موضع التطبيق دفعته الى الاستقالة ليحاول نشر مبادئه مــن خــلال إلقــاء دروس في التأريخ والشعر والفلسفة والآداب العامة، واستمر على ذلك النحو حتى وفاته. ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

(٢) وصلت المسيحية الى الصين في عام ٦٣٦م، على يد احد النساطرة الذين أنشأوا معبدا لهم في جــانغ ــ ان، ثم نشرها الرهبان في المدن الاخرى، الا ان ما شهده أواخر القرن التاسع من طرد المبــشرين ادى الى انحسار هذه الديانة حتى مطلع القرن السادس عشر، حين تمكن اليسوعيون من ايجاد نفوذ لهم فــي البلاط، وساعدهم في ذلك معرفتهم ببعض العلوم، ولاسيما الرياضيات والفلك وترجمتهم لعدد من الكتــب الى اللغة الصينية. ومع ذلك، تقلص نفوذهم في الصين نتيجة تشددهم فــي تفــسير الــدين المــسيحي وموقفهم السلبي من المعتقدات والتقاليد الصينية، مما دفع الحكومة الى التشديد على البعثات التبــشيرية وحصر نفوذها في عدد من المناطق الساحلية ولاسيما كانتون. ينظر:

Chang Ting–Yu, The Jesuits, In: Dun J. Li, China in Transition 1517-1911, Litton Educational Publishing, (New York, 1969), PP.14-17.

(٣) ترجع البدايات الأولى لوصول الإسلام الى الصين الى التجار العرب الذين كانوا يترددون على كانتون التي اقامو فيها و أطلقوا عليها اسم خانقوا، وذلك في عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٦م) التي تزامن حكمها مع العهد الراشدي والأموي والعباسي على التوالي . ومع ذلك انتشر الإسلام على نحو أوسع في الصين بعد حملات القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي في بلاد ما وراء النهر التي وصل بها الى حدود الصين الغربية. للمزيد عن ذلك ينظر : بدر الدين و. حي. الصيني ، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر ، دار الإنشاء ، لبنان ،١٩٧٤، ص١٥-١٧.

كونفوشيوس كانت واحدة من العوامل التي اثرت في الحياة الصينية والفكر الصيني، فظلت تسيطر على العقلية الصينية منذ بداية حكم اسرة هان[١] التي أعلنت الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للدولة عام ٢٠٦ ق.م ، حتى سقوط اسرة المانشو[٢]عام ١٩١١ ، ويمكن ايجاز اهم ما اكدت عليه هذه الفلسفة بما يأتي :

---

[١] تعد اسرة هان التي حكمت الصين في المدة (٢٠٦ ق.م – ٢٢٠م) اول اسرة صينية تمكنت من توحيد الصين، إذ حكمت في اول الامر اسرة هان الغربية (٢٠٦ ق.م -٢٤م) ومن ثم حكمت اسرة هان الشرقية (٢٥-٢٢٠م)، وقد شهدت الصين في عهد اسرة هان ازدهاراً سيآسيا واقتصادياً وثقافياً، إذ تمكنت من ضم كوريا ومنشوريا والهند الصينية وانام (فيتنام حالياً) وتركستان وغيرها، الى الصين ونشطت تجارتها مع اوربا والمناطق المجاورة على نحو كبير، أسفرت عن حدوث تأثير ثقافي كان من نتيجته تغلغل الديانة البوذية الى الصين، زيادة على أن عهد الاسرة شهد ازدهار الاداب والفن. ينظر: كلين دانيال، موسوعة علم الآثار، ترجمة ليون يوسف، دار المأمون، بغداد ١٩٩١، ص٣٣١؛

Michal Dillon, Dictionary of Chinese History, Frank Cass Company Limited (Great Britain, 1979), P.77.

[٢] المانشو قبائل مغولية استوطنت منشوريا شماليّ الصين، وتمكنت من استغلال تردي الاوضاع الداخلية فيها في اواخر عهد اسرة المينج (١٣٦٨-١٦٤٤)، وحدوث الانقسامات فيها. وبدعوة من احد المنشقين عن السلطة، يدعى ووسان كوي، دخل المانشو الى الصين، وتمكنوا من السيطرة على السلطة فيها، ونصّبوا شون شي (١٦٤٤-١٦٦٢) اول امبراطور مانشوي على الصين، على ان سيطرتهم على المناطق الجنوبية، خلافاً للمناطق الشمالية، واجهت فيها معارضة قوية من الشعب الذي رفض الخضوع لاسرة المانشو، ويبدو ان الآخرين ادركوا صعوبة حكم الصين من دون التعاون مع الصينيين انفسهم، ولذلك احتفظوا بنصف المناصب العليا في الدولة، اما الباقي فانه بقي مفتوحاً امام ابناء القوميات الاخرى، ونظراً لكون المانشو اقل حضارة من الصينيين، فقد قبلوا بثقافة الصين ولغتها وعاداتها وتقاليدها، التي انغمروا فيها، وتمسكوا بصورة خاصة بالتقاليد الكونفوشيوسية التي وجدوا فيها ملاذاً لهم يحميهم ويديم سلطتهم. للمزيد عن ذلك ينظر :

S. Tikhvinski, Histoire de la Chine Les Temps Modernes, Edition Du, Progres Academie Des Sciences De L'U.R.SS. Institut D'etudes Orientales Moscou, 1983, P.15-46.

أ – أهمية الاخلاق في تنظيم المجتمع ، إبتداءً من الاسرة ، التي تعد الاساس في بناء المجتمع . فهو يرى أن الحكمة تبدأ بالبيت، وأن الفرد اساس المجتمع الذي ينبغي له ان يعمل لخدمة مصلحته، وربط ذلك كله بالطاعة، التي عدها الاساس في تنظيم العلاقات في المجتمع، مثل طاعة الابن لابيه، والزوجة لزوجها، والاخ الصغير لاخيه الاكبر، والصديق لصديقه والرعية للحاكم[1].

ب – اهمية التعليم بوصفه حقاً لكل انسان، وجعله الاساس في اختيار موظفي الدولة ومن يتكفلون أدارة امور المجتمع

جـ – أكد كونفوشيوس أهمية النظرية الصينية التقليدية، التي ترى ان الإمبراطور هو (ابن السماء) وان الحكام الإقطاعيين يستمدون سلطتهم من قوة أجدادهم المقيمين في السماء . و حث الشعب على الولاء للحكام بعد ان وضع شروطا للحاكم الصالح قوامها الأخلاق والكفاية ورجاحة العقل من دون النظر في الحسب والنسب او الثروة والجاه . غير ان كونفوشيوس وتلامذته بذلوا جهداً في أن يقتنعوا الحكام بأن الواجب عليهم ان (يملكوا ولا يحكموا) وذلك بأن يعهدوا بتصريف امور الدولة الى الوزراء ، ولما كان اختيار الوزراء من صلاحيات الامبراطور، لم يكن بامكان كونفوشيوس فرض القيود على الامبراطور في هذا الشأن ، ولكنه اختار طريقاً وسطاً في توجيه الوزراء ، وذلك من خلال التأثير في المناهج المعدة لتعليم الشبان الذين سيصبحون وزراء ، وحث الرأي العام على الوقوف الى جانب تعيين الاشخاص الاكثر كفاية في المناصب الادارية المهمة [2]. وهو الامر ذاته الذي أكده تلامذة كونفوشيوس من بعده، ومنهم منيشيوس [3] بقوله "إن البعض ينصرفون الى اعمال الفكر،والبعض الآخر الى

---

[1] ديورانت ، المصدر السابق ،ج٤، ص٥٦-٥٩، ص٢٥٦-٢٥٧.

[2] هـ.ج. كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس الى ماوتسي تونغ، ترجمة عبد الحميد سليم، القاهرة، ١٩٧١، ص٤٧- ٤٨، ص٦٤- ٦٥ ؛ نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٣) يشار الى أن منشيوس عاش في المدة (٣٧٢-٢٨٩ق.م) وتتلمذ على يد رجال نقلوا تعاليم كونفوشيوس ، وله كتاب حمل أسمه "منشيوس" وهو كتاب طويل احتوى على اكثر من خمس وثلاثين الف كلمة صينية ، بينت أكثر الآراء والمبادئ التي طالما حث حكام الصين على الاخذ بها في محاوراته معهم ، والتي يشار الى أنها كانت ترقى الى تلك المحاورات التي كتبها افلاطون . للمزيد ينظر: كريل ، المصدر السابق ،ص١٠٨-١٠٩.

اعمال الجسد. فالأولون يحكمون، والآخرون يكونون محكومين. وهؤلاء يؤمنون العيش لأولئك"[١].

د – الحكومة الصالحة برأي كونفوشيوس هي التي تكفل السيادة للشعب، وكل حكومة لا تحظى بثقة شعبها تسقط لا محالة، فعلى الحكومة ان تحقق للشعب كفايته من ثلاثة أشياء، وهي الطعام والسلاح والثقة بحاكمهم . وإذا وجب إسقاط احد هذه الشروط وجب الاستغناء عن السلاح، وإذا وجب الاستغناء عن احد الشرطين الباقيين فهو الطعام لان الموت شيء محتم على البشر[٢]. وهو بذلك لم يخرج عن نظرية قانون السماء التي أقرت سحب التفويض السماوي من الإمبراطور في حال عدم إيفائه بواجباته تجاه شعبه، ومن ثمّ تصبح الثورة عليه أمرا مسوغا[٣].

هـ – وضوح العدالة الاجتماعية في فكر كونفوشيوس، من خلال حثه على توزيع الثروة على أوسع نطاق، لان تركيز الثروة بحسب رأيه يؤدي إلى تشتيت شمل الشعب وتوزيعها هو السبيل الى جمع شتاته[٤].

و– شدة الاهتمام بالمسائل الدنيوية، والعزوف عن مناقشة أمور ما وراء الطبيعة والغيبيات وحياة ما بعد الموت، وهو الأمر الذي أدى إلى اتهامه بالإلحاد، فحين سأله بعض تلامذته عن معنى الموت، أجابه إذا كنت عاجزاً عن فهم الحياة، فكيف تفهم الموت[٥].

---

(١) آلان بيرفيت، يوم تنهض الصين يهتز العالم، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت ، ١٩٧٤، ص٢٤٨.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٤١؛ ديورانت، المصدر السابق،ج٤، ص٦٠-٦١؛ كريل، المصدر السابق، ص٦٤-٦٥.

(3) J. Chesneaux and Others, China from the Opium Wars to the1911 Revolution, Trans. From the French by A. Destenay, The Patheon Asia Library, (New York, 1979), P.6.

(٤) ديورانت، المصدر السابق،ج٤، ص٦٢.

(٥) كريل، المصدر السابق، ص٥٤.

ز- موقفه السلبي من المرأة التي كانت برأيه مخلوقاً صعباً يسبب الازعاج [(١)].

والواقع ان هذه الجوانب من فلسفة كونفوشيوس وغيرها، وهي التي ورد بعضها في مؤلفاته، التي عرفت لدى الصينيين باسم (كتب القانون الخمسة) وهي الطقوس (المراسيم)، والتغييرات، والاناشيد (الاغاني)، وحوليات الربيع والخريف، فضلاً عما سجله تلامذته مما حفظوه عنه من تعليمات في مؤلفات خاصة، اصبحت النصوص المقررة في المدارس [(٢)]، ومادة لامتحانات الخدمة العامة[(٣)] حتى عام ١٩٠٥[(١)] .

[(١)] فرنك اوين، الصين في ماضيها وحاضرها،(لم يرد أسم المترجم) لندن، ١٩٤٥، ص٣-٤.

[(٢)] كانت هذه المدارس عبارة عن اكواخ صغيرة ضمت كل منها غرفة واحدة، يعلم فيها المعلمون ابناء القرية الذين يقدرون على دفع اجور التعليم، إذ لم تكن الدولة تعنى بالانفاق عليه، وكان الدوام في هذه المدارس يستمر لساعات طويلة، يمضيها التلاميذ بدراسة مؤلفات كونفوشيوس والشعر. ينظر: ديورانت، المصدر السابق، ص٢٨٣؛

Lawrence D. Kessler, Chinese Scholars and the Early Manchu State, Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol.31, 1971, PP.180-188.

[(٣)] كانت هذه الامتحانات تجرى على وفق ثلاثة مستويات وفي مدد زمنية محددة. فالامتحان الاول كان على مستوى المحافظة، وكان يجري مرتين كل ثلاث سنوات، ويحصل الطالب الذي ينجح فيه على لقب (شهادة) (شيوتساي)، أي ما يعادل البكلوريا عندنا، والامتحان الثاني، وهو على مستوى المقاطعة، كان يجري مرة كل ثلاث سنوات، ويحصل الطالب الذي ينجح فيه على لقب (جيوى رن)، أي ما يعادل البكالوريوس. وكان حامل هذا اللقب مؤهلاً للحصول على وظيفة في الادارة المحلية، ويمكنه التقدم لاداء الامتحان الثالث، وهو على مستوى الدولة، وكان يجري في بكين مرة واحدة كل ثلاث سنوات، ويحصل الطالب الذي ينجح فيه على لقب (جين شي)، ويمثل أعلى مرتبة من المراتب الكونفوشيوسية، ويمتاز هذا الامتحان بطول مدته وصعوبته، ويتمتع حامل هذا اللقب بامتيازات متعددة بوصفه يحمل عقيدة الدولة الرسمية . وعلى نحو عام يمكن لمن يفشل في هذه الامتحانات اعادتها اكثر من مرة، ومما يؤخذ على هذه الامتحانات ، على الرغم من ان مظهرها يوحي بسلامة اسلوب تعيين موظفي الدولة، انها لا تتضمن شيئاً عن العلوم والاعمال والصناعة، ولا معرفة بالعمل الحكومي الذي يؤديه الموظفون عند تسلمهم وظائفهم، إذ كانوا يتقلدون مناصبهم من دون إعداد مسبق في مجال تخصص معين، ثم ان الغش وجد سبيله الى الحكم على نتائج الامتحان، ولاسيما مع تقديم الرشوة من الاغنياء الذين كانوا يبتغون الحصول على لقب، فضلا عن ان طول مدة الدراسة ونفقاتها الباهضة حدت من امكانية اشتراك الفقراء فيه. ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٢٨-٢٩؛

Chesneaux and Others , Op. Ci t . , PP.14-15.

التاوية

التاوية او كما سميت باللاوية نسبة الى الفيلسوف الصيني لاوتزو الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، فلسفة دينية اشتقت من مبدأ التاو، الذي يعني السراط او الطريق الذي يهدف الى الحصول على السلام على الارض [٢] . و تظهر مبادئ التاوية بأجلى صورها في كتاب لاوتزو (الطريقة والفضيلة) ذي الخمسة الاف كلمة ، وهي أكدت على اليسر في كل شيء ، معارضة في ذلك التعقيد والغلو والافراط ، وايدت السلام ونبذت الحرب التي غالباً ما يكون سببها الرغبة في تملك الحكام والملاكين، داحضة ذلك بتأكيد ضرورة التوزيع المتساوي للثروة بين أبناء الشعب ، واظهرت جانباً فوضوياً بنفيها الحاجة الى الحكومات في حال التزام الناس طريق التاو . والدولة المثالية من وجهة نظر التاوية هي التي تترك الناس وشأنهم وتقلل من حجم القوانين والشروط[٣] .

وقد تركت هذه الاهداف والمبادئ اثرها في المجتمع الصيني، غير ان غلوها في الغيبيات، كان من اشد نقاط ضعفها، إذ استغل هذه العقيدة فريق من مدعي العلم وحوّلوها إلى نوع من الشعوذة والدجل، إذ اتخذوا من مبادئها سبيلاً للبحث عن سر الخلود، مدعين القدرة على منحه للبشر وشفائهم من المرض، بفضل الاعمال السحرية، مما ادى الى ابتعاد المثقفين عنها ، غير ان مبادئها لا تزال كامنة في اعماق النفس الصينية[٤]. ومراراً حاول فلاسفة التاوية جعل التاوية الدين الرسمي للصين ، من خلال التأثير في الاباطرة بايجاد اكسير للحياة يطيل العمر [٥].

---

(١) ميلاد المقرحي، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر. شرق آسيا، الصين، اليابان، كوريا، (بنغازي، ١٩٩٧) ص٢٥.

(٢) ديورانت، المصدر السابق، ص٢٦٠.

(٣) تاوتي تشنغ لاوتزو، نصوص من الفلسفة الصينية القديمة، ترجمة هادي العلوي، دار ابن رشد للطباعة، بيروت، ١٩٨١، ص٥-١١.

(٤) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٤٤.

(٥) تاوتي تشنغ لاوتزو، المصدر السابق، ٣٣-٣٧.

البوذية[١]

على الرغم من ان البوذية كانت قد نشأت في الهند، إلا أنها استطاعت أن تجد لها ميداناً واسعاً في الصين على الرغم من مقاومة الكونفوشيوسية لها ، والفضل في ذلك يعود إلى التجار الهنود الذين تمكنوا من نقلها الى الصين عبر تركستان الشرقية (سينكيبيانج) شمال غرب الصين ، ومنها انتقلت الى مناطق الصين الداخلية . ففي عام ٢١١ ق.م شيد اول معبد بوذي في مقاطعة هونان وسط الصين ، أصبح فيما بعد مركزاً لانتشار البوذية الى مقاطعات الصين المختلفة . وعلى الرغم من إن أسرة هان اتخذت الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للدولة ، فقد امتازت مدة حكمها بتقاطر علماء البوذية إلى الصين وإقبالهم على ترجمة المراجع البوذية إلى اللغة الصينية[٢].

ومن الجدير بالذكر ان البوذية انتشرت في الصين بعد ان تشبعت بالمعتقدات الشعبية والأساطير والخرافات الشائعة في أوساط عامة الصينيين وبما كانت تحمله من مبادئ استهدفت التأثير في نفوس الطبقات الفقيرة، وأحيانا الأثرياء، وذلك بتأكيدها المساواة الاجتماعية، وشجب أي إدعاء بسمو فرد او جماعة وذلك من خلال انتمائه الى عرق او جنس ما، وأن كفاية الإنسان هي وحدها كفيلة بعلو مكانته في المجتمع . وهذا يعني معارضتها لنظام الطبقات الاجتماعي، وتفسر لنا مقاومة الكونفوشيوسية لها . ثم إن تأكيدها على المساواة بين المرأة والرجل قد ضمنت فرصاً لانتشارها على نحو واسع، ولاسيما إذا أضفنا لذلك تأكيدها ضرورة استخدام اللغة الشائعة بين الناس ، عند التبشير بها . ثمّ إن بروز النهج الديمقراطي في الانضمام اليها شجع الكثيرين على اعتناقها، وذلك من خلال قيام الشخص الراغب بالانضمام إلى هيئة (أخوة الراهبات والرهبان ـ سانغا ـ) بعرض اسمه

---

[١] من البوذا وهي كلمة هندية تعني العالم او الحكيم او العاقل، وأول ما أطلقت على الامير سيدهارتا جوتاما المولود عام ٥٦٣ (ق.م) وهو أول من وضع أسس الديانة البوذية في الهند. للمزيد ينظر: فؤاد محمد شبل، البوذية، دار المعارف، مصر (د.ت)، ص٢٠-٢١؛ بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، المجلد الخامس، ١٨٨٠، ، ص٦٥٩-٦٦٠.

[٢] فؤاد محمد شبل ، البوذية ، المصدر السابق ، ص١٦٨-١٦٩؛

Kenneth Ch'en, Filail Piety in Chinese Buddhism, Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol.28,No.30, 1968, PP.81-82.

في اجتماع عام يحضره أعضاء الهيئة ويقبلونه عضواً فيها. ولكل عضو صوت واحد، وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة . ثم أن هذا المؤتمر كفيل بحل المشكلات التي يتعرض لها أفراد الجماعة، التي ينتخب رئيسها من بين أعضائها القدماء. ويظهر بين طيات الفكر البوذي لون من الفكر الاشتراكي وذلك بتحريم ممارسة الراهب الملكية الخاصة، وجعل المعبد ومجوداته كافة ، ملكاً مشاعاً بين الجميع، وبذلك تمكنت البوذية من النفوذ الى الفكر الصيني والتأثير فيه[1].

٣- نظام الحكم وإدارة الدولة في العصر الإمبراطوري

لا يسوغ كثرة التعقيد والجمود، الذي انطوى عليه نظام الحكم في الصين في العصر الإمبراطوري ، غض النظر عن تبيانه ، ولاسيما عند البحث في تطور أوضاعها السياسية في المدة التي هي موضوع البحث . فمن غير اليسير إدراك كنه طبيعة تطور الأوضاع السياسية وردود الأفعال الصينية إزاء التحديات الأجنبية التي واجهتها الصين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من دون معرفة المبادئ والنظم والعادات التي تحكمت فيها ، وهو ما اوجب إعطاء هذه اللمحة الموجزة عن نظام الحكم وإدارة الدولة .

كانت النظرية السياسية في الصين قائمة على المبادئ والمعطيات الفلسفية التي وضعها كونفوشيوس، والتي أكدت تنظيم الدولة بدءاً بالأسرة والمجتمع وانتهاء بالإمبراطور الذي يتربع على قمة الهرم، والذي يدين له الشعب بالطاعة والولاء مادام يتمتع ببركة السماء، فهو ابن السماء، والوسيط بين السماء والشعب، ويتمتع بصلاحيات مطلقة نظريا فحسب[2] . فباستثناء اختياره لولي العهد، والذي يشترط فيه ان يكون من الذكور، يحد من سلطانه من الناحية العملية القوانين والعادات والتقاليد المرعية والرأي العام . ومن ثم أناطت الكونفوشيوسية بقاءه برضى السماء، من خلال تحقيقه مصالح الشعب، فإذا قصّر في تحقيق متطلبات شعبه من توفير الأمن والغذاء إلى الثقة في شخصه وترويض الظواهر الطبيعية بحسب زعمهم ، فإن انسحاب التفويض السماوي والثورة عليه تصبح أمراً مسوغاً استناداً إلى قانون السماء[3]. وقد اثر هذا القانون على نحو كبير في تاريخ الصين السياسي، إذ وجد

---

(١) فؤاد محمد شبل ، البوذية، ص١٠-١١،ص١٦٨-١٧١ ؛

Kenneth Ch'en , Op . Cit , PP.81-2.

(2) David Nelson Rowe, Modern China A Brief History, Van Nostrand Company, (Prinston. 1959), P.15.

(٣) ديورانت، المصدر السابق، ص ٤٥؛ نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٢٦.

فيه المعارضون لنظام الحكم ما يعطي تصرفهم صفة شرعية[١]. ويبدو ان هذا الأمر خوّل الصينيين إيجاد نظام الرقابة الذي يتعين على أعضائه، وهم من المانشو ومن قوميات أخرى، أن يراقبوا تصرفات الإمبراطور وكبار الموظفين وان يعترضوا على أخطائهم ويخلعوهم بالقوة إذا ظلموا أو افسدوا[٢].

وتجدر الإشارة إلى وجود مجلسين أديا دوراً لا يمكن إغفاله في مساعدة الإمبراطور في إدارة شؤون البلاد، الأول "المجلس الكبير" (الأعلى) ، الذي أعلن عن تأسيسه رسمياً في عام ١٧٣٠. وكان يأتي في المرتبة الثانية بعد الإمبراطور، ويتكون من أربعة من كبار الموظفين، اثنين من المانشو واثنين من القوميات الأخرى يرأسهم احد أمراء الأسرة المالكة وتحمل هذا المجلس، الذي كان يجتمع يومياً، ويسيطر على زمام السلطة الفعلية، مسؤولية رسم السياسة العامة وإعداد نصوص المراسيم الإمبراطورية . أما المجلس الآخر فهو "السكرتارية العظمى" الذي أنشئ عام ١٦٧١، وتولى مسؤولية الإدارة المدنية والتنسيق بين أجهزة الخدمات العامة . واشتمل هذا على ست وزارات، هي وزارة الشؤون المدنية – المحلية – وكانت تهتم بالموظفين بدءاً من امتحاناتهم وانتهاءً بمراقبة أداء خدماتهم الوظيفية، ووزارة المالية التي عنيت بالأمور المالية وتسجيل الأراضي والسكان، ووزارة الطقوس وهي مسؤولة عن الاحتفالات الرسمية والقرابين وولائم البلاط والموسيقى في المناسبات الرسمية، ووزارة الحرب (الدفاع) التي تدير الجيش والبحرية والخدمات الخاصة بالحكومة، ووزارة العقوبات (العدل) معنية بتشريع الأحكام العامة والخاصة وممارسة القضاء، أما وزارة الأشغال العامة فكانت مسؤولة عن المعابد والأبنية والمعامل الحكومية التي كانت تؤمن السلع المدنية والعسكرية ، وضرب العملة وإدامة الطرق والسدود وقنوات الري[٣].

ومن الناحية الإدارية، يلاحظ أن طبيعة البلاد الجغرافية وتباعد الأقاليم و المقاطعات عن الأخرى ، وبعد المقاطعات كلها عن العاصمة بكين مع صعوبة النقل والمواصلات، وصعوبة تموين جيش كبير يكفي لفرض سلطة الحكومة المركزية على أنحاء البلاد كافة،

---

[١] كريل، المصدر السابق، ص٣٣.

[٢] جلال يحيى، الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥، ص٢٩.

(3) Chesneaux and Others, Op . Cit, P.13.

جعلت الحكومة تعطي لكل إقليم أو مقاطعة استقلالاً ذاتياً كاد أن يكون تاماً[١]. وكانت هذه الأقاليم يديرها حكام يتمتعون بسلطات واسعة وهم يخضعون لنائب عن الإمبراطور، الذي كان يجمع تحت سلطانه إقليمين او ثلاثة . وتألف الإقليم الواحد من عدد من المقاطعات التي تخضع كل منها لحاكم باستثناء مقاطعة تشيلي شمال غرب الصين، إذ أدارتها الحكومة المركزية في بكين . وتتألف المقاطعة، نفسها ، من عدد كبير من القرى التي تعد اصغر وحدة إدارية، ويحكمها رؤساء العشائر بإشراف زعيم ترشحه الحكومة[٢].

وتولت "هيئة شؤون الدول المستقلة" التي أسِّست في بكين عام١٦٤٨ ، إدارة المناطق شبه المستقلة، مثل منغوليا وتركستان والتبت ومنشوريا . أما الدول التابعة الى الصين مثل كوريا وفيتنام فكانت تديرها وزارة الطقوس . إما تلك التي ترتبط بالصين سياسياً واقتصادياً بصورة اسمية مثل جزر ليوشيو – ريوكيو[٣]، القريبة من اليابان وارخبيل سولو[٤]، وبورما ولاوس وسيام والنيبال، فكانت ترسل بعثاتها التي تحمل الجزية الى بكين بين مدة واخرى . في حين ترسل كوريا بعثتها كل سنة، وفيتنام كل ثلاث سنوات والبقية كل عشر سنوات[٥].

وفي ظل هذه الإدارة والحكم اللامركزي ، أصبح القانون ضعيفاً، وكان المواطنون يفضلون الرجوع الى العرف في حل منازعاتهم ، وكانت تمر سنوات متعددة على كثير من

---

(١) ديورانت، المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٢) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٢٩؛ محمد على القوزي وحسان حلاق، تأريخ الشرق الاقصى الحديث. دار النهضة العربية، بيروت ٢٠٠٠، ص ٧٩.

(٣) تمتد السيادة الصينية على جزر ليوشو الواقعة جنوب غرب اليابان الى القرن الرابع عشر حينما قام هونغ أحد أباطرة أسرة المينج بتنصيب أحد سكانها حاكماً عليها ومنحه لقب شانغ أي الملك ومنذ ذلك الحين أدار ملوك ليوتشو الحكم فيها من دون تدخل الصين واليابان في شؤونها الداخلية والخارجية مع اعترافهم بالسيادة الاسمية للصين وإرسال الجزية السنوية اليها حتى عام ١٨٧٩ . ينظر: نادية كاظم محمد العبودي، مسألة السيادة على جزر ليوشيو١٨٧١-١٨٨١،بحث مقبول للنشرفي مجلة كلية التربية الأساسية – الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦ ؛ The Encyclopedia Americana . Vol. 24. International Edition . Grolier Limited (Cnada . 1978) .P.62 .

(٤) تقع جزر سولو جنوب غرب الفلبين، وتمتد الى مسافة (٢٦٨٨) كيلومتر مربع، وسكانها مسلمون يمتهنون التجارة و الصيد . Ibid ..Vol . 25 , P.877

(5)Chesneaux and Others, Op . Cit , P.13.

القرى والمدن من دون أن ترفع فيها قضية واحدة الى المحاكم الرسمية[١] . و لم توجد فروق واضحة بين القانون الجنائي والقوانين المدنية، وتراوحت العقوبات بين قص الشعر، والجلد بالخيزران، والتعذيب الجسدي ، والنفي الى الخارج بصورة مؤقتة او دائمة، والسجن، وأخيراً الاعدام، أما إذا كان المجرم من طبقة الاعيان او من مركز ممتاز فكان يسمح له بالانتحار[٢].

اما عن الجيش، الذي لم تمنحه الحكومة، في ظل سياسة العزلة، عناية كافية[٣]، فانه كان يتكون من صنفين الاول، هو ألوية المانشو او ما تعرف بـ "الألوية الثمانية" نسبة الى الألوية الثمانية الاولى التي تشكلت منها، وبقيت تعرف بهذا الاسم بالرغم من إضافة ثمانية ألوية من المغول وثمانية ألوية من بقية القوميات اليها . ويشار الى ان عدد افراد هذه الألوية ، عند بداية احتلال الصين من قبل أسرة المانشو عام ١٦٤٤بلغ نحو(٢٠٠) الف جندي ، واصغر وحدة فيها ضمت نحو (٣٠٠) مقاتل . وتركزت بقصد توفير الحماية لأسرة المانشو، في المقاطعات الشمالية القريبة من العاصمة بكين[٤].

أما الصنف الثاني من الجيش، فهو ما يعرف بقوات "الراية الخضراء" لارتداء افرادها ملابس خضراء وهي قوات صينية نظمها حكام الاقاليم، وخضعت لارادتهم، ولم تحظ هذه القوات المنتشرة في الاقاليم بتدريب جيد . وقد وصل عددها من الناحية النظرية، في عام ١٨٤٠، الى (٤٠٠,٠٠٠) مقاتل، وان كانت في حقيقة الامر اقل من ذلك بكثير. والواقع أنه لم تشكل الوية المانشو وقوات الراية الخضراء فضلا عن المليشيات الخاصة التي كان يجندها الاقطاعيون والاعيان وكبار الموظفين في وقت الازمات، قوة عسكرية لها قيمتها، فضعف تدريبها ، ونقص اسلحتها وقدمها لم يمنحها القوة الكافية للوقوف بوجه التحديات الاوربية التي واجهتها في القرن التاسع عشر. ومع ذلك، كان من الممكن ان تصبح قوات المليشيات سلاحاً خطيراً في ايدي احد المعارضين لنظام الحكم[٥]. أما القوات البحرية فكانت

---

[١] ديورانت ، المصدر السابق ،ص٢٧٩ .

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٣١.

(3) Victor Purcell, China, Ernest Benn Limited , London , 1962, P.54.

[٤] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٣١.

[٥] جلال يحيى، المصدر السابق، ص٣٠؛ " فريق من الباحثين" بإشراف انور عبد الملك، الجيش والحركة الوطنية (مصر، باكستان، اندنوسيا، اليابان، الصين، الكونغو)، ترجمة حسين الفيل، دار ابن خلدون للنشر، بيروت ١٩٧١، ص٢٩٤-٢٩٧.

مقسمة على قسمين، احدهما شمالي ومركزه شنغهاي،وكياوتشو، والآخر جنوبي مركزه كانتون . أما تجنيد قادة الجيش فكان يتم عن طريق الامتحانات العسكرية التي لم تختلف عن الامتحانات العامة بشيء ، سوى موضوع الامتحان الذي يتضمن نصوصاً عسكرية ورمي السهام والالعاب الرياضية[١].

وفيما يتعلق بإدارة مالية الدولة، التي اعتمدت على نحو رئيس على الضرائب التي حددها قانون عام ١٧١٣، ولاسيما ضريبة الملح وضريبة الارض، التي تُدفع نقداً او عيناً، فقد خوّلت الحكومة موظفين مختصين بتحصيلها . وقد لجأ اولئك المحصلون الى الاساليب القسرية في تحصيلها، ولم يكتفوا بما حددته الحكومة، بل كانوا يزيدون عليها نسباً تراوحت بين (١٠-٥٠) بالمئة، فضلاً عن الاتاوات التي تدفع عيناً من الحرير والنحاس والمعادن الاخرى ومن انواع الحبوب، وكان التعسف سمة مألوفة في جمعها، إذ يقوم الموظفون بفرض ضرائب اضافية يذهب ريعها الى جيوبهم[٢]. ومن حيث المبدأ ، كان من المفترض ان يرصد جزء من هذه الضرائب لتسديد نفقات الاقاليم، في حين يذهب الجزء الآخر الى خزينة الدولة، غير ان ما كان يصل منها الى الخزينة لم يشكل سوى ثلث إلى خمس المبالغ المجموعة ، في حين ان بقية المبلغ كان يذهب إلى الخزانات المحلية في المقاطعات، والى جيوب الموظفين ومساعديهم[٣]. وهذا ما أدى إلى ضعف إيرادات خزينة الدولة ، التي كان يتأتى بعضها من تلك الضرائب وبعضها الآخر من إيرادات الكمارك، التي بقيت الحكومة مسيطرة عليها حتى عام١٨٤٢ . ومما كان يقع ضمن إدارة الحكومة للموارد المالية، هو إدارة موارد المناجم المعدنية وموارد بيع المناصب الحكومية، فضلاً عن فرض ضرائب جديدة إذا تطلب الأمر [٤]. أما عن ادارة العلاقات الخارجية فلم تكن هناك وزارة معنية بها مثل باقي الدول ، وذلك انطلاقا من نظرية امبراطورية الوسط التي عدّت الصين بموجبها أرقى الدول وليس هناك دولة مساوية لها، لذا فلا داعي لوجود وزارة للخارجية برأيهم . وبناء على ذلك خوّلت الحكومة الموظفين المحليين مسؤولية ادارة العلاقات

---

[١] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ٣١.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٤.

(3) Chesneaux and Others, Op . Cit , P.18.

[٤] جلال يحيى، المصدر السابق، ص٣٠ ؛ نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

الخارجية ، وبقي الوضع كذلك حتى تشكيل التسونغ لي يامين(هيئة ادارة الشؤون الخارجية) عام ١٨٦٠ كما سيتضح [١].

ومن الضروري الإشارة إلى ناحية مهمة، ألا وهي البناء الاجتماعي والتنظيم الاقتصادي . فما قدمته الكونفوشيوسية من دعامة معنوية للزراعة، الى جانب توافر المساحات الواسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، وغزارة المياه التي وفرتها الأنهار، ناهيك عن كثرة الأيدي العاملة ، جعل الزراعة المهنة الرئيسة في البلاد . فتم التركيز على زراعة المحاصيل الزراعية الغذائية والصناعية، مثل الرز، والذرة، والقمح، والشعير، والشاي، والبطاطا، والأفيون[٢]، والقطن، وأشجار التوت، والحرير، والقنب ــ نبات ليفي يستعمل في صناعة الحبال والملابس ــ والواقع ان هذه المزارع كانت عرضة للكوارث الطبيعية منها الفيضانات وموجات الجراد [٣].

ومن حيث التنظيم الاجتماعي كان النبلاء والأعيان، هم أعلى الطبقات الاجتماعية منزلةً ، بوصفهم يحملون عقيدة الهيئة الحاكمة . وتتكون هذه الطبقة من ملاك الأراضي وكبار الموظفين (المندران) من حملة الشهادات (المراتب الكونفوشيوسية) الذين كانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة، من بينها امتلاكهم مساحات واسعة من الاراضي[٤]، التي لم يكونو يزرعوها بأنفسهم، بل كانوا يقومون بتوزيعها على أقاربهم، الذين يؤجرونها بأسعار عالية للفلاحين . وهم الطبقة الثانية في المجتمع ، و شكلوا أربعة أخماسه [٥]. وهم معنيون بالإنتاج الزراعي، وإنتاج اغلب ما كانوا يحتاجون إليه من السلع التي كانوا يستعملونها في

(1) Chesneaux and Others, Op . Cit. , P.9.

(٢) الافيون او ما يعرف بنبات الخشخاش، وصل الى الصين في بادىء الامر عن طريق الاتراك والعرب، وذلك في اواخر القرن السابع واوائل القرن الثامن الميلادي، إذ كان يستعمل في ذلك الحين لاغراض التداوي، أما تدخينه للمتعة فلم يعرف الا في وقت متأخر، ولاسيما في القرن السابع عشر حينما انتشر تدخينه بين الفئات المترفة في المجتمع الصيني. للمزيد عن ذلك ينظر:

Encyclopedia Britannica, Vol., (London , 1962), 16,PP.613-617.

(3) Chesneaux and Others, Op . Cit. , P.26.

(٤) بيرفيت ، المصدر السابق ، ص٢٤٨؛

Rowe, Op. Cit., P.12; Harold Isaacs, The Tragedy of the Chinese Revolution, Second Edition, Stanford University Press, Stanford, 1961, PP.3-5.

(٥) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣.

حياتهم اليومية، وما يفيض عنهم كانوا يقومون ببيعه او مقايضته بسلع أخرى[١]. والملاحظ أنهم كانوا محرومين من حيازة الأراضي ومعرضين للعمل الإجباري ودفع مختلف أنواع الضرائب ويكلفون بحمل السلاح وقت الحرب . وهو الأمر الذي أدى إلى موت اغلبهم جوعاً في أوقات القحط والمجاعات ، واضطر الكثير منهم إلى بيع أولادهم وبناتهم . ويبدو ان هذه الأوضاع جعلت قيام حركات المعارضة بينهم أمرا مألوفا بين الحين والأخر . ويأتي الصناع والحرفيون في المرتبة الثالثة ، في السلّم الاجتماعي ، و كانوا ينتشرون في المدن ، ويقومون بصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية والورق والخزف والجلود والشموع والطلاء والطباعة . وكان هؤلاء ينتظمون في نقابات خاصة بكل مهنة ، وكان المجال مفتوحاً أمام الجميع للانتساب إليها . وعلى الرغم من ان الانتساب لم يكن إجباريا، إلا أنها شجعت الانتساب إليها بما أعلنته من حماية المنتسبين من المنافسة الأجنبية، وتحديد ساعات العمل و رفع الأجور وتخفيض الأسعار ومراقبة الموازين والمكاييل، واستحصال الديون ، ووضع قوانين الحرفة ، وحماية المنتسبين من اللصوص، والعناية بالمرضى منهم . وإمعانا في تأكيد أهميتها وضعوا لكل منها مؤسساً أسطوريا، ومجلساً تنفيذياً منتخباً ، وترأس كل نقابة أحد المثقفين المتخرجين من الامتحانات العامة . ومما جعل لهذه النقابات قيمة عملية أن أعضاءها كانوا ملزمين بتطبيق قراراتها[٢].

واقترن أمر التجارة والتجار بسياسة الاكتفاء الذاتي التي قللت من شأن التجارة الخارجية ، فضلا عن النظرة الاجتماعية المتدنية للتجار . فالتجار هم الطبقة الرابعة في السُلّم الاجتماعي الكونفوشيوسي . ويعود السبب في ذلك الى ان التجار، من وجهة نظر الفلاسفة الصينيون ، إنما يعيشون على بيع منتجات غيرهم، لذلك كانوا معرضين لفرض الضرائب الفادحة، وحرموا من لبس الحرير والانتقال بالعربات . ومع ذلك، مارسوا مهنتهم وجمعوا ثروات من خلال تصديرهم الشاي والحرير والخزف والورق والبارود ، واستيرادهم الزجاج والفول السوداني والدخان والأفيون . وفي الوقت الذي يّسر فيه نظام الائتمان أمر التجارة الداخلية التي تعتمد على الطرق المائية، كانت التجارة الخارجية، التي وصلوا بها

---

[١] محمد العزب موسى، حرب الأفيون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ص١١-١٢.

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق،ص٣٢-٣٤، ص ٤١؛ ديورانت، المصدر السابق، ص٢٤٥-٢٤٦.

الى المناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية [١]، وبلاد فارس وأوربا، معرضة لهجمات قطاع الطرق واللصوص[٢]. زيادة على خضوعها لسلطة نقابة" الكوهونج" وتعني التجار المخولين رسميا، وهي هيئة شبه رسمية كان عدد أعضائها بين ٦- ١٢تاجرا تمثل الحكومة وتعمل وكيلا لها . فهي تشتري كل البضائع التي يجلبها التجار الأجانب في سفنهم وتبيعهم كل ما يريدون شراءه من البضائع الصينية ، وهي مسؤولة أمام الحكومة عن مراقبة كل نشاطات التجار الأجانب وتصرفاتهم العامة . وكان لايُسمح للتجار الصينيين بالتعامل مع التجار الأجانب إلا من خلالها ، ويمنع أي تاجر من الأجانب أو الشركات الأجنبية الاتصال بأي شخص لاينتمي لتلك النقابة[٣].

---

[١] للمزيد عن العلاقات التجارية بين الصين والعرب يمكن الرجوع الى بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٠، ص١٠٨-١٤٠.

[٢] ديورانت، المصدر السابق، ص٢٤٨-٢٤٩؛

Michael Loewe, Imperial China . The Historical Background to the Modern Age, George Allen and Unwin Ltd., (London, 1966), PP.249-250.

(3) Chesneaux and Others, Op . Cit. , PP.48-49; نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ،ص٦٥

ثانياً - الأوضاع الداخلية والتحديات الأجنبية ١٨٢١-١٨٣٩

تسلم الإمبراطور تاوكوانغ (١٨٢١-١٨٥٠)، السلطة خلفاً لوالده تشياتشينغ[١]، وشهد عهده اضطراباً كبيراً في الأوضاع الداخلية، وازدياد حجم التحديات الأجنبية، التي كانت بين تحد اقتصادي وسياسي وفكري وعسكري، شكلت هي نفسها عوامل أساسية في قيام سلسلة من حركات المعارضة في الصين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ففيما يتعلق بالأوضاع الداخلية، هيأ افتقار الإمبراطور للكفاية والحزم واعتلال صحته، مجالاً واسعاً لتدخل موظفي القصر ونسائه في شؤون الحكم، وازدياد حجم التنافس والصراع بين أمراء المانشو حول المناصب الحكومية، فصار بعضهم يجمع عدداً من المناصب العليا في الوزارة والمجلس الاستشاري والإدارة ورئاسة المقاطعات والجيش في وقت واحد، وهدفهم في ذلك جمع اكبر قدر من المال في أسرع وقت ممكن[٢]. ولعل ابرز ما يمكن ملاحظته في هذا السياق، الصراع حول جمع المناصب الذي دار بين موزانغ ـ آ (١٧٨٢-١٨٥٦)، الذي كان عضواً في "المجلس الكبير" و"السكرتارية العظمى" ورئيساً سابقاً لمجلس الرقابة، وبين كوزين ـ يونغ (١٧٥٥-١٨٣٥) العضو في "المجلس الكبير" و"السكرتارية العظمى"[٣]. فضلا عن ذلك تفشي آفة الارتشاء بين أعضاء الهيئة الحاكمة أنفسهم، مما أدى إلى إثراء الشخصيات الإقطاعية، بشكل فاحش، على حساب عموم الشعب، وليس ادل على ذلك من ثروة تشي شان نائب الإمبراطور في مقاطعة تشيلي، فعندما صادرتها الحكومة وجدت بينها

---

[١] ولد الإمبراطور تشياتشينغ عام ١٧٦٠، وتسنم السلطة بعد تنازل والده عنها منذ عام ١٧٩٦حتى عام١٨٢١، بالرغم من ان والده بقي المسيطر الفعلي على السلطة حتى وفاته في عام ١٧٩٩، وقد شهد عهد تشياتشنغ قيام جمعية "اللوتس الأبيض" بثورة كبرى في المدة (١٧٩٦ - ١٨٠٤)، وقد تركزت هذه الثورة في المناطق الوسطى والغربية من الصين، ولم تتمكن الحكومة من القضاء عليها الا بعد ان ضحت بخسائر في الأرواح والأموال، وشهد عهده أيضا قيام ثورات أخرى في السواحل الجنوبية تم التخلص منها في عام ١٨١٠، ومما ترتب على ذلك تعرض الخزينة للإفلاس، فحاولت الحكومة سد النقص الحاصل فيها ببيع الوظائف وفرض ضرائب جديدة كانت محط كره الشعب وسخطه، للمزيد. ينظر:

Chia-Ching, Encyclopedia Britanica, (1994-2002), P.1.

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق ، ص٧٢.

(3) Cheneaux and Others, Op. Cit , P. 44.

نحو (١١,٠٠٠) أوقية[١]، من الذهب، أي ما يعادل (٣٤١) كيلوغراماً من الذهب، و(١٧) مليون أوقية من الفضة – أي ما يعادل (٥٢٧,٠٠٠) كيلوغراماً من الفضة – إلى جوار عدد كبير من الصناديق المملوءة بالمجوهرات الثمينة، فضلاً عن امتلاكه (٤٢٧) ألف فدان من الأرض، في حين كان متوسط المساحة التي يزرعها الفلاح المستأجر أو صغار الملاكين اقل من فدانين[٢].

والأمر الذي زاد الوضع سوءاً أن الإهمال في الخدمات العامة، ولاسيما السدود والقنوات، تزامن مع حدوث الكوارث الطبيعية ، مثل فيضان النهر الأصفر، والآفات الزراعية مما أدى إلى حدوث شحه في الأقوات وارتفاع في الأسعار[٣] . وهذا الجدول[٤]يوضح ما شهدته الصين من حوادث الجفاف والفيضان في المدة ١٦٤٤-١٩٠٨ وهي مدة غطت كل فترة حكم أسرة المانشو تقريباً .

	منطقة الهوانغ	منطقة اليانغتسي	جنوب الصين
عدد الجهات التي تأثرت بالفيضان	٤,٠٠٠	٤,٢١٨	٤١٣
عدد الجهات التي تأثرت بالجفاف	٢,٢٠٣	٢,٢٤٢	٤١١
مجموع عدد حوادث الفيضان والجفاف	٢١٩	٢٤٢	٩٥

يعكس هذا الجدول كبر حجم الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الصين والتي كانت تخلف ورائها في كل مرة الآلاف من المشردين الذين كثيرا ما تحولوا إلى معارضين لسلطة الحكومة التي عجزت عن حل مشاكلهم . فعدوا ذلك مسوغا لسحب التفويض الإلهي من الإمبراطور الذي أُنيطت به مسؤولية ترويض الكوارث الطبيعية بموجب نظرية التفويض الإلهي في الحكم .

---

[١] الأوقية أو ما يسميها الصينيون ليانغ، ويسميها الغربيون تايل وحدة وزن ووحدة نقد صينية قديمة تعادل (٣١) غراماً . قسم تأليف سلسلة كتب تأريخ الصين الحديث، حرب الأفيون، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٧٩، ص٤.وسنشير له بـ حرب الأفيون .

[٢] أ. ابشتاين، مولد الصين الشعبية من حرب الأفيون الى التحرير، ترجمة حسني تمام، الدار المصرية للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧، ص١٠.

[٣] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٧٣.

[٤] دولت احمد صادق وآخرون ، المصدر السابق ، ص٥٦١.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، انخفضت نسبة المخزون من الحبوب في مقاطعة تشيلي، فالمخازن التي سعتها (٦٥ طناً) كانت تحتوي على (٤٣،٢طن) عام ١٨١٥، انخفضت إلى (١٣،٣طن) في أواخر النصف الأول للقرن التاسع عشر، وحتى ذلك كان على الورق فقط، لاستيلاء موظفي اليامن – مركز الإدارة في المقاطعة – عليه[١]. وتبعاً لذلك ارتفعت الأسعار بشكل كبير، في وقت كان يتعين فيه على الفلاحين والحرفيين، الذين شكلوا الغالبية العظمى من الشعب، دفع الضرائب المتعددة، التي زادها سوءاً أسلوب محصلوها ، إذ لم يتورعوا عن الاعتداء على الناس لإجبارهم على الدفع[٢]، فضلا عن قيامهم بتزوير السجلات وفرض ضرائب جديدة، وتسلمهم الرشاوى لتوقيع إيصالات التسلّم[٣].

ومما يؤخذ بنظر الاعتبار، أن ما أسهم في تعميق حدة الأزمة، هو ازدياد الكثافة السكانية، إذ ارتفع عدد السكان من (٣٠٠) مليون نسمة في عام ١٧٥٠ الى (٤٠٣) مليون في عام ١٨٣٥، في حين لم يقابل ذلك ارتفاع متكافئ في الإنتاج الزراعي، على الرغم من دخول المحاصيل الجديدة مثل البطاطا الحلوة والذرة[٤] . مما ترتب على ذلك حصول هجرات داخلية من المناطق الوسطى والشمالية باتجاه الجنوب[٥]، أسفرت عن حصول صراع حول الأراضي الصالحة للزراعة، قاد إلى نشوب حروب أهلية . وتبع ذلك حصول تباين في الكثافة السكانية ، ففي يونّان جنوبي غرب الصين ازدادت الكثافة السكانية بنسبة (١١٣) بالمئة وفي هوبي بنسبة (٧٧) بالمئة وفي كوانغ تونغ جنوب الصين (٧٥) بالمئة[٦].

وفضلاً عن التداعيات الداخلية ، أسهمت التحديات الأجنبية ، على نحو خطير في

---

(1) Chesneaux and Others, Op . Cit , P.P.43-44 .

(2) Tseng kuo-Van , The Plight of the Chinese People, Dated February 8-1852, In: Dun J. Li , China in Transition (New York, 1969), P.112

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٧٣.

(4) Charles O. Hucker , China to 1850. A Short History, Stanford University press, 1978, PP.153-154.

(5) Frederic Wakeman, Strangers at the Gate. Social Disorder in South China 1839-1861, (United States of America, 1966), P.112; Ping-Chia Kuo, China, Second Edition. Oxford University Press, (Oxford , 1965), P.50.

(6) Chesneaux and Others, Op . Cit . , PP.48-49.

تعميق الأزمة الداخلية . وتبرز، هنا، على نحوٍ جلي، تجارة الأفيون التي مارسها التجار البريطانيون[١] والأمريكيون، وعبرت عن أخطر تحدٍ اقتصادي وسياسي تعرضت له الصين، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولاسيما خلال حكم الإمبراطور تاوكوانغ الذي حاول منعها بوسائل عدة منها إصدار المراسيم[٢] التي قضت بمنعها ومصادرة ما بحوزة التجار الأجانب من أفيون . ومع ذلك، بقيت هذه التجارة مزدهرة، إذ ارتفعت نسبة الأفيون الداخل إلى الصين من (٢٠٠٠) صندوق في عام ١٨٠٠، الى (٤٥٠٠) صندوق في بداية العقد الثاني من القرن التاسع عشر، ثم ارتفعت إلى (٩٥٠٠) صندوق في بداية العقد الثالث[٣] من القرن نفسه، لتصل إلى (٢٠٠٠٠) صندوق في بداية العقد الرابع، نتيجة

---

[١] ترجع البدايات الأولى للتجارة الأوربية مع الصين إلى عهد اليونان والرومان ولكن بعد اكتشاف فاسكودي غاما طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨، أصبح للبرتغاليين قصب السبق في احتكار تجارة اوربا مع الصين ولاسيما بعد أن أقاموا لهم مركزاً تجارياً بالقرب من كانتون عام ١٥١٥، في حين ترجع التجارة البريطانية مع الصين إلى بداية تشكيل شركة الهند الشرقية الانكليزية عام ١٦٠٠والتي احتكرت تجارة بريطانيا مع الصين حتى عام١٨٣٣. للمزيدعن ذلك ينظر: يقظان سعدون العامر ، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة ، مطبعة جامعة البصرة ،١٩٩٠ ، ص١٢٢ ؛

V.Cammell.Indigenous Assistance in the Establishment of Portuguese Power in Asiain the Sixteenth Century. Modern Asia Studies, Vol.14, Part I, 1980, P.1-5;Husein Rofe. Early European Notions of China, Eastern Horizon, Vol.XIV, No.14,1975, PP.59-62 ; Johen Francis Davis and Others, The Chinese. A General Description of the Empire of China and It's Inhabitants, (New York, 1972), Vol.1, PP. 45-95.

[٢] سبق الإمبراطور تاوكوانغ أباطرة آخرين مثل يونغ شينغ (١٧٢٢-١٧٣٥)، والإمبراطور تشياتشينغ (١٧٩٦-١٨٢٠) في اصدار مراسيم تقضي بمنع استيراد الأفيون وزراعته. غير ان هذه المحاولات منيت بالفشل، ومنيت نظيرتها التي قام بها الإمبراطور تاوكوانغ بالفشل ايضا، نظرا لتمسك التجار الأجانب بهذه التجارة المربحة وتواطؤ الموظفين الصينيين المستفيدين معهم. ينظر:

Huang Chueh-Tuz, The Evil of Opium, , In Dung. Li, Op . Cit , P. 55.

[٣] على الرغم من اتخاذ الحكومة الصينية في عام ١٨٢١ إجراءات منع متشددة ، اضطر التجار بسببها إلى نقل سفنهم من ميناء كانتون إلى عرض البحر، إلا إنهم مع ذلك تمكنوا من الاستمرار في تهريب الأفيون إلى الصين. ولاسيما مع زيادة أرباحه بسبب ارتفاع أسعاره داخل الصين. إذ تمكنوا من تشكيل شبكات تهريب في المقاطعات الساحلية بالتواطؤ مع عدد من الموظفين الصينيين، الذين لم يكن يهمهم سوى تحقيق الربح. ومن ثَمّ نفذت تجارتهم حتى إلى المناطق الداخلية . للمزيد عن ذلك ينظر: حرب الأفيون، ص١٣؛

Maurice Collis, Foreign Mud. The Opium Imbroglio at Canton in the 1830's and the Anglo-Chinese War, W.W. Norton and Company, (New York, 1968), PP.150-155.

لاتساع عمليات التهريب التي شملت كل الساحل الجنوبي والشرقي للصين حتى وصلت مقاطعة تشيلي ومنشوريا شمال شرق الصين، متحدين بذلك قرارات الحكومة والمراسيم الإمبراطورية التي حظرت تجارة الأفيون . ونتيجة لذلك ارتفعت نسبة الداخل منه بصورة غير قانونية الى ما يعادل (٣٧) بالمئة من مجموع واردات الصين، وهو الأمر الذي يعني حدوث تحول في الميزان التجاري الصيني في غير صالح الصين نفسها(١)، بدليل ان صادراتها بلغت قيمتها نحو (٧,٥) مليون دولار، في حين بلغت قيمة وارداتها (٥٦) مليون دولار(٢) . وهذا يعني أيضا، بطبيعة الحال، تسرب الفضة، التي كانت أساس التعامل النقدي في الصين، الى الخارج . و تبعاً لما أشار إليه احد التقارير، بلغت قيمة التسرب السنوي للفضة في المدة (١٨٢٣-١٨٣١) نحو (١٧) مليون تايل، وارتفعت إلى أكثر من (٢٠) مليون تايل في المدة (١٨٣١-١٨٣٤) ، ووصلت إلى (٣٠) مليون تايل في أواخرعام ١٨٣٤ . في وقت عجزت فيه صادرات الصين من الشاي والحرير وغيرها، عن تغطية تلك النسب العالية(٣).

على إن تلك الأموال الطائلة التي خرجت من خزينة الدولة، ومن جيوب الموظفين والفلاحين، الذين اعتادوا تدخين الأفيون، وأصبحت إرباحا لشركة الهند الشرقية(٤) البريطانية والتجار الأمريكيين(٥)، سببت أزمة مالية أسفرت عن ارتفاع سعر صرف العملة الفضية

(1) P.C Kuo, A Critical Study of the First Anglo–Chinses War with Document, Hyperion Press United State of America, 1973, P.29; Isaac's, Op. Cit., P.3.

(2) Michel Greenberg, British Trade and the Opening of China 1800-42, Second Edition, Cambridge University Press, 1969, P.141; Isaac's, Op. Cit., P.4.

(3) Huang Chueh–Tzu, Op. Cit , P.55; Isaac's, Op. Cit., P.3.

(٤) للتغطية على نشاطاتها غير المشروعة ، أصدرت شركة الهند الشرقية الانكليزية التي شكلت عام١٦٠٠، قرارات عدة قضت بمنع تجارة الأفيون غير المشروعة، وحذرت موظفيها بالمحاكمة والطرد في حال اشتراكهم فيها. ينظر: محمد عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، الطبعة الرابعة دار المعارف، مصر، ١٩٥٧، ص٩٥.

(٥) أسهم التجار الأمريكيون جنبا إلى جنب مع نظرائهم البريطانيين في سحب ثروة الشعب الصيني بممارستهم تجارة الأفيون. فباعتراف احد التجار الأمريكيين في عام ١٨١٤، انه لم يدفع إلى الصين ما قيمته دولارا فضيا واحدا مع انه كان ينقل منها البضائع سنويا ولاسيما الحرير والأقمشة القطنية التي تعود عليه بأكثر من مليون دولار فضي . ينظر: حرب الأفيون، ص١٤.

بالعملة النحاسية . إذ أصبح التايل الواحد من الفضة يساوي (١٦٠٠-١٧٠٠) "ون" (فلس) في عام ١٨٣٨، بعد أن كان يساوي (٧٠٠-٨٠٠) "ون" في أواخر القرن الثامن عشر . واستمر تصاعد هذه الأزمة مع تزايد دخول الأفيون، الذي وصل الإنفاق عليه في عام ١٨٣٩ الى (١٠٠) مليون تايل، في حين ان مجموع إيرادات الخزينة لم تكن تتجاوز الـ (٤٠) مليون تايل[1].

انعكست آثار هذه الأزمة مباشرةً على دافعي الضرائب من فلاحين وحرفيين في وقت حاولت فيه الحكومة تكبيلهم بمزيد من الضرائب ومصادرة اغلب أراضيهم، لتسديد العجز الحاصل في الميزانية نتيجة خروج الفضة . إذ كان يتعين على حكام المقاطعات ان يدفعوا الضرائب التي يحصلونها من الفلاحين والحرفيين بالفضة لحكومة بكين، وهو ما اوجب على الفلاحين والحرفين، الذين كانوا يبيعون منتجاتهم بالعملة النحاسية، تحويلها إلى فضة ودفعها[2]. مع ملاحظة أن هذه الأزمة قد ألقت بثقلها على كاهل الفلاحين والحرفيين واضافة إليهم أعباء جديدة وأثارت استيائهم من أسرة المانشو التي لم يهمها سوى المحافظة على وجودها.

والملاحظ أن آثار تجارة الأفيون لم تقتصر على الأزمة النقدية، وإنما تركت أثرا كبيراً في النواحي الصحية والأخلاقية والإدارية . إذ إن عادة الإدمان، وان اقتصرت في أول الأمر على أبناء الأسر الثرية، إلا أنها سرعان ما انتشرت بين أفراد الجيش، والموظفين والفلاحين والحرفيين، بل حتى بعض أفراد الأسرة الحاكمة . ذلك الانتشار الذي رافقه إهمال كبير في الخدمات العامة، فلم يؤد الموظفون خدماتهم كما يجب، وأصبحت قوة الجيش خائرة، ولم تعد إنتاجية الفلاحين مثلما كانت من قبل[3]. فيشار هنا إلى أن عدد المدمنين في عام ١٨٣٨ زاد على العشرين مليوناً[4] وقد ترددت أصداء تلك الأزمة في أوساط الساسة البريطانيين إذ حاجج بالمر ستون رئيس الوزراء البريطاني منتقديه الذين أوضحوا أبعاد

---

(1) Huang Chueh–Tzu, Op . Cit. , P.55.

(2) Ibid , PP.55-56; Isaac's, Op. Cit., P.3.

(3) Huang Chueh–Tzu, Op. Cit. , PP.55-56.

(4). M. N. Roy, Revolution and Counter Revolution in China, Hyperion Press, (United States of America, 1973), PP.138-139.

تجارة الأفيون الصحية و الأخلاقية قائلا : " لماذا لم يحرموا زراعة الأفيون في بلادهم ، إلا أن سبب الأزمة هي مخاوف الصينيين من فقدان الفضة لقاء الأفيون الذي يجلب من الهند ومخاوف البريطانيين من تقديم رعاياهم الى محاكم صينية "(١).

وعلى الرغم من محاولات الحكومة الصينية الحد من تدفق الأفيون بالتشديد على "نقابة الكوهونج" ومفتشي السفن، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً لأنهم وضعوا مصلحتهم فوق كل شيء. إذ لم يكونوا مستعدين للتضحية بالأرباح الطائلة والرشاوى التي كانوا يحصلون عليها، في سبيل الحد من هذه التجارة، والانكى من ذلك أنهم اخذوا يتحايلون على إلغاء قرارات المنع مستخدمين في سبيل ذلك قوة نفوذهم تارة والرشاوى تارة اخرى(٢).

مما تقدم ذكره من تداعيات اقتصادية واجتماعية، وهي تداعيات اسهمت التحديات الأجنبية في تعزيزها على نحو واسع، يلاحظ أنها كانت تعمل على سحب البساط من تحت أقدام المانشو. ويمكن، هنا، طرح عدد من الأسئلة في هذا السياق. ترى ، ألم ترتفع أصوات جادة لمعالجة الأزمة ووضع حلول جادة لوقف تجارة الأفيون ؟ وإذا كانت مثل تلك الأصوات قد وجدت فعلاً ، فهل كان هناك من يصغي إليها، أو يعارضها . وما موقف الإمبراطور تاوكوانغ نفسه منها ؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تتطلب الرجوع الى التقارير التي رفعت في تلك الآونة إلى الإمبراطور لكشف مكامن الضعف والقوة في الإجراءات التي اتخذت لمعالجة هذه ألازمة.

أشار احد تلك التقارير، التي رفعها التيار المعارض لتجارة الأفيون، وهو تيار مثله هوانغ تشويه، الذي كان وزيراً مسؤولاً عن دار مراسم البلاط ، إلى أن التيار المؤيد لتجارة الأفيون، الذي مثله شيوى ناي جي، وهو وزير مسؤول عن وزارة الطقوس، رفع تقريرا إلى الإمبراطور، اقترح فيه إلغاء جميع القوانين المتعلقة بمنع استيراد الأفيون، شرط فرض رسوم كمركية عليه ، ولمنع تسرب الفضة الى الخارج اقترح أن يتم شراؤه عن طريق المقايضة فقط ، وان يسمح بزراعته لكل من يرغب في ذلك، ودعا للتساهل بمسألة تدخينه من عامة الناس، ووضع القيود على الموظفين في ذلك (٣).

---

(1) Kenneth Bourne , The Foreign Policy of Victorian England 1830-1902,Oxford University Press ,1970, p45.
(2) Huang Chueh–Tzu , Op. Cit. , P.56-57.
(3) Ibid.

وعلى النقيض من ذلك، عبر التيار الأخر المعارض لتجارة الأفيون، عن رغبته بإيجاد حلول عملية لوقف هذه التجارة . فقد دعا هوانغ تشيو يه تزو، ممثل هـــذا التيار إلى حظر تجارة الأفيون بصورة عملية، مسوغا رأيه بالأزمة المالية التي واجهتها الحكومة، ومبيناً أنّ الوضع إذا بقي على ما هو عليه فان سعر الفضة سيستمر بالارتفاع، وان ودائع الدولة مـــن الفضة ستستمر في التناقص، وان مصادر الدخل الإجمالي ستنضب، ولن تبقى هناك مدخرات مالية تغطي النفقات . ودعا في الوقت نفسه، إلى معاقبة مدخني الأفيون بشدة، واقتـــرح أن يطلب منهم التخلص من هذه العادة في غضون سنة، وان لم يمتنعوا تنزل بالناس العـــاديين عقوبات شديدة، وذلك بوضع المدمن في قفص ويتم ضربه مئة ضربة بعصا خشبية، وينفـــى بعدها مدة ثلاث سنوات . أما الموظفـــون المدمنون فيجب ان تكون عقوبتهم اشد وان تصل حد الإعدام، وحجته في ذلك انه إذا توقف المدخنين جميعهم عن تعاطيه فستضمحل تجارتـــه من غير منع[١].

من الملاحظ ان هذا التيار قدم حججاً لازمـــة للإمبراطـــور لإقناعـــه باتخـــاذ الحلـــول الصارمة ، ففي تقرير رفعه لين تسي هسو[٢] (١٧٨٥ – ١٨٥٠) نائب الإمبراطور في إقليم ليانغ جيانغ(هوبي- هونان) وسط الصين، أوضح أن الأمور إذا بقيت على ذلك النحـــو فـــان الصين لن يبق لها خلال عقود قليلة جيشاً يدافع عنها، ولا نقوداً لتمويل هذا الجيش . وقـــد بنى لين اقتراحه على ما لاحظه من أوضاع اقتصادية متردية منشؤها تجارة الأفيون، وعلى مشورة عدد من تجار هانكو ونانكنج، وهما من اكثر الموانئ التجارية نشاطاً شرق الـــصين، إذ أكدوا ان الإنفاق على تجارة الأفيون أسهم، على نحو كبير، في انخفاض الطلب على بقية

---

(1) Ibid., P.57.

[٢] لين تسي هسيو هو الابن الثاني لمعلم في مقاطعة هونان، تمكن في عام ١٨٠٤ من اجتياز الامتحانات العامة على مستوى المحافظة ثم على مستوى المقاطعة وعين مساعداً لحاكم مقاطعة هونان . ساعده أسلوبه الأدبي وتمسكه بالأخلاق والمبادئ الكونفوشيوسية على تحقيق شهرة واسعة في البلاط الامبراطوري وفي عـــام ١٨١١ اجتـــاز امتحان المستوى الثالث، وحصل على لقب (جين شي) وعين بعدها نائبا عن الامبراطور في هونان وهوبي . امتاز بموفور امانته ووطنيته، وأداءه لواجباته باخلاص ولاسيما في ميدان الخدمات العامة . فاشرف على نحو دقيـــق على وسائل السيطرة على مياه الانهار في مقاطعتي هوبي وهونان، وتابع جمع الضرائب وعمل قاضياً عملياً، حتى اطلق الناس عليه في حينها لقب "لين" (Lin)، أي السماء الصافية.

Encyclopaedia Britannica,Vol.7, P.367.

السلع[1] . وهذا يعني، بطبيعة الحال، امتداد اثر تجارة الأفيون إلى التجارة الداخلية أيضا، إذ انخفض الطلب على السلع والبضائع ، نتيجة الإنفاق الواسع على الأفيون .

لقد تركت تلك التقارير والمقترحات، أثرها في الإمبراطور، الذي خشي من التبعات الاقتصادية والسياسية التي هددت كيان المانشو، فبادر إلى إرسال ذلك المقترح القاضي بحظر تجارة الأفيون على نحو صارم، إلى حكام المقاطعات ونوابه فيها، ليبدوا رأيهم فيه ، فكانت النتيجة ثمانية أصوات مؤيدة له، وعشرة أصوات ضده[2] . غير ان ذلك لم يثن الإمبراطور عن الأخذ بذلك المقترح . وليضع النقاط على الحروف، قام بتعيين لين قائداً عاماً للقوات البحرية ، و نائباً عنه في كانتون ، التي كانت قد شهدت معارضة شعبية ضد تجارة الأفيون ، وكلفه باستئصال تجارة الأفيون ومنحه صلاحيات واسعة . وقد أثار هذا الأمر ردود فعل مناوئيه من مؤيدي تجارة الأفيون الذين اخذوا يتحينون الفرص للإطاحة به[3]. أما التجار البريطانيون والأمريكيون فاعتقدوا ان بإمكانهم تجاوز هذا القرار مثلما تجاوزوا القرارات السابقة، ولكن ما أثار مخاوفهم عقوبة الإعدام التي كانت تنفذ بكل شخص يتاجر بالأفيون ، سواء كان صينياً أم أجنبياً، يتحدى قرار المنع[4].

---

(1)Greenberg, op. Cit, P.143.

(٢) حرب الافيون، ص٢١.

(٣) لين يي، موجز تأريخ الصين (١٨٤٠-١٩١٩)، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٦٥، ص٥؛

Greenberg, Op. Cit., P.143.

(4) Ibid., P.200.

ثالثاً- حرب الأفيون الأولى وآثارها الاقتصادية والاجتماعية

١- حرب الأفيون الأولى (١٨٣٩ - ١٨٤٢) وإقرار نظام المعاهدات

في الوقت الذي حاول فيه مؤيدوا تجارة الأفيون الإطاحة بلين تسي هسيو، الذي أصبح نائباً عن الإمبراطور في كانتون[١]، فأنه بادر حال وصوله إليها في آذار عام ١٨٣٨، إلى إلقاء القبض على تجار الأفيون الصينيين، وأمر بتعزيز قوة الحماية الساحلية[٢] . وفي ١٨ آذار ١٨٣٩ وجه رسالة للتجار الأجانب حثهم فيها على التوقف الفوري عن توريد الأفيون، وممارسة التجارة المشروعة، مهدداً إياهم بتنفيذ القوانين الصينية القاضية بالحكم بالإعدام بحق كل تاجر صيني أو أجنبي ، يثبت تورطه في تجارة الأفيون . وطلب منهم تسليم ما بحوزتهم من أفيون في غضون ثلاثة أيام ، واشترط عليهم ان يكتبوا تعهدا بعدم جلب الأفيون ثانية إلى الصين، واقسم بأنه لن يبرح كانتون حتى يتم وقف تدفق الأفيون[٣]. ومن الواضح ان لين، الذي أدرك أهمية الدور الذي يؤديه تجار الأفيون الصينيون في كانتون، لم يدرك، في المقابل، ان عمليات تهريب الأفيون لم تكن مقتصرة على كانتون فحسب، وإنما امتدت لتشمل بقية سواحل الصين الجنوبية والشرقية حتى منشوريا، التي كان من المفترض ان تتخذ فيها إجراءات مماثلة لوقف توريد الأفيون . هذا من جانب، ومن جانب آخر يوضح تأكيده على أهمية تعزيز قوة الحماية الساحلية انه كان مدركاً ايضا لما يمكن أن تؤدي إليه إجراءاته من استفزاز للدول المستفيدة من هذه التجارة، ولاسيما بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ولخوض لحرب ضد الصين.

---

(1) Israel Epstein, China From Opium War to Liberation, New World Press, Pejing, 1982, P.5.

[٢] بعد أن ألقي القبض على (١٦٠٠) تاجر، امر لين بمتابعة الاستعدادات العسكرية، فتابع هو والقائد البحري قوان تيان بي تدريب قوات كانتون البحرية، وعززا الحصون في هومن بإصلاح المدفعية وزيادة عددها الى (٣٠٠) مدفع، ثم امر بوضع صفوف الأعمدة المربوطة بالسلاسل في اضيق نقطة عند مصب نهر اللؤلؤ، لتسد الطريق على السفن الحربية البريطانية، ودعا الناس لتنظيم قواتهم، وجند (٥) الاف رجل من المقيمين في القوارب وصيادي الاسماك مكونا قوة بحرية عرفت "بشجعان الماء"، الذين دربوا على القيام بالهجمات المفاجئة. للمزيد عن ذلك ينظر: حرب الافيون، ص٢٨-٢٩.

(3) Lin Tse–Hsu, A Massage to Foreign Traders, Dated March 18-1839, In: Dun J-Li, Op .Cit , PP.62-63.

وإثباتا لإجراءاته الجديدة تلك، قام لين بمصادرة الأفيون، الذي كان بحوزة التجار الأجانب المقيمين في حي التجار الأجانب في كانتون، وبلغ مقدار ما تمت مصادرته في المدة الواقعة بين أواخر نيسان ومنتصف أيار عام ١٨٣٩، نحو (٢٠٢٣٨) صندوقاً ، و(٢٠٠٠) كيس[١] .

وعلى مرأى من الناس، جرى إتلاف هذه الكمية بكاملها في المدة بين (٣ و٥) حزيران من العام نفسه، وسط احتفال كبير أقيم عند ساحل كانتون، حضره عدد من التجار الأجانب أنفسهم[٢]، وبعض المبشرين[٤] . والواقع أن هذا الإجراء أظهر قوة إرادة لين، وتصميمه الحازم في القضاء على تجارة الأفيون، كما أوضح بتصرفه هذا للتجار الأجانب ان هذا القرار يجب احترامه، ولا يمكنهم تجاوزه مثلما تجاهلوا القرارات السابقة.

ويلاحظ أن لين تسي هسو حاول الحصول على مساعدة الحكومة البريطانية لوقف هذه التجارة . فبعث برسالة للملكة فكتوريا[٤] في ٢٧ آب قال فيها: "وانتم ذوو الرئاسة الشريفة لم تأمروا بزراعة هذه المادة وبيعها . وان بريطانيا نفسها لا يسمح للناس فيها بتدخين ذلك المخدر فكيف تحاولون الاستفادة بتعريض الغير لتأثيره المؤذي ... وان الحكومة الصينية قررت حماية الشعب الصيني من أخطار الأفيون ففرضت عقوبة الموت على كل من يبيعه أو يدخنه واني لأناشد جلالتكم العمل من اجل السلام بين البلدين"[٥]، ونبه، في الوقت نفسه، إلى

---

(1) Lin Tse–Hsu, Aletter to Queen Victoria, Dated August 27-1839, In Dun J.Li, Op . Cit , P.64.

(2) Lin Tse–Hsu, Aletter to Queen Victoria, Dated August 27-1839, In Dun J.Li, Op. Cit , P.64.

(٣) حرب الافيون ، ص ٢٨ .

(٤) ملكة بريطانيا وايرلندا وامبراطورة الهند، ولدت في ١٤ آذار ١٨١٩ في قصر كينغستن، وهي الابنة الوحيدة لادوارد دوق كنت الابن الرابع للملك جورج الثالث ووالدتها ماري لويس، اعتلت العرش خلفا لعمها وليم الرابع في ٢ حزيران ١٨٣٧، وتوفت في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠١. ينظر:

The American Peoples Encyclopaedia, , Vol.19 , (United State of America, 1962). P.304.

(5) Lin Tse–Hsu, A letter to Queen Victoria, PP.64-66.

الإجراء الصارم الذي تمثل بمصادرة الأفيون وتدميره [١]. وعلى الرغم من إن تجارة الأفيون كانت العامل المباشر في اندلاع هذه الحرب ، إلا أنها ارتبطت أيضاً بعوامل أخرى، منها الاختلاف الجلي في وجهات النظر الصينية والبريطانية . فبعد إلغاء احتكار شركة الهند الشرقية الانكليزية للتجارة مع الشرق عام ١٨٣٣ [٢] ، أصبح الاحتكاك مباشر بين السلطات الصينية و عملاء التاج البريطاني الذين حلوا محل الشركة في التعامل التجاري مع الصين . وحاول هؤلاء الحصول على اعتراف السلطات الصينية بهم بوصفهم وكلاء شحن أو تجار و أنهم تابعين إلى دولة ليست تابعة إلى الإمبراطورية الصينية، إلا أن السلطات الصينية أصرت على معاملتهم بوصفهم أتباعا لإمبراطورية الوسط . فضلا عن ذلك برزت مسألة أحقية المحاكم الصينية في محاكمة التجار الأجانب ولاسيما البريطانيين ، وقابلها رغبة بريطانيا بإخضاع رعاياها للقضاء البريطاني [٣] . ولم ينسجم ذلك بطبيعة الحال مع شعور بريطانيا بكونها أقوى دولة في العالم عسكرياً واقتصادياً في ذلك الحين ، ورغبتها بالتبادل التجاري والتمثيل الدبلوماسي بصفتها دولة مساوية لا تابعة . ويزاد على ذلك أن الاختلاف كان في حقيقته اختلاف بين الصين المتبعة لنظام الاكتفاء الذاتي وبريطانيا الصناعية ، وتحكم نظام الكوهونج بالتجارة الصينية، يقابله رغبة بريطانيا وغيرها من الدول الغربية بالتجارة الحرة [٤] . وقادت تلك الاختلافات ، وقيام الحكومة بمنع تجارة الأفيون فضلا عن اطلاق الصينيين النار على احدى السفن البريطانية، الى قيام الحرب بين الدولتين ولاسيما بعد ان رفضت الحكومة الصينية دفع تعويضات عن ذلك والتعهد بعدم تكراره . ويبدو أن هذه الحرب أدت إلى هزيمة الصين وتوقيعها سلسلة معاهدات غير متكافئة، أُمليت عليها إملاءً، ووضعت بموجبها اللبنات الأساسية للامتيازات الأجنبية، التي اتسعت لاحقاً على نحو كبير [٥].

---

(1) Ibid, P.64.

(2) Sir Llewellyn woodword ,The Age of Reform 1815-1870 (Oxford University Press ,1971)PP. 296-297

(3) Rene Albrecht- carrie ,A diplomatic History of Europe Since the Congress of Vienna (London ,1970),p 61.

(4) Purcell, Op. Cit., P.53.

(5) Ibid., P 54; Samuel Van Valkenburg, Pacific Asia. A Political Atlas,United States of America, 1947, P.29; W. Gordon East and Others, The Changing Map of Asia. A political Geography, Methuen and Co Ltd., London, (N.D), PP.341-342.

والواقع ان هذه الحرب اظهرت ضعف قوة الصين وضعف مؤسساتها الادارية والعسكرية وتردي مستوى أدائها ، بدليل انها فشلت في التصدي لبضعة الاف من الجنود . واظهرت، في الوقت نفسه، ضعف إرادة الامبراطور، وتذبذب موقفه من هذه الازمة وخضوعه لارادة مؤيدي تجارة الافيون . اما نتائج ذلك، فقد عبرت عن نفسها في سلسلة معاهدات عقدتها الصين مع عدد من الدول الأوربية.

المعاهدة البريطانية – الصينية

وقعت معاهدة نانكنج وهي الاولى من سلسلة المعاهدات غير المتكافئة ، بين المندوب البريطاني السير هنري بوتنجر والمندوب الصيني تشي ينج نائب الامبراطور في كانتون و كوانج سي . في التاسع والعشرين من آب عام ١٨٤٢، ومن ثم أُلحق بها "بروتوكول بوجو" في ٨ تشرين الاول ١٨٤٣، ونصت على ما يأتي :

أ- ان تفتح الصين خمسة موانىء للتجارة البريطانية، وهي كانتون اموي فوتشو ونتجبو وشنغهاي، وان تضمن بريطانيا حق اقامة رعاياها ومؤسساتهم فيها.

ب – تتنازل الصين لبريطانيا عن جزيرة هونغ كونغ بصورة نهائية ، تلك الجزيرة التي كانت بريطانيا تطمح الى جعلها قاعدة بحرية و تجارية لها في منطقةالشرق الاقصى[(١)].

ج – ان تتمتع بريطانيا بحق الدولة الاكثر رعاية.

د – فرض تعويضات على الصين قدرها (٢١) مليون دولار. قسمت على النحو الآتي:

هـ – اعفاء الرعايا البريطانيين من الخضوع للقانون الصيني جنائياً ومدنياً.

و– تعهد الصين بعدم فرض رسوم كمركية على الواردات البريطانية نسبة تزيد على (٥) بالمائة من قيمة هذه الواردات[(٢)].

المعاهدة الأمريكية – الصينية

لاريب في ان بنود معاهدة نانكنج، كانت مغرية جداً للولايات المتحدة الامريكية التي سارعت الى إرسال ممثلها كالب كوشينج (Caleb Cushing)الى ماكاو للتفاوض مع

---

(1) Rene Albrecht-Carrie,Op. Cit. , P.62.

(2) The Treaty of Nanking In: Dun J. Li, Op . Cit . , PP.79-82; Treaty of Nanking 29th, August ,1842 , In Michael Hurst, Key Treaties for the Great Power 1814-1914, Vol. 1, 1814-1870 , Red Wood Press Limited, (London, 1972), Doc . No 41 , PP.268-272.

السلطات الصينية ، للحصول على امتيازات مماثلة لتلك الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا . وألمح المندوب الامريكي كوشنج الى ان رفض طلب حكومته يعد اهانة وطنية لا يمكن ان يسكت عليها . ثم ارسل مذكرة شديدة اللهجة الى شنج بوتساي نائب الامبراطور في كانتون وكوانجسي ، اوضح فيها ان رفض الصين للمطالب الامريكية بمثابة دعوة للحرب . وهو الامر الذي افزع حكومة المانشو التي خرجت توها من حرب الافيون منهكة، فسارعت الى الدخول في مفاوضات اسفرت عن توقيع معاهدة "وانجسيا" في تموز عام ١٨٤٤[1]، وهي نسخة منقحة من معاهدة نانكنج . إذ نصت على كل احكامها تقريباً، فضلا عن مزايا أخرى تتعلق بالإعفاءات القضائية، منها ألحق في إحالة الخلافات التي تقع بين رعاياها وبين الصينيين إلى القنصل الأمريكي، وعدم تدخل الصينيين في الخلافات التي تحدث بين الأمريكيين وغيرهم من الأجانب . أما المزايا التي تتعلق بالمسائل الكمركية، فإنها نصت على عدم تعديل الرسوم الكمركية في الموانئ الصينية إلا بعد التشاور مع الحكومة الأمريكية . في حين نصت المزايا المتعلقة بقضايا الملاحة، على السماح للسفن الأمريكية بالرسو في جميع الموانئ الصينية لأغراض اقتصادية. إلى جانب ذلك اشترطت الولايات المتحدة أن يتم مراجعة المعاهدة كل اثني عشر عاما[2].

المعاهدة الفرنسية – الصينية

أما فرنسا التي كانت لها إرساليات تبشيرية في الصين [3]، فانها لم تتأخر عن المطالبة بالامتيازات، نفسها، التي حصلت عليها بريطانيا والولايات المتحدة، وتم لها ذلك بتوقيع معاهدة "وامبوا" في الرابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٨٤٤. وحصلت بموجبها على الامتيازات كلها التي حصلت عليها بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، زيادة على حق التبشير بالمسيحية، بما في ذلك اقامة الكاتدرائيات والاديرة وحماية المبشرين والذين يعتنقون

---

(١) محمد العزب موسى ، المصدر السابق، ص٦٧.

(2) The Treaty of Wanghsia, In: Dun J.Li, Op . Cit . , PP.82-84; Foster Rhea Dulles, Prelude to Diplomatic History 1800-1900,(New York),P.77.

(٣) لمعرفة دور الارساليات التبشيرية الفرنسية في ذلك الحين يمكن الرجوع الى:

Peter W. Fay, The French Cathalic Mission in China During the Opium War, Modern Asian Studies, Vol.4, Part 2, 1970, PP.114-128.

المسيحية من الصينيين، كما اعترفت الصين بموجبها بشرعية الكاثوليكية والبروتستانتية في الصين[١].

ثم تبع فرنسا في المطالبة بالمساواة في الامتيازات كل من بلجيكا والبرتغال اللتين حصلتا على حق المتاجرة عام ١٨٤٥ من دون معاهدة، ثم النرويج والسويد اللتين حصلتا على معاهدة في العشرين من آذار عام ١٨٤٧، على اسس معاهدة "وانجسيا"،ليبدأ"سور الصين العظيم"[٢] بالانهيار، وفتح الحكومة الصينية ابواب الصين للاجانب رغماً عنها[٣].
ومن دراسة هذه المعاهدات يتضح ما يأتي:

١ -على الرغم من ان تلك المعاهدات كانت معقودة بين دولتين، الا انها في الواقع فُرضت على الصين فرضاً. فلم يكن لها حق في مناقشتها او رفضها، وهذا ما تضمن ارغامها على التخلي عن فكرة التفوق على الشعوب الاخرى ونعتهم بالبرابرة.

٢- أشرت هذه المعاهدات نهاية نظام الكوهونج وسياسة العزلة التي طبقتها حكومة المانشو قرابة قرنيين ونصف القرن، وهي سياسة لم تعد تنسجم وروح العصر، والمصالح الاوربية والامريكية.

٣ - استهدفت بريطانيا من هذه الحرب توسيع نطاق التبادل التجاري بفتح موانئ جديدة تمكنها من التوغل بتجارتها الى اعماق الصين، بدليل ان معاهدة نانكج التي وقعت اثر هذه الحرب ضمنت فيها فتح خمسة موانئ جديدة للتجارة الخارجية .

٤ - بموجب معاهدة نانكنج، تمكنت بريطانيا من ان تضمن لنفسها، موقعاً متميزاً بحصولها على جزيرة هونغ كونغ، وان تقدم لتجارها دعماً كبيراً ماديا ومعنوياً، بأن ضمّنت هذه المعاهدة بنداً نص على فرض غرامة مالية قدرها ستة ملايين

---

[١] حرب الافيون، ص٩٧ ؛ محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ٦٧ ؛

ReneAlbrech–Carrie ,Op . Cit . , P .62 .

[٢] يشار الى ان هذا السور بني في عهد أسرة تشين الغربية التي حكمت الصين في المدة (٢٥٥-٢٠٧ق.م) لرد هجمات القبائل المغولية القادمة من اواسط آسيا، وهو يمتد لمسافة قدرت بين ١٥٠٠-١٦٠٠ميل، تتخلله ابواب عديدة، ويبلغ إرتفاعه ثمانية امتار وعرضه من القاعدة مثلها، ومن الاعلى خمسة أمتار. ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠ -١١؛ مجلة المقتطف، الجزء (٦)، المجلد (٣٩)، ١٩١١، ص٥٢٤-٥٢٥.

[٣] نوري عبد الحميد العاني ،المصدر السابق، ص٨١ .

دولار تعويضاً عن الأفيون الذي أحرقته السلطات الصينية . ومن الجدير بالــذكر، ان بريطانيا أدركت مــدى تلهف الدول الأخرى لما ستحصل عليه مــن امتيــازات لكــي تطالب بمثلها او ما يزيد عليها ، لذلك ضمنّت بريطانيا المعاهدة بنداً منحها حق الدولة الأكثر رعاية ، أي أن أي امتياز تحصل عليه الدول الأخــرى ، ولــم تشتمل عليه معاهدة نانكنج ، سيكون لبريطانيا الحق في الحصول عليه.

٥ – شكلت هذه المعاهدات اللبنة الاولى لنظام المعاهدات الذي ألقى بظلاله علــى واقــع الاوضاع الداخلية في الصين، لتمتد آثاره الى النصف الثاني مــن القــرن التاســع عشر كما سيوضح لاحقاً.

٢- الآثار الاقتصادية والاجتماعية لنظام المعاهدات ١٨٤٢–١٨٥٠

لم يمر تطبيق بنود المعاهدات المذكورة سلفاً من دون ان يلقي بانعكاساته على اوضاع الصين الاقتصادية والاجتماعية ، التي اثرت بدورها على الاوضاع السياسية، فغــدت عــاملا اساسيا في تحريكها . فلا شك في ان الغرامة الباهظة المقدرة بــ (٢١) مليون دولار، التي وجب على الصين دفعها بعد حرب الافيون، مدة اربع سنوات متتاليــة وبفائــدة قــدرها (٥) بالمئة، ادت الى حدوث عجز دائم في ميزانية الدولة . وقد ألقت هذه الازمة بثقلها على كاهل الفلاحين خاصة . فلتسديد ذلك العجز، اتجهت الحكومة الصينية الــى مــضاعفة الــضرائب المفروضة على الشعب . فعلى سبيل المثال، ان ضريبة الملـــــح، التي كانت قيمتها بــين ١٦ – ٢٤ "ون" (فلس) لكل "جين" (٥٠٠ غم) قبل الحرب، ارتفعت قيمتهــا في عام ١٨٤٦ الى ٣٣ – ٣٤ "ون" لكل "جين"[(١)] . واستنــــاداً الى ذلك وجب على الشعب، دفع ضعف ما كان يدفعه من ضرائب سابقاً ، فضلاً عما تعرض له من عمليات الابتزاز والاساليب القاســية التي مارسها الموظفون في جمع الضرائب ، وهي اساليب لم تخل عادة من الضرب والامتهان كما جاء قانون مصادرة الاراضي ليزيد من اعباء الفلاحــين وصــغار الملاكــين، لان كبــار الملاكين والاغنياء كان بامكانهم التهرب منه ، من خلال علاقاتهم مع الحكــام والمتنفــذين . ومع كل ذلك ، لن تجد هذه الاجراءات نفعاً في معالجة عجز الميزانية ، لان نسبة كبيرة مــن

(١) مجموعة من اساتذة كليتي التأريخ بجامعة فودان وجامعة المعلمين في شنغهاي، مملكة تــايبنغ، سلــسلة كتب تأريخ الصين الحديث، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، ١٩٧٧، ص٥.و سنشير له بــــ مملكــة تايبنغ.

هذه الاموال كانت تذهب الى جيوب الموظفين[١]، الذين اصبحوا اكثر جشعاً من السابق، يشاركهم في ذلك كبار الملاكين، الذين استمروا في زيادة إيجارات الارض، التي كانت تدفع نقداً او رهناً . في حين لجأ التجار الاغنياء والمرابون الى المضاربة عن طريق تبديل العملة النحاسية التي انخفضت قيمتها ــ كما سنوضح ــ بالعملة الفضية ، ومددوا آجال القروض المقدمة للفلاحين بفائدة كبيرة . وترتب على ذلك فقدان كثير من الفلاحين لأراضيهم ، وازدياد تمركزها بأيدي الاقطاعيين بنسبة (٧٠ – ٨٠) بالمئة من مجموع الاراضي الزراعية ، مع ملاحظة ان نسبتهم كانت قليلة في المجتمع[٢].

والمعروف ان انفتاح الموانئ الخمسة، ترك آثاراً ملموسة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، إذ لم تعد التجارة الخارجية مقتصرة على ميناء كانتون، وانما شاركها في ذلك الموانئ الاربعة الاخرى شنغهاي، وننجبو، وأموي، وفوتشو . وهو الامر الذي ألحق اضراراً بالغة بسائر العاملين في كانتون وشاطئ الصين الجنوبي، ولاسيما الآلاف من أصحاب القوارب و عمال التحميل ، الذين انتشرت البطالة والمجاعة في صفوفهم، مما دفع بالكثير منهم، تحت وطأة هذه الظروف الى القيام بعمليات سلب ونهب وقطع الطرق[٣]، منتظمين في جمعيات اتخذت لنفسها مسميات خاصة، ورفعت شعارات نادت بسقوط المانشو وبتحسين الاوضاع المعيشية[٤]، كما سيوضح .

وعلى الرغم من عدم ورود نص في المعاهدات المذكورة آنفاً، يبيح تجارة الافيون، نجم عن انفتاح الموانئ الخمسة توسع كبير في هذه التجارة . إذ ارتفع المعدل السنوي لاستيراده من (٣٧) ألف صندوق في بداية الأربعينيات، الى (٧٠) الف صندوق عند مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واصبحت هونغ كونغ مركزا لتصديره، وشنغهاي وكانتون اكبر مينائين لاستيراده[٥] . مما ترتب على ذلك تصاعد تسرب الفضة الى الخارج،

(1) Tseng kuo-Fan, The Plight of the Chinese Peoples, In: Dun J. Li, Op . Cit . PP.112-113.

(٢) مملكة تايبينغ، ص٦-٧.

(3) Molly Joel Coye and Livingston(ed.) , China Yesterday and to Day, 3th Edition, Bantam Books, (London, 1979), P.165Cit., P.3.

(4) Wakman, Op. Cit., PP.126-127.

(٥) حرب الافيون، ص١٠٤.

وارتفاع سعر صرفها بالعملة النحاسية في الداخل من الف "ون" قبل توقيع المعاهدات الى اكثر من (٢٠٠٠) "ون" عند مطلع النصف الثاني من القرن نفسه . وبطبيعة الحال كان دافعو الضريبة اكثر من تضرر من ذلك، ولاسيماً إذا ما علمنا ان محصليها عمدوا الى جمعها بنسبة تصل الى (٤٠٠٠) "ون" لكل تايل من الفضة[١].

ومن الجدير بالذكر أيضا، ان مسألة فتح الموانئ أمام السفن والتجارة الأجنبية رافقها إنشاء مقرات وقنصليات للاجانب الى جانب الوكالات التجارية ، وعرفت هذه المقرات بالامتيازات الإقليمية او مناطق الامتيازات . وبرزت من بين هذه المقرات مقرة شنغهاي[٢]، التي خضعت في اول الامر للسيطرة البريطانية ، ولم يكن يحق لتجار الدول الاخرى ، التي تتمتع بالامتياز نفسه، انشاء مقرات فيها الا بموافقة القنصل البريطاني، الذي كان يرأس المجلس المحلي فيها . وهو الامر الذي أثار احتجاج التجار الامريكيين والفرنسيين عليه، فعمد البريطانيون في ١٤ تشرين الثاني ١٨٤٣ الى الاعتراف بأن شنغهاي تمثل مركزاً تجارياً حراً ، و يحق لكل الاجانب تأجير الاراضي في المقرة، على ان تسجل لدى قنصلياتهم، واصبح بامكان كل قنصل ممارسة سلطاته القضائية على مواطنيه ضمن حدود المقرة المشتركة، واصبح بامكانه ايضا مشاركة بقية القناصل في الاشراف على شؤون المقرة[٣]. وقد مثّل هذا الوضع انتهاكاً واضحاً للسيادة الصينية. إذ إن انشاء هذه المقرات كان معناه قيام حكم دولة في داخل دولة.

ويبدو انه كان من المقرر عند انشاء هذه المقرات ان تقتصر على الاجانب فقط، ولا يسمح بدخول الصينيين فيها، سوى الذين عملوا في خدمتهم، والذين لم يتجاوز عددهم في

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٠؛ نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩٠.

(٢) جاي ونت، أضواء على آسيا، ترجمة روفائيل جرجيس، مكتبة الانجلو المصرية، (د.ت)، ص٣١؛ بيرفيت، المصدر السابق، ص٢٦١؛ Rowe, Op. Cit., P.108.

(3) Echange De Notes Relatives Aux. Reclamation's Pour L'aboltion DeL'extrritorialite. J.V.A. Mac Murray,Reponse Government Americain, Revue Generale Droit International Public, Troisiem Serie Tom I, Tom XXXIv, 1930, PP.371-372; Clyde and Beers , Op. Cit. ,P.81.

أول الأمر (٥٠٠) صيني[١]. وإمعانا في إذلال الصينيين، الذين طالما تعالوا على الأجانب ونعتوهم بـ (البرابرة) ، رفعت عند إحدى بوابات الحدائق لافتة كتبوا عليها: (يمنع دخول الصينيين والكلاب في هذه الحديقة)[٢]. ومع ذلك، سنلاحظ لاحقاً نمواً في عدد سكان المقرة من الصينيين الذين اخذوا يفدون اليها من شنغهاي نفسها أو من المقاطعات الأخرى، بسبب تعرضهم للنكبات الطبيعية أو هرباً من الحركات الثورية التي كانت تقمع بقسوة بالغة[٣].

و فضلا عن مقرة شنغهاي، ميناء شنغهاي، الذي أصبح، منذ الثالث من تشرين الثاني ١٨٤٣، مفتوحاً أمام التجارة الخارجية ، التي ازدهرت فيه على نحوٍ اكبر وأفضل من ميناء كانتون الذي شهد مقاومة لدخول الأجانب ، ومرد ذلك الى موقع شنغهاي الاستراتيجي عند مصب نهر اليانغتسي، الذي مكن التجار الأجانب من الوصول بتجارتهم الى المناطق الداخلية[٤]، و تعاون سكان شنغهاي البالغ عددهم (٢٧٠٠٠٠) نسمة ، الذين كانوا تجاراً، ووجدوا في إلغاء نظام الكوهونج، وإقرار حرية التجارة، وتخفيض الرسوم الكمركية الى (٥) بالمئة على السلع الواردة فرصة لممارسة النشاط التجاري مع الأجانب من دون عائق، ويزاد على ذلك مجاورة شنغهاي لأهم مناطق إنتاج الحرير في الصين [٥] . ونتيجة لذلك حدث توسع في الميناء حيث بلغ عدد السفن التي دخلته في عام ١٨٤٤ (٤٤) سفينة تزن حمولتها اكثر من (٨٠٠٠) طن ، ثم ازداد عددها حتى بلغ عند منتصف القرن التاسع عشر (١٨٢) سفينة ، تزن حمولتها (٧٨٠٠٠) طن، زيادة على ان نصف صادرات الصين، وقيمتها سبعة ملايين دولار في عام ١٨٤٦، كانت تصدر عبر ميناء شنغهاي[٦].

---

(1) G.C. Allen and Others, The Western Enterprise In Far Eastern Economic Development China and Japan, George Allen and Unwin LTD., (London, 1954), PP.18-19.

(٢) ك.م. بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٨٢.

(3)Allen, Op. Cit., P.19.

(٤) تشستر بين، الشرق الاقصى موجز تأريخي، ترجمة حسين الحوت، مصر، ١٩٥٨، ص٦٦.

(٥) تعد فوكين وكيانجسي ونغان هوى اهم مناطق انتاج الحرير في الصين في تلك المدة، واطلق عليها "الازهار العجيبة الثلاثة". ينظر: روبير شنيرب، تأريخ الحضارات العام، القرن التاسع عشر، ج٦ ، ترجمة يوسف اسعد داغر وفريدرم داغر، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٩، ص٤٨٤.

(6)Amanury De Riencort, The Soul of China, Lowe and Brydone Printers LTD (London, 1958), P.189.

إن تخفيض الرسوم الكمركية الى (٥) بالمئة، الذي أسهم في اتساع النشاط التجاري، إلى جانب فتح الموانئ، ساعدا بطبيعة الحال على بداية نمو طبقة التجار الذين عرفوا بـ "الكومبرادور" (**وهم وكلاء و مستشارون صينيون عملوا في المؤسسات الأجنبية في الصين** كالشركات و بيوت المال والقنصليات) . إلا انه من ناحية أخرى حرم الصناعة الوطنية من الحماية، وحوّل الصين إلى سوق لتصريف المنتجات الأجنبية . ففي المناطق المحيطة بموانئ المعاهدات، انخفضت فيها قيمة البضائع المحلية، والمتمثلة بالغزل والنسيج ولاسيما في أواسط الأربعينيات في ظل توافر البضائع الأجنبية التي امتازت بجودة صنعها وبأسعارها المناسبة، مما عد مؤشراً لبداية انهيار الاقتصاد الصيني القائم على الاكتفاء الذاتي[١]. و قد تفاقم الوضع عند قيام التجار والممولين الصينيين بإيقاف إقراض الصناع والحرفيين، لتشغيل أموالهم في التجارة، مما أدى إلى انتشار البطالة في صفوفهم[٢].

على ان ما تركه تطبيق بنود المعاهدات من مشاكل اقتصادية واجتماعية سيئة، ولاسيما مشكلة البطالة، ساعد الاوربيين بدوره على ممارسة تجارة العمال الصينيين "الكولي"[٣] او كما تعرف باسم "تجارة الخنازير"[٤] الذين كان يتم نقلهم الى امريكا الشمالية وكوبا[٥]. والملاحظ ان هؤلاء العمال اصبح لهم فيما بعد دور في دعم حركات المعارضة التي حدثت في الصين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

بقي ان يشار الى ما انفردت به معاهدة وامبو الفرنسية – الصينية من حرية الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية في ممارسة نشاطها في الصين، وإلقاء مسؤولية حمايتها على عاتق الحكومة الصينية، بما في ذلك حماية الصينيين المتنصرين. ويبدو ان هذا الامر قد

---

[١] فؤاد العشا، النظام العالمي الجديد، عالم بخمسة رؤوس. الحقيقة والوهم، دار الجمهورية، دمشق ١٩٩٤، ص١٦٠-١٦١؛ Isaacs, Op. Cit., P.4.

[٢] محمد العزب موسى، المصدر السابق، ص١٨.

[٣] "كولي" (coolie) كلمة اصلها هندي، يطلقها الانكليز على من يشتغلون بالاعمال الجسمانية مثل التحميل. ينظر: ديورانت، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٧.

[٤] حرب الافيون، ص١٠٤.

[٥] بانيكار، المصدر السابق، ص١٩٥؛ Claude A. Buss, Asia in the Modern World. A History of China, Japan, South and Southeast Asia, Collier-Macmillan Limited, (New York,1964), PP.118-119.

وفر الفرصة للكثير من المتنصرين للتهرب من المخالفات القانونية وذلك بالاحتماء بالكنائس. وفضلا عن ذلك استاء الصينيون من العمليات التي نظمتها الإرساليات لشراء الاطفال بهدف تنصيرهم[١]. ومع ان اعمال هذه الارساليات كانت تصب في خدمة النفوذ الأجنبي ، كان لها اثر ايجابي في بعض نواحي الحياة الصينية، ولاسيما من حيث قيامها بإنشاء المستشفيات والمدارس التي كانت تدرس فيها علوم الطب والرياضيات وغيرها من العلوم التي أسهمت على نحو فعال، في تثقيف الصينيين، الذين التحقوا، بها، بالثقافة الغربية، وأصبح لهم فيما بعد دور كبير في تأكيد ضرورة صبغ الصين بالصبغة الغربية ، لإنقاذها من التحديات الأجنبية، ومعالجة تردي أوضاعها الداخلية [٢] . كما سيوضح ذلك تباعا.

مما تقدم ذكره يتضح مدى ما أسهم به نظام المعاهدات في حدوث تحولات في الاقتصاد الصيني القائم على الاكتفاء الذاتي ، وكيف أن ذلك ألقى بضلاله على عاتق الطبقات الفقيرة وعلى مكانة الأسرة الحاكمة ذاتها . إذ إن عجزها عن الإيفاء بمتطلبات الشعب و بقائها أجنبية بنظره ، وفر مسوغات سحب التفويض السماوي منها ، وجعلها هدفا لكثير من الجمعيات وحركات المعارضة الفلاحية والبرجوازية التي قامت في الصين بعد حرب الأفيون ، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما سيتضح تباعاً .

---

[١] بانيكار، المصدر السابق، ص١٨٨-١٨٩.

(2) John King Fairbank, The United States and China, Harvard University , United States of American, 1962, PP.122-123; Elizabeth L. Malcolm, The Chinese Repository and Western Literature on China 1800 to 1850, Modern Asian Studies, Vol.7, Part 2, 1973, P.165 .

رابعاً – ردود الفعل الداخلية

وعلى النحو الذي سبق تفصيله، كان العامل المباشر في بروز الأزمة الداخليـة، أولا، وما آلت إليه، ثانياً، ازدياد حجم التحديات الأجنبية ، فضلا عن عوامل داخلية متعددة، وهـي عوامل سوّغها عدد من المسؤولين على أساس وجود النزعة الكونفوشيوسية المحافظة ، في حين سوّغها آخرون على أساس المسؤولية المباشرة التي أُلقيت على عاتق أسرة المانشو نفسها، التي تخلت عن تطبيق "إرادة السماء" بحسب زعمهـم[١] . والمهـم فـي الامـر أن الاستجابة الشعبية للازمة الداخلية، بل للتحديات المذكورة، نفسها، كانت على شكلين، علـى النحو الذي سيوضح تباعاً .

١- بدايات التحول الفكري باتجاه تحديث الصين

دفعت الهزيمة التي تعرضت لها الصين، اثر حرب الأفيون ، وبداية الاحتكاك بالغربيين والتأثر بهم ، بعض المفكرين الصينيين، للتفكير بإيجاد صيغ جديدة لمواجهة التحديات التـي تعرضت لها البلاد ومحاولة النهوض بها [٢]. ومنهم لين تسي هـسو، الـذي أدرك مـدى ضعف الصين وحاجتها للتحديث ، وذلك باقتناء تكنلوجيا الدول الغربية . وقد دفعه اهتمامـه بهذا الموضوع إلى جمع المعلومات المتعلقة بالدول الأوربية، مستثمراً، فـي هـذا الـسياق إصدارات الإرساليات التبشيرية، ولاسيما المجلـة الشهرية الصينية[٣]. وبعـد ان طـرد من عملـه، أودع آراءه في رسائل بعث بها إلى أحد أصدقائه الذي يدعى ويى يوان الذي أفـاد

---

[١] فؤاد محمد شبل ، حكمة الصين . دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ اقدم العصور، ج٢، دار الفكـر العربي، مصر ١٩٦٨، ص٧٧-٧٨.

[٢] بيرفيت، المصدر السابق ، ص٢٦٣؛

Hary Judge(ed) , Oxford Illustrated Encyclopedia, World History from 1800 to the Present Day , Vol. I, Oxford University Press , (Oxford , 1988), , P.73.

(3) A Letter of Lin Tse-Hsu , Recognizing Weastern Miltary Superiortty 1842, In: Ssu-yu Teng and Others, China's Response to the West . A Documentary Survey (1839-1923), Harvard University Press, 1979, P.29; Suzanne Wilson Barnett, Protestant Expansion and Chinese Views of the West, Modern Asia Studies, No.6, 1972, PP.139-140.

منها كثيراً في كتابته مؤلفه "المعجم الجغرافي المصور للبلاد الغربية"(١). وفي عام ١٨٤٢ نشر وي يوان كتابه عن التأريخ الحربي لاسرة المانشو تحت عنوان "الحملات العسكرية لاسرة تشينغ (تشيا شينغ – وو)" الذي اوضح فيه ان الحاجة قد اصبحت ماسة لتحديث الصين بالاستعانة بتقنيات الدول الغربية ، فقدم مقترحات عدة في هذا السياق ، منها الاستعانة بالخبرات الفرنسية والأمريكية لإنشاء ترسانة للأسلحة ، و حوضين لبناء السفن، في تشونبي وتايكوكوتو، وفي كوانغتونغ، والاستعانة بالحرفيين الصينيين الماهرين ليتولوا عملية التصنيع والبناء، ودعوة البحارة الصينيين في كوانغتونغ وفوكين لقيادة السفن الحديثة بعد تدريبهم عليها ، مؤكداً،في الوقت نفسه، ضرورة تدريب الجنود الصينيين وفقاً للأساليب الغربية الحديثة، وان يتم اختيارهم وفق ضوابط معينة . وطبقاً لإدراكه خطورة الموقف ، ومدى ضعف الصين في مواجهة الدول الغربية عسكرياً، اقترح "سياسة استخدام البربر ضد البربر" أي الغرب ضد الغرب، من خلال إغراء فرنسا والولايات المتحدة بمنحها الامتيازات في مقابل الوقوف بوجه بريطانيا(٢). فضلا عن انه أكد ضرورة إعداد ملاك يستطيع ان يتولى مسألة التفاوض معها، واقترح بعض الخطط العسكرية البحرية(٣). وبيّن ضرورة ترجمة

---

(١) الفكرة الرئيسة للمعجم المذكور أن اكتشاف الدول الغربية للتقنيات الحديثة، مكنها من اجتياح الصين ودول أخرى . وأن الصين على الرغم من تخلفها التكنلوجي، فان تكريسها نفسها للفضيلة ولدراسة اساليب السلام يسبغ عليها طاقة روحية ومعنوية تمكنها من الانتصار على عدوها، ولكن بتوافر شرطين هما يقظة الصينيين واستجابتهم عملياً للتحديات الاجنبية، و معرفة مواطن قوة العدو وضعفه . فتعزز قوى الصين لتتكافأ مع قوى العدو وتتفوق عليه. وقد طبع هذا المعجم مرات عدة ، فظهرت الطبعة الاولى عام ١٨٤٤ وعدد نسخها (٥٠) نسخة، وظهرت الطبعة الثانية عام ١٨٤٩ وعددها (٦٠) نسخة، وظهرت الطبعة الثالثة عام ١٨٥٢ وعددها (٦٠) نسخة. فؤاد محمد شبل، حكمة الصين، ص ٨٠؛ Barneett, Op. Cit., P.42.

(2)Wei Yuan`s Statement of A Policy for Maritime, 1842, In: Ssu-Yu Teng , Op . Cit , P.30; Jane Kate Leonard, Chinese Over Lordship and Western Pentration in Maritime Asia. A Late Ch'ing Reapraisal of Chinese Maritime Relations, Modern Asian Studies, Vol.6, Part 2, 1972, PP.152-155.

(٣) وعلى سبيل المثال، اقترح استدراج السفن الاجنبية الى الانهار الداخلية، حيث المياه الضحلة والممرات الضيقة، لتقوم المدافع الصينية بضربها في ظل عجز تلك السفن عن المناورة، واعاقة حركتها بالسلاسل الحديديةوالقوارب المغمورة تحت المياه. وفي مثل هذه الحال ترسل السفن الحربية المحرقة من كل الاتجاهات كي

الكتب العلمية الغربية للإفادة من مضامينها في تحديث الصين[١]. وعلى الرغم من تأكيد مقترحات ويي يوان ضرورة الاستعانة بالخبرات الأجنبية، لتحديث الصين[٢]، لم يُهمل ، في الوقت نفسه، أهمية تنمية الخبرات الصينية، زيادة على انه بقي مؤمناً بأهمية الفضيلة في حياة الصين وعدها قوة روحية تمكنها من تحقيق الانتصار على الدول الغربية.

ومما تجدر الإشارة إليه ، إن التوجه لمعرفة الغرب لم يكن مقتصراً على لين تسي هسو ويي يوان، وإنما بدأ يظهر أيضا ، لدى بعض حكام الأقاليم مثل حاكم فوكين هسو تشي ـ يو (١٧٩٥-١٨٧٣) ، الذي كان مسؤولا عن إدارة العلاقات مع الأجانب، في مينائي آموي وفوتشو . ويبدو انه قد أفاد مما وفرته الإرساليات التبشيرية من مصادر جغرافية ، فقدم دراسة بعنوان "وصف لدائرة المحيط"[٣]، للإفادة منه في إدارة العلاقات الخارجية[٤]. ومن خلال ما تقدم يمكن ان نتبين ان التعامل مع الدول الاجنبية قد أفضى إلى

تقوم بحرقها. ولتجنب مدافع العدو يقوم الجنود الصينيون بالاختباء خلف جدران سميكة اعدت لهذا الغرض. للمزيد ينظر:

Wei Yuan's Statements of A Policy for Maritime, In: Ssu-Yu Teng and Others , Op. Cit, PP.30-31.; Peter M. Mitchell, The Limits of Reformism. Wei Yuan's Reaction to Western Intrusion, Modern Asia Studies, No.6, 1972, P.181.

(1)Wei Yuan's Statements of A Policy for Maritime, In: Ssu-Yu Teng and Others, Op. Cit., P.30; Mitchell,Op.Cit., PP.180-181.

(٢) ظهرت اتجاهات التفكير بالتحديث في الادب الصيني ايضاً، فرواية "الوردة" التي كتبها لي رو ـ تشين (١٧٦٣-١٨٣٠)، اكدت ضرورة اشتراك المرأة في امتحانات الخدمة العامة، وبينت حقها في اشغال الوظائف الحكومية، دون قصر دورها على الواجبات المنزلية فقط. وهذا يمثل جانباً تحديثياً هاماً.

Chesneaux and Others, Op. Cit , P.42.

(٣) اعطى هذا الكتاب وصفاً مختصراً لجغرافيا العالم، معتمداً على المصادر الغربية ولاسيما تلك التي زودته بها الارساليات التبشيرية، وعُدّ اكثر دقة من كتاب وي يوان "المعجم الجغرافي المصور للبلاد البحرية"، ولاسيما أن خرائطه كانت قد استنسخت بدقة عن الخرائط الغربية، وقد اكمل هذا الكتاب في عام ١٨٤٨، وطبع في عام ١٨٥٠.

Wei Yuan's Statement of Pollicy for Maritime Defense, 1842, In: Ssu-Yu Teng and Others ,Op . Cit , PP.32-33.

(4)Vermilion Endorsement, In: Ibid., P.40; Fred W. Drake, A Mid-Nineteenth-Century Discovery of the Non-Chinese World, Modern Asian Studies, Vol.6, Part 2. 1972, PP.205-206.

تأثر بعض المسؤولين والمفكرين بالعلوم والتقنيات الغربية فدعوا الى ضرورة التعرف عليها والإفادة منها في معرفة سر قوة تلك الدول.

٢- حركات المعارضة الفلاحية

عبر الشكل الثاني من الاستجابة الشعبية للأزمة الداخلية عن نفسه بحركات المعارضة الفلاحية ، التي تصاعدت على نحو كبير في اربعينيات القرن التاسع عشر . إذ قدرت بأكثر من مئة حركة محلية خلال الاعوام (١٨٤١-١٨٤٩) [1]، موزعة على مختلف أنحاء الصين. وقد كانت هذه الحركات أشبه بالفورات العفوية من مفهوم الثورة الصريح، إذ كانت تأتي بصفتها رد فعل على مظالم الاقطاع او تعسف محصلي الضرائب او سوء معاملة الاجانب. وتقوم القوات الحكومية بسحقها او انها تنتهي من تلقاء نفسها، وذلك بعد ان يخفوا أوار الغضب في نفوس القائمين بها . وفي بعض الأحيان تمكن القائمون بها من الاستيلاء على السلطة في مناطقهم، وطردوا منها الإقطاعيين والموظفين الحكوميين، وقاموا بتوزيع ما تزخر به مخازن الغلال على الفقراء والمحتاجين، وأنشأوا أحيانا "مجلساً شعبياً" لتصريف أمور المنطقة التي سيطروا عليها . وفي أحيان أخرى قاموا بتنظيم مليشيات مسلحة للدفاع عن حكم الشعب ، إلا إن ذلك لم يستمر طويلاً، وذلك لقصور كفايتها التنظيمية، ولضعفها العسكري، وعدم قدرتها على التوسع وراء حدودها . وهو ما سمح لقوات الحكومة وموظفيها بالعودة ثانية والقضاء على تلك المليشيات ومعاقبة القائمين بها بشدة[2]. وفي اغلب الأحيان كان يقف وراء هذه الحركات الجمعيات السرية، مثل "جمعية عباد الله بايشانغذي" و"جمعية اللوتس الابيض"[3]، و"العقل السماوي" في شمال الصين، و"حملة

---

(1) Highlights of China History,China Reconstructs,(Pekin, 1962) , P.30; Qi Went , China A General Survey, (Beijing, 1979), P.35; Isaacs, Op. Cit., P.3..

(٢) محمد العزب موسى ، المصدر السابق، ص٨٥.

(٣) تعد جمعية "اللوتس الابيض" من اهم الجمعيات الدينية التي ظهرت في الصين في عام ١١٣٣ بصفتها طائفة بوذية سعت الى تأكيد مبادئ التوبة، وكبح الرغبات، والغذاء النباتي، والامتناع عن تناول الخمور، وتجنب القتل وسرعان ما انتشرت في شمال الصين وشرقها ووسطها. ومن اهم المراسيم التي اكدتها تأدية التسبيح، والصلاة، وقراءة التعاويذ، وممارسة الملاكمة، والنزال باستخدام الحراب. ويبدو ان تمسكهم بالنزال والملاكمة شكل اسناداً لاهدافهم الوطنية الرامية الى القضاء على الحكم الاجنبي، سواء كان مغولياً ام منشورياً. وقادت هذه الجمعية انتفاضات متعددة ولاسيما في الاعوام (١٧٩٤ و١٨٠١ و١٨١٣). ينظر: فؤاد محمد شبل، حكمة الصين... ص ٩٠-٩١.

المشاعل" (نين في) او ما تعرف بـ"الابواب الملتهبة"، في هنان آنهوي وشاندونغ، و"النباتيين" و"الثالوث" أي (السماء والارض والانسان) و"الوحدة الثلاثية" في الجنوب ولاسيما مقاطعات كوانغتونغ وفوكين وكوانجسي وكيانجسي، وقد اتخذت هذه الجمعيات(١)، باستثناء جمعية "عباد الله"، من اسقاط حكم المانشو واعادة حكم المينج، وتحقيق المساواة، هدفاً لها(٢)، رافعة شعارات متعددة مثل شعار (فلنأخذ من الأغنياء ونعطي للفقراء) و(اضرب الموظفين ولا تؤذ ابناء الشعب) . وقد انخرط في صفوف هذه الجمعيات الساخطون على حكم المانشو، والذين عانوا من سوء الأوضاع المعيشية، من فقراء الفلاحين والمعدمين والمشردين والمتسولين وعدد من ملاك الأراضي الذين عانوا من ثقل الضرائب، وصغار التجار في المدن، والجنود المسرَّحين، فضلاً عن بعض المثقفين الذين لم يسعفهم الحظ في النجاح في اجتياز امتحان الخدمة العامة، إذ وجدوا فيها ملاذا يخلصهم من ظلم المانشو. فعملت هذه الجمعيات على تنظيمهم في ميليشيات، ليكونوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم وعن أهداف جمعياتهم. وللحفاظ على سريتها اتخذت لها اصطلاحات ورموزاً سرية خاصة تم تداولها بين أعضائها فقط(٣). وعلى الرغم من التقارب بين أهداف تلك الجمعيات، يلاحظ أنها لم تجمعها إدارة موحدة، فباستثناء الجمعيات التي ظهرت في الشمال والتي استطاعت جمعية "اللوتس الأبيض" ان توحدها، افتقرت الجمعيات التي ظهرت في وسط الصين وجنوبها لقيادة موحدة فعلى الرغم من خضوعها اسمياً لسلطة "جمعية الثالوث" بقيت قياداتها المحلية مستقلة في عملها(٤). وقد يرد ذلك الى طول المسافات ووعورة الطرق، مما أدى إلى صعوبة الاتصال والتنسيق فيما بينها، فضلاً عن تلقائية الحركات الفلاحية التي كانت تقوم بصفتها رد فعل على مظالم الإقطاع أو سوء معاملة الأجانب . ويشار الى ان الجمعيات التي ظهرت في الجنوب، ولاسيما "جمعية الثالوث"، نفسها، كانت اكثر نشاطاً من الجمعيات التي ظهرت في

---

(١) فضلاً عما ذكر سلفاً، هناك جمعيات اخرى كثيرة، منها "المحاور الثلاثية" و"السيف الصغير" و"المدينة الكبيرة" و"المدينة الصغيرة" التي انتشرت في مقاطعات الصين المختلفة. ينظر:

Wakman, Op. Cit., PP.117-121.

(2)Ib.id, PP.117-121.

(3) Isaacs, Op. Cit., P.5; Wakwan, Op. Cit., PP.121-125.

(٤) أريك وولف، الحروب الفلاحية في القرن العشرين، ترجمة أكرم الرافعي، دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٧، ص١١٧؛ Immanuel Hsu(e.d),Reding in Modern Chinese History ,(Oxford , 1971) , P.176.

وسط الصين أوشمالها(١). ولعل ذلك يعود الى بعدها عن مركز السلطة في بكين، وكونها اكثر تأثراً بحرب الافيون وما اسفر عنها من ازمات القت بثقلها على كاهل الفلاحين والحرفيين والعمال واصحاب الزوارق في اقليمي كوانغتون وكوانجسي.

ففي كانتون، خاضت هذه الجمعية صراعاً ضد القوات البريطانية، التي أرادت ان تدخل مدينة كانتون، وفقاً "لمعاهدة نانكنج"، وضد اسرة المانشو التي تعاونت مع الاجانب . فبعد توقيع المعاهدة خاض اهالي كانتون اشتباكات عدة مع البريطانيين، ففي كانون الاول من عام ١٨٤٢ قاموا بقتل بعض البحارة البريطانيين، واحرقوا عدة بيوتات تجارية(٢)، وعلقت على جدران المدينة، عدد من المنشورات المنددة بالبريطانيين والمانشو، وهي منشورات هددت الطرفين بالانتقام، واتهمت المانشو خاصة بالتواطؤ مع البريطانيين على حساب الشعب(٣) . حتى تردد على السنتهم المثل الشعبي الذي يقول (إن الشعب يخشى رجال الحكومة، ورجال الحكومة يخشون الشياطين الاجانب، والشياطين الاجانب يخشون الشعب)(٤). فضلاً عن ذلك، تعددت حركات المعارضة الفلاحية لحكم المانشو، في اقليمي كوانغتويغ وكوانجسي في الأعوام ١٨٤٤ و١٨٤٨ و١٨٤٩، بتأثير ازدياد تردي الأحوال المعيشية للفلاحين، ولاسيما في عام ١٨٤٩، بسبب الكوارث الطبيعية التي أدت إلى انخفاض كمية المحاصيل الزراعية، فانتشرت المجاعة على نحو واسع في كوانجسي وكوانغتونغ(٥). وتبعاً لذلك قاد احد أعضاء "جمعية الثالوث" حركة معارضة لأسرة المانشو، التي أهملت شؤون الشعب، وتمكن الفلاحون من الاستيلاء على مخازن الحبوب، وأطلقوا سراح السجناء، وطاردوا الإقطاعيين، والموظفين الحكوميين، واستولوا على أموالهم . إلا أن ضعف التنسيق بين أعضائها، وسوء تدريبهم العسكري ونفاذ مؤنهم ساعد القوات الحكومية على تطويقهم والقضاء على حركتهم(٦). وقد تكررت مثل هذه الحالة في كثير من الحركات الفلاحية التي قامت في تلك المدة متوخية تحقيق الأهداف نفسها(٧) .

---

(1) Ibid, P.181; C.P. Fitz Gerald, A Concise History of Asia, United States of America, 1966, P.94.

(2) Purcell, Op. Cit., P.55; Wakman, Op. Cit., P.127.

(٣) محمد العزب موسى ، المصدر السابق، ص ص٧٢-٧٣.

(4) Cantonese Denunciation of the British, 1841, In: Ssu-Yu Teng, Op . Cit . , P.36.

(5) Coye and Livngston, Op. Cit., P.188.

(6) Tikhvinski,Op.Cit., P.164.

(٧) من الملاحظ أن الأدب الشعبي الصيني في ذلك الحين أعطى صورة واضحة عن الحركات المعارضة لحكومة المانشو ، وسخر من المفاهيم الكونفوشيوسية ، وعمد إلى تبجيل المعارضين الذين عدوا خارجين عن القانون ،=

٤- ظهور "جمعية عباد الله" (بايشانغدي)

مثّل ظهور هذه الجمعية في عام ١٨٤٣، نتيجة طبيعة لتردي الأوضاع الداخلية في الصين في النصف الأول القرن التاسع عشر، والتدخل الأجنبي بشتى أشكاله السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية منها على وجه الخصوص، المتمثلة بما كانت تنشره الارساليات التبشيرية من كتابات تدعو بها للديانة المسيحية ، بقصد ايجاد طبقة متنصرة تقبل بالوجود الأجنبي في الصين . وقد ارتبط مسار هذه الجمعية بحياة مؤسسها هونغ هسيو تشوان (١٨١٤-١٨٦٤) المولود لأسرة فقيرة تنتمي لقبيلة الهاكا[1] ، في إحدى قرى كانتون. وقد تأثر هونغ هسيو تشوان بعدد من العوامل دفعته لتشكيلها . فوجوده في كانتون، التي كانت مركز الصراع بين الشعب والقوات البريطانية، ومركز الشركات الأجنبية المتاجرة بالأفيون والبضائع المهربة وعلى مقربة منها تعسكر القوات البريطانية التي هزمت الصين في حرب الأفيون، والتي تريد فتح مدينة كانتون للتجارة البريطانية وفقاً لما نصت عليه معاهدة نانكنج ١٨٤٢، جعله يدرك ازدياد خطورتهم ومدى ضعف حكومة المانشو وعجزها عن حماية استقلال البلاد وسيادته [2].

زيادة على أن وجوده في كانتون ساعده على الاتصال بالإرساليات التبشيرية التي أمدته ببعض المصادر، التي مكنته من معرفة عدد من مبادئ المسيحية، مثل كتاب (كلمات مقدسة لإرشاد الجيل)[3]. وقد ارتبط ذلك كله بعامل اخر هو فشله المتكرر في امتحانات الخدمة العامة في الأعوام ١٨٢٧ و١٨٣٧ و١٨٤٣، التي كان يرجو النجاح فيها ليتأهل للحصول على وظيفة تمكنه من الارتقاء بمستوى عائلته الاجتماعي[4]. وقد تزامن هذا

=كما هو الحال في رواية(حافات المياه) التي ترجمتها من الصينية الى الانكليزية الكاتبة بيرل باك ، والتي تحدثت عن خروج (١٠٨) من الفرسان ضد اسرة المانشو . ينظر: وولف، المصدر السابق،ص ١١٢.

(1) قبائل من الصينيين الاوائل زحفت من المناطق الوسطى باتجاه الجنوب، بتأثير هجمات قبائل وسط الصين وشمالها، فاستقرت الى جانب قبائل البانتي في كوانجسي وكوانغتونغ، وكان لكل منهما عاداته وتقاليده التي قادت في أكثر الاحيان الى الصدام فيما بينهم، وقد أضمرت هاتان القبيلتان عداوة كبيرة لأسرة المانشو الحاكمة. ينظر:

Wolfgan Frank, A Century of Chinese Revolution 1851-1949, Oxford, 1970, PP.28-29.

(2) محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص١٠٩-١١٠.

(3) Chun--Tu Hsueu (e.d), Revolutionary Leaders of Modern China, United States of America, 1971, P.13; Spence, Op. Cit., P.1.

(4) Chun-Tu Hsueu , Op . Cit ,P. 13 .

الفشل مع قيام الحكومة بمنح الشهادات الكونفوشيوسية في مقابل مبلغ معين من المال، مما جعل نسبة غير قليلة من المتعلمين، الذين لم يسعفهم الحظ في النجاح في الامتحانات ولم يكن بإمكانهم شراء الشهادات، يشعرون بالغبن، وان الأغنياء قد سلبوهم حقهم، وهو الأمر الذي دفع عدداً منهم إلى الانضمام إلى جهات معارضة لحكم أسرة المانشو، وعزز ذلك شعورهم السابق بالكراهية نحوها[١].

ويبدو ان هونغ قد أحس، اثر فشله في امتحان عام ١٨٣٧، باضطراب نفسي كبير، ومرض لخيبة أمله، فاختلطت في ذهنه التعاليم المسيحية بالتراث الكونفوشيوسي، فأصيب بالوهم والقلق وصار فريسة للمرض[٢]. فخيل إليه انه صعد إلى السماء وانه أُرسل في بعثة وانه الأخ الأصغر للسيد المسيح (عليه السلام)، وأحيانا كان يردد(اقتلوا الشياطين اقتلوهم)، ويعني بذلك أسرة المانشو. وبعد ان شفي من مرضه كفر بتعاليم كونفوشيوس فقال: (إن معظم الشرائع التي علمها كونفوشيوس سخيفة)[٣].

ومن ذلك يظهر ان بداية دعوة هونغ كانت دعوة دينية اشتملت على أهداف سياسية تجلت في إسقاط أسرة المانشو وتسنم أسرة جديدة للحكم ، خلافاً لما نادت به الجمعيات الأخرى ـ التي أشير إليها سلفاً ـ من إعادة حكم أسرة المينج الوطنية . وحارب عقيدة الطبقة الحاكمة (الكونفوشيوسية) بدعوته إلى عقيدة جديدة اختلطت فيها التعاليم المسيحية بالفكر الصيني القديم، ومن ثم تبلورت أفكاره في المدة اللاحقة على نحو أدق كما سيوضح تباعاً.

وفي بادئ الأمر لقيت دعوته قبولاً كبيراً من ابن عمه هونغ جين كان ، وصديقه فينغ يو نشان . وكانت بادرة أعمالهم إزالة الأصنام من غرفهم، وقيامهم بتحطيم صورة كونفوشيوس المعلقة على احد جدران المدرسة التي كان هونغ يُدرس فيها، مما اسفر عن إقصاء الاخير عن التدريس فيها وقطع راتبه، وأثارت إجراءاتهم ردود افعال سيئة لدى اهالي تلاميذ المدرسة الذين قاموا بسحب أبنائهم منها[٤] . وفي محاولة لكسب مؤيدين، آثر كل من هونغ وفينغ في نيسان عام ١٨٤٤ الذهاب الى كوانجسي الواقعة شمال غرب كانتون، التي تقيم فيها نسبة غير قليلة من قبيلة الهاكا التي ينتمي اليها هونغ . ومع ذلك، لم يمكث بها

---

(١) وولف، المصدر السابق، ص١٠٩-١١٠.

(٢) **نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩٢-٩٣.**

(٣) نقلا عن مملكة تايبنغ، ص١٥-١٦.

(4) Henry Mcaleavy, The Modern History of China, Morrison and Gibb Limited, (London,1967), PP.62-63.

طويـــلاً، فيشار الى أن المعارضة التي واجهها اضطرته إلى الرجوع إلى كانتون، وذلك في ايلول من العام نفسه[١]. ومن الممكن أن يضاف الى ذلك أن رغبته في البقاء فـي كـانتون للاتصال بالإرساليات التبشيرية ومحاولة كسب صفة الشرعية الدينية واسناداً لدعوته مـن تلك الارساليات، دفعته الى الرجوع الى كانتون.

والملاحظ ان هونغ اخذ على عاتقه القضايا التنظيمية الأيديولوجية، وترك مسألة جمع المؤيدين والقضايا الادارية لصديقه فينغ في كوانجسي فأمـضى هونـغ الأعوام (١٨٤٤-١٨٤٦) في كتابة خلاصة افكاره بسلسلة مقالات عبر فيها عن مطالب جمعيته، منها مقالاته "تعاليم في الخلاص" و"تعاليم في تنبيه العالم" و"تعاليم في تحـذير العـالم" . فمـن الناحيـة السياسية دعا إلى إسقاط أسرة المانشو وإقامة مملكة السلام السماوي العظيم (تـايبنغ تـين كوي)[٢]، التي تسودها المساواة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية كافة . ومـن الناحيـة الاقتصادية دعا الى توزيع الأرض بالتساوي بين الفلاحين، وذلك بتخصيص نسبة معينة مـن الأرض لمن هم في سن السادسة عشر فصاعداً، على ان تخصص نصف تلك النسبة لمن هم في سن الخامسة عشرة فما دون، إلى جانب عدد من التخصيصات الثانويـة، منهـا الحـق بزراعة شجرة التوت وتربية دودة القز عليها ، قرب كل منزل ، واعطاء كل عائلـة خمـس دجاجات تقوم برعايتها والإفادة منها . ومن الناحية الاجتماعية شجب هونغ التمييز العنصري ودعا للمساواة بين الجميع ، بين الرجل والمرأة ، وبين الغني والفقير، وانتقد نظام الطبقـات الكونفوشيوسي واستبداد الطبقة الاقطاعية بالسلطة[٣]، وعبر عن ذلك بقوله: (جميع من هـم تحت السماء من الاب السماوي نفسه ومن اسرة واحدة... فأي مسوغ يتيح للإمبراطور ان يقبض بيديه على كل شيء) [٤] . يضاف الى ذلك أنـه نادى بضرورة تحريم تجارة وتدخين

---

(1) Ibid, PP.62-64.

(٢) استمدت ثورة تايبنغ التي تعني "السلام السماوي العظيم" اسمها، من حركة حملت الاسـم نفـسه، انـدلعت فـي عام ١٨٤م واستهدفت انهاء النظام الملكي ممثلاً في أسرة هان. للمزيد عن ذلك ينظر:

Immanuel C. Y. Hsu, Reading in Modern China History, P.167.

(3) Vincent Y.C. Shih, The Taiping Ideology. It Source, Inter Pretations and Influences, United States of America, 1972, PP.81-82.

(٤) نقلا عن مملكة تايبنغ، ص١٩.

الأفيون والتبغ و شرب الخمـر، وتغليـف أقـدام البنـات[١]، والمتـاجرة بالعبيـد، وتعـدد الزوجات[٢] . والملاحظ ان هذه الأهداف نفسها، جعلت الجمعية في مواجهـة مـع الطبقـة الإقطاعية . أما فيما يتعلق بفينغ، فيبدو انه تمكن من أن يجمع حوله عدد كبير من المؤيدين، مستثمراً الصراع الـذي دار بين قبيلتي البانتي والهاكـا، حول ملكية الأرض، فأقنـع الهاكا بالانضمام الى هــذه الجمعية لدعمـها في الصراع ضد البانتي، زيادة على ان قبيلة الهاكا وجدت في مبادئ الجمعية ما يوافق مصالحها[٣] . مما اكسب الجمعية قـوة ومكـن فينـغ، بالنتيجة، من تشكيل اول مجموعة منظمة عسكرياً عدت النواة الأولى لجـيش التـايبنغ[٤] . وتلا ذلك عمليات انضمام جماعي من عمال الفحم في كوانجسي وعدد من أصحاب المنـاجم، فضلاً عن أعداد أخرى من العوائل والقبائل، وقد شكل هؤلاء وحدات عسكرية لحماية أنفسهم والدفاع عن مبادئ جمعيتهم[٥].

وفي عام ١٨٤٧ دخلت هذه الوحدات في صراع مع المجموعات المحلية الأخرى، حول حيازة الأرض، ومع الفرقة العسكرية التابعة لأحد المسؤولين الحكوميين، وهو الأمـر الـذي دفع قائد الفرقة لاعتقال فينغ بتهمة إثارة البلبلة الشعبية، والترويج لمبادئ غيـر صـحيحة برأيه، غير ان اتباعه تمكنوا من تخليصه بالقوة، ثم القي القبض عليـه فـي عـام ١٨٤٨، وأفرج عنه لقاء مبلغ معين من المال، وذلك بعد ان رفض الحاكم سجنه، عادّاً الجمعية إحدى الوسائل التي كانت تقيمها القبائل للدفاع عن نفسها ضد قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا يعيثون فساداً في قراهم[٦]. وفي أثناء غياب قيادة كل من فينغ وهونغ أصبح المجال مفتوحاً لبروز عناصر قيادية أخرى أدت دوراً في ثورة التايبنغ، مثل يانغ هسيو تشينغ وهسيو تشاو كوي، الذي ينتمي إلى أسرة ريفية فقيرة .

أما فيما يتعلق بهونغ هسيو تشوان ، فقد أمضى شهرين من عام ١٨٤٧ تابعاً لأحـد المبشرين الأمريكيين ويدعى اسا تشارت روبيـرتس (Issa Chart Robrerts) وعـرض عليه خلاصة أفكاره وأهداف جمعيته، وطلب منه تعميده . غير ان المبشر رفض ذلك، علـى

---

[١] جرت العادة في الصين على القيام بتغليف اقدام البنات دون سن التاسعة باغلفة حديدية بغية المحافظة على جمالها ورشاقتها. ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩٦.

(2) Lyell, Op. Cit., P.1.
(3) Chun-Tu Hsuen , Op. Cit., P.20.

[٤] مملكة تايبنغ، ص١٨.

(5)Chun-Tu Hsuen , Op. Cit., PP.19-20.
(6)Ibid, P.24.

الرغم مما حملته هذه الجمعية من طابع ديني مسيحي ممتزج بالفكر الصيني القديم، لانه أدرك أن هونغ قد نحى بالفكر المسيحي الذي حمله منحى مخالفا لما رمت إليه الإرساليات من إيجاد طبقة من المتنصرين لايعارضون الوجود الأجنبي، وقد عبر عن ذلك بقوله: (أنهم يحرفون أفكارهم الدينية المضحكة لخدمة أغراضهم السياسية) [١].

وتبعاً لذلك آثر هونغ العودة إلى كوانجسي والانضمام إلى فينغ والعمل معاً في تنظيم جمعيتهم، التي انضمت إليها في تلك الأثناء عناصر امتازت بثرائها مثل وي تشانغ هو، وهو احد ملاك الأراضي من قومية الهان الذين عانوا من التمييز القومي ، والذي أصبح حقله، الواقع في قرية الحقل الذهبي ، فيما بعد معسكراً ومكاناً لتهيئة معدات القتال من سيوف وحراب وغيرها، وفضلا عن ذلك دفع الشعور الوطني شاب يدعى شياه تا كاي الذي ينتمي لإحدى الأسر الغنية وفشل في امتحان الخدمة العامة، إلى الانضمام لهذه الجمعية[٢].

وخلال المدة (١٨٤٨-١٨٥٠) عملت جمعية "عباد الله" على استقطاب الجمعيات السرية الأخرى، على الرغم من منادتها بإعادة أسرة المينج إلى السلطة، وهو نوع من الاستقطاب التدريجي لإقناع أعضائها بأهداف جمعية "عباد الله" . وتمهيداً لذلك عمل هونغ على تعيين احد مؤيدي إعادة أسرة المينج قائداً ثانيا لجمعية "عباد الله" ومنحه لقب "ملك الفضيلة السماوية". ومع ان ذلك كان شيئاً مؤقتاً، الا ان هونغ نجح في اقناع عدد من أعضاء تلك الجمعيات بتبني أهداف جمعيته، في حين انسحب عدد آخر منها[٣].

مما تقدم يمكن ان يظهر ان الأهداف التي أعلنتها هذه الجمعية قد جذبت اليها الكثير من المؤيدين من عمال مناجم وفلاحين مضطهدين وأقليات قومية عانت من التمييز العنصري، وعدد من المتعلمين الذين لم يسعفهم الحظ في النجاح في امتحانات الخدمة العامة، وملاك الأراضي الذين عانوا من التمييز.

وبمرور الوقت تمكنت هذه الجمعية من إدخال عامل التنظيم الدقيق في العمل الثوري الشعبي، وانضم إليها الكثير من المؤيدين فازدادت قوتها تبعاً لذلك، حتى أصبحت منظمة فعالة انبثق عنها جيش قوي . وفي عام ١٨٤٩ توافرت عوامل السخط والهياج الشعبي اثر حادث مجاعة كبيرة عمت إقليم كوانجسي بسبب الكوارث الطبيعية، فلاحظ هونغ ان الوقت

---

(١) مقتبس في مملكة تايبنغ ، ص٢٠.

(2) Macaleavy, Op. Cit., P.67.

(3) Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.91.

أصبح ملائماً لبدء ثورته فأمر أتباعه بالتجمع في قرية جنتنيان الواقعة بالقرب من نهر الغرب فأعلن ثورته في الحادي عشر من كانون الثاني عام ١٨٥١[1].

[1] محمد العزب موسى، ص ص٨٨ – ٨٩.

الفصل الثاني

الوضــع السيـاســي في الصــين ١٨٥٠-١٨٧٨

أولاً- التحولات في البلاط الإمبراطوري وقيام حرب الافيون الثانية

١-التحولات في البلاط الامبراطوري١٨٥٠-١٨٧٥

٢-قيام حرب الافيون الثانية(١٨٥٦-١٨٦٠)

ثانياً- ثورة التايبنغ ١٨٥٠-١٨٦٤

١-قيام ثورة التايبنغ وموقف الحكومة منها حتى عام١٨٥٦

٢-الانقسامات الداخلية في مملكة التايبنغ١٨٥٦-١٨٦٤

٣-الموقف الدولي وأثره في نهاية الثورة

ثالثاً- حركة نيـــن في (حَمَلة المشـــــاعل) ١٨٥٣-١٨٦٨

رابعاً- حركات المعارضة الاسلامية ١٨٥٥-١٨٧٨

١-سياسة حكومة المانشو تجاه المسلمين

٢-حركة يونّان ١٨٥٥-١٨٧٣

٣-حركة شنسي و قانصو ١٨٦٢-١٨٧٥

٤-حركة تركستان الشرقية ١٨٦٤-١٨٧٨

أولاً- التحولات في البلاط الإمبراطوري و قيام حرب الافيون الثانية

١- التحولات في البلاط الإمبراطوري ١٨٥٠ - ١٨٧٥

شهد مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولات مهمة في البلاط الامبراطوري ، اثرت في تحديد موقف الحكومة من القضايا المحلية والتدخل الاجنبي في البلاد . وارتبط ذلك ، الى حد كبير، بمجيء شيان فنغ الى العرش (١٨٥٠-١٨٦١) خلفاً لوالده تاو كوانغ . فكان الامبراطور الجديد، الذي لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره ضعيفاً، قليل الخبرة، مما فسح المجال امام تدخل الحظايا والموظفين في شؤون الحكم، ولاسيما زوجته يهونالا[١] (١٨٣٥-١٩٠٨)، التي مارست، بتوجيه من اسرتها، دوراً كبيراً في التأثير فيه، وانتزاع سلطة القرار منه ، وصرفه عن شؤون الحكم الى الملذات[٢]. وبتأثير كرهها للأجانب، ورفضها لاي شكل من اشكال التعاون معهم، دفعت الامبراطور الى اقصاء الشخصيات التي شكلت تياراً في البلاط الامبراطوري، دعا الى التعاون مع الدول الغربية، وتوقيع الاتفاقيات معها[٣]، بوصفه، بحسب زعمها، السبب في تخلي الصين عن كبريائها وكرامتها الوطنية، ودخول الاجانب الى اراضيها، ومن ثم

---

[١] تنتسب يهونالا، المولودة عام ١٨٣٥، الى قبيلة المانشو، وإلى إحدى الاسر النبيلة التي كانت تتمتع بحظوة كبيرة في البلاط. وفي عام ١٨٥٢ تم اختيارها حظية للامبراطور بهدف اشغاله وصرفه عن شؤون الحكم، وفي عام ١٨٥٦ رفعها الامبراطور من بين (٢٨) حظية، الى مرتبة حظية من الدرجة الاولى (زوجة ثانوية) وذلك بعد ان ولدت له ولي العهد . ونتيجة لذلك اخذت تتمتع بنفوذ واسع في البلاط الامبراطوري، وقد عرفت يهونالا بحدة ذكائها وقدرتها على حبك الدسائس والتأثير في رجال البلاط. ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٨٧-٨٨؛
Sue Fawn Chung, The Much Maligned Empress Dowager. A Revisionist Study of the Empress Dowager Tz'u-His (1835-1908), Modern Asia Studies, Vol.13, Part 2, 1979, PP.177-178.

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٨٧-٨٨؛ مجلة الضياء، الجزء الحادي والعشرون، تموز ١٩٠٠، ص٦٤٤-٦٤٥؛ Sue Fawn Chung, Op. Cit., PP.177-178.

[٣] ظهرت بوادر ضعف هذا التيار، الذي سيعرف بالنسبة الى هذه الدراسة باسم"التيار المهادن"، في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر، حينما تم عزل كي ينج نائب الامبراطور في كانتون وكوانجسي، الموقع على معاهدة نانكنج، وتعيين يي منج ليحل محله، وذلك في عام ١٨٤٨، وهو من دعاة سياسة العزلة (المحافظين). ينظر :

Chesneaux and Others, Op . Cit . , PP.77.

تدهور مكانة الحكومة بنظر الشعب واستهانته بها ، وخروجه عليها[١] . وفي المقابل، قرب اليه اشخاص محافظين عرفوا بانتمائهم الى المدرسة الكونفوشيوسية وبرفضهم التعاون مع الدول الغربية، مثل كي تشون – بوصفه آحد أعضاء "السكرتارية العظمى"، ويي منج الذي اصبح في عام ١٨٥٦، عضواً في المجلس الاعلى، على الرغم من كونهما صينيين لا ينتسبان لاسرة المانشو، التي فضل كبار أمرائها، ولاسيما سوشون الذي كان وزيراً للمالية والطقوس في آن واحد، بقاء السلطة بأيديهم[٢]. وقد تزامنت هذه التحولات في البلاط لصالح المحافظين، مع تزايد حجم مطالب الدول الغربية، التي لم تلق أُذناً صاغية، وقادت كما سيوضح، الى نشوب حرب الافيون الثانية[٣]. وفضلا عن ما تقدم يمكن أن يقال ،أيضا، أن التقاليد الصينية تحكمت في احداث تلك التحولات في البلاط في صالح المحافظين . إذ أن ما تعرضت له الصين من تهديدات خارجية جعلت المسؤولين في الدولة ولاسيما الامبراطور وزوجته أكثر ميلا لتركيز السلطة بأيدي المحافظين المعروفين بتمسكهم بنظرية امبراطورية الوسط و المبادئ الكونفوشيسية التي قدست الامبراطور . واضعين في تصورهم أن هذا الاجراء يحفظ كيان الدولة في الداخل و يجنبها تنفيذ مطالب التيار المهادن الداعي الى اقامة علاقات خارجية مع الدول الغربية على قدم المساواة .

على ان وفاة الامبراطور شيان فنغ عام ١٨٦١، بعد هروبه الى جيهول شمال الصين ، اثر اجتياح القوات البريطانية والفرنسية المتحالفة العاصمة بكين ، اتاح الفرصة لظهور المؤامرات والدسائس في البلاط . إذ حرم شيان فنغ زوجته يهونالا من الوصاية على ابنها الامبراطور تساي شيا (١٨٦١-١٨٧٥) البالغ من العمر خمسة اعوام، لمعرفته خيانتها الزوجية . وعهد بالوصايا عليه الى مجلس ضم ثمانية من

---

(1) Ibid ; Bertrand Russell, The Problem of China , Second Impression . George Allen and Unwin LTD., (Great Birtain, 1966), P.65.

(2) Isaac Taylor, Court Life in China, Electronic Text Center, University of Virginia Library, P.20-24, File//D./3/htm.

(3) I. Macgowan, The Imperial History of China, Third Edition, Curzon Press, (London, 1973), P. 572; Clyde, Op. Cit., P.74.

كبار امراء المانشو، كان ابرزهم تساي يوان ، الذي عين رئيساً لهذا المجلس، وتوان هوى وسوشون الذي كان الرئيس الفعلي لهذا المجلس ، ورأى أن نقل العاصمة الى جيهول وبقاء الامبراطور فيها، يحفظان هيبة الامبراطور ويجنبانه مقابلة الاجانب[١].

ويبدو ان تزامن تلك التحولات مع انتشار حركات المعارضة الفلاحية في المناطق الوسطى والجنوبية والشمالية الغربية من الصين ، حتمت على سوشون إسناد المناصب الادارية المدنية منها والعسكرية ، لبعض الشخصيات الاقطاعية الصينية التي عرفت بدعوتها للتغريب ـ أي الافادة من علوم الدول الغربية ومعارفها ـ للمحافظة على نظام الحكم . مثل تسنغ كو ـ فان[٢] (١٨١١-١٨٧٢)، الذي اصبح بموجب المرسوم الامبراطوري الذي اصدره سوشون عام ١٨٦١، نائباً عن الامبراطور في اقليم ليانغ جيانغ، وعضواً في "السكرتارية العظمى"، وعين تسوتسونغ تانغ[٣] (١٨١٢-١٨٨٥)، حاكماً على مقاطعة تشكيانغ في عام ١٨٦١. وقد سوغ سوشون ذلك بمحاولة توحيد

---

(1) Taylor, Op. Cit., PP.31-32; Witold Rodzinski, A History of China, Vol.1, (Oxford, 1979), P.299.

(٢) ينتمي تسنغ كوفان الى اسرة صينية اقطاعية في مقاطعة هونان، تثقف بالثقافة الكونفوشيوسية، وتمكن في عام ١٨٣٨ من اجتياز امتحان الخدمة العامة على مستوى الدولة وحصل على لقب (جين شي)، وفي العام نفسه اصبح عضواً في اكاديمية هانلين في بكين . وفي عام ١٨٤٩ اصبح نائباً لرئيس هيئة الطقوس، وفي اوقات متعددة اصبح نائباً لرؤساء هيئات كثيرة، وكالة مما اكسبه معرفة بأمور الدولة . واستناداً الى ذلك، ولما عرف عنه من محافظته على المبادئ الكونفوشيوسية، أسندت اليه الحكومة مهمة تشكيل الجيش وان لم يكن قائداً عسكرياً. ينظر:

Immanuel C.Y. Hsu, Reading in Modern Chinese History, P.183.

(٣) ينتمي تسوتسونغ تانغ الى اسرة صينية اقطاعية من هسيانغ – ين في مقاطعة هونان، تثقف بالثقافة الكونفوشيوسية الا انه لم يتمكن من اجتياز امتحان الخدمة العامة على مستوى الدولة التي اشترك فيها في الاعوام ١٨٣٣ و١٨٣٥ و١٨٣٨. وظهرت لديه اهتمامات بدراسة كتب التاريخ والجغرافية والزراعة والستراتيجية العسكرية. وتهيأت له فرصة قراءة كتاب عن تركستان الشرقية، مما اكسبه خبرة عن مناطق المسلمين فيها، وتأثر تسو تسونغ تانغ بآراء لين تسي هسيو، في ضرورة اكتساب الخبرات والمعارف من الدول الغربية.

Ibid., PP.188-189.

صفوف كبار امراء المانشو مع الاقطاعيين الصينيين، للتغلب على حركات المعارضة والمشاكل الداخلية، ومواجهة التحديات الاجنبية[1] . ومن الممكن أن يرد ذلك الاجراء ، ايضاً ، الى أن سوشون اراد ان يتجنب الصراع القومي الذي قد ينشب نتيجة حصر مجلس الوصاية على الشخصيات المنشورية وعدم شموله مسؤولين من القوميات الاخرى ولاسيما قومية الهان . ومن المحتمل ايضا أن سوشون قد توقع ان يهونالا، المعروفة بدهائها وسعة نفوذها وتأثيرها في البلاط ، لا يمكن ان تسكت او تقف مكتوفة الايدي، إزاء حرمانها من الوصاية على ولدها الامبراطور، وانها ستخوض صراعاً ضد مجلس الوصايا . فأراد سوشون بذلك الاجراء قطع الطريق عليها وكسب الإقطاعيين الصينيين من القوميات الاخرى في البلاط الامبراطوري الى جانبه باسناد المناصب القيادية اليهم بوصفهم شخصيات صينية قوية ذات دور فاعل في التعامل مع القضايا المحلية .

وما يؤكد ذلك الاحتمال أن يهونالا دبرت مؤامرة بمساعدة رونغ لو، الذي كان احد حراس القصر، وأصبح قائداً للحرس نفسه ، والامير كونغ (١٨٣٣-١٨٩٨) الاخ الاصغر للإمبراطور السابق شيان فنغ مكنتها من القضاء على مجلس الوصايا . ففي تشرين الاول عام ١٨٦١، وقبيل اعادة نعش الامبراطور شيان فنغ ، الى العاصمة بكين، تمكنت يهونالا من المجيء سراً الى بكين بعد أن حصلت على الختم الامبراطوري الذي بغيره لايعد أي مرسوم ساري المفعول ، ودبرت بالاشتراك مع رونغ لو، والامير كونغ، امر اعتقال سوشون واعدامه في الثامن من تشرين الثاني من العام نفسه، بتهمة الخيانة العظمى في حين سُمح لتساي يوان وتوان هوى بوصفهما أميرين بالانتحار[2].

وبالاطاحة بذلك المجلس تم تشكيل مجلس وصاية ثانٍ ، تضمن الامير كونغ ورونغ لو و يهونالا التي منحت لقب (تزوهسي) أي "الام السعيدة" وهو ما عرفت به في اوساط البلاط الامبراطوري، في حين عرفت من قبل الشعب باسم "بوذا العجوز"، وفي

---

(1) Tikhvinski, Op. Cit., PP.252-253.

(2) The Empress Dowager's Influence, In: Ssu–Yu Teng, Op . Cit . , P.88; Taylor, Op. Cit., P.32.

وثائق الممثلين والسفراء الاجانب عرفت باسم "دواجر"، اي "الامبراطورة الارملة". الى جانب اختها الكبرى ، ارملة الامبراطور الثانية تزوآن التي كانت ضعيفة الشخصية وتخضع لارادة تزوهسي[١]. وعرف عهد الامبراطور الجديد تساي شيا، بعهد تونغ شيا أي عهد اعادة الوحدة والنظام للامبراطورية بالقضاء على حركات المعارضة واتباع سياسة التعزيز الذاتي التي أريد بها صبغ الصين بالصبغة الغربية[٢]. ومن دون شك كان هذا الانقلاب الذي اوصل تزوهسي لسدة الحكم الفعلي في الصين ، شكل رجحاناً لكفة المحافظين المعارضين للانفتاح والتحديث الذي وجدوا فيه تهديداً مباشراً لمكانتهم في الدولة كما سيلاحظ .

٢- حرب الافيون الثانية١٨٥٦-١٨٦٠

تزامنت تلك التحولات في البلاط الامبراطوري ، لصالح المحافظين المتمسكين بالتقاليد الكونفوشيوسية ، الذين لم تزل تسيطر عليهم فكرة تفوق امبراطورية الوسط على اولئك (البرابرة) الغربيين ، مع قيام حركات معارضة لنظام حكم المانشو . وتم استغلال ذلك من الدول الغربية ، ولاسيما بريطانيا ، التي ادركت ان معاهدة نانكنج ، التي نصت احدى فقراتها على امكانية اعادة النظر في بنودها بعد مرور اثني عشر عاماً على توقيعها[٣]، لم تحقق النجاح المرجو . فمن الناحية التجارية ، لم تحقق معاهدة نانكنج الازدهار المرجو للتجارة البريطانية ، في ظل التوسع الصناعي الكبير، فباستثناء تجارة الافيون ، لم تحقق السلع البريطانية ، ازدهاراً كبيراً . ليس بسبب تملص الحكومة الصينية من تنفيذ التزاماتها ، او ما واجهته القوات البريطانية ، من معارضة شعبية في كانتون ، فحسب ، لكن السبب الاهم يكمن في عدم امكانية توغل التجار الاجانب عموماً الى المناطق الداخلية ، مما حصر عملهم في المناطق الساحلية و في موانئ المعاهدات . ومن الناحية الدبلوماسية بقي الدبلوماسيون الاجانب ، غرباء عن بكين ، فلم يسمح لهم بموجب المعاهدات السالفة الاقامة في بكين ، بل

---

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٨٨.

(2) Taylor, Op. Cit., P. 38; Tikhvinski, Op. Cit., P.253.

(3) Prince Kung, The New Foreign Policy of January 1861, In: Ssu-Yu Teng , Op . Cit, PP.47-48 ; Paul Clyde and Burton F. Beers, The Far East, The History of the Western Impact and the Eastern Response (1830-1970), 6th Edition, Prentice-Hall, (New Jersy, 1071) , P.89.

حصرت وجودهم في موانئ المعاهدات . مع ملاحظة ان التوجهات البريطانية نحو الصين في ذلك الحين ، تأثرت بما حققته الولايات المتحدة في اليابان . إذ تمكنت من فتحها بموجب "معاهدة كاناجاوا" [١] التي وقعت في آذار عام ١٨٥٤[٢].

واستناداً الى تلك الفقرة ، وحتى تضمن رداً ايجابياً سريعاً ، قدمت ، بالاشتراك مع ممثلين عن الحكومتين الفرنسية والامريكية في عام ١٨٥٤، مذكرة تضمنت مطالب متعددة ، ولوحت في الوقت نفسه باتخاذ جانب الحياد من حركات المعارضة ولاسيما ثورة التايبنغ ، في حال الاستجابة لمطالبها التي تضمنت ما يأتي:

أ- فتح المناطق الداخلية ، والمدن الساحلية ، كافة للتجارة البريطانية وضمان حرية الملاحة في نهر اليانغتسي.

ب-إلغاء رسوم الترانسيت الداخلية على البضاعة البريطانية.

ج-السماح للسفراء الاجانب بالاقامة في بكين، وفي الاقل السماح لهم بالاتصال مباشرة بكبار المسؤولين في حكومة المانشو، من دون الاقتصار على الاتصال بنواب الامبراطور في المقاطعات.

د-الاعتراف بشرعية تجارتي الافيون والكولي[٣].

وفي ظل سيطرة المحافظين، على سلطة القرار الامبراطوري، لم يتوقع حصول رد ايجابي على هذه المطالب، التي لم تكن الحكومة البريطانية في حينها مستعدة لاستخدام القوة في تنفيذها [٤]، بسبب تأزم الوضع في القارة الاوربية نتيجة قيام

---

(١) نصت هذه المعاهدة على فتح مينائي شيمودا وهاكوداي امام السفن الامريكية، ومعاملة البحارة والتجار الامريكيين معاملة لائقة، والموافقة على تعيين ممثلين دبلوماسيين اذا رأت أي من الدولتين ضرورة ذلك، ومنح الولايات المتحدة الامريكية حق الدولة الاولى بالرعاية. ينظر :

David Stteds, China Japan and 19th Century Britain, (Ireland, 1977), PP.46-47.

(٢)

B.R.Chatterji, Modern History of China A Short History,(India,1969), P.19;
Clyde and Berrs, Op. Cit., P.89.

David Stteds, China Japan and 19th Century Britain, (Ireland, 1977), PP.46-47.

(3)Lord Clarendon, The Necessity of Treaty Revisal, Dated Feberuary 31 , 1854;
In Dun J. Li, Op . Cit . , PP.84-85.

(4)Clydand Beers,Op.Cit.,PP.88-89.

حرب القرم[1]، بين بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية من جهة و روسيا من جهة اخرى . وتريثت الحكومة البريطانية حتى توافرت لها فرصة مناسبة ، اتخذتها ذريعة لاعلان الحرب على الصين بالاشتراك مع القوات الفرنسية . وذلك حينما ألقت السلطات الصينية في الثامن من تشرين الاول عام ١٨٥٦، القبض على القارب الصيني (لوكار آرو) ــ أي السهم آروــ الذي كان يرفع العلم البريطاني[2]، وعلى متنه احد القراصنة المطلوبين للسلطات الصينية . فعدت السلطات البريطانية ذلك اهانة موجهة اليها، وطالبت بالاعتذار بشكل رسمي، غير ان رفض الحكومة الصينية لذلك اتخذ ذريعة لاعلان الحرب عليها في اواخر عام ١٨٥٦[3] من القوات البريطانية،

---

(١) قامت حرب القرم بسبب التوسع الروسي صوب البلقان والشرق الاوسط على حساب النفوذ البريطاني والفرنسي فيهما، ولاسيما بعد تمكن الروس من القضاء على نفوذ الدولة العثمانية في البلقان . واستمرت هذه الحرب للمدة بين ١٨٥٣-١٨٥٦، وانتهت بتوقيع معاهدة باريس. وبعد نهاية هذه الحرب ازدادت رغبة بريطانيا ، في فتح المناطق الداخليةمن الصين وتوقيع اتفاقيات جديدة معها بسبب الخشية من امتداد النفوذ الروسي شرقاً من أجل الوصول الى سواحل المحيط الهادي. ينظر بيير رونوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٨) ، ص٣٥٠؛ احمد عطية الله، القاموس السياسي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص٩٢٢.وللمزيد عن مجريات هذه الحرب في الشرق الاقصى ينظر:

John J. Stephan, The Carmean War in the Far East, Modern Asian Studies, Vol.3, P.274.

(٢) لغرض تعزيز التجارة البريطانية والامريكية، وتأمينها بين هونغ كونغ وميناء كانتون من خطر القراصنة، سمحت السلطات البريطانية في هونغ كونغ والسلطات الامريكية لسفن صينية مصنوعة من خشب الصندل، برفع العلمين البريطاني والامريكي ومنحتها رخص مرور، ويبدو ان القارب الصيني لوكار آرو كان قد حصل على ذلك. ينظر: Clyde and Beers, Op. Cit., P. 90; J.Y. Wong, The Arro Incident. A Reappraisal, Modern Asian Studies, Vol.8, Part 3, 1974, 374-375.

(3) Speech by the Prime Minister, Viscount Polmerston in: the House of Commons Defending the Second China War, 3 March 1857, In Joel H. Wienr, Great Britain Foreign Policy and the Span of Empire 1689-1971. A Documentary History, Christ College, Comtride, (New York, 1972), PP.2738-2739.

والفرنسية[١]، التي تذرعت بمقتل الاب شابدلين[٢]، في شباط من العام نفسه . وقد سميت هذه الحرب بحرب الافيون الثانية[٣]، واسفرت عن هزيمة الصين، وتوقيعها على معاهدات عدة ، غير متكافئة عرفت بمعاهدات تينتسين عام ١٨٥٨. إذ وقعت المعاهدة الصينية الروسية[٤] في ١٣ حزيران من العام نفسه ، والمعاهدة الصينية الامريكية في ١٨ حزيران والمعاهدة الصينية البريطانية في ٢٦ حزيران ، والصينية الفرنسية في ٢٧حزيران ، وقد اتخذتها الدول الاخرى اساساً للمطالبة بالامتيازات نفسها[٥]، ومن بين اهم ما نصت عليه:

أ- فتح سفارات للدول الغربية في بكين، مع ضمان حرية انتقال المبشرين في المناطق الداخلية من الصين.

ب- حرية الملاحة والتجارة في نهر اليانغتسي وموانئه، مع فتح احد عشر ميناء اخر للتجارة والاقامة.

---

[١] شُكلت الحملة التي قادها اللورد الجين والبارون غروز من (١٨) الف جندي، منهم (٧) آلاف جندي من القوات البريطانية، و(١١) ألف جندي من القوات الفرنسية، الى جانب (٤١) سفينة حربية، و(١٤٣) ناقلة جنود بريطانية، واكثر من (٦٠) سفينة فرنسية. ينظر: جلال يحيى، المصدر السابق، ص٦١.

[٢] بموجب المعاهدة الصينية – الفرنسية "وامبو"، التي وقعت في عام ١٨٤٤، سمح للمبشرين بمزاولة نشاطهم التبشيري ضمن حدود موانئ المعاهدات، غير ان المبشر شابدلين قام بفتح مقر للتبشير في كوانجسي، أي خارج نطاق ما سمح به، فألقت السلطات الصينية القبض عليه وقامت باعدامه هو واتباعه. ينظر: بين، المصدر السابق، ص٧١. Clyde and Beers, Op Cit.,P.89;

(3)Kennth Scott Latourette, A Short History of the Far East, Forth Edition, TheMacmilla Company, (New York, 1964), PP.371-372; I.Y. Wong, Op. Cit., P.374.

[٤] وقع الروس ايضا معاهدة اخرى في مايس ١٨٥٨ مع الصين عرفت "بمعاهدة ايكون" حصلت بموجبها روسيا على الاراضي الواقعة شمال نهر آمور واشترطت اقامة سلطة مشتركة على الاراضي الواقعة بين نهر اوسوري والبحر وهي الاراضي التي تكون الاقليم البحري في الوقت الحاضر. ينظر:

Hugh Seton Watson,The Dcline of Imperial Russia,,(London,1968),P83.

[٥] نوري عبد الحميد العاني ،المصدر السابق، ص٨٥.

ج- اعفاء الاجانب من الخضوع للقضاء الصيني، وانشاء محاكم مختلطة للنظر في الخلافات التي تقع بين الصينيين والاجانب.

د- تخفيض قيمة الضرائب المفروضة على السلع الاجنبية الى (٢,٥) بالمئة مع دفع غرامة حربية لبريطانيا وفرنسا قدرها ثمانية ملايين تايل.

هـ- امتناع الصينيين عن اطلاق اسم (البرابرة) على الاجانب[١].

الا ان هذه المعاهدات لم تكن النتيجة النهائية للحرب، التي سرعان ما استؤنفت إثر رفض الحكومة الصينية المصادقة عليها، وقيام قواتها باطلاق النار على السفن التي كانت تنقل المبعوثين البريطانيين والفرنسيين الى بكين ، لمقابلة الامبراطور[٢]، والمصادقة على المعاهدة . وكان من نتيجة ذلك ان الحقت القوات البريطانية والفرنسية خسائر جسيمة بالصين واحتلت تينتسين في آب ١٨٦٠، واتجهت نحو العاصمة بكين في تشرين الاول[٣]. فلم يجد الامبراطور شيان فنغ ، بدأ من الهرب مع زوجاته وبطانته من التيار المحافظ الداعي لمواصلة الحرب ، الى العاصمة الصيفية

(1)Treaty of Peace, Friendship, and Commercial Between the United Kingdom and China. Signed at Tien–Tsin, June 26, 1858, Foreig Office, Handbook of Commercial Treaties. Etc. With Foreign Powers, Fourth Edition, (London, 1931), PP.58-66.

(سيرمز لهذه الوثائق في الصفحات القادمة بـ F.O.)

(٢) لقد شكلت مسألة مقابلة الامبراطور الصيني، صورة من صور الصدام الثقافي بين الصين والدول الغربية، بسبب تأكيد التقاليد الصينية على ضرورة السجود للامبراطور سجود التبعية. ففيما يختص ببريطانيا، التي لم تكن تعترض على طقس السجود، قبل بعثة مكارتني (١٧٩٣) وبعثة أمهرست (١٨١٦) على اساس ان ذلك شكل من اشكال التحية، أخذت تعترض عليه أشد الاعتراض لانطوائه على معنى التبعية. فبقي ذلك الطقس عقبة في طريق إقامة بريطانيا علاقات دبلوماسية مع الصين، فاستغلت مفاوضات توقيع معاهدة تينتسين وضمنت أحد بنودها شرطاً نص على عدم استدعاء ممثل بريطانيا لاداء طقس السجود. ينظر:

Tseng–Tsai Wang, The Audience Question. Foreign Representatives and the Emperor of China, (1858–1873), The Historical Journal, Vol.XI V, 1971,PP.617-618.

(3) Clyde and Beers , Op. Cit., P. 94; Latourette, Op Cit., P.372.

جيهول التي بقي فيها حتى وفاته في ٢٢ آب عام ١٨٦١، لتجنب مقابلة المبعوثين الاجانب ، الذين رفضوا أداء مراسيم الكوتو، تاركاً امر العاصمة بكين لاخيه الاصغر الامير كونغ، الذي اصبح ابرز رجال السياسة في الصين في ذلك الحين[١].

وفي ظل هذه الظروف ، عرضت روسيا التي ارادت هي نفسها، توقيع اتفاقية جديدة مع الحكومة الصينية ، وساطتها لاجراء مفاوضات بين الطرفين[٢]. وقد اسفرت هذه المفاوضات بين الامير كونغ ممثلاً عن الحكومة الصينية والمبعوثين البريطانيين والفرنسيين ، عن توقيع اتفاقيات بكين[٣]، إذ وقعت الاتفاقية الصينية – البريطانية في ٢٤ تشرين الاول عام ١٨٦٠، والاتفاقية الصينية – الفرنسية، في اليوم التالي ، وقد اكدت اتفاقيات بكين على بنود معاهدات تينتسين، وسمحت بإقامة السفارات الاجنبية في بكين ، وأضافت تينتسين ، الى موانئ المعاهدات ، وضمنت حرية الملاحة والتجارة في نهر اليانغتسي ، في حال اقرار السلام في مناطقه ، ونصت ايضاً على تنازل الصين لبريطانيا عن جزء من شبه جزيرة كولون المواجهة لسواحل هونغ كونغ بوصفها منطقة استعمارية تابعة لهونغ كونغ، واعترفت الصين بموجبها ، ايضا ، بشرعية تجارتي الافيون والكولي ، وحرية المبشرين في ممارسة عملهم[٤] . وفي مقابل تلك الوساطة وقعت الحكومة الصينية مع روسيا اتفاقية في بكين ، في ١٤ تشرين الثاني عام ١٨٦٠، اكدت بنود معاهدة ايكون لعام ١٨٥٨، واعترفت بخضوع الاراضي

---

(1) Prince Kiung and the Tsungli Yamen, In: Ssu–Yu Teng, Op . Cit . , P.47;Clyde and Beers , Op. Cit., P. 98; Allen, Op. Cit., P.22;

نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق ، ص٨٥.

(2) Clyde and Beers , Op. Cit., P. 98; Allen, Op. Cit., P.22.

(٣) بعد ردح من الزمن وفي ظل ظروف الحرب العالمية الثانية اعلنت بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية في تشرين الاول ١٩٤٢ إستعدادهما للتخلي عن إمتيازاتهما في الصين، وتوج ذلك الاعلان بتوقيع معاهدات متكافئة مع الصين ١١ كانون الاول ١٩٤٣. ينظر: رومين، آسيا المعاصرة. العاصفة، ترجمة احمد فوزي عطا الله، دار التحرير للطباعة والنشر، مصر (د.ت)، ص١٠٣.

(4) F.O. A Germination Between the United Kingdom and China, Signed at Peking, October 24, 1860, PP.71-72.

الواقعة شرق اوسوري لسلطة الحكومة الروسية[١]، أي ان اراضي سيبريا الشرقية ما بين اورسوري والمحيط الهادىء اصبحت روسية[٢]، واقيم فيها ميناء "فلاديفو ستك" الذي يسيطر على كل الساحل الشمالي الشرقي لآسيا[٣].

مما تقدم يتبين أن حرب الافيون الثانية وما أسفرت عنه من نتائج عبرت عن تعدد جوانب الصراع بين الصين المتمسكة بنظرية امبراطورية الوسط والدول الغربية التي سعت الى تعزيز مصالحها في الصين ، وتوسيع حجم التبادل التجاري ، وأرغامها على التخلي عن سياسة العزلة وتكوين علاقات دبلوماسية ادعت انها قائمة على مبدأ المساواة . فبأستثناء حق التمثيل الدبلوماسي للدول الموقعة على تلك المعاهدات ، كانت البنود الاخرى انتهاكاً واضحاً لسيادة الصين . وفضلا عن ذلك أن اقرار بنود هذه الاتفاقيات من الامير كونغ ، بوصفه ممثلاً عن الحكومة الصينية، لا يمكن تسويغه الا بالعجز التام للقوات الصينية عن مواجهة التدخل الاجنبي، الذي تزامن مع حركات المعارضة التي استهدفت القضاء على حكم المانشو . في وقت لم تكن فيه الحكومة الصينية قد اعدت نفسها لمثل هذه المواجهة . ثم انها رأت أن الدول الغربية، التي لم تستهدف القضاء على سلطة المانشو، كانت اقل عداوةً من ثورة التايبنغ التي استهدفت القضاء عليها، فتصافحت معها ومنحتها الامتيازات على امل المساعدة في القضاء على تلك الثورة . بدليل انها ضمنت بعض بنود الاتفاقيات شرطاً قضى بعدم فتح مناطق اليانغتسي للتجارة والملاحة الا في حالة (إقرار السلام) في المناطق المتنازع عليها مع

---

(1) Treaty of Peking 1860, In Dun J.Li, Op . Cit. , PP.181-182.

(٢) لم تتخل روسيا عن تلك المعاهدات غير المتكافئة مع الصين حتى عشرينات القرن العشرين، إذ اعلنت برسائل وجهتها الى الصين حكومة وشعباً عام ١٩١٩ عن رغبتها في الغاء تلك المعاهدات وعقد معاهدات جديدة تقوم على اساس المساواة بين البلدين. ينظر: يوري ستراخوف، الثورة الاشتراكية وشعوب الشرق دراسة تأريخية، ترجمة النور، دار الحقيقة، بيروت ١٩٥٨، ص٢٢-٢٣.

(3)Hugh Soton-Watssn,Op . Cit . , P83 ;

Violet Conolly, The Soviet Far East and Siberia. Impressions of Recent Visit, Asian Affairs, Journal of Royal Society for Asian Affairs, Vol. XII. Part l, February, 1981, P.37.

التايبنغ . مما يعني بطبيعة الحال ان تلك الاحداث تركت بصماتها على الوضع السياسي الداخلي للبلاد في تلك المدة والآماد اللاحقة كما سيتضح ذلك تباعا .

ثانياً - ثورة التايبنغ ١٨٥٠ - ١٨٦٤

١ - قيام ثورة التايبنغ وموقف الحكومة منها حتى عام ١٨٥٦

لا بأس من التذكير بأن "جمعية عباد الله"، التي تزعمها هونغ هسيو تشوان، قد كونت، منذ اواخر النصف الاول للقرن التاسع عشر، جبهة مضادة لأسرة المانشو، واخذت تتحين الفرص لاعلان الثورة عليها في الوقت المناسب . وفي حزيران عام ١٨٥٠، لاحظ هونغ امكانية استثمار حالة السخط العام ، الذي نجم عن المجاعة التي انتشرت في الاقاليم الجنوبية، بسبب الكوارث الطبيعية[١]، وتدني مستوى الخدمات العامة[٢]، التي تزامنت مع ازدياد حجم النزاعات المحلية، فيما بين قبائل الهاكا وقبائل البانتى حول ملكية الارض، فأعلن نصرته لقبيلته ـ الهاكا ـ وتزايد تبعاً لذلك عدد اتباعه، فتشجع على دعوتهم للتجمع في قرية جنتنيان، الواقعة في مقاطعة قويبانغ في اقليم كوانجسي، لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لاعلان الثورة[٣].

وقد لبى نداء هونغ، قرابة الثلاثين الفاً بين رجل وامرأة اغلبهم من الفلاحين وعمال المناجم، فاعلن هونغ في الحادي عشر من كانون الثاني عام ١٨٥١، الثورة ضد اسرة المانشو، ودعا لإقامة "مملكة السلام السماوي العظيم" (تايبنغ تين كو)[٤]

---

(١) تكرر حدوث الجفاف في مقاطعة كوانجسي خلال الاعوام ١٨٤٨ و١٨٤٩ و١٨٥٠، وهو الامر الذي سبب تراجعا كبيرا في كمية المحاصيل الغذائية، وأدى الى انتشار المجاعة فيها.ينظر:

Wakeman, Op. Cit., P. 127.

(2) Warn S. Thompson, Population Prospects for China and Southeastern Asia, The Annals of the American Academy Political and Social Science, Vol.237, 1945, PP.74-75.

(3) Li Hsiu– Cheng, The Beginning of Rebellion, In: Dun J. Li, Op . Cit . PP.119-120; Ping–Ti Ho, Studies on the Population of Chine (1368-1953), Harvard University Press, (N.D.), PP.167-169.

(4) S.Y. Teng and Others , The Taiping Rebellion and the Western Powers, Oxford University Press, 1971, P.68; Foreign Languages Press, Handbook on People's China, Peking, 1957, PP.30-31.

واعلن، في الوقت نفسه، تنظيماً عسكرياً، اوجب فيه على الثوار الفصل بين افواج الرجال وافواج النساء بإقامة مخيمات خاصة لكل منهما . واطاعة الاوامر السماوية ، أي الصادرة عن (الملك السماوي) هونغ، وحثهم على التعاون فيما بينهم، وحذرهم من الاعتداء على مصالح الشعب(١). وقد ميز جنود التايبنغ انفسهم بعصب رؤوسهم بعصابة حمراء وعبروا عن نبذهم تقاليد المانشو، الذين فرضوا عليهم ارسال شعورهم، بشكل ضفائر طويلة الى الخلف، بتركهم شعر رأسهم مسترسلاً طويلاً، حتى اطلق عليهم المانشو اسم (اللصوص ذوو الشعر الطويل)(٢).

وبناءً على ما تقدم، زحفت قوات التايبنغ بأتجاه الشمال في مقاطعات هونان وهوبي وأنهوى . ويبدو ان دقة تنظيمها وحماستها مكنتها في أول الامر من تحقيق انتصارات متعددة على القوات الحكومية والمحلية ، واحتلال المدن . ولكسب مزيد من الانصار، ارسل هونغ الى الارياف مندوبين عنه، لدعوة الفلاحين للانضمام الى الثورة، موضحين لهم ان غاية الثورة تحقيق المساواة بين الجميع، وان من ينظم اليها سيزود بالطعام واللباس بشكل مستمر(٣). ولكن يبدو ان ما شجع الفلاحين على الانضمام على نحو واسع، هو ما كانت تقوم به قوات التايبنغ، في اثناء توسعها، من عمليات الاستيلاء على املاك الموظفين وملاك الاراضي والقضاء عليهم ، باعدامهم على مرأى من الناس، واعادة تقسيم اراضيهم بين الفلاحين، وتوزيع جزء من اموالهم على الفقراء، وايداع مابقى منها في (الخزانات المقدسة) التي أعدتها لذلك . فضلاً عن قيامهم بإحراق سجلات الضرائب والسجلات الخاصة بالعقارات، وامتناعهم عن اخذ الضرائب من الفلاحين مدة ثلاث سنوات(٤)، موجهين بذلك ضربة قوية للاقطاعيين الذين استنزفوا مقدّرات الفلاحين المالية . ولكن الاهم من ذلك ان التايبنغ نجحوا في الامساس بالأساس

(1) S.Y. Teng, Op . Cit , P.69; R.S. Gupte, History of Modern China. Nationalism and Communism China, Sterling Publishers P V T. LTD., (New Delhi, 1974), PP.75-76.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق ، ص٩٣.

(3) Li Hsiu – Cheng , The Beginning of Rebellion, P.120.

(4) Ibid., P.117-118; Macaleavy, Op. Cit., P.73.

الآيديولوجي الذي أستند اليه البيروقراطيين في أمساكهم بالسلطة ، وذلك بحرقهم لمعابد الكونفوشيوسية، وتدمير صور كونفوشيوس[١]، والالواح الخاصة بالاسلاف التي تمسك بها البيروقراطيون بوصفها تمثل أسلافهم الذين يمدونهم بالسلطة [٢].

وفي الوقت الذي عُدَّ فيه استهداف التايبنغ لمعابد الكونفوشيوسية تهديداً قوياً للنظام الاقطاعي، وشجع الفلاحين على الانضمام اليهم، لم يكن يتوقع، في الوقت نفسه، تأييداً كبيراً من لدن الطبقة المثقفة او حملة الشهادات، لان طبيعة الثقافة والتوجهات التي حملوها هي كونفوشيوسية، ولذلك لم يكونوا مؤهلين فكرياً لقبول اهداف ثورة التايبنغ ومبادئها.

ويبدو ان التطور السريع لاحداث الثورة، اوجب ايجاد نوع من التنظيم الاداري، فقام هونغ، الذي لقب نفسه بـ "الملك الاله" بمنح لقب "وانغ" – أي الملك –، لأتباعه الاوائل، الذين اصبحوا بمثابة هيئة إستشارية للملك الاله، وهيئة وزارات على غرار الوزارات الست في الامبراطورية الصينية[٣] . فاصبح يانغ هسيو تشينغ ملك الشرق، قائداً اعلى للقوات المسلحة، وهسيو تشاو كوي ملك الغرب ، نائباً للقائد الاعلى للقوات المسلحة، وفينغ يونشان ملك الجنوب، قائداً عاماً لمقدمة الجيش، ووي تشانغ مو ملك الشمال، قائداً عاماً لمؤخرة الجيش، اما شياه تاكاي فانه عين مساعداً للملك الاله[٤]. واصبح لكل منهم محاكم خاصة وحاشية وموظفين يأتمرون بامرهم وينتهون بنهيهم[٥] . إن هذا النوع من الاستقلالية بالاتباع والحاشية، اوجد بلا شك تكتلات حول هؤلاء الملوك ومهد لحدوث منافسات ومن ثم صراعات على السلطة فيما بينهم كما سيتضح .

---

(1) Roy,Op.Cit.,P.140.

(٢) وولف، المصدر السابق، ص١٢٦؛

Coye and Livingston, Op. Cit., P. 19.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ٩٣؛

Franke, Op . Cit , PP.28-29.

(4) Li Hsiu–Cheng , The Beginning of Rebellion , PP.120-122.

(٥) مملكة تايبنغ، ص٢٩.

وفضلا عن ذلك اعلنت حكومة التايبنغ (التقويم السماوي) الذي جعل الاشهر الزائدة (٣١) يوماً، والاشهر التامة (٣٠) يوماً، جاعلاً السنة (٣٦٦) يوماً كاملاً . وقد انطوى هذا التقويم على اهداف سياسية وايديولوجية ، إذ ألغى النظام القديم للتقويم[١] وفقاً لسني حكم الملوك والاباطرة، وذلك منذ السنة الاولى لحكم الامبراطور شيان فينغ ، زيادة على أنه دحض الافكار الخرافية التي تقول إن هناك اياماً محظوظة ، واخرى غير محظوظة في التقويم القديم[٢].

وفي اثناء زحف التايبنغ بأتجاه الشمال أصدروا بيانات متعددة . فلدى استيلائهم على قلعة داتشو الواقعة جنوبي هونان في ١٢ حزيران عام ١٨٥٢، اصدر ملك الشرق يانغ هسيو، وملك الغرب هسيو تشاو كوي ، ثلاثة بيانات دعت للمشاركة في الثورة للاطاحة بحكم أسرة المانشو والنظام الاقطاعي الجائر، واكدت ضرورة اطاعة الاوامر السماوية ونبذ الاوثان، وضرورة إقامة جهاز إداري نزيه، يخفف من آلام المواطنين، ووجهت الدعوة الى الجمعيات الاخرى للانضمام للثورة، ولاسيما "جمعية السماء والارض" . والواقع أن هذه البيانات كان لها صداها في اكثر المقاطعات، واستجاب لها مئات الالاف من الفلاحين الذين انضموا الى الثورة، املاً في انصافهم[٣].

وبعد ان اعاد التايبنغ تنظيم صفوفهم[٤] في قلعة داتشو، واصلوا زحفهم بأتجاه مقاطعات هوبي، فدخلوها في ١٢ كانون الثاني عام ١٨٥٣، وآنهوي التي دخلوها في شباط . وحاولت الحكومة مراراً وضع حد لتقدم التايبنغ ، من خلال تعيين موظفين موالين لها، حكاماً للمقاطعات الوسطى والجنوبية، ومدهم بالاسلحة والرجال ، الا ان تلك الامدادات كانت دون المستوى المطلوب . لذا، لم تستطع ان تضع حداً لتقدمهم، وتوقعت ان يستمر زحف التايبنغ شمالاً ، الا انهم خلافاً لذلك اتجهوا نحو مدينة نانكنج

---

(١) امتاز التقويم الصيني في العصر الامبراطوري بسرعة تبدله، إذ كان لكل إمبراطور تقويمه الخاص يبدأ في اليوم الاول من حكمه وينتهي في اليوم الاخير منه . فيؤرخ الحدث على أنه وقع في اليوم كذا من الشهر كذا من السنة كذا من حكم الامبراطور. ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٦؛ مجلة الضياء، السنة الرابعة، الجزء الاول ، تشرين الثاني ١٩٠١، ص٥٨٥-٥٨٦.

(٢) مملكة تايبنغ، ص٢٩؛ مجلة النجم، الجزء ٢٤، آب ١٩٠٠، ص٧٤١.

(3) S.Y. Teng . Op . Cit , PP.81-83.

(٤) اشتمل جيش التايبنغ في هذه المرحلة على خمسمئة الف مقاتل، وعشرة آلاف سفينة شراعية مصنوعة من الخيزران، وانقسم الى قسمين بري وبحري. ينظر: Tikhnivski, Op. Cit., P.173.

اكبر مدن الصين الوسطى والعاصمة المقدسة لاسرة المينج ، ودخلوها في ٢١ اذار[١] . وفور ذلك صدرت بيانات والصقت منشورات، حملت ختم ملك الشرق يانغ هسيو تشوان، **الذي دعا فيها السكان لعبادة الله، واطاعة حاكمهم المطلق ملك السماء،** والالتحاق بجيش التايبنغ لتوحيد الصين تحت حكمه[٢].

وفي ٢٩ آذار دخل هونغ مدينة نانكنج في وسط احتفال مهيب، محمولاً على محفة حملها (١٦) رجلاً وتتبعه ثلاثون امرأة على ظهور الخيل، ونزل في قصر تخدمه اكثر من ثلاثمائة امرأة فضلا عن عدد كبير من المحظيات . وفي اليوم نفسه اعلنت نانكنج عاصمة لـ "مملكة السلام السماوي العظيم"، وبذلك انقسمت الصين الى دولتين: دولة المانشو في الشمال وعاصمتها بكين، ودولة التايبنغ في الجنوب وعاصمتها نانكنج[٣] . وفي مملكتهم الجديدة ادعى التايبنغ ان الرب هو (الاب السماوي)، والمسيح هو (الاخ الالهي الاكبر)، وهونغ هسيو تشوان (الاخ الالهي الاصغر)[٤]. والملاحظ ان استقرار التايبنغ في نانكنج واتخاذها عاصمة لمملكتهم ذات الصبغة الدينية المسيحية، لم يكن في صالحهم من حيث التكتيك العسكري، على الرغم من اهمية ذلك في ايجاد قاعدة ثابتة لمملكتهم . إذ اعطى المانشو فرصةً لاعادة بناء قوتهم واتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة التحديات المقبلة . ثم إن ادعاء هونغ بأنه (الاخ الالهي) الاصغر للسيد المسيح (عليه السلام) أثار احتجاج عدد من المبشرين ضدهم ، اذ هالهم ما وجدوه من أخطاء في تطبيق المسيحية لدى التايبنغ، فحثوا حكوماتهم على عدم تقديم الدعم لهم، كما سيبين تباعا.

والملاحظ ايضا ان التايبنغ، عند زحفهم نحو الشمال، خلفوا وراءهم نقاط ضعف متعددة، منها انهم لم يؤسسوا قواعد عسكرية ثابتة في المناطق التي استولوا عليها ،

---

(١) مملكة تايبنغ ، ص٣٤-٣٦؛ S. Y. Teng , Op. Cit . , PP.88-91; Gupt, Op. Cit., P.16.

(2) Chang Ju-Nan, The Day When the Taipings Arrived at Nanking, In: Dun J. Li, Op . Cit . , PP.121-122.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق ، ص٩٤، ٩٦.

(4)Clyde and Beers , Op. Cit., P.86.

وهو الامر الذي مكن حكومة المانشو من اعادة سيطرتها عليها[١] . زيادة على أن اتباعهم سياسة الارض المحروقة في الاماكن التي مروا بها ، اضعفت حجم الامدادات الواصلة اليهم، ودمرت الكثير من الاراضي الزراعية الخصبة[٢]. وقد يرد السبب في ذلك الى استهانة قيادة التايبنغ بالقوات الحكومية التي شككوا بقدرتها على استعادة سيطرتها على تلك المناطق التي أبدى سكانها تأييدهم للتايبنغ . وفضلا عن ذلك قد تكون رغبتهم بجمع أكبر عدد من المقاتلين دفعتهم لاحراق اراضيهم ليقطعوا عليهم بذلك طريق التراجع عن الثورة .

ولزعزعة استقرار (العاصمة السماوية) نانكنج ومنع امتداد الثورة الى المقاطعات الوسطى والشمالية، عمدت حكومة المانشو الى إقامة معسكرين بالقرب منها، "المعسكر الكبير جنوبي اليانغتسي" شرقي العاصمة السماوية ، و"المعسكر الكبير شمالي اليانغتسي" الى الغرب منها . وكان الاول يضم (٣٠٠٠٠) رجل بقيادة شيانغ دونغ ، اما الثاني فكان بقيادة تشي شان حاكم اقليم هونان . وقامت الحكومة ايضا بحملة واسعة لتشجيع حكام المقاطعات وملاك الاراضي والعقارات والتجار، على حمل السلاح ، ومساندة الجيش النظامي في القضاء على الثورة ، ووعدتهم بأجور ومكافآت كبيرة[٣] . وفي الوقت الذي وضع فيه قادة مملكة التايبنغ أُسس تنظيم مملكتهم وحمايتها ، ادركوا عدم امكانية استقرار مملكتهم السماوية، فارسلوا حملتين عسكريتين في آيار عام ١٨٥٣، عرفت الاولى باسم "الحملة الشمالية"، والثانية باسم "الحملة الغربية" . وتمكنت الحملة الاولى التي كان عددها بين (٢٠-٤٠) الف مقاتل ، بقيادة لي كاي فنغ ولين فنغ شيانغ ، من اختراق مقاطعة آنهوي، ولدى وصولها مقاطعة هونان تلقت دعماً من حركة معارضة اخرى تدعى "تين في"[٤] . وتمكنت الحملة الشمالية بعد ذلك من اختراق مقاطعتي شنسي وتشيلي، وهو الامر الذي تسبب في ذعر الحكومة فأعلنت الاحكام العرفية . وتهيأ الامبراطور للهرب من بكين، التي هرب منها

---

(١) مملكة تايبنغ، ص٦٢-٦٥.

(2) Li Hsiu–Cheng , The Beginning of Rebellion , P.120 .

(3) S.Y. Teng . Op . Cit . , PP.88-91; Green, Op. Cit., PP.94-95.

(4) Foreign Languages Press , China Handbook Series , Beijing , 1982 , P.103

أكثر من (٣٠) ألف من الموظفين وملاك الاراضي، بسبب اقتراب التايبنغ منها، الا أنهم لم يتمكنوا من مواصلة زحفهم تجاه بكين، نظراً للمقاومة التي ابدتها القوات الحكومية . فانحدرت قوات التايبنغ شرقاً نحو تينتسين، التي تبعد نحو مئة كليو متر عن بكين، وهي ابعد ساحة قتال وصلوا اليها[١] . ويبدو أن التايبنغ قد وقعوا في خطأ استراتيجي كبير، بانسحابهم نحو تينتسين، وأضاعوا فرصة ذهبية لتحقيق هدفهم بالإنقضاض على العاصمة بكين وإسقاط الحكومة فيها، ولكن أكان رد القوات الحكومية العامل الوحيد في إفشال الحملة الشمالية، ام أن هناك عوامل أخرى ادت الى فشلها ؟ الواقع أن هناك عوامل عدة أدت الى تعثر في الحملة الشمالية وفشل التايبنغ في هذه المرحلة ، تأتي في مقدمتها قلة اعداد الجنود في هذه الحملة، إذ لم يكن يتجاوز عددهم اربعين الف مقاتل ، وبرودة الجو في المقاطعات الشمالية، التي لم يكن جنود التايبنغ القادمون من الجنوب قادرين على تحملها ، ولاسيما مع انعدام الامدادات نتيجة لقطع خطوطها من القوات الحكومية . ونتيجة لذلك اضطر التايبنغ الى الاعتماد في تموينهم على الغنائم التي حصلوا عليها من العدو، والتي لم تكن تسد حاجة هذا الجيش[٢]، لافتقار هذه المقاطعات نفسها للموارد الغذائية[٣]. ويمكن ان يزاد سبب آخر لا يقل اهمية عما ذكر، وهو اختلاف لهجة الجنوبيين عن لهجة الشماليين، مما حال دون تفهم الشماليين وتقبلهم لاهداف هذه الثورة ومبادئها[٤]، زيادة على ان اغلب المقاطعات الشمالية، بسبب سيطرة حكومة المانشو عليها، كانت موالية للحكومة المذكورة[٥].

---

(١) مملكة تايبنغ، ص٥٢-٥٣؛

Macaleavy, Op. Cit, P.76; Macgowan, Op. Cit., P.574.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P. 178; Franke, Op. Cit., P. 30; Macaleavy, Op. Cit., P.76.

(3) Ramon H. Myers, Socio- Economic Chang in Villges of Manchuria During the Ch'ng and Republican Periods Some Preliminary Findings, Modern Asian Studies, Vol.10, Part 4, 1976, PP.591-592.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P. 178; Franke, Op. Cit., P. 30; Mcaleavy, Op. Cit., P.76.

(5) Gerald, Op. Cit., P.97 .

أما الحملة الغربية، التي سارت الى الغرب على طول نهر اليانغتسي وكان قوام اسطولها نحو الف سفينة، مزودة بالمدافع، بقيادة هويي هوانغ، ولاي هاييتغ وآخرين، واستهدفت قطع اتصالات حكومة المانشو مع المناطق الواقعة جنوب نهر اليانغتسي ، فقد حققت انتصارات متعددة، وتمكنت من دخول آنهوي في كانون الثاني عام ١٨٥٤، وهوبي في شباط من العام نفسه . وفي آذار توغلت قوات هذه الحملة في هونان ، لكنها واجهت مقاومة من قوة محلية جديدة هي جيش هونان ، مماضطرها للانسحاب من هذه الجبهة والاتجاه لفك الحصار، الذي فرضه المعسكران اللذان أنشأتهما الحكومة، حول العاصمة السماوية[1].

وقد يثار سؤال عن طبيعة تلك القوة المحلية الجديدة قيادةً وتنظيماً وتسليحاً ؟ والواقع أن حكومة المانشو التي كانت على حافة الانهيار، شجعت حكام المقاطعات والموظفين وملاك الاراضي على تشكيل جيوش محلية ، ولاسيما أن هؤلاء ارتبطت مصالحهم ببقاء النظام السياسي والاجتماعي الكونفوشيوسي القديم، حيث يبقى الامبراطور مقدساً، والحكام الاقطاعيون يستمدون سلطتهم من اجدادهم المقيمين في السماء بحسب زعمهم [2] . فبرز من بين أولئك كل من تسنغ كوفان، وتسو تسونغ تانغ، ولي هونغ تشانغ[3] (١٨٢٣-١٩٠١) ، الذين عرفوا بأنهم اشد مناصري سياسة التعزيز الذاتي[4]. ففي عام ١٨٥٢ استدعى حاكم مقاطعة هونان تسنغ كوفان ، بأمر

---

[1] مملكة تايبنغ، ص٥٥-٥٦؛ China Handbook Series , P. 104.

(2) Immanuel C.Y. Hsu, Reading in Modern China History, P.171.

[3] ولد لي هونغ تشانغ عام ١٨٢٣ في اسرة صينية في مدينة لوتشو في مقاطعة آنهوي، وتم تبنيه من أسرة أخرى تدعى لي. تمكن في عام ١٨٤٤ من اجتياز امتحان الخدمة العامة على مستوى المقاطعة. وسافر بعدها الى بكين وتتلمذ على يد تسنغ كوفان، حتى اجتاز امتحان الخدمة العامة على مستوى الدولة في عام ١٨٤٧، وأصبح عضواً في اكاديمية هانلين. ومنذ ذلك التاريخ عرف لي هونغ تشانغ بأنه من أشد المعجبين بتسنغ كوفان ومريديه. ينظر: Ibid, PP.145-149.

(4) Kwang–Ching Liu, The Confucian As Patriot and Pragmatist. Li Hung–Chang's Formative years 1823-1866, Harvard Journal of Asiatic, Vol.30, 1970, PP.8-9; The Taiping Rebellion 1851-64, File://D:\Modern%2Era%211, P.3.

امبراطوري، للقيام بتجنيد المليشيات المحلية للمساعدة في قمع الثورة والمحافظة على النظام السياسي والاجتماعي القديم . فلبى تسنغ كوفان الدعوة ، وحضر الى تشانغ شا مركز مقاطعة هونان ، وقدم مشروع انشاء قوات مدربة ومسلحة جيداً ، واوضح فيه ان العبرة ليس في حشد العدد الكبير من الجنود ، وانما العبرة في التدريب الجيد والتسليح ، موضحاً ان الظروف التي مرت بها الصين، اظهرت مدى ضعف المؤسسة العسكرية وتخلفها[١].

واستناداً الى ما تقدم، بادر تسنغ في كانون الاول عام ١٨٥٣، الى اعداد وتدريب جيشه، الذي اتخذ من هونان مركزاً له، وذلك بالاستعانة بخبرات الدول الغربية وحثه على التمسك بالمبادئ الكونفوشيوسية . إذ ادرك تسنغ ان تخلف المؤسسة العسكرية الصينية كان سبباً مهماً في تردي وضع البلاد الداخلي، فحاول ان يتخطى هذه العقبة في اعداد جيشه بالاستعانة بخبرة الدول الغربية[٢] . ومع أن البعض رأى في تلك الاستعانة أنها مسألة ثانوية في اعداد هذا الجيش[٣]، يمكن القول إنها في الواقع كانت اساسية ومهمة، كما أثبتت ذلك الاحداث . وفضلا عن ذلك أن تسنغ ادرك أبعاد الصراع الذي خاضه التايبنغ ضد حكم المانشو ، ولاسيما البعد العقائدي الذي كفر بالمبادئ الكونفوشيوسية، فعمد الى تعبئة جيشه بالمبادئ الكونفوشيوسية التي تضمن بدورها بقاء النظام السياسي القائم .

وليضمن تسنغ كوفان عدم تمرد الجيش وانسياقه وراء حركات المعارضة، اعتمد في اختياره جنوده اسلوب الولاء الشخصي له، لا على ايمان منهم بقضية وطنية . فحاول أن يبعث فيهم روح الثأر لمعتقداتهم بأشاعته أن التايبنغ يحاربون الديانات البوذية والتاوية وهي الديانات السائدة في اوساط الشعب، ولا بد من الدفاع عنها، وقد اثبتت هذه السبل فاعليتها في تعبئة الجنود، وتحقيق سلطة محلية قوية على حساب السلطة المركزية[٤].

---

(1) Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.141; Clyde and Beers, Op. Cit., P.156.

(2) S.Y. Teng, Op . Cit . , P. 135; Richard J. Smith, Foreign–Training and China's Self-Strengthening, Modern Asian Studies, No.10, 1979, P.195.

(3) Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.107.

(4) Jonathan Porter, Tseng Kuo-Fan's Private Bureaucracy, Center for Chinese Studies, University of California Press, (N.D.), P. 37; S.Y. Teng, Op . Cit . , P.137; Macaleavy, Op. Cit., P.75.

وقد جرى تنظيم هذا الجيش على هيئة كتائب ، تتألف الواحدة منها، التي يقودها آمر كتيبة، من (٥٠٠) جندي، يسمون "الابناء" و(٥) ضباط يسمون "الاباء"، ومن موظفين وملاك اداري. وكان يشترط بالجنود المنضمين لصفوف هذا الجيش، ان لا يحملوا اية اتجاهات معادية للحكومة، قبل انظمامهم له وبعده ، كما اشترط فيهم أبتداء أن يكونو من سكنة مقاطعة هونان . وقد شجعت الاجور العالية، التي كانت تمنح للجنود وهي توازي ثلاثة اضعاف ما كان يمنحه الجيش الحكومي[1]، الكثير من ابناء المقاطعات الاخرى على الانضمام اليه، فازداد عدده من (١٧) ألف جندي في عام ١٨٥٣ الى (٦٠) ألف جندي في عام ١٨٥٦[2].

وزيادة على هذا الجيش ، نظم لي هونغ تشانغ احد مريدي تسنغ كوفان مليشيات محلية اخرى في مقاطعة انهوي . وكانت الاسس التنظيمية لهذا الجيش تشبه الى حد كبير تلك التي قام عليها جيش هونان، باستثناء التوجه العقائدي . إذ لم يكن قوياً بما فيه الكفاية. وفي مقاطعة هوبي، أنشأ تسو تسونغ تانغ، مليشيا محلية انظم اليها رجال من هونان والمقاطعات الاخرى عرفت بجيش هوي، فضلا عن جيوش وميليشيات شُكلت في المقاطعات الاخرى[3].

وفي السياق نفسه، تجدر الاشارة الى أن قوة هذه الجيوش كانت تكمن في دقة تنظيمها وادخال العلوم العسكرية ضمن مناهج اعدادها، فضلا عن قوة الجانب العقائدي لدى بعضها . أما تمويل هذه الجيوش فكان من مصادر متعددة ، فجيش هونان حظى

---

(١) شهدت القوات الحكومية في تلك المدة تدهوراً كبيراً في ادائها العسكري، الذي يعزى في احد جوانبه الى الاهمال الذي عانى منه الجيش وتردي مستوى التدريب والتسليح، والانخفاض الكبير في مستوى الاجور الذي لا يتناسب مع مستويات الاسعار في ذلك الحين. مما دفع الكثير من الجنود الى ترك صفوف الجيش، الذي شهد تدنياً في معنويات افراده . ولم يحاول قادة صفوفه وضباطه الذين غلبت عليهم صفة الارتشاء والفساد، تعويض النقص الحاصل في صفوف الجيش، إذ أخذوا يحتفظون لأنفسهم بمرتبات الجنود الذين تركوا اماكنهم. ينظر:

Immanual C.Y. Hsu, Reading in Modern China History, PP.179-180.

(2) Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.140.

(٣) روبرت باين، ماوتسي تونغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٦، ص١٩؛

Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.140; Kwang–Ching Liu, Op. Cit., PP.5-6.

بتبرعات الأرستقراطيين والتجار ، في مقاطعة هونان . أما جيش هوى فموله رجال اعمال شنغهاي ومقاطعة كيانغسو . ومع ذلك ، لم تكن هذه التبرعات تكفي لإدامة هذه الجيوش ، ولم يكن بامكان الحكومة، نظراً لضعف واردات الخزينة، إدامة الجيش الحكومي في هذه المقاطعات ، ولا امداد الجيوش المحلية بالمساعدات، لذلك صدرت مراسيم امبراطورية قضت باعتماد هذه الجيوش على مصادر التمويل الذاتي ، من خلال فرض ضرائب جديدة، في هذه المقاطعات ، وتسخيرها لخدمة المجهود العسكري[1]. لذا، تمت زيادة ضرائب جديدة كان اهمها "ضريبة ليجين"[2] ، أي الالف ، و كانت تفرض على البضائع التجارية المنقولة عبر المقاطعات[3]. وعلى نحوعام وقع عبء هذه الضرائب على سكان المناطق التي لم تقم فيها الثورة، وهو الامر الذي اثقل كاهل الفلاحين والتجار، واثر سلباً على حجم التجارة الداخلية التي تأثرت بظاهرة عدم الاستقرار . وقد تمكنت هذه الجيوش من عرقلة مسيرة الحملة الغربية للتايبنغ و سهلت مهمة الدفاع عن بكين التي هددتها قوات الحملة الشمالية . فضلاعن ذلك لم يتمكن جيش التايبنغ من فك الحصارالذي فرضه المخيمان الشمالي والجنوبي على العاصمة السماوية ، الا بعد ثلاثة اعوام من القتال . ففي عام ١٨٥٦ تمكن التايبنغ من القضاء على هذين المخيمين وفرض سيطرتهم على المنطقة الشرقية من مقاطعة هوبي ومعظم مقاطعة كيانغسي وآنهوي، غير ان ما حال دون استمرار توسعهم في هذه المدة، نشوب الصراع الداخلي بين اعضاء قيادة التايبنغ[4]، كما سيوضح تباعاً.

٢-تنظيم مملكة التايبنغ

في ٢٩ آذار عام ١٨٥٣، اعلن التايبنغ نانكنج عاصمة لمملكة التايبنغ، وأطلقوا عليها اسم "تيانشنغ" أي (العاصمة السماوية) ، وكان ذلك بداية لارساء دعائم حكم

---

(1) Chesneaux and Others, Op . Cit . , PP.141-142.

(٢) الملاحظ هنا أن الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية، اشترطت على السلطات الحكومية والمحلية الصينية عدم فرض هذه الضريبة على تجارة الافيون في المناطق الداخلية حفاظاً على مصالحها . ينظر:

Allen, Op. Cit., P.21.

(3) Clyde and Beers , Op. Cit., P.157.
Chesneaux and Others, Op . Cit . , PP.141-142 .

(٤) مملكة التايبنغ، ص ٦٢-٦٧؛

مملكتهم[١]، التي حاولوا الذهاب في تنظيمها مذهباً مختلفاً عما كان سائداً في نظام حكم المانشو . مستهدفين في ذلك القضاء على النظام الاقطاعي واقامة نظام حكم مستوحى من انظمة الاسر القديمة[٢]. ويتبين من ذلك ان التايبنغ بالرغم من تأثرهم الفكري بالدول الغربية، لم ينقطعوا عن التراث الصيني، ولم يترفعوا عن الرجوع الى نظام حكم الاسر الصينية القديمة، واستلهام افكاره لدى وضعهم قوانين تنظيم شؤون مملكتهم، كما هو واضح في المنهاج الزراعي الذي سن في عام ١٨٥٣.

سياسيا سعى التايبنغ لاقامة نظام حكم ملكي ثيوقراطي، يستمد فيه هونغ هسيو تشوان، الذي اعلن نفسه ملكاً من جديد في عام ١٨٥٣، سلطته من السماء بحسب زعمهم وهو يجمع بين يديه السلطات التشريعية والتنفيذية، نظرياً فحسب[٣]. إذ كان الى جانبه ملوك الجهات الاربع، الذين أُشير اليهم سابقاً ، زيادة على عدد كبير من الامراء الذين أنيطت بهم مسؤولية تقديم المشورة الى الملك . الى جانب ذلك، كان هناك الجهاز التنفيذي المعروف "بديوان الدولة"، الذي مثل السلطة المركزية في المملكة وترأسه ملك الشرق يانغ هسيو تشوان. وتكون هذا الجهاز من ست وزارات، على غرار وزارات حكومة المانشو، وهي الدرجات الاتية : (الشؤون المدنية) والضرائب، والتشريعات العسكرية والشؤون الجنائية، والاشغال العامة[٤] . والواقع ان يانغ هسيو تشوان الذي سيطر على هذا الجهاز، تمكن من انتزاع السلطات التشريعية والتنفيذية، من ايدي الملك هونغ، الذي بقي يسود ولا يحكم[٥].

ولتنظيم الجيش والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، سن التايبنغ "قانون التنظيم السياسي والاجتماعي لمملكة التايبنغ" المعروف باسم "المنهاج الزراعي" . وبموجب هذا القانون قسم المجتمع الى معسكرات قتالية ومعسكرات مدنية عمالية . ففيما يتعلق

---

(1) Our Staff Writer, The Awakening of the Giant, Eastern Horizon, Vol.XV1, No.1, January, 1977, P.32.

(2) Chang Teh–Chein, Christianity and the Taiping Rebles, In: Dun J. Li, Op .Cit. P.269.

(3) Shih, Op. Cit., P. 91.

(4) Tikhvinski. Op. Cit., P.184.

(5) Shih, Op. Cit., P.91.

بالمعسكرات القتالية، تم تقسيمها على نحو صارم على افواج خاصة بالرجال، واخرى خاصة بالنساء، ووضعت عقوبات قاسية جداً لمن يخرج عن هذا القانون . قسمت هذه الافواج على فيالق (شيون) ، ضم الواحد منها (١٣,١٢٥) مقاتلاً، وضم الفيلق خمس فرق (شي) مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة ووسط ، وكل فرقة تشتمل على (٢٦٢٥) مقاتلاً، وقسمت الفرقة الى الوية (ليوى) وسرايا (تسو) وفصائل (ليانغ)، وهي اصغر وحدة في الجيش، وضمت (٢٥) مقاتلاً تم توزيعهم على خمس مجموعات ولكل مجموعة من الرجال قائد، ولكل مجموعة من النساء قائدة ، وعدّ جميع الرجال اخوة وجميع النساء اخوات[١].

ووفقا للمنهاج الزراعي وابرازا للجانب الديني لهذه الحكومة، كان قد وضع على رأس كل فرقة مكتب يرأسه موظف يدعى "الرقيب"[٢]، وهو قاضٍ ومرشدٍ ديني في الوقت نفسه، وكان لكل فرقة(خزانة مقدسة) وكنيسة للعبادة والتثقيف . وتشجيعاً لافراد الجيش على الاخلاص والتفاني في عملهم، اكد قانون المنهاج الزراعي نظام الترقية في الجيش . وفي المعسكرات المدنية، طبق التايبنغ التقسيمات والانظمة العسكرية أنفسها، حرفياً، إذ تم الفصل بين النساء والرجال ومنعت الزيجات[٣] . وسوغ قادة التايبنغ ذلك بأن ارتباط الفرد بعائلته يؤدي الى اعاقته عن اداء واجباته في الجيش والعمل، وحدد نهاية لنظام العزل هذا بالوصول الى بكين، واسقاط حكم المانشو، وتوحيد الصين تحت حكم التايبنغ. على ان ما اضعف هذا النظام هو ما تسبب به من تفكك عائلي ومتاعب نفسية قادت كثيراً من العوائل الى الانتحار الجماعي، وتنفيذ حكم الاعدام بالكثير ممن اخترقوا هذا النظام و ظهور حالة عدم المساواة في تطبيقه، وذلك من خلال

---

(1) Tai–Ping Tienkuo, Alaw of the Regime, In: Dun J. Li,Op . Cit . PP.126-128; Shih, Op. Cit., P. 91;

نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩٤.

(٢) تختص مسؤوليات هذا الموظف في توزيع الاراضي والحبوب والاموال والنفقات والبت في المسائل الجنائية. وفي حال عجزه عن حل مشكلة ما، تأخذ طريقها في التسلسل الهرمي، لتجد حلها في المستوى الاعلى.

ينظر: Tai-Ping Tienkuo, A law of the Regime, PP.126-130 .

(3) Ibid.

استثناء الملوك والامراء منه، فقاد ذلك الى اضعافه ومن ثم الغاء تطبيقه في المعسكرات المدنية في عام ١٨٥٥[1].

وفي معسكرات العمل المدنية ، جرى تنظيم النساء والاطفال في مجتمعات خاصة، قسموا على مجاميع، وكل مجموعة تضم (٢٥) امرأة تقودهن قائدة، وهي غالباً ما تكون من كوانجسي . وقد كانت واجبات واعمال هذه المعسكرات واعمالها موجهة لخدمة المعسكرات القتالية، من توفير الملابس والمواد الغذائية، وحفر الخنادق وبناء الاسوار[2]. اما الرجال فنظموا في معكسرات عمل رجالية، مثل معسكرات عمال المناجم والنجارين والحدادين والطرازين وعمال الجسور وغيرهم ، زيادة على انه كانت هناك سرايا خاصة بصنع الاسلحة والرايات والذخائر، ويرتبط عملهم بشكل مباشر بالمعسكرات القتالية[3]. ونظم المسنون والاطفال في فرق خاصة لصنع المسامير واعداد وجبات الطعام . على ان نظام المعسكرات هذا لم يطبق في المناطق الاخرى التي اجتاحها التايبنغ، إذ اكتفوا بتشكيل مماثل للفرق المتخصصة بصنع الاسلحة والذخائر[4] . فضلاً عن انهم لم يشكلوا قواعد عسكرية ثابتة فيها للمحافظة على سيطرتهم عليها واعادوا فرض الضرائب على الفلاحين فيها على نحو مرتفع، لذلك اصبح الطريق ممهداً امام عودة سيطرة قوات المانشو والمحافظة على ابقاء النظام القديم[5].

ووقفت مملكة التايبنغ، موقفاً ايجابياً من المرأة، فقد اقر المنهاج الزراعي حق المرأة في دخول الامتحانات العامة ، والحصول على مناصب سياسية وعسكرية في الدولة، وسمح لها برفع التقارير الى الملك مباشرة . ومن الناحية الاجتماعية نص المنهاج الزراعي على مساواتها بالرجل وإعطائها حريتها في اختيار الزوج والغاء التقاليد القديمة المتعلقة بتغليف القدم وحارب الدعارة [6] . ونتيجة لذلك برزت نساء

---

(1) Shih, Op.Cit, P.P.68-69.

(2) S.Y. Teng, Op . Cit . , PP.108-109.

(3) Shih, Op. Cit., P. P. 50-51; Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.96.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P.187.

(٥) وولف، المصدر السابق، ص١٢٦.

(6) Tai-Ping Tien Kuo, A Law of the Regime, PP.126-130; S.Y. Teng , Op . Cit . , PP.115-116.

متعددات، قمن بدور فعال في خوض المعارك، وتسنمّ المناصب الادارية الرسمية، واثبتن جدارة عالية في ذلك[1].

وخلافا للنظام الاقطاعي الذي ركز الاراضي الزراعية بايدي كبار الملاكين، نص المنهاج الزراعي لدولة التايبنغ، على ضرورة توزيع الاراضي بالتساوي بين الفلاحين. وبغض النظر عن الجنس، اعطي لكل ذكر او انثى فوق السادسة عشرة من العمر، الحق في الحصول على قطعة ارض تحقق لهم الاكتفاء الذاتي في معيشتهم . أما الاطفال دون سن السادسة عشرة فيحصلون على نصف قطعة الارض التي يحصل عليها الكبار[2].

اما التجارة فقد وقفت مملكة التايبنغ منها، في اول الامر، موقفاً سلبياً، وذلك بالغاء التجارة على اساس (ان كل شيء يوهب من الاب السماوي، فليس بالضرورة ان تشتري الاشياء بنقود) . ثم حاولت حكومة التايبنغ ان تقوم بادارة مباشرة للتجارة، لكنها ما لبثت هي نفسها ، ان فشلت، فاضطرت الى السماح بفتح سوق حرة خارج العاصمة، بشرط ان يحصل التجار على رخص لكي يسمح لهم بمزاولة التجارة بمعدل اقل من الضرائب[3]. وفيما يخص الصناعة، سبق القول إنها اقيمت في المعسكرات المدنية، وكانت موجهة لخدمة المعسكرات القتالية[4].

وفي المجال الديني، حارب التايبنغ الكونفوشيوسية، وعمدوا الى تحطيم صور وتماثيل ومعابد كونفوشيوس في المناطق التي خضعت لنفوذهم، وحاربوا ايضا معابد التاوية والبوذية، واصدروا طائفة من الوصايا عدوها كتاباً مقدساً تضمن تعاليم الجماعة الدينية، وقد ظهرت فيه تأثيرات اسلامية ومسيحية، زيادة على الديانات الصينية، من حيث تحديد ثواب المؤمنين وجزاء الكافرين[5].

---

(1) Shih, Op. Cit., PP.60-61; Ruth Weiss, From Confucian Obedience to Propping up Half the Sky, Eastern Horizon. Vol. XIV, No.2, 1975, P.32.

(2) Tai-Ping Tien Kuo, A law of the Regime, PP.126-130; Weiss, From Confucian Obedience to Propping up Half the Sky, P.32.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩٥.

(4) Shih. Op. Cit., PP.50-51 .

(٥) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩٦.

٣- الانقسامات الداخلية في مملكة التايبنغ ١٨٥٦ - ١٨٦٤

على الرغم من انشاء التايبنغ نظاماً ملكياً موحداً لدولتهم الوليدة، ظهرت بحلول عام ١٨٥٦، بوادر انقسامات، يمكن ارجاع جذورها الى بداية اعلان هونغ نفسه ملكاً سماوياً وتعيين اتباعه الاوائل ملوكاً للجهات الاربع، ومنحهم الامتيازات التي جعلت لكل منهم اتباعاً يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم ، وهو ما ولد لديهم نوعاً من الاستقلال، والرغبة في السلطة المطلقة[١] . ولاسيما لدى ملك الشرق يانغ هسيو تشوان، الذي تمكن من انتزاع السلطة التشريعية والتنفيذية من يد الملك السماوي هونغ هسيو تشوان حتى ان التعليمات والقرارات الخاصة بادارة شؤون المملكة كانت تصدر من مكتب يانغ هسيو تشوان وتدعى بـ "القرارات الذهبية"، وهي ملزمة للجميع في التنفيذ . وكان اعلانها يجري وسط طقوس دينية مهيبة، ويعاقب الموظف الذي لا يحترم هذه الطقوس بشدة . والى جانب ذلك كانت التقارير الرسمية ترفع، اولاً، الى يانغ هسيو تشوان، قبل ان ترفع الى الملك السماوي . ويبدو ان يانغ الذي امتلك هذه السلطات الواسعة، اراد تتويجها بارتقاء عرش المملكة، بحصوله اولاً على الالقاب الخاصة بالملك السماوي، مثل لقب (ذي العمر الطويل او ذو العشرة آلاف سنة)، ومن ثم تنحية هونغ عن العرش[٢]. غير ان اكتشاف المخطط الذي اعده يانغ ، قاد الى عمليات تصفية بين قادة التايبنغ واتباعهم. فبدفع من هونغ هسيو تشوان قام ملك الشمال وقواته بقتل يانغ هسيو تشوان وعائلته واتباعه، البالغ عددهم نحو (٢٠,٠٠٠) جندي . ولم تتوقف رغبة هونغ في استعادة سلطته، عند هذا الحد، بل دفع مساعده شياه تاكاي، الى قتل ملك الشمال وي تشانغ، خشية ان يستأثر بالسلطة، ليصبح منذ ذلك الحين شياه تاكاي القائد العام للقوات المسلحة ورئيساً للحكومة[٣].

وفي تلك الاثناء برز دور اخوي الملك السماوي، هونغ جين فا وهونغ جين تا اللذان اديا دوراً في اساءة علاقة هونغ هسيو تشوان بشياه تاكاي وزعزعة ثقته به[٤] . مما دفع شياه تاكاي الى الانفصال عن قيادة هونغ، وجمع اتباعه

---

(1) Shih, Op. Cit., PP.52-55; Gupt, Op. Cit., P.77.
(2) S.Y. Teng, Op . Cit . , P.140.
(3) Lo Tun–Yung, Internecine Strife Among the Taiping Leaders, In: I Dun J. Li, Op . Cit , P.132-136.

(٤) مملكة تايبنغ ، ص ٧٢ .

البالغ عددهم نحو (١٠٠,٠٠٠) وخرج بهم من العاصمة السماوية لمواصلة هجماته ضد حكومة المانشو، التي حاولت هي نفسها سحبه الى جانبها، لكنه رفض وبقي يقاتل حتى تم القاء القبض عليه وعلى ابنه واعدما في بكين(١).

ومن دون شك كلف الصراع بين قادة التايبنغ ، الآلاف من المقاتلين المتمرسين، فضلا عن عدداً كبيراً من موظفي الجهاز الاداري والعسكري ، واضعف جانبهم وشجع حكومة المانشو على القيام بهجمات متعددة ضدهم ، تمكنت فيها من استرداد مناطق مهمة في هوبي وآنهوي وجيانغسي ، واضطر التايبنغ اثر ذلك الى التحول الى موقف الدفاع، ولاسيما بعد ان اخذت بريطانيا وفرنسا شكل التدخل العسكري المباشر ضدهم(٢).

وقد ازداد تأزم الوضع الاقتصادي لمملكة التايبنغ في تلك المدة، فالانقسامات الداخلية، وتحول التايبنغ الى وضع الدفاع ضد قوات حكومة المانشو التي فرضت الحصار عليهم، ادت الى عدم وصول الامدادات من المناطق الاخرى الخاضعة لهم . فضلاً عن ان اغلب المناطق التي جرت فيها العمليات العسكرية دمرت بالكامل وهجرها سكانها، واشرفت الصناعة الحرفية والتجارة على الانهيار، وزاد في سوء الوضع الكوارث الطبيعية التي ادت الى انتشار المجاعة في آنهوي وجيانغسو وجيانغسي، ولاسيما خلال عامي ١٨٥٨و ١٨٥٩(٣).

وفي خضم تلك الاوضاع ، برز عدد من الشخصيات التي حاولت معالجة ازمة الاوضاع في مملكة التايبنغ، كان من بينها هونغ جين كان وهو من المؤيدين الاوائل لهونغ هسيو تشوان، غير انه لم يلتحق بركب الثورة الا في عام ١٨٥٩. إذ بقي في هونغ كونغ لاكمال دراسته في مدارس الارساليات التبشيرية(٤). وفي محاولة منه لاصلاح الوضع، قدم برنامجاً للاصلاح ضمن مذكرة رفعت الى الملك السماوي تحت

(1) S.Y. Teng, Op . Cit . , P.141; Foreign Languages Press , China Handbook Series, P.105.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.200.

(3) Ibid., P.221.

(4) S.Y. Teng, Op . Cit . , PP.150-151; Foreign Languages Press , China Handbook Series , P.105.

عنوان (من اجل اصلاح ادارة الدولة وتنمية قدرات الشعب) . اقترح فيها الافادة من الخبرات وتقنيات الدول الغربية للنهوض بالوضع الداخلي، واقامة علاقات حسنة مع الدول الغربية، وضرورة دعم سلطة الدولة بكل الوسائل، ومجابهة حالات التمرد والانقسام، ومكافحة الرشوة والفساد الاداري، واقامة الشركات التجارية والمصارف، والابقاء على ملكية الاراضي بيد أصحابها[١]، الا ان هذا البرنامج الذي لم تمثل بعض جوانبه مصالح الفلاحين الملحة، لم ينفذ لان قادة التايبنغ لم يقدروا قيمة هذه التغيرات المقترحة[٢] . مما تقدم يتبين أن الصراع الداخلي في مملكة التايبنغ أدى الى تبديد قوتها وتحولها من موقف الهجوم الى موقف الدفاع . وأن محاولة اعادة بناء قوتها بأنتهاج سياسة التحديث لم تصتدم بمعارضة بعض زعماء التايبنغ فحسب ، بل يمكن أن يرد ذلك أيضا الى أنه لم يكن متوافقاً مع الظروف التي طرحت فيه . ولاسيما أن ذلك كان يتطلب رؤوس اموال كبيرة والاستعانة بخبرات الدول الغربية التي اخذت تميل في ذلك الحين الى جانب أبقاء حكومة المانشو الضعيفة في سدة الحكم إذ انها كانت اقرب الى اقرار المصالح الاجنبية في الصين من التايبنغ .

٤- الموقف الدولي واثره في نهاية الثورة

اصبحت الصين في ذلك الحين في وضع جديد، دولة المانشو في الشمال، ودولة التايبنغ ذات الصبغة الدينية المسيحية في الجنوب، وفرضت سيطرتها على حوض اليانغتسي اهم مناطق الصين، وعلى نانكنج اهم الموانىء المؤدية الى المناطق الداخلية، حيث توجد اوسع اسواق الصين . وازاء ذلك وجب على الدول الغربية التي كانت لها مصالح واسعة في الصين ان تحدد موقفها من هذا الوضع.

لقد أظهرت الدول الغربية، في اول الامر اعجابها بثورة التايبنغ، وهو مابدا واضحاً في صحافتها التي أصدرتها في الصين ، والتي اثنت فيها على الثورة بوصفها قوة معارضة لحكومة المانشو، التي لم تتخل عن كبريائها ، زيادة على ما اعلنته من

---

(1) The Taiping Rebels Interest in Modernization, In: Ssu-Yu Teng ,Op.Cit , PP.55-56

(2) Chun-Tu Hsueu, Op. Cit., PP.65-66 ; Foreign Languages Press , China Handbook Series , P.105.

المساواة بين الدول، ورغبتها بالمتاجرة معها . وهو الامر الذي شجع تلك الدول على الاتصال المباشر بحكومة التايبنغ لمعرفة موقفها الفعلي منها، ونواياها نحوها، فتعددت زيارات المبشرين والمبعوثين الدبلوماسيين البريطانيين والفرنسيين والامريكيين الى نانكنج(١).

وكان من بين اولئك المبشرين الذين زاروا نانكنج، المبشر البريطاني ميدهرست (Medhurst)، الذي رفع تقريراً الى وزارة الخارجية البريطانية، اكد فيه "ان الفوائد التي يمكن ان تحصل عليها حكومته من نجاح الثوار هي فتح البلاد – الصين – للمشروعات الدينية والتجارية، وادخال التقدم العلمي الذي يفيد المانح والممنوح. ومن المحزن ان نرى الدول المسيحية تتدخل لاخماد هذه الثورة، لان الثوار يملكون طاقة وميلاً للاصلاح"(٢). والواقع ان هذا التقرير يختلف، الى حد كبير، مع ما أورده بعض الباحثين عن الموقف السلبي للمبشرين الذين زاروا نانكنج، في هذه المدة نفسها، والذين هالهم ما رأوه من اخطاء في التبشير بالمبادئ المسيحية وتطبيقها(٣). ولعل هذا الاختلاف في الرأي راجع الى ما كان قد طرحه التايبنغ انفسهم من السيادة العالمية للملك السماوي هونغ هسيو تشوان، على كل مسيحيي العالم، وتحريمهم تجارة الافيون والكولي ، فوجد هؤلاء المبشرون في هذه الطروح ما يناقض مصالح دولهم، فلم يعفوا عما وقع به التايبنغ من أخطاء دينية، عملوا أنفسهم على تهويلها، ودعوا حكوماتهم لاتخاذ موقف سلبي منها.

اما ميدهرست، فالواضح انه ذهب بتفكيره بعيداً على الرغم مما لاحظه من أخطاء دينية، فهو لم يشأ ان تضيع حكومته فرصة قيام حكومة جديدة في الصين، ترتبط بحكومته برابطة العقيدة المسيحية، ومن ثم يصبح من الممكن اقامة مشاريع تجارية ودينية في الصين. ليس ذلك فحسب وانما يمكن ان تفتح باباً اوسع هو باب الاستثمار

---

(١) نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ٩٨؛ روى ماك جريجور هاستي، ماوتسي تونغ حياته وعصره، ترجمة حسين الحوت، مصر، (د.ت)، ص١٦؛

Guy Wint, Asia A Handbook , Fredrick A. Praeger, (New York, 1968), P.146.

(2) Quoted in Roy, Op. Cit.,P.137.

(3) Chang Teh–Chien , Christianity and the Taiping Rebles, In Dun J. Li, Op. .Cit . , PP.265-268; Gupt, Op. Cit., P.76.

من خلال ادخال التقدم العلمي، وذلك باقامة المشاريع الصناعية الحديثة في الصين، ولاسيما انه لاحظ وجود ميل للاصلاح لدى بعض قادة التايبنغ.

وذهب البعض ابعد مما ذهب اليه ميدهرست بتفكيره، إذ اعتقدوا ان وصول التايبنغ الى السلطة في الصين انما يهَّيئ السبيل امام قيام جمهورية مسيحية فيها تفتح ابواب واسعة امام المشاريع التجارية لدولهم[١]. وعلى اساس ذلك نصح ميدهيرست حكومته بعدم اتخاذ موقف سلبي من ثورة التايبنغ، وان لا تربط نفسها بارتباطات رسمية مع احد الطرفين المتنازعين، ومع ذلك ينبغي لها ان تكون على استعداد لمواجهة أي اعتداء من الثوار قد يوجه اليها[٢]. وهذا ما اكده ايضاً المبعوث الدبلوماسي البريطاني الى نانكنج، بونهام (Bonham)، في تقريره، الذي اعده بعد زيارته للعاصمة السماوية، واشار فيه الى ان التايبنغ اكثر قبولاً للاصلاح، ويمكن تعديل موقفهم من النفوذ الاجنبي والانفتاح، ما داموا غير متشبثين بالتقاليد الصينية[٣]، وذلك يوجب على الحكومة ان تعلن حيادها بإزاء هذه الحرب الاهلية ، وان تتبع سياسة (انتظر و تأكد)[٤].

وعلى الرغم من ورود آراء اخرى، حثت الحكومة البريطانية على التدخل العسكري لصالح حكومة المانشو بوصفها الحكومة الشرعية في البلاد، وبامكانها ان تقدم المزيد من الامتيازات آثرت الحكومة البريطانية التريث، مع اخذها في الحسبان الاحتياطات اللازمة للدفاع عن رعاياها ومصالحها ضد أي هجمات قد توجه ضد الاثنين من التايبنغ[٥]. وارسل بونهام، في الوقت نفسه، بلاغا لحكومة التايبنغ، انذرهم فيه أنه في حال خرق بنود المعاهدات المعقودة مع المانشو و تعرضوا للممتلكات البريطانية، فإن حكومته تتخذ بحقهم الاجراءات التي تراها مناسبة[٦].

---

(1) Clyde and Beers ,Op. Cit., P.88.

(٢) محمد العزب موسى ، المصدر السابق ، ص ٩٥؛ روبرت باين، ماوتسي تونغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(بيروت، ١٩٧٦) ، ص٢٠-٢١؛

Roy,Op.Ct., P.137.

(٣) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٥٣.

(4) Roodziski, Op. Cit., PP.290-291.

(5) Ibid.

(6) Tikvinski, Op. Cit., P.191.

والملاحظ أن فرنسا تبنت موقف بريطانيا الداعي الى الحياد والترقب ، ولاسيما بعد ان فشلت جهود مندوبها بوربولون (Bourboulon)، الذي وصل نانكنج في كانون الاول عام ١٨٥٣، في انتزاع اعتراف التايبنغ بالامتيازات الفرنسية في الصين، وحقها في حماية مصالح الكاثوليك . فباستثناء عدم التعرض للكاثوليك، فان التايبنغ لم يعدوا الفرنسيين بشيء[١]. اما الولايات المتحدة الامريكية فإنها حذت حذوهما في تبني سياسة الحياد، ولاسيما بعد زيارة مندوبها ماكلان (Maclan) الى نانكنج، الذي اراد مقابلة الملك السماوي هونغ، فطلب منه تأدية مراسيم السجود امامه، فأدرك حينها ان لا طائل من الدخول في مفاوضات معهم، واقتنع ان التايبنغ إذا حققوا النصر على حكومة المانشو فانهم سوف يرفضون المصادقة على المعاهدات[٢]. من الواضح هنا أن التايبنغ أظهروا تأثراً واضحاً بفكرة إمبراطورية الوسط، من خلال تأكيدهم مبدأ السيادة العالمية للملك السماوي على كل مسيحيي العالم . والواقع أن هذه الفكرة نفسها أظهرت عجز التايبنغ ، الذين لم تسعفهم حنكتهم السياسية في إيجاد بدائل دبلوماسية لإدارة العلاقات الخارجية . وكانت حائلا دون اقامة علاقات ودية مع الدول الغربية ، ولاسيما إذا أضيف على ذلك أن رفضهم لمطالب هذه الدول باقرار الامتيازات الممنوحة لها من حكومة المانشو دعا الدول المذكورة الى اتخاذ جانب الحياد المشوب بالحذر والترقب.

وحتى ذلك الحياد لم يكن إلا ظاهرياً، فمع اندلاع الانتفاضة في شنغهاي، التي قادتها جمعية "السيف الصغير" احد فروع جمعية "اللوتس الابيض" في ايلول ١٨٥٣، بدأت مرحلة التعاون بين حكومة المانشو وحكومات تلك الدول[٣] . ولاسيما بعد ان فر موظفو حكومة المانشو من شنغهاي ، ولجوء عدد من سكانها ولاسيما اصحاب الاملاك، الى المستوطنة الدولية[٤] فيها[١]، التي قامت في ذلك الوقت بتنظيم مليشيات محلية من

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.192.

(3) Vermilion Endorsement, In: Dun J. LiOp . Cit . , P.40.

(٤) لقد اسفر ذلك عن ازدياد اعداد الصينيين في المستوطنة، التي لم يكن يُسمح لهم الدخول فيها، الا أن أحداث الثورة اضطرتهم الى ذلك، بوصفها منطقة آمنة. فارتفع عددهم من (٥٠٠) نسمة في عام ١٨٥٣، كانوا يعملون في خدمة الاجانب، الى (٢٠,٠٠٠) في عام ١٨٥٤. وقد مكنهم ذلك من الاطلاع عن كثب على اساليب ونظم إدارة هذه المستوطنة. ينظر:

Clyde and Beers , Op. Cit., P. 81; Allen, Op. Cit., P. 19.

التجار الغربيين ، للدفاع عن نفسها ضد اعتداءات التايبنغ المحتملة . واشترك قناصل كل من بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا ، في اقامة تنظيمات للحكم المحلي وادارة المدينة وتعزيز الشرطة فيها . وفي ظل هذه الظروف تنازل حاكم شنغهاي الصيني ووشين شانغ، عن حق جمع الرسوم الكمركية للاجانب . لذا شكلت في عام ١٨٥٤، لجنة مكونة من ثلاثة موظفين، بريطاني، وفرنسي، وامريكي، عينهم قناصلهم لتنظيم ومراقبة عملية جمع الرسوم والضرائب فوقعت، تبعاً لذلك، ادارة كمارك شنغهاي[٢] بايديهم . وبقي هذا النظام مستمرا بموجب اتفاقية بريطانية صينية وقعت في تشرين الثاني عام ١٨٥٨، نظمت وحددت التعرفة وقوانيين التجارة واقامت نظاما جمركيا بحريا يشرف عليه موظفون اجانب برئاسة مفتش عام اجنبي كان اولهم أج .أن.لاي(H.N. Leigh) وسعت تلك الادارة لتشمل كل الموانىء الاخرى[٣]. وفضلا عن ذلك بدأ تعاون عسكري غير رسمي ، إذ قام المغامر الامريكي فردريك تاوسند وارد (F.T. Ward) (١٨٣٢-١٨٦٢) بالإتفاق مع حكومة المانشو بتنظيم جيش من المرتزقة الامريكيين والاوربيين والفلبينيين ، عرف باسم (الجيش المنتصر دائماً)[٤]، لمساعدتهم ضد التايبنغ مقابل مكافأة مقدارها (٣٠٠٠٠) تايل، زيادة على تعهدها بتكفل نفقات هذا الجيش، الذي كانت نواته الاولى (مئة جندي)، تم تزويدهم بالاسلحة الحديثة، واشرف على تدريبهم ضباط امريكيون وبريطانيون . وقد تمكن هذا الجيش، الذي إزداد عدده، من تحقيق انتصارات متعددة. والملاحظ ان هذا التعاون جرى في ظل قيام حرب

(1) Allen, Op. Cit., P19; Latourette, Op. Cit., P.375.

(٢) بعد مايقارب عشرين عاماً من قدوم الاوربيين الى الصين، شهدت شنغهاي نمواً وأزدهاراً كبيراً في التجارة، حتى أصبحت نصف البضائع الصينية، ولاسيما الحرير والشاي، بحلول عام ١٨٦١ تصدر عن طريقها الى مختلف انحاء العالم. بل وأصبحت مركزاً للتجارة بين شمالي ساحل الصين وجنوبه. ينظر: كورنيليا سبنسر، اليانغتسي الطريق الرئيس الى قلب الصين، ترجمة مصطفى عبد الهادي، مؤسسة الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص٥٨-٥٩.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩٨؛

Latourette, Op. Cit., P.375 .

(4) Clyde and Beers , Op. Cit., PP.154-156; Laltourette, Op. Cit., P.379.

الافيون، تحت ذريعة حماية الاجانب لممتلكاتهم في شنغهاي[١]. والواقع ان هذه السياسة المزدوجة للبريطانيين والامريكيين لايمكن تسويغها إلا على اساس يأسهم من تعاون التايبنغ معهم، وادراكهم لما يمكن ان تقدمه اليهم حكومة المانشو حال بقائها في السلطة، من امتيازات بعد نهاية الحرب.

وإثباتا لما تقدم، انهت "اتفاقية تينتسين" حالة العداء بين المانشو والدول المتحالفة – بريطانيا وفرنسا – وبدأت مرحلة التعاون الرسمي المشترك ضد التايبنغ، فقد ارتبط تنفيذ عدد من بنودها، ولاسيما حق الملاحة في نهر اليانغتسي وفتح نانكنج للتجارة، بشرط القضاء على هذه الثورة، وأن اعتراف حكومة المانشو بشرعية تجارة الافيون والكولي بموجب معاهدات تينتسين جعل التايبنغ بمثابة (المنتهكين للقانون)[٢] . فضلا عن ذلك ان هزيمة الصين في الحرب حطت من مكانة التيار المحافظ في البلاط الامبراطوري، وهو تيار رغب، اصلاً، بمواصلة العزلة وعدم الانفتاح على الدول الغربية . في حين ارتفعت مكانة التيار المهادن، الذي دعا الى التعاون مع الدول الغربية والانفتاح عليها، والافادة من تقنياتها العسكرية للقضاء على حركات المعارضة[٣]. وبسبب ذلك فضلت هذه الدول التدخل العسكري المباشر ضد التايبنغ الذين أثروا سلباً في سير تجارتها ، واستمروا في تأكيد مبدأ السيادة العالمية للملك السماوي هونغ، ففي المدة خلال شهري شباط – وآذار عام ١٨٦١، وزع التايبنغ بيانات على الاجانب، طالبهم فيها بالاعتراف بهونغ هسيو تشوان ملكاً على الدول كافة [٤].

وفيما يختص بالصحافة الغربية، لوحظ أن الصحافة البريطانية والفرنسية غيرت لهجتها. فبعد ان كانت تصف التايبنغ بـ "المصلين المتدينين"، اخذت تنعتهم

---

[١] جلال يحيى ، المصدر السابق، ص ٦٧؛

Smith, Op. Cit., PP.195-197.

[٢] ابشتاين، المصدر السابق، ص٢٧-٢٨.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.231; Britten Dean, Sino-British Diplomacy in the The 1860's Establishment of the British Concession at Hankow, HarvardJournal. of Asiatic Studies, Vol.31, 1971, P. 97.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P. 239.

بـ "الفوضويين والكفرة"، واخذت تروج عنهم القصص المروعة . في حين اصبحت حكومة المانشو التي كانت تنعت بالرجعية والكفر ولا رجاء لاصلاحها توصف بأنها قوة رزينة، حامية للتجارة والقانون[١]. وتبع ذلك قيام بريطانيا وفرنسا بتقديم الدعم العسكري، للفرق الصينية، التي جهزت بالاسلحة الحديثة، واخذ يشرف على تدريبها ضباط امريكيون وبريطانيون[٢]، وسمح للجيش الذي شكله وارد البالغ عدده (٣٨٠٠) جندي، والذي قاده بعد مقتله، الجنرال غوردون[٣]، بالانضمام الى الفرق الصينية البالغ عدد جنودها اكثر من (٥٠٠٠٠) جندي بعد ان دعم بقوات بريطانية وفرنسية[٤]. وفضلا عن ذلك زودت الفرق المحلية و جيش هونان بقيادة تسنغ كوفان حاكم اقليم ليانغ جيانغ ، والرتل الشرقي (جيش آنهوي) بقيادة لي هونغ تشانغ حاكم كيانجسو والرتل الجنوبي الذي قاده تسونغ تانغ حاكم تشيكانغ وفوكين بما يحتاج اليه من عدة وعدد . لذلك بدأت هذه الحشود الصينية والمنشورية والاجنبية ضغطها على العاصمة السماوية، الى جانب قيام القوات البريطانية بمهاجمة التايبنغ حينما حاولوا دخول شنغهاي . ومع حلول عام ١٨٦٤ فقد التايبنغ معظم الاراضي التي كانوا يسيطرون عليها، وفشلت محاولاتهم لرفع الحصار عن العاصمة السماوية وتحولوا الى موقف الدفاع عنها، وتراجعت قوتهم مع اشتداد الضغط عليهم، ولاسيما مع نفاذ مواردهم الغذائية وانتشار المجاعة التي ادت الى موت عدد كبير من السكان واضطرار اعداد كبيرة اخرى لمغادرتها، فلم يبق امام زعيم الثورة هونغ هسيوتشوان سوى الانتحار، فانتحر في الاول من حزيران عام ١٨٦٤، ودخلت قوات الحكومة الى مدينة نانكنج في ٢٩ تموز وقتلت الكثير من سكانها، في حين حدثت عمليات انتحار جماعي

---

(١) ابشتاين، المصدر السابق، ص٢٨.

(2) Latourette, Op. Cit., P.379.

(٣) جنرال بريطاني ولد في ٢٨ كانون الثاني ١٨٣٣ في لندن، عُدّ بطلاً وطنياً لانجازاته العسكرية في الصين . خدم في جيش الخديوي اسماعيل واكتشف وادي النيل الابيض واصبح حاكماً على السودان عام ١٨٨٤ وقتل فيها في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٨٥.

Encyclopidia Britannica, Vol.IV, William Benton Publisher, (London, 1982), , P.634.

وللمزيد عن دوره في الصين ينظر:

Demetrius C. Boulger, The Lif of Gordon ,(London,1975),PP.47-73;

(٤) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٦٧؛

Clyde and Beers, Op. Cit., P.155;.

في صفوف الكثير ممن رفضوا الاستسلام[١]، وانسحب آخرون الى المناطق الجنوبية وعبرو شمال تونكين (في فيتنام) خشية ملاحقة الحكومة، وشكلوا عصابتين، الاولى "عصابة الراية السوداء"، والثانية "عصابة الراية الصفراء" وبالتنسيق مع جماعة اخرى منهم استقرت في فوكين، اخذوا يمارسون الضغط على الحكومة من هناك بين الحين والاخر [٢] . وقدر عدد ضحايا هذه الثورة بعشرين مليون نسمة، ازهقت أرواحهم في القتال، والكوارث الطبيعية، وما رافق ذلك من امراض ومجاعات[٣]. وفي سياق تقويم هذه الثورة يبرز هنا رأي ماركس الذي عدّها(حرباً شعبية للمحافظة على الهوية الصينية)[٤] في حين عدّها آخرون بأنها (فتنة) أشعلت الحرب في الصين وأدت الى مقتل عشرين مليون شخصاً[٥].وفيما يختص بهذه الدراسة عبرت ثورة التايبنغ عما يمكن تلخيصه بالآتي:

١- في الوقت الذي عبرت فيه حروب الافيون عن الاختلاف والصدام الحضاري، ما بين الحضارتين الصينية، والغربية ، عبرت ثورة التايبنغ ذات الصبغة الدينية المسيحية، والميول الاصلاحية وفق النظام الاوربي الحديث، عن تأثر الفكر الصيني بالحضارة الاوربية.

٢- على الرغم من تأثر التايبنغ ببعض مظاهر الحضارة الاوربية، لم يستطيعوا ان ينسلخوا عن الفكر الصيني، ولاسيما فكرة امبراطورية الوسط التي أكدت السيادة العالمية لامبراطور الصين. فقد تمسك التايبتغ بفكرة السيادة العالمية للملك السماوي هونغ على مسيحيي العالم، الذين كانوا اتباعاً له بحسب زعمهم،

---

(١) نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق، ص٩٩؛

Foreign Languages Press , China Handbook, P.108-109.

(٢) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٦٧.

(٣) فوزي درويش، الشرق الاقصى. الصين واليابان ١٨٥٣-١٩٧٢ ، مطبعة غباشي، مصر ، ص٥١؛

Fred Green, The Far East, (New York, 1957), P.93.

(٤) مقتبس في أغنس سيميدلي، الطريق العظيم. حياة تشوده وعصره، ترجمة سامي مسلم، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت ١٩٨٢، ص٥٥.

(٥) جواهر لال نهرو، لمحات من تأريخ العالم، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين، منشورات المكتب التجاري، بيروت ١٩٥٧، ص١٢٨-١٢٩.

ولكن من دون ان يطلقوا عليهم لفظ (البرابرة)، إذ عدوهم اخواناً لهم في الدين. و كانت هذه المسألة، نفسها، من عوامل عجز التايبنغ وفشلهم سياسياً.

٣- هاجمت الثورة المبادئ الكونفوشيوسية، وهي حصن النظام الاقطاعي، الذي استمد قوة بقائه بموجبها، من السماء، والذي عجز عن النهوض بوضع البلاد الداخلي ومواجهة التحديات الاجنبية.

٤- خلافاً لبقية الثورات التي شهدتها الصين في النصف الثاني القرن التاسع عشر، قدمت ثورة التايبنغ منهاجاً للتغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي، عرف بمنهاج الاصلاح الزراعي الصادر في عام ١٨٥٣، الذي حاولت فيه ايجاد حلول ناجعة للمشاكل التي عانى منها المجتمع.

٥- حظيت المرأة بمكانة لائقة في مجتمع التايبنغ، فقد سمح لها بالمشاركة في امتحانات الخدمة العامة، وارتقاء المناصب الادارية والعسكرية. ومن الناحية الاجتماعية حاربت الزنا ووضع اقدام الفتيات في قوالب لمنع نموها.

٦- على الرغم من فشل الثورة لاسباب تنظيمة واقتصادية ودولية، لكنها هيأت اذهان الصينيين، لامكانية تغيير الوضع من خلال القيام بثورة تطيح بالنظام الاقطاعي.

٧- على الرغم من نبذ التايبنغ المبادئ الكونفوشيوسية، اظهرت التطبيقات العملية ميلهم الى فكرة تجريد الملك من السلطات الفعلية وجعله يملك ولايحكم.

ثالثاً - حركة نـــين في[1] (حَمَلة المشاعل) ١٨٥٣ - ١٨٦٨

ظهرت جماعات النين في مطلع النصف الثاني من القــرن التاســع عــشر، فــي المقاطعات الوسطى والشمالية من الصين، وهي هونان، وهوبى، وآنهوى، وكيانجسو، وشانتونغ، وتشيلي . وشكل الفلاحون والفقراء القاعدة الرئيسة لهذه الجماعات ، زيادة على ملاك الاراضي الذين حملوا نزعة معادية لأسرة المانشو ، وعدد من تجار الملح و من موظفي الادارة المحلية[2]، وعدد من المثقفين من حملة الشهادات الكونفوشيوســية الذين وجدوا فيها السبيل في الوصول الى تحقيق اهدافهم في الثروة والجاه[3]. وقد يرد انضمام المثقفين الى هذه الجماعات، الى انها لم تحارب الافكار الكنفوشيوســية التــي يؤمنون بها، خلافاً للتايبنغ الذين اعلنوا حربهم عليها.

وقد تأثر ظهور هذه الجماعات بعوامل متعددة. وعلى نحو عام لم يكن افراد هــذه الجماعات بمعزل عما شهده بقية الصينيين في المناطق الاخرى من تــردي الوضـــع الاقتصادي لمجمل السكان الذين بلغ تعدادهم بحلول عام ١٨٥٠ نحــو (٤٣٠) مليــون نسمة، ولم يرافق ذلك زيادة متكافئة في رقعة المســاحة المزروعــة، لتــوفير الغــذاء الكافــي للسكان، وتزامن ذلك مع ضعف الحكومة وعجــزها عن مواجهـــة التحديات الاجنبية، وازدياد مساوئ الادارة المحلية، ونقص كبير في الخدمات العامة مــع تزايــد حدوث الكوارث الطبيعية[4]، فقد شهدت الاعوام (١٨٥١ و١٨٥٣) فيــضانات متعــددة

---

(١) تعني كلمة "نيان" المشعل الذي يصنع من مجموعة من شرائط ورقية تطوى سوية ويتم مــسحها بالزيــت وتستخدم للاضاءة. وقد اقترن استخدام هذه المشاعل مع عادة صينية قديمــة، إذ كــان الــصينيون، عنــد الاحتفال بالسنة الصينية الجديدة، يقومون بحمل مصابيح بهيئة تنــين توضــع بــداخلها هــذه المــشاعل، لاعتقادهم ان ذلك يطرد مرض الطاعون . اما كلمة "في" فتعني عصابات. وقد تبنت هذه التــسمية احــدى المنظمات السرية المتفرعة من "جمعية اللوتس الابيض" في منتصف القرن التاسع عشر، ويقال ان اعضائها كانوا يحملون المشاعل لدى قيامهم بعمليات مضادة لحكومة المانشو. ينظر:

Siang–Tseh Chiang, The Nien Rebellion, Second Printing (University of Wasington Press, 1967), P.8.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.193.

(3) Siang –Tseh Chiang , Op. Cit., P.50.

(4) Clyde and Beers, Op. Cit., P.85.

غطت جنوب شانتونغ وشمال كيانجسو وآنهوى، وادت الامطار الشديدة عام ١٨٥٥ الى فيضان النهر الاصفر وتغيير مجراه . فبعد أن كان يصب في البحر الاصفر اصبح يصب في خليج تشيلي، واسفرت هذه الفيضانات عن تدمير القرى والمزارع وتشريد مئات الالاف من الفقراء والفلاحين الذين اصبحوا بلا مأوى ، وتحولوا الى عصابات ذات تنظيمات سرية، بلغ عددها عند اندلاع الحركة عام ١٨٥٣ نحو ثلاثين تنظيماً واطلق على الواحدة منها مصطلح "تين" . وخلافاً لثورة التايبنغ لم تحاول هذه الحركة، التي استهدفت اسقاط اسرة المانشو، المجيء بأسرة جديدة، بل نادت باعادة اسرة المينج الوطنية الى الحكم[١] . مستفيدة من تردي وضع الحكومة الناجم عن احتلال التايبنغ نانكنج في شباط عام ١٨٥٣، واعلانها عاصمة لدولتهم . فضلاً عن ان هذه التنظيمات تأثرت بالصراعات المحلية التي دارت بين السكان انفسهم ، حول ملكية الاراضي الزراعية[٢] . وشجعها ايضاً حركات المعارضة التي قادتها قبائل المياو والياو في اقليم كوانجسي جنوبي الصين تحت وطأة تردي الظروف الاقتصادية والاجتماعية[٣].

وقد امتازت هذه التنظيمات قبل عام ١٨٥٣، بانتشارها على طول تلك المقاطعات التي أُشير اليها سلفا، وكان بامكان اي عضو فيها ان يجمع حوله عدداً من الانصار لايقل عن ثلاثة الاف رجل، ويشكل تنظيماً مستقلاً (نين) . وكانت هذه التنظيمات (النيانات) تتمتع بأدارة ذاتية ، إذ انها كانت مستقلة بعضها عن بعض، وكان لكل واحدة منها قائد يدعى "سيد المأوى"، وهي تسمية مستعارة من "جمعية السماء والارض" التي ظهرت في جنوب الصين[٤]. والى جانب ذلك امتازت هذه التنظيمات باعتمادها على عامل المبادرة من قادتها، واقتصر نشاطها في اول الامر على القيام بعمليات سلب ونهب للمراكز الحكومية واملاك الاقطاعيين وفقاً للشعار الذي حث فيه على (الاخذ من الاغنياء ومساعدة الفقراء) [٥].

---

(1) Siang–Tseh Chiang, Op. Cit., P.5.

(2) Weakman, Op. Cit., PP.121-123.

(3) Ella Laffey, In the Wake of the Taipings. Some Oatterns of Local Revolt in kwangsi Province 1850-1875, Modern Asia Studies, No.10, 1976, P.65.

(4) Siang–Tseh Chiang, Op. Cit., PP.18-20.

(5) Ibid., P.45; Chesneaux and Others, Op. .Cit . , PP.108-109.

والواضح ، هنا، ان تنظيمات النيـن في هذه المرحلة كانت اقل نضجاً في النواحي السياسية والفكرية والاجتماعية من التايبنغ، إذ انها لم تضع لها منهاجاً توضـح فيـه التغييرات التي تريد اجراءها، فباستثناء تغيير اسرة المانشو بأسرة المينج ، لم تـضع الخطط اللازمة لتنظيم النواحي الاقتصادية والاجتماعية كما فعل التايبنغ . فضلا عن ذلك فإن تشتت تنظيماتهم بعضها عن بعض جعلها تتسم بالتلقائية في عملها ، ولكن الم تكن هناك محاولات لجمع قوة هذه النيانات بتوحيدها، ووضع منهاج واضح لها، وهل كانت الظروف مواتية لذلك؟

الواقع أنه جرت محاولات عدة لتوحيد جهود هذه النيانات، فقبل اعلانهـا الثـورة على سلطة الحكومة في عام ١٨٥٣، ادرك قادتها اهمية توحيد جهودهم، ووضع تنظيم متماسك يجمعهم، فاجتمع قادة عشرين نيـنا فـي مدينـة مينـج شـيانج، واعلنـوا تشانج ليوهسينغ (١٨١١-١٨٦٣) احد مهربي الملح ، رئيساً لهم، وبدأوا عمليـاتهم القتالية ضد القوات الحكومية ، التي كانت تعاني من توسع ثـورة التـايبنغ[1]، التـي اضطرت الحكومة على اثرها الى استدعاء قوات المانشو لحماية العاصمة بكـين مـن زحفهم، مما فسح المجال امام تنظيمات النيان لتوحيد جهودهم وتوسيع سيطرتهم على المناطق المجاورة[2]. الا ان ذلك التحالف لم يستمر طويلاً ، تحت تأثير الضربات التـي تمكنت قوات الحكومة من توجيهها اليهم بعد ان جمعت شتات شملها . ومع ذلك ، بقيت محاولات التوحد مستمرة، على الرغم من محاولـة الحكومـة منـع ذلـك بالترغيـب والترهيب[3]، إذ استفاد النيـن من امور لا تقتصر فقط على انشغال الحكومة بمواجهـة ثورة التايبنغ، بل تتعداها الى ما سببته حرب الافيون، في حدوث عجـز فـي ميزانيـة الدولة وعدم قدرتها على تمويل الجيش، ومن ثم اتخاذها قرار تسريح قـوات المانـشو واستدعائها عند الحاجة وذلك في عام ١٨٥٠ [4]. وأقرارها نظام تسوير المدن والقرى في عام ١٨٥٥ . وهو ما عدّ مؤشراً في صالح الفرق المحلية، سواء الفرق التابعـة

(1) Tikhvinski, Op. Cit., P.193.
(2) Jean Chesneaux, Peasant Revolts in China (1840-1949), Translated from French by C.A. Curwen, (London, 1973), P.3.
(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.193.
(4) Siang–Tseh Chaing, Op. Cit., P.21.

لحكام المقاطعات، او تلك التي شكلها السكان للدفاع عن انفسهم ضد العصابات . فتحت ستار الدفاع عن النفس، نظم النيـن جيوشهم في جيش موحد مكون من خمسة مجاميع كبرى، مقسمة على الوية خمسة لكل منها رايته الخاصة: صفراء، وبيضاء، وزرقاء، وسوداء، وحمراء، واتخذوا لهم قَسَماً خاصاً ورموزاً سرية استمدوها من "جمعية السماء والارض"[1]. وقد انتخب قادة هذه الالوية تشانج ليو هسينغ ، وسوتين فو، وكونغتي، ووانغ كوان - سان، وهوشيا، تشانج ليو هسينغ رئيساً للتحالف، الذي عرف باسم (التحالف الهاني العظيم)[2]، في حين لقب تشانج بـ (امير هان العظيم ذو التفويض السماوي)، وذلك في كانون الثاني عام ١٨٥٦[3]. لقد سجل هذا التحالف تطوراً ملموساً في التنظيم العسكري عما كان عليه الوضع في المرحلة السابقة، وهو ما يضعف القول بأن النيـن (افتقروا الى روحية الاصلاح العسكري التي تمتع بها التايبنغ)[4]. ويبين أيضا أن صراع النيـن ضد المانشو كانت له أبعاده القومية التي تجلت بنصرة قوميتهم الهان وهي القومية الغالبة في الصين فضلا عن الابعاد الاقتصادية والاجتماعية التي أشير اليها سلفا .

وقد أفاد النيـن من تلك القرارات في تحصين مدنهم وقراهم وخزن المؤن وتدريب فرقهم واعدادها في داخل مناطقهم التي أحاطوها بالاسوار . تمهيدا لإعلان معارضتهم لحكومة المانشو [5]. وقد ادى هذا الاسلوب الى اضعاف سلطة الحكومة على المناطق المسورة، ومكن النيـن من اقرار سلطتهم فيها، وشجع سكان المناطق المجاورة على الانضمام اليهم، ولاسيما الذين شردوا اثر الكوارث الطبيعية الناجمة عن فيضان نهري وو، وفي . وقدر عدد المناطق المسورة الخاضعة لسلطة النيـن في المدة ما بين عامي (١٨٥٦ و١٨٦٠) نحو (٢٠٠٠) منطقة، الا انها كانت عرضة للتغيير على وفق

---

(1) Ibid, P.19.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.194.

(3) Siang–Tseh Chiang, Op. Cit., P.2 .

(4) Chesneaux, Op. .Cit . , P.3.

(5) Siang–Tseh Chiang, Op. Cit., PP.41-44.

الظروف[١]. وبضعف سلطة الحكومة عن تلك المناطق، وجب على النين ايجاد تنظيم خاص بهم، ولكن ما طبيعة ذلك التنظيم و ما أثره على سلطة الحكومة ؟.

يبدو ان النين الذين تظاهروا بولائهم للحكومة بين الحين والآخر، عمدوا الى ايجاد تنظيما قام عالى ادماج كل فرقتين او اكثر في كل منطقة محصنة بسور، وعينوا رئيساً لكل واحدة من هذه المناطق، تناط به الشؤون الخاصة بمنطقته، وله سلطة اتخاذ القرار النهائي فيها، وتقع على عاتقه مهمة مراقبة اوضاعها، ومساعدة الجيش الحكومي في مواجهة العصابات، وفي وقت الحصاد كان عليه توجيه رجال الفرق للحصاد ، وتقسيم المحاصيل الزراعية بالتساوي مع الملاكين، وبذلك يكون هذا التنظيم قد أضعف سلطة الحكومة التي تخلت عن موقعها، وسمح لرؤساء الفرق المحلية ليحلوا محلها في التحكم بهذه المناطق . إذ اصبح رؤساء الفرق يتمتعون بسلطة سياسية وادارية في مناطقهم . و على وفق هذا التنظيم كان رؤساء الفرق يخضعون لقائد اعلى منهم رتبة سمي بـ(القائد العام للفرق)، وهكذا ضعفت سلطة الحكومة حتى لم يتعد مداها سور المدينة او القرية[٢]، ويمكن ان يزاد على ذلك ايضاً ان هذا التنظيم اضعف سلطة الاقطاعيين، الذين اجبروا على اقتسام المحاصيل الزراعية بالتساوي مع رؤساء الفرق لأجل تمويل فرقهم، ليسجل هذا التنظيم تراجعاً ملموساً في سلطة الحكومة والاقطاعيين معا لصالح رؤساء وقادة الفرق المحلية، الذين اصبح لهم القول الفصل في المناطق التي خضعت لسيادتهم . لذا، لايبدو واقعيا عدّ النيان مجرد عصابات قامت بالسلب والنهب، إذ انهم تمكنوا من التحول الى جيش له تنظيمه الخاص، واهدافه السياسية و القومية التي تتجلى بإسقاط اسرة المانشو واعادة اسرة المينج الوطنية الى الحكم ، فضلاً عن اهتمامه بتنظيم الاوضاع الاقتصادية.

والمعروف ان حركة النين، ظهرت في المناطق الوسطى من الصين ، وتزامنت مع ثورة التايبنغ في جنوبها ، وحركات المعارضة الاسلامية في الشمال الغربي منها ، فهل حاول النين، الذين افادوا من هذا الوضع، توحيد جهودهم مع أي من الطرفين، او مساعدتهم، وكيف تمكنت الحكومة من القضاء عليهم؟

---

(1)Ibid., PP.41-44.

(2) Ibid., PP.37-38.

على الرغم من عدم وجود ارتباط عقائدي يجمع بين النيـن والمسلمين والتايبنغ، شجعت وحدة الهدف السياسي بإسقاط حكومة المانشو النيـن على تقـديم المـساعدة للتايبنغ والمسلمين، ومحاولة التوحد معهم . ففي عام ١٨٥٤، و فـي اثنـاء حملـة التايبنغ الشمالية الي استهدفت بكين، تحالف النيـن مع التايبنغ ونظمت قـواتهم علـى نحو مشترك، وبفضل هذا التحالف قامت انتفاضات متعددة في آنهوي، وشارك النين في الحملات كلها التي قادها التايبنغ في شمال اليانغتسي، وبذلوا جهوداً كبيرة فـي سـبيل تخفيف اثر الحصار، الذي فرضته قوات الحكومة حول العاصمة السماوية ، وربح الوقت بمشاغلة قوات الحكومة في مقاطعة شنسي . وعلى غرار قادة التايبنغ اصـبح تـشانغ ليوهسينغ ملكاً، واسوة بهم، ورمزاً للاتحاد معهم ترك النيان شعرهم مسترسلاً ، خلافـاً للمنشورين ذوي الظفائر[1] . والى جانب ذلك حاول النين الالتحاق بقـوات المـسلمين وتقديم الدعم لهم، الا ان جيش هوى بقيادة تسوتسونغ تانغ، الذي عهدت اليه الحكومة في عام ١٨٦٥ مهمة القضاء على النيـن ، حال دون ذلك . ولم يتمكن النيـن، الذين قسموا قواتهم الى قسمين، قسم شرقي اتجه لمحاصرة قوات الحكومة في هنان وآنهوي وشانتونغ وعلى طول القناة الكبرى، وحاولوا الزحف الى بكين، وقسم غربي اتجه الـى شانسي للالتحاق بقوات المسلمين، ومواجهة قوات جيش آنهـوي البالغـة (٣٠٠٠٠) جندي مزودين بأحدث الاسلحة، تمكنت بقيادة لي هونغ تشانغ، الذي حـل محـل تـسو تسونغ تانغ الذي وجه للقضاء على ثورات المسلمين، من تحطيم الرتل الشرقي في عام ١٨٦٨. وفشل الرتل الغربي في تحقيق مهمته، وفي محاولة منه لعبور النهر الاصـفر للتراجع شرقاً، لإنقاذ بقايا الرتل الشرقي، تمكنت قوات الحكومة، بمساعدة الفرنـسيين من تحقيق الانتصار النهائي ووضع حد للحركة التي استمرت خمسة عشر عاماً[2].

---

[1] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠١؛

Cheseaux , Op . ,Cit . , P.3

[2] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠١-١٠٢.

رابعاً- حركات المعارضة الاسلامية ١٨٥٥-١٨٧٨

١- سياسة حكومة المانشو تجاه المسلمين

لاريب في ان سياسة التمييز الديني، وكبت الحريات الدينية، ومسخ الهوية القومية، التي مارستها عدد من الحكومات على مر التاريخ ، كانت عاملاً مهماً في تفريق ابناء الشعب، واذكاء روح الفتنة في صفوفه، ودفع الطرف المغلوب على امره، الى الخروج على سلطة الحكومة . وهذا ما لمسناه لدى حكومة المانشو ومسلمي الصين . ولكن ما دواعي اتباع حكومة المانشو مثل هذه السياسة ، وما أوجهها، وما موقف المسلمين منها ؟ قبل الاجابة عن هذه التساؤلات لابد من التنويه بأن مسلمي الصين كانوا ينقسمون على مجموعتين كبيرتين، توزعت واحدة منها في مختلف المقاطعات الصينية الداخلية والساحلية[١]، اما الثانية فإنها تركزت في المقاطعات الشمالية والشمالية الغربية: كانصو، وشينسي، وتركستان الشرقية[٢] وهم ينتمون لقوميات متعددة هي: هوى، وطاجيك[٣]، اويغور، وقازاق، واوزبك، ومغول، وقرغيز، ودونغشيانغ، وسالار، وباوان[٤] . وقد ساعد انتشارهم الواسع هذا على تنويع مجالات نشاطهم الاقتصادي،

---

(١) محمود شاكر، سلسلة مواطن الشعوب في آسيا: تركستان الصينية (الشرقية) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩، ص٥١؛ محسن صالح، قضية الاقليات القومية في الصين الشعبية، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٣، ص٧٦؛

Wilfred Cantwell Smith, Islam in Modern History, Oxford University Press, (London, 1957), P.249.

(٢) محمود شاكر، المصدر السابق، ص٥١؛

Ewing. W. Carroll, Thearsa Chu, Religion in China Today, Eastern Horizon, Vol.XIX, No.6, June 1980, P.8; M.E. Botham, Islam in Kansu, Moslem World, Vol.X, 1920, PP.377-379.

(٣) تطوير فارسي للكلمة الفارسية تازي التي اطلقت على قبيلة طي العربية الواسعة الانتشار، ثم حرفها الصينيون الى تاشيش أي العربي او المسلم، ينظر: فهمي هويدي ، المصدر السابق ،ص ٣٦؛ فيصل السامر، الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى، دار الطليعة ، باريس ،١٩٧٧، ص١٢٧.

(٤) مجلة بناء الصين، العدد (٧)، بكين، ١٩٨٠، ص٨٩-٩٠؛

G.W. Hunter, The Chinese Moslems of Turkestan, Moslem World, Vol.X, 1920, P.168.

فبينما اقتصر نشاط مسلمي المناطق الجنوبية على التجارة ، مارس مسلمو المناطق الشمالية الغربية الزراعة والرعي ايضا[١] . والواقع ان مسلمي الصين على اختلاف قومياتهم كانوا منسجمين مع المجتمع الصيني الى حد كبير، فقد كانوا حريصين على ان لا يظهروا بمظهر متميز عن الصينيين، من غير المسلمين، لكي لا يتركوا لديهم انطباعاً بأنهم غرباء عنهم، نتيجة اختلاف عقائدهم وعاداتهم وحياتهم الاجتماعية، التي اصبحت محل نقد الكتاب الوثنيين . وقد اضطروا الى تكييف انفسهم وعاداتهم ومظهرهم مع الحياة الصينية، فتطبعوا بعادات اهل البلاد وتكلموا لغتهم وتزيوا بزيهم وتسموا بأسمائهم وتزوجوا منهم، وصار من الصعوبة تمييزهم عن اهل البلاد الا من خلال تمسكهم بعقائدهم . وجدهم في المحافظة على هويتهم الاسلامية وسط ذلك المحيط البشري الهائل، المتعدد التيارات الفكرية[٢]، وضمن ذلك السياق حرص المسلمون على الاكثار من اعدادهم، بوصفهم اقلية صغيرة جدا قياساً الى قومية الهان الغالبة في البلاد[٣] ، من خلال التبشير بالدين الاسلامي بين الصينيين، وشراء الاطفال الوثنيين من والديهم الذين عجزوا عن توفير القوت لهم، ولاسيما في اوقات المجاعات، وتزوجوا من الصينيات لادخالهن في الدين الاسلامي، يزاد على ذلك أن العديد من الضباط المسلمين ذوي النفوذ افادوا من مناصبهم في اقناع العديد من الجنود الوثنيين بأعتناق الدين الاسلامي[٤] . الحق ان هذه السبل ساعدت على زيادة عدد المسلمين، وشهد بذلك عدد من المبشرين الذين زاروا المنطقة في تلك الآونة [٥]. يزاد على ماتقدم انهم حاولوا تأكيد هويتهم الاسلامية، من خلال محافظتهم على الطقوس والشعائر الاسلامية ، دون

---

(١) فهمي هويدي، المصدر السابق، ص٩٠.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠٥؛ فهمي هويدي، المصدر السابق، ص٩٧؛ Maris Boyd Gillette, Between Mecca and Beijing Moderinization and Consumpition Among Urban Chinese Muslims, Stanford University Press, 2000, P.11.

(٣) فهمي هويدي، المصدر السابق، ص٩٦.

(٤) دائرة المعارف الاسلامية: م. الصين، المجلد الخامس، طهران (د.ت)، ص١١.

(٥) توماس آرنولد، الدعوة للاسلام، ترجمة حسن ابراهيم واخرون، مصر، (د.ت)، ص٣٣٩.

استفزاز السلطات الحاكمة كالمداومة على اجراء طقوس الزواج وتشييع الجنائز، وصوم شهر رمضان، والامتناع عن اكل لحم الخنزير وتناول الكحول والافيون، والاستمرار في استخدام التقويم الهجري . ويبدو أن ازدياد اعداد المسلمين، وممارسة هذه الطقوس الغريبة على المانشو، الذين كانت تعوزهم حنكة المينج[1] وفهم عام للعقائد الدينية وثقافات الشعوب الاخرى، أثارت في نفوسهم الشك في موقف المسلمين منهم، ولاسيما وان المسلمين كانوا قد وقفوا الى جانب المينج، ضد المانشو في اثناء دخولهم الصين[2] . وظهرت هذه الشكوك في كثير من التقارير التي رفعها الموظفون المنشوريون الى الحكومة، و بيّنت طبيعة موقفهم السلبي من المسلمين المعادين للنظام الاقطاعي[3] ، كاتهامهم المسلمين بممارسة الاعمال التي تشوه أذهان الناس وعقائدهم ، وعلى غرار ذلك رفع الموظفون الصينيون، الذين شغلوا مناصب حساسة في الدولة، الكثير من التقارير الى الحكومة، التي كشفت سوء نواياهم تجاه المسلمين . ويرد ذلك في احد جوانبه الى رغبتهم في حرمان القادرين من المسلمين، في ارتقاء المناصب

---

[1] خلافاً لاباطرة المانشو لم يتبع اباطرة اسرة المينج سياسة التمييز الديني تجاه المسلمين، بل اتبعوا سياسة ودية قوامها الاحترام المتبادل بين الطرفين فأحتفظ الكثير من المسلمين بمناصبهم العالية في الدولة، ولم يشهد تاريخ اسرة المينج وقوع حوادث او اصطدام مع المسلمين بسبب الاختلاف في العقيدة او تطبيق الشعائر الدينية، ويعود السبب في ذلك جزئيا الى السمعة الحسنة التي اكتسبها المسلمون في عهد اسرة سونغ، والى تفهم المينج لعقيدة المسلمين وشعائرهم. بدر الدين و.ل. حي الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٣٥-٣٦؛

Isaac Mason, The Moslem World. Chinese Moslem Chronology, Shanghai, (N. D), P.70.

[2] بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٤٦ وص٤٩.

[3] من الجدير بالملاحظة أن المسلمين الصينيين تفطنوا منذ وقت مبكر الى مساوئ النظام الاقطاعي ووقوفه ضد تطور المجتمع، فقد وجه المؤرخ والناقد الادبي الصيني المسلم لي تشي (١٥٢٧-١٦٠٢) النقد للافكار والنظم الاقطاعية واوضح أضرارها على تقدم المجتمع، وظهر ذلك واضحاً في كتابيه: كتاب مستتر (تسانغشو) وملحقاته، وكتاب محروق (فينشو) وملحقاته. مجلة بناء الصين، العدد (١٢)، ١٩٨٠، ص١٠٦.

العليا، ولاسيما انهم سبق ان حصلوا عليها في عهد اسرتي يوان[١] والمينج سواء في المقاطعات التي يكثر وجودهم فيها أو في المقاطعات الاخرى[٢].

على ان حكومة المانشو، التي لم يرق لها ازدياد اعداد المسلمين، والتي نظرت الى الدين نظرة سياسية بحتة، اتجهت الى التشدد في تطبيق القوانين الصينية، في المناطق التي تسودها اغلبية اسلامية، ولاسيما تلك التي فرضت على كل مواطن اداء مراسيم الكوتو (السجود ثلاث مرات للامبراطور)، فإذا خضع المواطن لتلك المراسيم له الحق في اعتناق اي دين يشاء، وتنفيذاً لذلك فرض القانون وضع صورة للامبراطور في كل مسجد ليجبر المسلمين على السجود امامها ، غير ان المسلمين الذين كانوا على استعداد لمسايرة السلطة ليأمنوا على حياتهم واموالهم ظلوا يتهربون من هذه المراسيم، التي تعرضوا اثرها للملاحقة والاضطهاد من السلطات الحاكمة[٣] . ولم يتوقف الامر عند ذلك الحد، وانما اصبح يتعين على المسلمين الموظفين في دوائر الدولة، ان يتبعوا العادات الصينية في المناسبات والاعياد، واداء الشعائر الخاصة على الطريقة الكونفوشيوسية وفي معابدها، حتى قاد هذا الامر الى وقوع المسلمين في الاختلاف بين ما توجبه الشريعة الاسلامية عليهم وبين ما تفرضه العادات الصينية عليهم ، ولاسيما في ما يتعلق بعبادة الاسلاف، وهي الديانة السائدة في الصين ، ووضع اقدام الفتيات الصغيرات في قوالب، التي كان المسلمون يجبرون على تطبيقها ، وكذلك المراسم

---

[١] قدم المسلمون الصينيون في عهد اسرة يوان (١٢٨٠-١٣٦٨) واسرة المينج الكثير من المنجزات العلمية التي اهلتهم لارتقاء كثير من المناصب المهمة في الدولة. إذ قاموا بدراسة اغلب العلوم التي برع بها المسلمون العرب وغيرهم، ونقلوها الى الصين، كالطب والصيدلة والرياضيات والفلك والجغرافية والتقويم، واخترعوا بعض الاجهزة الفلكية. وقد اثبتت ذلك كثير من السجلات التاريخية الخاصة بتلك الاسر، فضلاً عن ذلك فإن قدراتهم الادارية اهلتهم لحكم ثمان مقاطعات من مجموع اثنتي عشر مقاطعة في عهد اسرة يوان. للمزيد عن ذلك ينظر: حسان حلاق، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٧٥؛ مجلة بناء الصين، العدد (١٢)، ١٩٨٠، ص١٠٥.

[٢] بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٤٧؛ مجلة بناء الصين، العدد (١٢)، ١٩٨٠، ص٩٦.

[٣] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠٥.

المتعلقة بالزواج ودفن الموتى واكل لحم الخنزير وشرب الخمرة وغيرها[١]، وكل هذه الامور شكلت ضغطاً على المسلمين ودفعتهم للقيام بعدة ثورات ضد اسرة المانشو.

٢- حركة يونّان ١٨٥٥-١٨٧٣

جامعة بغداد كلية التربية - ابن رشد المكتبة المركزية مكتبة الرسائل والاطاريح الجامعية

شكل المسلمون نسبة عالية من سكان يونّان الذين ينتمون الى قوميات متعددة، وهم يعرفون باسم بانطي وتعني المسلم بلغة بورما . وقد دأبوا على العمل في مناجم الفضة والرصاص في منطقة شيه يانغ شانغ ، وعلى الرغم من كونهم اقل عدداً من غير المسلمين ، لكنهم كانوا اكثر نجاحاً منهم في العمل[٢] . وهو الامر الذي جعلهم هدفاً لجماعات غير المسلمين الذين ارادوا الاستئثار بمناجم الفضة وبشهادة الكاتب الفرنسي روشير(E. Rocher)، الذي كان يعمل في دائرة الكمارك البحرية، وزار يونّان في تلك الاثناء، وسجل ملاحظاته حول الثورة فيها، أن الاعتداءات على المسلمين بلغت ذروتها في عام ١٨٥٥، إذ قام الصينيون من غير المسلمين بشن هجوم واسع النطاق عليهم وكبدوهم خسائر كبيرة في الارواح والممتلكات واضطروهم الى اللجوء الى الغابات والمناطق المجاورة[٣]. من الواضح هنا أن للعامل الاقتصادي أثر واضح في نشوب النزاعات المحلية بين المسلمين وغير المسلمين، ولكن هل حاولت السلطات المحلية التدخل لتسوية النزاع سلمياً، ولاسيما ان الوضع العام في الدولة كان يتطلب إبقاء الوضع مستقراً في المناطق التي لم تشهد قيام حركة معارضة ، حفاظا على ولائها للسلطات المحلية الممثلة لسلطة الحكومة الامبراطورية ؟

جامعة بغداد كلية التربية - ابن رشد المكتبة المركزية مكتبة الرسائل والاطاريح الجامعية

[١] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠٥-١٠٦؛ دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الخامس، ص١٠.

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠٧-١٠٨؛ لوثروب ستيوارد ، ، حاضر العالم الاسلامي، تعليق شكيب أرسلان ، ترجمة عجاج نويهض، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (القاهرة، ١٩٣٣) ،ص٢٢٨.

(3) E. Rocher, La Province Chinoise Du Yunnan, Paris, 1880, Vol. PP.29-30, In Broomhall, Islam in China A neglected Problem, Shanghai, 1910, PP.129-130.

في الواقع كان هناك تباين واضح في موقف اعضاء السلطة المحلية لمعالجة تلك النزاعات ، فبينما رغب حاكم المقاطعة تسوية المسألة سلمياً، بمنح المسلمين الامتيازات لامتصاص سورة غضبهم ، استغل نائب رئيس اركان الحرب، الذي امتاز بشدة كراهيته للمسلمين، هذا الموقف ونفذ مجزرة رهيبة بهم في ١٩ آيار عام ١٨٥٦، راح ضحيتها (٣٠٠) عائلة مسلمة، احرقت بيوتهم ومساجدهم . وهو الامر الذي ادى الى انتحار حاكم المقاطعة وامين الخزانة والقاضي، احتجاجاً على ذلك[١] . ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، وانما تعداه الى قتل (٧٠٠) عائلة اخرى في مركز مقاطعة يونّان فضلاً عن عدد من الطلبة الذين قدموا من انحاء المقاطعة لاداء الامتحانات[٢]. لقد اظهر هذا الموقف بما لا يقبل الشك تمييزاً دينيا في غير صالح المسلمين ، ونم عن افتقار السلطة المحلية للحنكة السياسية ، فالمحافظة على سلطة الحكومة لا تعني دائماً استخدام القوة، التي قد تؤدي الى نتائج عكسية، في وقت كانت فيه الحكومة بأمس الحاجة لاقرار الوضع في تلك المناطق وتوجيه جهودها الى المناطق التي سقطت بأيدي التايبنغ والنين.

استناداً الى ماتقدم، قادت سياسة التمييز الديني والاضطهاد، مسلمي يونّان الى اعلان الثورة بوجه سلطات المانشو، وظهرت التنظيمات لحركة المعارضة ، التي نظمتها شخصيات قيادية، في جنوب المقاطعة وغربها ، ففي جنوب المقاطعة ظهرت تنظيمات المعارضة بقيادة محمدته سينغ [٣] امام مسجد تالي، الذي كان يحظى باحترام و تقدير المسلمين الذين اختاروه قائداً لهم ، ولكبر سنه اكتفى بمنصب القائد الروحي للثورة . اما القيادة العسكرية فمنحها لمساعده ماهسيان، ابن اخيه، وكان هذا ضابطاً متخرجاً في المدرسة العسكرية، وامتاز بكفايته ونشاطه

---

(1) Broomhall, Op. Cit., PP.130-131.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٠٨.

(٣) هو امام مسجد تالي عرف بكونه فقيهاً ملماً باللغة والجغرافية، قام برحلات متعددة الى مكة والاسكندرية والاستانة وغيرها من المدن الاسلامية واطلع على اوضاع المسلمين فيها، وعاد الى بلاده عام ١٨٤٦ وانجز كثيراً من الاعمال في الفلك والجغرافية ونشر باللغة العربية والصينية مختصراً عن رحلات مسلمي الصين الى مكة. ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق ، ص١٠٨-١٠٩.

الواسع، الذي اتخذ من مدينة كوان – جنوبي عاصمة المقاطعة – مقراً له ومركزاً لعملياته العسكرية ضد السلطة[١]. وعلى الجانب الغربي من المقاطعة، ظهرت قيادة توون شيو لتنظيم حركة المعارضة، ، وقد تمكن هذا من السيطرة على مدينة تالي، التي تمتاز بموقعها الاستراتيجي الحصين غربي المقاطعة، ووقوعها على الطريق التجاري المؤدي الى بورما والتبت، واصبح هو الموجه السياسي للثورة[٢].

وعلى الجانب العسكري تمكن المسلمون بقيادة ماهسيان، من فرض حصار حول العاصمة يونّان، مما ادى الى تردي الوضع فيها، واصبح الكثير من سكانها مشردين في الشوارع، واضطر قائد الجيش الامبراطوري فيها للاتصال بقائد المسلمين لمعرفة شروط الاستسلام، وما ان سمع نائبه، الذي خطط وشارك في تنفيذ المجزرة بالمسلمين في عام ١٨٥٦، بذلك الامر فإنه انتحر فوراً[٣].

ذلك على صعيد موقف السلطة المحلية، فما هو موقف الحكومة المركزية من ذلك ؟ في ظل قيام ثورة التايبنغ وتحديها المباشر للعاصمة بكين، واستمرار حركات النين ومحاولة توحيد جهودها مع التايبنغ لاسقاط حكومة المانشو، التي تفاقم وضعها كثيراً باندلاع حرب الافيون الثانية، وظهور بوادر حركة معارضة اسلامية في سينكيانغ، فضلا عن ذلك ازدياد مخاوف حكومة الصين من نوايا بريطانيا، ولاسيما بعد ان ألحقت بورما بالهند[٤]، وابدت اهتمامها بالثورة في يونّان فخشوا من التصادم معها[٥]، على اساس كل ذلك لم يكن بإمكان حكومة المانشو التدخل في هذه الازمة، ولاسيما اذا ما أضفنا الى ذلك ان بعد المنطقة عن مركز الحكومة جعل من الصعوبة اشرافها على سير العمليات فيها ، فخولت امر القضاء عليها الى السلطات المحلية[٦] . وهذا مؤشر واضح على

---

(١) المصدر نفسه؛ محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الخامس، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١، ص٦١٨-٦١٩.

(2) Broomhall, Op. Cit., PP.131-132; Macgowan, Op. Cit., P.585; Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.317.

(٣) بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٩٢؛ Broomhall, Op. Cit., P.132.

(٤) سيرد الحديث عن ذلك في الفصل القادم.

(5) Broomhall, Op. Cit., P.132.

(٦) جلال يحيى، المصدر السابق، ص ١٥٨ ؛ بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٩٢.

ضعف السلطة المركزية وتفوق قوة السلطات المحلية عليها وهو امر تكرر حدوثه كما لاحظنا في حركات المعارضة الاخرى.

وعلى الرغم من النجاح الذي حققته الثورة، ادرك القائدان محمد ته سينغ وماهسيان أن الحكومة ستتدخل عاجلاً ام اجلاً[١]، ولاسيما بعد توارد اخبار عن حصولها على دعم من القوات الاجنبية، وتحقيقها انتصارات كبيرة على التايبنغ[٢] . فضلاعن ذلك ان رغبتهم في تأمين سلامة اتباعهم واحلال السلام في تلك الاثناء ، فاقت رغبتهم بالانتقام واخذ الثأر من قوات الحكومة . وقد فسر ذلك على انه رغبة في التفاوض، فانتهز قائد القوات الحكومية ذلك ليعرض على القائدين واتباعهما من قادة الكتائب مناصب رفيعة ومكافئات ان تعاونوا مع الحكومة . وقد اثمر هذا العرض في تفريق صفوف المسلمين، فقد قنع محمد ته سينغ براتب شهري مقداره (٢٠٠) تايل، فيما عين ماهسيان قائداً في الجيش الحكومي، وبذلك دخلت قوات الحكومة العاصمة يونّان في تشرين الثاني عام ١٨٦٠، من دون اعمال عنف، إذ القى القائدان المسلمان السلاح وطلبا من اتباعهما الكف عن القتال ، وقد حاول محمد ته سينغ اقناع توون شيو بأنهاء القتال والدخول معه في الصلح مع الحكومة الا ان توون شيو، الذي عدّ عملهم هذا خيانة لقضية مسلمي يونّان، رفض مطلبه وقرر مواصلة الثورة حتى النهاية[٣].

وعلى النقيض من سياسة التمييز الديني التي سارت عليها حكومة المانشو، دعا توون شيو، الذي لقب نفسه بالسلطان سليمان[٤]، من مقر حكمه في تالي، التي عرفت في الكتابات الغربية بمملكة تالي الاسلامية او مملكة الجنوب الاسلامي، جميع الخارجين على سلطة الحكومة من دون اي تمييز عرقي او ديني، للانضمام اليه[٥] معلناً ان هدفه اعادة الوحدة بين المسلمين والصينيين، وان جيشه يسعى الى تحقيق ثلاثة اهداف،

---

[١] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٠.

(2) Wolfrom Eberhard, A History of China, Cox and Wyman , (London, 1960), PP.310-311.

[٣] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٠.

[٤] يشار الى أن السلطان سليمان هو اول من قام بطبع القرآن الكريم في الصين بطريقة النحت الخشبي في عام ١٨٦٢، بعد ان كان ليان يوان (١٨٤١-١٩٠٣) قد طبع مختارات منه مرفقة بالترجمة الصينية. مجلة بناء الصين، العدد (١٢)، ١٩٨٠، ص١٠٨.

(5) Tikhnivski, Op. Cit., P.226.

سحق المانشو ، و الاتحاد مع الصينيين، والقضاء على الخونة، وقد لاقت دعوته قبولاً من كثير من الصينيين، الذين ينتمون الى قومية الهان[1]،وفضلاً عن الطابع الوطني الذي حملته دعوته، فقد حملت ايضاً طابعاً دينياً اسلامياً بالبيان الذي وجهه الى مسلمي التبت ، الذي ضمنه آيات من القران الكريم، ودعا فيه لاسقاط حكومة المانشو واقامة دولة اسلامية في مقاطعة يونّان وجعل تالي عاصمة لها[2]. وخلافاً لدولة التايبنغ، لم تتعد حدود الدولة التي طمح السلطان سليمان الى تأسيسها حدود مقاطعة يونّان ، وقد يرد ذلك الى ان هذه الثورة خلافاً لثورة التايبنغ التي قامت في مدة ضعف الدولة وحققت توسعاً كبيراً، قامت في مدة اعادة قوة الدولة بالاستعانة بالخبرات الاجنبية ضمن سياق ما عرف بسياسة التعزيز الذاتي.

ولتنظيم شؤون مملكته، اصدر السلطان سليمان في عام ١٨٦٢، قانوناً للادارة العسكرية اكد فيه الطبيعة الشعبية للثورة، ومنع بموجبه النهب واوجب على السكان تزويد الجيش بالمؤن، ومنع استغلال المناصب والنفوذ، ودعا الى تشجيع الحرفيين، وتأسيس مدارس اسلامية، ومنع التسري والزنا وحث على ستخدام التقويم الهجري واللغة العربية، وفي محاولة منه لاطلاع المسلمين في الصين على قواعد الدين الصحيح امر عام ١٨٦٢ بحفر سور القرآن الكريم على الواح من الخشب بوصفه وسيلة لطبعه وتوفيره لمن اراد، واعلن نفسه حاكماً مستقلاً على يونّان وارسل الى الدول الاخرى يعرفها بقيام دولته وبأنه تسلطن على اكثر من ستين مليون مسلم طالباً الاعتراف به[3].

وقد حاول السلطان سليمان الافادة من الوضع الدولي لخدمة قضيته، فرغب في الحصول على دعم بريطانيا[4]، التي زاد تخوفها من نشاط فرنسا في الهند الصينية ودخلت في صراع مع روسيا في تركستان [5] . فاتصل بالبعثة البريطانية بقيادة سلادن التي زارت يونان في الاعوام (١٨٦٨-١٨٧٠)، لتنظيم تجارة الهند البريطانية معها،

(1) Chesneaux and Others, Op . Cit . , PP.113-114.

(٢) بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٩١-٩٢.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٠.

(٤) محمد فريد وجدي ، المصدر السابق ، ص٦١٩.

(5) H.J. Kissling and Others, The Muslim World A Histirical Survey, Leiden E.J. Brill, (Netherland, 1969), Part III: The Great Muslim Empires, P.256.

غير ان احتجاج الحكومة الصينية على اعمال هذه البعثة حال دون إفادة السلطان سليمان منها[1]، فنصحته بالتوجه الى الحكومة البريطانية وبالفعل ارسل السلطان سليمان في عام ١٨٧١ ابنه الامير حسن على رأس وفد ليقابل رئيس الوزراء البريطاني غلادستون[2](١٨٦٨-١٨٧٦)، لطلب المساعدة والدعم لحكومة مملكة تالي، ويشار الى ان غلادستون الذي كان يتمسك بمبادئ الاحرار الداعية الى (السلام والتقتير) رفض فكرة اقامة دولة اسلامية بالقرب من الهند وبورما واعتذر عن التدخل بشؤون مسلمي الصين وأشارعليهم بالتوجه الى الدولة العثمانية[3] . يبدو هنا ان سياسة بريطانيا في الصين في ذلك الحين رمت الى ابقاء الصين موحدة تحت سلطة حكومة المانشو الضعيفة، ولم تشأ استبدالها بحكومة اخرى، مادامت تؤدي الغرض من بقائها في السلطة، والمتمثل بمنحها الامتيازات . و ان تدخل بريطانيا في يونّان يعني ازدياد حجم التدخل الروسي في تركستان وهذا ما لم تكن ترغب به الحكومة البريطانية.

وبناء على نصيحة غلادستون توجه الامير حسن الى السلطان العثماني عبد العزيز [4]الذي وجد فيها فرصة تمكنه من بسط سلطانه على مسلمي الشرق الاقصى، الا ان تأزم العلاقات مع روسيا، وتردي الوضع المالي للدولة العثمانية ،

---

(1) Macgowan, Op. Cit., P.587.

[2] سياسي ليبرالي ذو جذور اسكتلندية خالصة، ولد في ٢٩ كانون الاول ١٨٠٩ في ليفربول، دخل البرلمان في عام ١٨٣٢، وتقلد عدة مناصب وزارية منها: التجارة في حكومة بيل ١٨٤٣، والحرب والمستعمرات عام ١٨٤٥، والخزانة (١٨٥٢-١٨٥٥) و(١٨٥٨-١٨٦٦)، وتزعم حزب الاحرار عام ١٨٦٦، وشكل اربع وزارات الاولى (١٨٦٨-١٨٧٤) والثانية (١٨٨٠-١٨٨٥) والثالثة (شباط ١٨٨٦- تموز ١٨٨٦) والرابعة (١٨٩٢-١٨٩٤) وتوفي عام ١٨٩٨. للمزيد ينظر: سهيلة شندي عوان البدري، وليم غلادستون والقضية الايرلندية ١٨٦٨-١٨٩٤، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٥،ص١-١١ ؛ Encyclopedia Brtinca , Vol.15, (London,1962) , P.385-388.

[3] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١١.

(٤) هو السلطان الثاني والثلاثين من سلاطين الدولة العثمانية،ولدعام ١٨٣٠ واعتلى السلطنة عام١٨٦١حاول اجراء عدد من الاصلاحات داخل كيان الدولة ألا أن اشتداد الصراع حول طبيعة هذاالاصلاح وافلاس خزينة الدولة وفرض الضرائب وقيام الثورات في البوسنة والهرسك وبلغاريا مهد لسقوطه في انقلاب أبيض في٣٠آيار ١٨٧٦ ليتولى الحكم بعده مراد الخامس . للمزيد عن ذلك ينظر: محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٧، ص٢٨٧-٣٢٠.

وصعوبة الوصول الى المناطق النائية، حال دون تقديم المساعدة، فاضطر الامير حسن الى العودة الى يونان في عام ١٨٧٣، فوجد ان الثورة قد قمعت بعد فشل الحصار الذي فرضته قوات والده حول العاصمة يونان، وسقوط المناطق التي كانت تسيطر عليها قوات المسلمين بأيدي السلطات الحكومية . ولانقاذ حياة من بقى من المسلمين سلم السلطان سليمان نفسه للسلطات الحكومية، بعد ان قام بابتلاع كمية كبيرة من السم، وتسميم زوجاته الثلاث وبناته الخمس وذلك في ١٥ كانون الثاني عام ١٨٧٣[١] . وبذلك تم القضاء على مملكة تالي الاسلامية التي دام حكمها قرابة ثلاث عشرة سنة[٢]، وقد سجل روشر النهاية البشعة لهذه الثورة والمجازر العنيفة التي نفذت بالمسلمين فذكر، ان ما لايقل عن مليون شخص قتلوا، وفر الالاف من سكان المنطقة الى بورما، وتعطلت التجارة واقفرت مساحات واسعة من الاراضي، وازيلت مدن وقرى كاملة من الوجود وسُبيت النساء والاطفال وبيعوا في الاسواق واستمرت آثار المجازر البشعة سنين طويلة بعد القضاء على الثورة[٣].

٣- حركة شنسي وقانصو (١٨٦٢-١٨٧٥)

ينتمي مسلمو شنسي وقانصو الى الاتراك الاويغور والسلارالى جانب عدد من العرب والمغول، ويطلق عليهم الصينيون اسم التونكان أي المتحولون الى الدين الحق . وشهد عام ١٨٦٢ قيامهم بثورة ضد أسرة المانشو كانت في احد جوانبها استجابة لثورة التايبنغ وحركة النين[٤]، وثورات المسلمين في يونان وتركستان الشرقية[٥] . فقد اثارت الحملة التي قادها التايبنغ والنين الى شنسي للحصول على دعم المسلمين، [٦]،حماسهم لاعلان الثورة ضد السلطات المحلية التي طالما تدخلت ضد المسلمين، في اثناء النزاعات التي حدثت بينهم ، وبين الوثنيين ولاسيما في عام

---

(١) نوري عبد الحميد العاني،المصدر السابق، ص١١١-١١٢.

(٢) شكيب ارسلان، المصدر السابق، ص٢٢٨.

(3) Quoted in : Broomhall, Op. Cit., PP.139-140.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P.258.

(٥) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الخامس، ص١٩.

(6) Macgwan , Op. Cit., P. 585.

١٨٦٢[١] . فاندفع المسلمون الى تنظيم انفسهم في واينان، التي تبعد نحو ثلاثين ميلاً شرقي سيان عاصمة المقاطعة، واعلنوا في العام نفسه ثورتهم، التي برز في قيادتها عدد من رجال الدين والعسكريون والمعلمون، كان اشهرهم ماهوا لونغ، وهو احد رواد حركة الإصلاح الديني التي حملت اسم الفرقة الجديدة او المذهب الجديد، ويشار الى انه ينتسب الى آل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحتى يميز اتباعه عن غيرهم من المسلمين، امرهم بارخاء الايدي والجهر بالصلاة وقراءة القرآن فسموا بالجهرية[٢]. وبرز ايضا قائد اخر يدعي محمد ايوب بيانخو وهو ابن عضو مجلس بلدي، وهو اكثر قادة المسلمين صلابة ، سعى الى جمع كل القوى المعادية لأسرة المانشو، فانضوت تحت لوائه جماعات من التايبنغ والنين، التي انسحبت الى شمال غرب الصين تحت تأثير ضغط المانشو[٣]، وهو الامر الذي يعكس الطابع الوطني لهذه الثورة فضلا عن طابعها الديني.

وعلى الرغم من ذلك حاولت الحكومة المركزية التدخل وفض المسألة سلمياً، فارسلت اثنين من موظفيها ، وهما تسان بي حاكم مقاطعة شانتونغ شمال شرق الصين البالغ من العمر (٢٦) عاماً، وهو احد مواطني مقاطعة شينسي اساساً، اما الاخر فيدعى مابي – لينغ، وهو مسلم، للتفاوض مع المسلمين، الا ان اغتيال المسلمين تسان بي، قضى على طريق التفاوض، ودفع الامبراطور لاصدار مرسوم يقضي بالابادة الكاملة لمسلمي شينسي، وفوض امر تنفيذ هذا المرسوم الى الجنرال تو[٤].

ولتأمين الوضع لاتباعها، واعادة النظام والسيطرة على المقاطعة عمدت الحكومة الى تعيين حاكم جديد على المقاطعة[٥]، ولضرب المسلمين بعضهم ببعض، اجبرت المسلمين من غير الثوار، في سيان، على الانضمام الى الحاميات الصينية المتجهة لضرب الثوار

---

(1) Broomhall, Op. Cit., PP.152-153.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٤. دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الخامس، ص٦ وص٨.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.259.

(4) Broomhall, Op. Cit., P.153.

(٥) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٥.

المسلمين، واسفر ذلك عن تمرد الجنود المسلمين وتركهم الحامية الصينية وانضمامهم الى صفوف الثوار، وتدبيرهم كميناً لحاكم المقاطعة وقتله، وشدوا من ازر المسلمين في فرض حصار على سيان[1] . وقد جاء رد الحكومة الصينية على ذلك قاسياً، وذلك بارسالها تعزيزات تمكنت من فك الحصار ولاحقت المسلمين والحقت بهم خسائر كبيرة، وفر الباقون منهم الى مقاطعة قانصو التي اعلنت الثورة ايضاً، فضلاً عن ننغشيا ومدن هامي واورمجي في تركستان الشرقية[2] . و في هذه الاثناء انضم الى الثوار قرابة (٣٠) الف جندي مسلم من الذين تركوا صفوف الحامية الصينية المسؤولة عن حماية مدن هامي واورمجي، فضلاً عن انضمام عدد من التجار والفلاحين . وهو الامر الذي أدى الى امتداد الثورة الى تركستان الشرقية، ومكن المسلمين من السيطرة على الطرق التجارية المارة عبر شمال وجنوب تيانشان نحو الغرب[3].

ومع اتساع نطاق الثورة حاولت الحكومة الرجوع الى طريق المفاوضات، فارسل الجنرال تو اثنين من رجال الدين المسلمين للتفاوض مع الثوار، الا ان فشل جهودهما ادى الى قتلهما، فاندفع الثوار المسلمون اثر ذلك الى مهاجمة القوات الحكومية وقتل الجنرال تو[4].

ان تطور الاحداث في شينسي وقانصو على ذلك النحو، أثار مخاوف الحكومة من ان تتوحد جهود المسلمين مع التايبنغ والنين ومن ثمّ يصبح من العسير عليها كبح جماح حركة المعارضة التي اتسع نطاقها ، فعينت في عام ١٨٦٦ تسوتسونغ تانغ حاكماً عاماً لاقليم شينسي وقانصو، وقائداً اعلى لاقرار الامن وهو واحد من اكفأ قادتها، ومن زعماء سياسة التعزيز الذاتي ، برز في اثناء القتال ضد التايبنغ والنين [5] . واتخذ الاخير من سيان مقراً لقيادته ووضع خطة استهدفت منع قيام اي تعاون او اتصال بين

(1) Broomhall, Op. Cit., PP.153-154.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٥.

(3) Broomhall, Op. Cit., P.154.

(4) Ibid.

(5) Tikhvinski, Op. Cit., P.259.

الثوار المسلمين، وبين النيـــن[١] . وقد تطلب اعداد حملة لهذا الغرض امكانيات ماديـــة كبيرة، لم تكن الحكومة قادرة على توفيرها، لذا ، اتبع تسو تسونغ تانغ اسلوب التمويل الذاتي جزئياً، فأمر جنوده بزراعة الاراضي الواقعة تحـت سـيطرتهم لتـوفير الغـذاء والمواد الاخرى التي يحتاجون اليها، كما اقنع الحكومة بضرورة اقامة مـصنع لـصنع الاسلحة في شينسي في عام ١٨٦٦، وترسانة عام ١٨٧١، ومصنع بارود ومـدافع عام ١٨٧٥ في لانتشو، وذلك بالاستعانة بالعمال الصينيين والخبراء الاجانـب ولاسـيما الالمان ، لإمداد هذه الحملة . فضلا عن اعادته فرض ضرائب الارض والملح والـشاي وضريبة ليجين ، كما استحدثت ضرائب اخرى[٢]، وباع الشهادات بمبالغ ضخمة . ومع ذلك لم تكن مبالغ الضرائب المحصلة تفي بحاجات الجيش، لان قسماً كبيراً منهـا كـان يذهب الى جيوب الموظفين، فأضطر الى استحداث عوئد اخرى [٣]، حتى قال فينوكوف، العالم الروسي بالحضارة الصينية، الذي زار الصين في ذلك الحين : (لانه لم يعد بامكانه الاعتماد على ادخال ضرائب جديدة، استحدث واستمر في اسـتحداث مناصـب جديـدة لاطائل من ورائها ليحصل على النقود ببيعها)[٤]. على ان تلك الموارد لم تف بحاجـات الجيش، لولا الدعم الذي حصل عليه من تجار شنغهاي، والقروض الاجنبية التي حصل عليها التي بلغ مجموعها نحو (١٥,٧٥٠,٠٠٠) تايل، ولا سيما اذا ما علمنا ان الحملة على المسلمين في المناطق الشمالية الغربية كلفت مئة مليون تايل[٥].

واظهر تسو تسونغ تانغ ، بعد قضائه على ثورة النيـن عام ١٨٦٨، اصراراً كبيراً على القضاء على ثورة المسلمين في شينسي وقنصو، وابادتهم بشكل كامل وينقل عنه انه قال: (اذا لم اقض عليهم جميعاً... واذا تركت فرعاً او جذراً منهم، فأنـه سـيكبر

---

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٥.

(2) Tso Tsung-Tang and the Foohow Shipard, In Ssu-Xu Teng , Op . Cit ., PP.18-19.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.261.

(4) M. Venioukov, Precis de La Chine Contemporaine, Sanint-Petersbourg, 1874, P.212 (En Russe). Quoted in Tikhvinski, Op. Cit., P.261.

(5) Tso`s Plan of 1866, In Ssu-Xu Teng, Op . Cit . , PP.81-83.

ويدمرني بالمقابل) (١) . و ضمن هذا السياق افاد من الانقسامات التي حصلت في صفوف المسلمين، فأغرى احد قادتهم بالانضمام هو وفرقته، اليه في مقابل منصب رفيع ثم زج قواته جميعها في القتال بعد أن قسمها على ثلاث فرق شمالية بقيادة الجنرال ليون سون شان ، والجنوبية بقيادة تشو كاي شه، ووسطى جعلها تحت قيادته، واقتحمت هذه الفرق الثلاث المناطق التي تحصن بها المسلمون، وارتكبت اعمالاً وحشية اثارت استنكار البلاط نفسه، خشية من ان تكون هذه الاعمال مدعاة لنشوب ثورة في الاقاليم الاخرى . إذ قامت هذه القوات بمذابح رهيبة، لم يستثن منها النساء والاطفال والشيوخ، إذ قتل اغلبهم ولاذ من نجا منهم بالفرار بمن فيهم القائد محمد ايوب بيانخو، الذي اتجه مع اتباعه الى تركستان الشرقية ليلتحقوا بركب الثورة فيها، وهكذا انهت قوات تسوتسونغ تانغ ثورة التونكان في عام ١٨٧٥، بعد ان استمرت اثني عشر عاماً، ودمرت قراهم ومدنهم واحرقت اراضيهم(٢) . وهذا ما اكده الطبيب الروسي بياستسكي الذي زار المنطقة عند نهاية الثورة ودوّن ملاحظاته حول الوضع فيها فقال "لقد دمرت كل القرى التي كان بإمكان الفرد مشاهدتها في الطريق، وهدمت واحرقت كل المنازل... ولم تسلم اي شجرة من الاذى، فقد كانت الجذوع المتفحمة تنتصب مجدبة، وليس هناك اي اثر لانسان يعيش وسط هذا الخراب... كل القرى التي رأيتها في طريقي كانت منهارة"(٣).

---

(1) Cheneaux and Others, Op . Cit . , P.115.

(2) Ibid.; Tikhvinski, Op. Cit., P.261.

(3) P.I. Piassetski, Voyage en Chine (1874-1875), Moscou, 1882, P.259 (En Russe) Quoted in Tikvinski, Op. Cit., PP.260-261.

٤-حركة تركستان الشرقية[١] (١٨٦٤-١٨٧٨)

أ- الوضع السياسي عشية اعلان الثورة حتى ظهور يعقوب بيك .

يشكل المسلمون في تركستان الشرقية نحو (٧٥) بالمئة من سكانها[٢]. و منذ عام ١٧٥٩خضعت لسلطة المانشو باسم سينكانج ــ الولاية الجديدة ــ وأقامو فيها تنظيماً سياسياً هرمياً، استمر حتى اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الذي شهد بداية ظهور الانقسامات، وترأس هذا التنظيم نائب عن الامبراطور، الذي اشترط فيه ان يكون من اسرة المانشو، وقد تعين على هذا النائب، الذي مقره في كاشغر، مراقبة جميع الامور في المقاطعة، وتعيين وكلاء سياسيين لكل مدينة من مدن جنوب المقاطعة، ومديرا للشرطة في كل قرية او قصبة، وقد اشترط فيهم جميعاً ان يكونوا من المانشو، وانيطت بهم الامور السياسية والادارية والعسكرية جميعها، في حين عهد بالامور الدينية والمدنية، لمأمور سياسي يدعى(الاعظم بيك) يختار من بين المسلمين وهو ينوب عن الوكيل السياسي[٣]. واجازت حكومة المانشو للكاشغرية سك النقود، واقامة دار للضرب[٤]، غير ان الحكام الجدد امعنوا في التفريق بين المسلمين وغير المسلمين، إذ منعوا المسلمين من الزواج بغيرهم، وخصص لغير المسلمين اماكن خاصة للسكن حتى صارت كل مدينة تتكون من قسمين قسم للمسلمين، واخر حديث لغيرهم . ولما كانت حكومة المانشو تتوخى فرض الرقابة على المسلمين، عززت سلطاتها في المنطقة بعدد من القلاع والحاميات العسكرية .

---

(١) تمييزاً لها عن تركستان الغربية التي كانت خاضعة للنفوذ الروسي، وهي تشتمل اليوم على دول آسيا الوسطى: اوزبكستان، وتركمانستان، وطاجيكستان، وقرغيزستان. ينظر: محمد حرب، الصراع الصيني التركستاني ومستقبل تركستان الشرقية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٢)، ١٩٩٨.

(2) Jean-Oaul Roux, Lisalm En Asie, Payot, Paris, 1958, P.253; W. Barthold, Histoire Des Turcs Dasie Centrale, Librairie Dameriaue Et Dorient, Paris, 1945, P.257.

(٣) بدر الدين حي الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٥٦-٥٧.

(٤) يساوي النقد الذي اجازته حكومة المانشو للكاشغريه، والمصنوع من النحاس والمعروف باسم البول، الفلس الماشوري وزناً وقيمة وشكلاً مع فارق واحد وهو انه ليس في البول ثقب كما في الفلس المانشوري. ينظر: بدر الدين حي الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٥٧.

ومع ذلك سرعان ما دب الفساد في هذا النظام ، إذ لم تكن الكفاية فيه المعيار في اختيار الاعظم بيك وبقية المناصب، وانما تدخلت المحسوبية والرشاوى في ذلك، وتولى تلك المناصب، التي اصبحت مصدراً لجمع المال وتعسف الحكام، اشخاص لاكفاية لهم، وزادت الضرائب وتعرض المسلمون للملاحقة والاضطهاد على نحو دفعهم للقيام بعدة ثورات كان اهمها تلك التي قامت عام ١٨٦٤ ، التي سبق اعلانها حدوث انقسامات سياسية وظهور امارات مستقلة في سينكيانج، الاولى في هامي ـ كومول حالياً ـ وسط احدى الواحات شرق المقاطعة،و الثانية هي الكاشغرية في جنوب المقاطعة، والثالثة في ارومجي جنوب سهل زونغاريا الواقع شمال المقاطعة[١]، وقد افاد المسلمون في ذلك من عدة امور منها بعد مقاطعتهم عن مركز الحكم، وانقطاع خط الموصلات بينها وبينه إثر نشوب الثورة في شينسي وقانصو، وضعف قوة الحاميات الحكومية فيها، ولاسيما ان المنطقة كانت محمية من قيام الثورات بهيبة الامبراطورية اكثر مما هي عليه بقواتها المسلحة، ناهيك عن ارتباك الوضع العام للحكومة الناجم عن ازدياد حجم التدخل الاجنبي، وقيام الثورات و حركات المعارضة، ولاسيما ثورة التايبنغ التي اضعفت الحكومة، وجعلتها غير قادرة، في اول الامر، على اتخاذاجراءات فعالة لوضع حد لتلك الانقسامات . فلم تبق تحت سيطرة القوات الحكومية في المقاطعة سوى مدينتين في الجنوب هما كاشغر ويانغحصار، وفي الشمال مدينة فولجا[٢]، ولاسيما بعد ان استقلت يارقند ـ جنوب غرب المقاطعة ـ، هي الاخرى عن سلطة الحكومية لتصبح امارة اسلامية مستقلة[٣]. وفي تلك الاثناء استنجد مسلمو كاشغر بأمير خوقند عالم قولي، الذي كان موجوداً في حينها في طاشقند، لتأمين حدود مملكته ضد الخطر الروسي، فأنتدب

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٣ ؛ نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١١٨- ١١٩؛

OwenLattimor,Studies in Frontier History Collected, Papers, Oxford London, 1962, PP.206- 207.

(٢) بدر الدين حي الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٧٤؛

آلاستر لامب، كشمير ميراث متنازع عليه ١٨٤٦-١٩٩٠، ترجمة سهيل زكار، دمشق ، ١٩٩٢، ص٥١.

(3) Broomhall, Op. Cit., PP.157-158.

الاخير بزرك خان، ابن اخ ولي خان حاكم كاشغر سابقاً، ومعه يعقوب بك[١]، ولحقه عدد من المسلمين، الى كاشغر وذلك في صيف عام ١٨٦٤، وتمكنوا من دخول المدينة في العام نفسه[٢] . ونصب بزرك خان حاكماً، فيما تولى يعقوب بيك سلطات عسكرية بهدف تثبيت النظام والسيطرة على المدن والواحات المجاورة مثل كوشار وآقصوا واورمجي وتورفان ، واخذت الحاميات المنشورية تتساقط واحدة تلو الاخرى، وتم احتلال يارقند ويانغحصار، حتى اصبح يعقوب بك في آواخر ذلك العام ملكاً ملطق على الكاشغرية . ولاسيما بعد ان تخلص من بزرك خان بأرساله حاجا الى مكة، ووضع اساساً لمملكة واسعة جنوبي جبال تيان شان، شملت حوض تاريم من البامير غرباً حتى بحيرة لوب نور شرقاً، واتخذ لنفسه لقب السلطان يعقوب بك[٣].

ب- العلاقات الخارجية لمملكة الكاشغريه

بعد ان ثبت يعقوب بيك اركان مملكته في الداخل، حاول ان يؤمن حدودها الخارجية، ولاسيما انه كان مدركاً لمخاطر التوسع الروسي على حساب حدود امبراطورية المانشو. فحاول ان يحصل على دعم القوى المحلية والدولية، فاراد الحصول على دعم السلطان سليمان حاكم مملكة تالي، الا انه لم يتمكن[٤]، فالتجأ الى التحالف مع الامير مظفر الدين[٥] حاكم بخارى، الذي كان يعاني بدوره من ضغط القوات

---

[١] ولد يعقوب بك الذي نسب نفسه الى آل تيمور من جهة الام عام ١٨٢٥ في بيشقند من ضواحي خوقند التي كانت تابعة للصين آنذاك وتزوج من اخت أمير طشقند الخاضعة لحكم اسياده قبل استيلاء الروس عليها ، تلقى تعليمه في كبريات مدن بخارى ، وأنغمر خلال ذلك في الامور السياسية في المنطقة التي كانت ساحة للصراع بين روسيا وبريطانيا من أجل السيطرة عليها ، وأمتاز بكفاءته العسكرية التي برزت خلال المعارك التي خاضها ضد روسيا عند حوض سيحون الادنى . نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص١١٩.

(2) Roux, Op. Cit., PP.256-257; China Handbook, P111; Macgwan, OP. Cit., P.589.

[٣] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢٠.

(4) Broomhall, Op. Cit., P.159.

[٥] ارتقى الامير مظفر الدين الامارة بعد وفاة والده الامير نصر الله عام ١٨٤٢. إمتازت مدة حكمه بكثرة الحروب التي خاضها ضد المتمردين والامارات المجاورة لبخارى وضد الروس الذين كانوا يتوسعون في آسيا الوسطى وشهد عهده سقوط العاصمة سمر قند بأيدي الروس وذلك في ١٤ اذار عام ١٨٦٨ وكان ذلك فاتحة عهد لنهاية حكم الاسر المستقلة التي حكمت بلاد ما وراء النهر قرابة الالف عام وكان اخرها اسرة المنغتتين للمزيد عن ذلك ينظر: آرمينوس فامبري، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود الساداتي، القاهرة ، (د.ت)، ص٤٥٥-٤٨٠.

الروسية التي كانت تتوسع على حساب امارات آسيا الوسطى، ومنذ عام ١٨٦٨ اقامت لها حصوناً في نارين قرب كاشغر[١] . وازدادت مخاوف يعقوب بيك بعد احتلال الروس لوادي ايلي الواقع بين تركستان ومنغوليا ، وذلك في عام ١٨٧١، وأفول الثورة في شينسي وقانصو . فاتجه الى وضع استحكامات عند آقصو وتوسع باتجاه زونغاريا واحتل الواحات المجاورة لاورمجي وعين عليها حاكماً، فتعززت قوته في المنطقة، ولاسيما بعد ان التحق به القائد محمد ايوب والآف من اتباعه في عام ١٨٧٣، بعد فشل الثورة في شينسي وقانصو[٢]. وللقضاء خطر التجسس الروسي منع يعقوب بيك التجار الروس من الدخول الى مملكته، ولاسيما ان الروس حاولوا في ذلك الوقت تحريض امير خوقند على ضم الكاشغريه وطرد يعقوب بك منها . ويشار الى ان رفض امير خوقند لذلك دفع الروس الى توخي سبيل المفاوضات لتوقيع اتفاقية تجارية مع يعقوب بك[٣]، ولكن يبدو ان ذلك لم يكن سبباً كافياً لتغيير الروس سياستهم تجاه الكاشغريه، وانما يتعلق ذلك ايضا بسياق التنافس الروسي البريطاني في هذه المنطقة، والخشية من وقوع يعقوب بك تحت طائلة التأثير البريطاني[٤] . وبناء على ذلك وقعت روسيا اتفاقية تجارية مع يعقوب بك في ١٠ حزيران عام ١٨٧٢ اعترفت فيها بسيادته على الكاشغريه، ووافقت على ارسال يعقوب بك، ممثلاً له في بلاط القيصر في سانت بطرسبورغ، ويقال ان الروس بذلوا له المال ايضاً، الا ان هذه الاتفاقية لم تكن كافية لتطمين الروس، فاستمروا في تهيئة التعزيزات العسكرية[٥].

---

[١] المصدرنفسه، ص٤٧١

Macgowaa, Op. Cit., P.590; N.S.C., Cazrs Soldiers on the Move, Eastern Horizon, No.10, 1980, P.38.

[٢] نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ،ص١٢١.

[٣] بدر الدين حي الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٧٧-٧٨.

[٤] لامب ،المصدر السابق ، ص٥٥.

[٥] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢١؛

Foreign Languages Press , Chana Handbook, P.111.

ومنذ وقت مبكر ادرك يعقوب بيك أهمية الدعم البريطاني ، لانقاذ مملكته من الخطر الروسي، فأجرى اتصالات مع نائب الملك في الهند اللورد جون لورنس[١] (١٨٦٤- ١٨٦٩) للتفاوض معه لتوقيع اتفاقية عسكرية ودفاعية مشتركة ضد الروس وحكومة المانشو على السواء ، الا ان نائب الملك رفض التفاض في ذلك الشأن . ولكن بعد ان تمكن يعقوب بك من بسط سلطان مملكته على مساحة واسعة من الاراضي الواقعة بين روسيا والهند البريطانية، سعى نائب الملك اللورد مايو(١٨٦٩-١٨٧٢) الذي خلف اللورد لورنس ، بناء على طلب الحكومة البريطانية للتفاوض مع يعقوب بك تمهيداً لعقد معاهدة صداقة . وضمن ذلك السياق وصل في عام ١٨٧٣، الى كاشغر، وفد رسمي برئاسة السير فورسانت[٢]، وكان من نتيجة ذلك ان وقعت معاهدة صداقة بين نائب الملك ويعقوب بك اعترفت بريطانيا بموجبها بسيادة يعقوب بك على الكاشغريه التي جرى فتح اسواقها للتجارة البريطانية والسماح للرعايا البريطانيين بالتنقل بحرية ومنحهم حصانة دبلوماسية[٣] . وفي الوقت نفسه سعت بريطانيا في اطار التنافس مع روسيا الى دفع الدولة العثمانية الاعتراف بيعقوب بك ملكاً على الكاشغريه، وحثت الحكومة الصينية، التي ارتأى بعض وزرائها منح سينكانغ حكماً ذاتياً، على التنازل عن ثمانية مدن جنوب سينكانغ ليعقوب بك والاعتراف بإستقلاله [٤] . الا ان هذه المحاولات أحبطت نتيجة إصرار عدد من رجال الحكومة الصينية، ولاسيما تسوتسونغ تانغ على ضرورة استخدام القوة العسكرية في إخماد هذه الثورة ، مسوغاً ذلك بأن الثورة ستستمر في سينكيانج حتى في حال منحها حكما ذاتيا . وفضلا عن ذلك أسهمت عوامل

---

[١] سياسي بريطاني قام بدور مهم في السياسة البريطانية في الهند ولاسيما اثناء حرب السيخ ١٨٤٥-١٨٤٩، ثم اصبح نائباً للملك في الهند عام ١٨٦٤، استطاع أن يخضع اقليم البنجاب بمساعدة اخيه هنري لورنس، شارك في قمع ثورة ١٨٥٧ وحقق بعض الانجازات الادارية والمشاريع. ينظر: عبد الوهاب الكيالي و كامل زهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص٤٦٣.

[٢] بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، ص٨٠.

[٣] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢١.

[٤] بدر الدين الصيني، تاريخ المسلمين في الصنين، ص٨٠-٨١؛ دائرة المعارف الاسلامية،المجلد الخامس ، ص١٨.

متعددة في ضعف موقف يعقوب بيك نفسه ، منها الأستياء والتذمر الذي عم في الكاشغريه نتيجة قيامه بفرض الضرائب لجمع المال اللازم للعمليات العسكرية، ولاسيما إذ ماعلمنا أن التجارة التي كانت اساس الحياة الاقتصادية في الكاشغريه قد تضررت على نحو واسع نتيجة الحروب مما ادى الى تناقص شعبيته . ومن ناحية أخرى كانت بريطانيا وروسيا قد إرتبطت مصلحتهما ببقاء أسرة المانشو الضعيفة في سدة الحكم و لم يعد من مصلحتهما دعم يعقوب بك[١] . ويمكن أن نرجع ذلك الى اسباب عدة ، فمن الناحية السياسية، فيما يتعلق ببريطانيا، بددت بعثة فورسانت مخاوف الحكومة البريطانية من تقدم الروس نحو الهند البريطانية عبر سينكيانج، إذ وجدت هذه البعثة أن طبيعة المنطقة الجغرافية كفيلة بالحيلولة دون ذلك[٢] . ومن الناحية الاقتصادية لم تتمكن بريطانيا وروسيا من تحقيق اهدافهما الاقتصادية في الكاشغريه كما يجب نتيجة استمرار الحروب بين قوات يعقوب بك وقوات الحكومة مما ادى الى تعطيل حركة التجارة فيها . وفضلاً عن ذلك بدأت الحكومة الصينية في تلك المدة بتنفيذ سياسة التعزيز الذاتي بالاستعانة بالخبراء الاجانب، فوجدت بريطانيا وروسيا في هذه السياسة خير منفذ لتحقيق النفوذ الاقتصادي والسياسي في الصين.

كل ذلك قاد الى تراجع قوة يعقوب بك أمام زحف الجيوش الصينية نحو كاشغر بقيادة تسو تسونغ تانغ التي اخذت تسيطر على مدن سينكيانغ الواحدة تلو الاخرى . مما قاد يعقوب بك الى الانتحار في الاول من آيار عام ١٨٧٧ بعد حكم استمر نحو ثلاثة عشر عاماً. وولي الامر من بعده ابنه تولي بك الذي نادى بنفسه ملكاً على الكاشغريه، الا انه كان اضعف من ان يدافع عنها فسقطت كاشغر بيد قوات تسوتسونغ تانغ في ١٧ كانون الاول وتم اعدام زوجة يعقوب بك ومعها ثلاثة من ابنائه وقتل معهم (١٢٦٦) مسلماً وتم تدمير مئات القرى، وأخضعت بقية المدن في عام ١٨٧٨ . وهكذا عادت سينكانج تحت إدارة الحكومة الصينية التي عينت حاكماً عاماً صينياً على كاشغر التي اصبحت مقراً للقنصلين البريطاني والروسي، وحاكم على كل مدينة من المدن الاحدى عشرة التي

---

(١) بدر الدين حي الصيني، المصدر السابق، ص٨١-٨٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص٨١.

تألفت منها المنطقة يساعد كل منهم قائد عسكري وقاض، وفي عام ١٨٨١ أعطت الحكومة سينكانغ حكماً ذاتياً(١).

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢٣.

الفصل الثالث

التحول نحو سياسة الإصلاح ١٨٦٠-١٩٠١

أولاً- سياسة التعزيز الذاتي (١٨٦٠-١٨٩٥)

١-الدعوة الى التعزيز الذاتي

٢-نتائج سياسة التعزيز الذاتي

٣-التراجع عن سياسة التعزيز الذاتي

ثانياً- المطالبة بالإصلاح الدستوري حتى عام١٨٩٨

١-بداية الدعوة للاصلاح الدستوري

٢-حركة موسم الربيع

٣-إصدار الصحف وتشكيل الجمعيات الاصلاحية

ثالثاً- حركة الإصلاح الدستوري ١٨٩٨-١٩٠١

١-فترة إصلاح المئة يوم

٢-التكتل في صفوف الاصلاحيين

٣-انقلاب ايلول

رابعاً- نتائج فشل الإصلاح

١-الصراع بين الاصلاحيين والمحافظين حتى٩آب عام١٩٠٠

٢-حركة البوكسرز ١٨٩٨-١٩٠١

أولا – سياسة التعزيز الذاتي (١٨٦٠-١٨٩٥)

١- الدعوة الى التعزيز الذاتي (تزو – تشيانغ)

إذا كانت هزيمة الصين في حرب الأفيون الاولى، أسفرت في أحد جوانبها عن حدوث بداية التحول الفكري نحو ضرورة تبني تقنيات الدول الغربية[١] . فإن هزيمتها في حرب الافيون الثانية، وقيام سلسلة من حركات المعارضة، التي أوصلت حكومة المانشو وجهازها البيروقراطي، الى حافة الهاوية جعلت عدداً من المسؤولين أنفسهم، ولاسيما أولئك الذين احتكوا بالغربيين سواء في كانتون أم في موانئ المعاهدات الأخرى، مثل فينغ كوي ـ فين[٢](١٨٠٩-١٨٧٤)، وتسنغ كوفان، ولي هونغ تشانغ والأمير كونغ ، يدركون مدى أهمية ذلك التحول في تعزيز قوة الدولة وإعاده هيبتها، بالاستعانة بتقنيات الدول الغربية في تشكيل قوة عسكرية تمكنها من القضاء على حركات المعارضة ، وتظهر الحكومة نفسها قوية أمام الدول الغربية على نحو يحد من تماديها في المطالبة بامتيازات جديدة في الصين[٣].

وإثباتاً لذلك اصدر المفكر الصيني فينغ كوي فين مستشار لي هونغ تشانغ، في عام ١٨٦١ كتابا بعنوان (الاحتجاجات الشخصية) يتكون من أربعين الى خمسين مقالة قدم فيها برنامجاً للإصلاح اطلق عليه (التعزيز الذاتي) [٤]. أكد فيه ان ما اشار اليه وي يوان من فكرة (أستخدام البربر ضد البربر) لم تُجِد نفعاً في إنقاذ الصين، وإنما يجب أن "تجعل أنفسنا أقوياء ... لأننا دون ذلك سوف نواجه الفشل"[٥] . واقترح في سبيل ذلك جملة أمور منها تخصيص مبالغ كافيه لبناء الأساطيل، وإقامة ترسانة للأسلحة في كل ميناء تجاري، ودعوة

---

[١] راجع الفصل الاول: بدايات التحول الفكري باتجاه تحديث الصين، ص٣٨.

[٢] احد نبلاء المانشو حصل في عام ١٨٤٠ على درجة (جين شي)، وعمل بعدها في أكاديمية هانلين لمدة سبع سنوات، تمكن من خلالها التعرف على مشاكل الحكومة الداخلية، وعُرف باهتمامه بدراسة مؤلفات كونفوشيوس واللغة والفلك والرياضيات والجغرافية والزراعة والري وغيرها، ومكنه عمله مساعداً للين تسي هسو من التأثر بأفكاره وأفكار وي يوان الداعية لصبغ الصين بالصبغة الغربية، وفي اثناء ثورة التايبنغ شارك في تنظيم المتطوعين للدفاع عن فوتشو، ثم عمل سكرتيرا للي هونغ تشانغ حاكم تشيلي. ينظر :

Feng Kuei–Fen and His Essays, In: Ssu-Yu Teng and Others, Op . Cit . , P.50.

(3) The Emergence of Theory of Self-Strengthening, In: Ibid., P.46.

(4) Feng kuie–fen and his Essas, In: Ssu-Yu Teng and Others , Op . Cit . P.50.

(5) Feng kuie–fen, On the Manufacture of Foreign Weapons, In: Ibid . , P. 53.

العمال الصينيين والخبراء الأجانب لتأسيس مصانع لإنتاج الأسلحة والاستمرار في تشجيع الفنيين الصينيين على ذلك المنحى، ومن خلال منحهم أجوراً مضاعفة وتزويدهم بالدرجات العلمية الصينية على مستوى المقاطعة، والمحافظة والسماح لهم بالمشاركة في إمتحان العاصمة وضمان تعيينهم في وظائف الدولة[١]. والى جانب ذلك انتقد فينغ إمتحانات الخدمة العامة نظراً لافتقارها للعلوم النافعة وأشار الى ضرورة إدخال ما أطلق عليه (بالعلوم الغربية)، كالطب والكيمياء والرياضيات والفلك موضحاً في الوقت نفسه، ومشيداً بأهمية المبادئ الكونفوشيوسية التي يجب ان تبقى الأساس في التعلم وأن تقتصر العلوم الغربية على النواحي التطبيقية[٢] . ولتحفيز المسؤولين على الأخذ بأسباب التحديث التي اعتقد أنها كفيلة بإنقاذ الصين فإنه حذر من الأطماع البريطانية والفرنسية والأمريكية والروسية المحدقة بالصين[٣] وأشاد بتجربة الميجي[٤] الإصلاحية في اليابان وفي سعيها لتقوية نفسها في تلك المرحلة من تأريخها[٥] . والواقع أنه على الرغم من أهمية هذا البرنامج في معالجة بعض مشاكل الصين إلا أنه أغفل أهمية الاصلاح السياسي و مشاكل الفلاحين ، وهو ما جعله عاجزا عن النهوض بواقع الصين ، التي شهدت حينها قيام العديد من حركات المعارضة الفلاحية .

---

(1) Ibid.; Jonathan Porter, Foreign Affairs (Yng-Wu). Expertise in the Late Ch'ing. The Career of Chao Lieh-Wen, Modern Asia Studies, Vo.13, Part 3, 1979, P.474.

(2) Feng kuie–fen, On the Adoption of Western Knowledge, In: Ssu-Yu Teng and Others, Op . Cit . , P.51-52.

(3) Feng kuie–fen, On the Btter Control of the Barbarians, In: Ibid . , PP.54-55.

(٤) وتعني عهد الاستنارة، أطلقت على مدة حكم الامبراطور الياباني موتسو – هيتو (١٨٦٨-١٩١٢) التي بذلت فيها الحكومة قصارى جهدها لتحويل اليابان من دولة اقطاعية الى دولة صناعية حديثة، من خلال تحديث مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كافة. بجلب الخبرات التقنية من الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية، وارسال البعثات العلمية اليها. للمزيد عن ذلك ينظر: أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي، الكويت، ١٩٨٩، ص١٠٩-١٣٢؛ مجلة الهلال، السنة ١٩٣٠، المجلد (٣٠)، ١٩٢١-١٩٢٢، ص٤٠٤-٤٠٥؛
Japanese Thought in Post-Miji Times, Japan Quarterly, Vol.XIII, No.2, PP.158-171.

(5) Feng kuie–fen, On the Manufacture of Foreign Weapons, In:. Ssu-Yu Teng and Others, Op . Cit . , PP. 52-53.

ونال ذلك البرنامج إعجاب كل من لي هونغ تشانغ وتسنغ كوفان وعدداً من حكام المقاطعات، الذين احتكوا بالغربيين في موانئ المعاهدات، وتأثروا بما كانت تنشره الإرساليات التبشيرية من كتب ونشرات، وأدركوا خطورة وضع الصين في ذلك الحين، ووجدوا في تلك المقترحات حلا لمشاكل البلاد الداخلية والخارجية(١) . فرفعوا بدورهم مذكرات للحكومة طالبوا فيها بضرورة إجراء تعديلات في امتحان الخدمة العامة، بإدخال العلوم الحديثة فيه، وفتح مدارس وكليات لتعليم اللغات الاجنبية وذلك لتخليص الدبلوماسية الصينية من الخضوع لتلاعب المترجمين الاجانب، وإقامة مصانع الاسلحة بالاستعانة بالخبراء الاجانب بوصفها مرحلة اولية، ومن ثم الاعتماد على انفسهم في ذلك، من خلال تنظيم إرسال البعثات العلمية الى الخارج لاكتساب الخبرة على غرار ما فعلته اليابان(٢).

وعلى الرغم من وقوف المحافظين المتطرفين في البلاط الإمبراطوري ضد تلك المطالب(٣)، اضطرت الحكومة الى إجابتها بتأثير هزائمها المتلاحقة، وعجزها عن وقف التعامل الخارجي وتحقق الانفتاح في العلاقات الخارجية وفقاً لمعاهدات بكين(٤) . وتبعاً لذلك أصبحت مسألة الحصول على مساعدة الدول الغربية ممكنة ضمن هذا السياق، زيادة على تصاعد تأثير ما اصطلحنا عليه سابقاً بالتيار المهادن الذي أخذ يتمثل بأولئك الداعين لسياسة التعزيز الذاتي(٥) . و التي كانت بادرتها تنظيم إدارة العلاقات الخارجية، بموجب ما نصت علية المذكرة التي رفعها الأمير كونغ ومساعداه كوي – ليانغ(٦) (١٧٨٥-١٨٦٢) ووين – هسيانغ (١٨١٨-١٨٧٦) في

(1) Latourette, OP. Cit., P.376; China Handbook, PP.109-110 .

(2) Tseng Kuo-Fan, Excerpts from Tseng's Letters 1862; Tseng Kuo-Fan, Founding the Shanghai Arsenal, In: Ssu-Yu Teng and Others , Op . Cit ,PP.61-72.

(٣) أنظر على سبيل المثال المذكرة التي رفعها أحد المسؤولين المحافظين الى العرش، وانكر فيها حاجة الصين للقيام بمثل تلك التعزيزات:

Wo-Jen's Objection to Western Learning, 1867, In: Ibid, PP.76-77.

(4) Gerald, C.P. Fitz, A Concise History of Asia, (United States of America, 1966), PP.99-100; China Handbook, PP.110-111; Dean, Op. Cit., P.71.

(5) Porter, Op. Cit., PP.459-460; Smith, Op. Cit., P.196.

(٦) أحد نبلاء أسرة المانشو وصهر الامير كونغ، أثر تردده المستمر على كانتون وشنغهاي في ايمانه بأهمية التحديث وشاركه في ذلك الرأي النبيل وين هسينغ. ينظر:- The Emergence of the Theory of Self-Strengthening, In: Ssu-Yu Teng,Op. Cit, PP.46-47.

مطلع كانون الثاني عام ١٨٦١، وتسلّمها الإمبراطور وكبار مستشاريه في جيهول في ١٣ كانون الثاني وأقرها في الحال، تحت تأثير هزيمتهم في حرب الأفيون الثانية، واحتلال بكين من قـوات التحالف، وقد أكدت المذكرة ضرورة اتخاذ الخطوات الآتية:-

أ - أن يؤسس في العاصمة منصب (تسونغ لي يامين) أي دائرة الشؤون الخارجية، وتكون فرعا للمجلس الكبير، ويتولى إدارتها الأمراء المنشوريون والوزراء الستة، على أن يلغـى هـذا المنصب بعد انتهاء العمليات العسكرية وإصلاح شؤون البلاد، وترجع وظائفه الى المجلـس الكبير.

ب -تعيين مراقبين إمبراطوريين بمنصب مفوضين ساميين يتولى احدهما إدارة الموانئ المفتوحة للتجارة في المناطق الشمالية وهي نيو هوانغ، وتينتسين،و تشيفو، اما الآخر فيتـولى إدارة الموانئ المفتوحة في الجنوب وهي كانتون، وفوتشو، وأموي، ونينجبو، وشنغهاي.

جـ-جمع الرسوم الكمركية المفروضة على البضائع الأجنبية وأرسالها مباشـرة الـى الخزينـة الإمبراطورية.

د-تزويد الموظفين المرشحين للاتصال بالأجانب، بمعلومات وافية عن الأجانب لتجنب الوقـوع في الخطأ.

هـ-دعوة رجلين من كانتون وآخرين من شنغهاي ممن يعرفون اللغات الأجنبية وإرسالهم الـى بكين لتعيينهم في التسونغ لي يا مين.

و- يجب جمع المعلومات عن الأسواق الداخلية والخارجية وما تنشره الصحافة الأجنبية في كل الموانئ المفتوحة، وإخبار التسونغ لي يامين بها كل شهر(١).

إن إقرار الإمبراطور ومستشاريه لهذه الخطوات، كان على جانب من الأهمية فـي اتجـاه تنظيم إدارة العلاقات الخارجية فلم يعد نائب الإمبراطور في كانتون هو المسؤول عن ذلـك بعـد انشاء التسونغ لي يامين، وفضلا عن ذلك فقد سهل فتح السفارات الصينية في تلك الدول، تنظيم عقد الاتفاقيات وإرسال البعثات ضمن سياق سياسة التعزيز الذاتي. والى جانب ذلـك أن ايجـاد التسونغ لي يامين نفسه تطلب تهيئة ملاكات متخصصة في إدارة العلاقات الخارجية وأن إعـداد هذه الملاكات استلزم فتح مدارس وكليات حديثة على وفق الطراز الغربي لتدريس اللغات الأجنبية وترجمة كتب القانون الدولي وهو ما تمت المطالبة به فعلاً.

(1) Prince Kung, The New Foreign Policy of January 1861, In: Ibid, P.48.

وقد اقتصرت صلاحيات التسونغ لي يامين التي ترأسها الأمير كونغ على إدارة العلاقات الخارجية في بكين فقط بالتنسيق مع مفوضي الدول الأجنبية . أما الأقاليم الجنوبية والشمالية فعهدت الإدارة فيهما الى نائبين عن الإمبراطور أحدهما في نانكنج والآخر في تينتسين[1] . والى جانب إدارة العلاقات الخارجية اشتملت التسونغ لي يامين على قسم خاص بالدفاع عرف بـ "بالدفاع البحري"، وهو مسؤول عن حماية الموانئ التجارية المفتوحة ومناطق حوض اليانغتسي فضلا عن الاهتمام بتصنيع الأسلحة وإقامة الترسانات وانشاء المكائن الصناعية وخطوط التلغراف وسكك الحديد واستغلال المناجم في مختلف مناطق الإمبراطورية وهذه الأمور نفسها شكلت أهم جوانب سياسة التعزيز الذاتي[2] .و التي قادت الى نشوء عدد من المؤسسات الصناعية والتجارية والمصرفية الحديثة فضلاً عن خطوط سكك الحديد والشركات الملاحية[3] . و جرى تمويلها جزئيا من عائدات الكمارك، أما الجزء الآخر والأهم فقد جرى تمويله من القروض الأجنبية . وانسجاماً مع ذلك أرسلت الحكومة بعثة دبلوماسية [4] مكونة من ثلاثة اشخاص بينهم اثنان من البلاط ، يرأسهم المفوض الأ مريكي السابق أنسون بيرلنجيم (Anson Burlingame)الذي عينته الحكومة الصينية سفيراً متجولاً لها الى الولايات المتحدة واوربا . وتمكن في تموز عام ١٨٦٨ من توقيع "معاهدة بيرلنجيم" بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، التي نصت على المساواة والتكافؤ بين الدولتين، والاعتراف بسيادة الصين واستقلالها . زاربعدها لندن وباريس واستوكهولهم وكوبنهاكن وبرلين وبطرسبورغ ومات فيها في شباط ١٨٧٠ إثر إصابته بمرض الالتهاب الرئوي . وتتجلى أهمية تلك الزيارات في أنها مهدت لإقامة ممثليات للصين في تلك الدول ، كان أولها المفوضية الصينية في لندن التي افتتحت

---

(1) John K. Fairbank and Edwin O. Reischauer,China Tradition and Transformation , George Allen and Unwin, (Hong Kong, 1973), P.336 ; Porter, OP. Cit., P.460.

(2) Tikhvinski, OP. Cit., P. 252.

(3) China Handbook, P.110-111; Gerald, OP. Cit., PP.99-100.

(٤) سبق هذه البعثة بعثة صينية شبه رسمية، رافقها مدير الكمارك روبرت هارت، وذلك في عام ١٨٦٦ وترأسها الأمير شون أخ الأمير كونغ وشارك في البعثة ثلاثة طلاب من مدرسة تونغ -وين كان، التي انشأت لدراسة اللغات الأجنبية في بكين، وزارت هذه البعثة تسع دول أوربية للأطلاع على أوجه التقدم فيها. ينظر:

Diplomatic Mission ABroad، In: Ssu-Yu Teng , Op. Cit . , P.97

في عام ١٨٧٧ وتلتها مفوضيات في الدول الأوربية الأخرى وفي واشنطن[١]. على الرغم من أهمية تلك الخطوات في توعية الصين لمدى أهمية مواكبة التطور الصناعي والعلمي وأهمية العلاقات الدبلوماسية ، إلا أنها في الواقع لم تتخذ إلا لدعم نظام الحكم نفسه لذلك لم تستطع ان تنقل الصين الى حالة من التقدم كالتي شهدتها اليابان وتمكنت من تحقيقها في مدة وجيزة . ويبدو ذلك أكثر وضوحا في النتائج التي أفرزتها هذه السياسة .

٢- نتائج سياسة التعزيز الذاتي

أ - ازدياد قوة حكام الأقاليم

بعد أن أدركت حكومة المانشو أن القضاء على حركات المعارضة وإعادة سلطتها المركزية، بالاعتماد على جيوشها النظامية ، أمر غير ممكن ، اضطرت الى التعاون مع حكام الأقاليم الذين ارتبطت مصلحتهم ببقاء سلطة الإمبراطور التي قدسها كونفوشيوس . ومنحتهم صلاحيات واسعة في أقاليمهم وحرية في التصرف ، لمواجهة حركات المعارضة [٢] . وقاد ذلك الى بروز نوع من النزعة الاستقلالية غير المعلنة، لم تحاول حكومة بكين في بداية الامر أن تضع حداً لها مادام حكام الأقاليم ينفذون أوامرها ، ومادامت هي بحاجة اليهم[٣] . فكان من نتيجة ذلك أن ازدادت سلطتهم على حساب السلطة المركزية .

وقد ارتبطت قوة هؤلاء الحكام بأنشائهم الجيوش لمحاربة التايبنغ وحركات المعارضة الاخرى، و مصانع الاسلحة واحواض بناء السفن والترسانات . وبرز من بينهم تسنغ كو فان الذي أصبح حاكماً عاماً لاقليم ليانغ جيانغ (١٨٦٠-١٨٦٥) وحاكماً عاماً لمقاطعة تشيلي حتى عام ١٨٧٠ . وأدى تسنغ كو فان دوراً واضحاً في تطوير الجيش الذي كان قد أعده منذ عام١٨٥٣ وانشاء حوض بناء السفن ومصنع الاسلحة في شنغهاي . وبرز أيضا لي هونغ تشانغ الذي أصبح في عام ١٨٧٠، حاكما عاماً لتشيلي، خلفاً لتسنغ كو فان، الذي تقاعد عن العمل في ذلك العام إثر مرضه ومن ثم وفاته في عام ١٨٧٢[٤]. واتخذ لي هونغ تشانغ من

---

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٤١؛ Clyd and Beers, OP.Cit, PP.159-160.

(2) Prince Kung and the Tsungli Yamen, In: Ssu–Yu Teng , Op. Cit. , P.47.

(3) Daniel H. Bays, The Nature of Provincial Political Authority in Late Ching Times. Chang Chih-Tung in Canton (1884 – 1889), Modern Asian Studies, Vol.4, Part 4, 1970, P.325; China Handbook, PP.109-111.

(4) Li Hung–Chang and the use of Western Arams, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit., PP.68-69; Chesneaux and Others, Op. Cit. , PP.205-206.

تينتسين مقرا له ، وأصبحت تحت إمرته الوحدات المسلحة الكبيرة من جيش أنهوي التي أنشأها منذ عام ١٨٦٢ لمقاومة التايبنغ ، فضلا عن ترسانة الأسلحة وحوض بناء السفن التي اقامها تسنغ كو فان في شنغهاي والتي أظهر اهتماما كبيرا بتوسيعها . يضاف الى ذلك بادر لانشاء ترسانات الاسلحة فوتشو ونانكنج بالاستعانة بالخبراء الاجانب ولاسيما الخبير البريطاني هالدي ماكارتني [١]. وأصبحت تحت أشرافه ،أيضا، عائدات الضرائب للموانئ الشمالية . وارتبط ذلك كله بكونه عضواً في السكرتارية العظمى والتسونغ لي يامين طول المدة ١٨٧٢-١٩٠١ [٢]. وأكسبته قدراته العسكرية والسياسية ثقة الحكومة ، التي أخذت تعتمد عليه في إدارة العلاقات الخارجية ، من مقره في تينتسين[٣] . ولاسيما بعد طرد الأمير كونغ من التسونغ لي يامين في عام ١٨٨٤، فمثل لي هونغ تشانغ حكومة المانشو في التفاوض وتوقيع أغلب المعاهدات مع الدول الغربية واليابان حتى عام ١٨٩٥[٤].

وبرزت ايضاً سلطة تسوتسونغ تانغ الذي عين عام ١٨٦٤ حاكماً عاماً لإقليم فوكين وتشكيانغ . وبادر في آب عام ١٨٦٦ الى الاستعانة بالمهندسين الفرنسيين لإنشاء حوض لبناء وتصليح السفن في ما ـ وي قرب فوتشو. وأنشأ الى جانبه مدرسة لتدريس العلوم الحديثة وذلك لإعداد الملاكات اللازمة للنهوض بالمشاريع والتقليل من حجم الاعتماد على الأجانب وذلك بقوله: "أن تنفيذ سياسة التعزيز الذاتي يجب أن نطبقها بأنفسنا لا بوساطة الآخرين، فالذي يسعى للحصول على مساعدة الآخرين يكون خاضعاً لهم . أما الذي يعتمد على نفسه فيصبح مسيطراً على الوضع"[٥]. ويشار الى أنه كان يسعى الى تطوير ترسانة فوتشو على نحو ينافس الترسانة

---

(1) John L. Rawlinson, China's Struggle for Naval Development 1839-1895, Harvard University Press, 1967, PP.63-64.;Chesneaux and Others, Op. Cit., PP.205-206; Immanuel C.Y. Hsu, TheGreat Policy Debat in Chain 1874. Maritime Defense Vs. Frontier Defense, Harvard Jounal of Asiaitc Studies, Vol.25, (1964-1965), P.212.

(2) Li Hung–Chang and the use of Western Arams, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit., PP.68-69.

(3) Tseng Chi-Tse's, Account of his Audience with the Empress Dowager, 1878, In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit . , PP.102-103.

(4) The Attempt at Positive Foreign Policy, In: Ibid, PP.118-119; Lioyd E. Eastman, Throne and Mandarins China Search for A Policy During the Sino-French Controversy 1880-1885, Harvard University Press, 1967, P.13.

(5) Quoted in Tso Tsung- Tang and the Foochow Shipyard, In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit. , PP.79-80.

التي أعدها تسنغ كوفان في شنغهاي(1). إلا أن منافسته لتسنغ لم تدم طويلا، فنظراً لازدياد قوته في منطقة حكمه ولإثباته كفاية وقدرة عاليتين في الميدان العسكري، استدعته الحكومة في عام ١٨٦٧ ووجهته للقضاء على حركات المعارضة الاسلامية في شمال غرب البلاد، وعينته حاكما عاماً لإقليم شينسي وقانصو وبقي فيها طوال المدة ١٨٦٧-١٨٨١[٢] . عمل فيها على تعزيز قوته هناك فأسس جيش هوى ولامداده بالاسلحة أنشأ ترسانة في شينسي عام ١٨٧١، ومصنعا للبارود عام ١٨٧٥، معتمداً على الخبراء الألمان . والى جانب ذلك أعطى اهتماما للجوانب الثقافية فأنشأ مكتباً للطباعة في سيان، وافتتح مدارس للتعليم المجاني . ولتمويل مشاريعه نظم الضرائب المفروضة على الملح والشاي وضريبة ليجين ، فضلا عن استعانته بالقروض الأجنبية نفسها ، التي اضطرت الحكومة الى الموافقة عليها . فبلغ مجموع القروض التي حصل عليها من المصارف الأجنبية في السنوات (١٨٦٨-١٨٧٧-١٨٧٨-١٨٨١) نحو (١٥,٧٥٠٠٠٠) تايل ، في حين قدرت نفقاته الإجمالية في هذه المنطقة بنحو (مئة) مليون تايل . ويشار الى أن تجار شنغهاي شاركوا بقسم منها، أما مابقي منها فحصل عليها من مصنع سك النقود الذي أنشأه هناك[٣].

وانسجاما مع ما تقدم برزت قوة تشانغ تشي تونغ [٤]،ايضا، والذي أصبح حاكما لمقاطعة شنسي عام١٨٨٢ ، وحاكما عاما لاقليم كوانغتونغ وكوانجسي في أيار عام١٨٨٤. وأدى تشانغ تشي تونغ دورا واضحا في إعداد قوات عسكرية على وفق الاساليب الحديثة وفتح اكاديميات عسكرية في كانتون ، واهتم بأنشاء ترسانة للاسلحة ومعمل للفولاذ وآخر للنسيج فيها . الا ان مشاريعه هذه تعرضت لمشاكل نتيجة نقله الى اقليم ليانغ جيانغ التي اصبح حاكما عاما عليها عام ١٨٨٩ إذ تطلب نقلها معه الى توفير المكان المناسب وايجاد مصادر التمويل والكوادر الملائمة للعمل . وهكذا كانت مشاريع التعزيز الذاتي عرضة لمشاكل عدم التنسيق الحكومي

---

(1) Rawlinson, Op. Cit., P.67; Immanuel C.y. Hsu, The Great Policy, P.215.

(2) Rowlinson, OP. Cit., P.45, P.67.

(3) Tso Tsung-Tang and the Foochow Shipyard, In: Ssu-yu Teng, Op.Cit , PP. 80-81.

(٤) ينتمي تشانغ تشي تونغ الى مقاطعة تشيلي عمل في السلك الدبلوماسي حتى عام١٨٧٩ برز حينها مع مجموعة من الشباب الباحثين في مناقشة القضايا السياسية بصورة علنية وانتظموا في حزب اطلقوا عليه تشنغ ليو وعرفوا في ذلك الحين بأنهم محافظين و رافظين لفكرة التعامل مع الدول الغربية . ينظر:

Daniel A. Bays, China Enter the Twentieth Century. Chang Chih-Tung and the Issues of A New Age 1895-1909, University of Michigan, 1978,P.7.

المركزي ، وكان ذلك من عوامل عجز اغلب تلك المشاريع عن تحقيق الهدف الذي وجدت من اجله [١].

ويبدو ان هزيمة الصين في الحرب مع فرنسا تركت انعكاسها في تأكيد ضرورة الاهتمام بالجيش . وتبعا لذلك ازدادت أعداد قطعات الجيش المسلح والمدرب تدريبا حديثا من(٤٠٠٠٠) جندي عام١٨٨٥ الى (١٠٠٠٠٠) جندي عام١٨٩٤ . فضلا عن ذلك ازداد الاهتمام بتخريج الضباط الاكفياء من الاكاديميات العسكرية الحديثة ولاسيما تلك التي فتحها لي هونغ تشانغ في تينتسين عام١٨٨٥، والمدرسة البحرية التي فتحها تشانغ تشي تونغ قرب كانتون عام ١٨٨٩. يضاف الى المدارس التقنية التي فتحت في نانكنج وشنغهاي وفوتشو و وي هاي وي وبورت آرثر . يزاد على ذلك ازدادت أعداد القطعات البحرية الحربية في الاعوام ١٨٨٤-١٨٩٤ من (٤٢) سفينة الى(٦٧) سفينة وبحمولة كانت بين(٤٠٠٠٠طن –٧٢٨٠٠طن) . وعلى نحو عام قسم الاسطول الصيني الى اربعة أقسام البيانغ (البحار الشمالية) ، و النان ينغ (البحار الجنوبية)، وفوكين ، والكوانغتونغ . وأقوى هذه القطعات هي البيانغ التي كانت بقيادة لي هونغ تشانغ وتضنت(٢٩) سفينة بلغت حمولتها نحو (٤٣٨٦٤طن) كما اشتمل على طرادتين زنة(٧٤٣٠طن) ويزاد على ذلك كان هناك اهتمام ببناء القلاع والحصون وكام اهمها ذلك الذي أقيم عند ميناء بورت آرثر[٢].

والواقع أن انشاء الغالبية العظمى من تلك المشاريع اعتمد على الخبراء الاجانب ولاسيما البريطانيين والالمان . فضلاعن ذلك أن الانتاج المحلي للاسلحة لم يكن يغطي حاجة الجيش ، بل كثيرا ما عمدوا الى استيراده من الخارج . كما واجهت هذه المشاريع عدة مشاكل ولاسيما المشاكل المالية ، إذ تراجع إنفاق الحكومة على الجانب العسكري كثيرا ، نتيجة استيلاء الامبراطورة الارملة على معظم الاموال المخصصة لتمويل تلك المشاريع ، وانفاقها على بناء قصرها الصيفي . والى جانب ذلك افتقدت مشاريع التعزيز الذاتي الى القيادة المركزية و التنسيق والتعاون بين زعمائها ، وانعكس ذلك على نحو واضح على ضعف موقف الصين في الحربين مع فرنسا ومع اليابان [٣].

---

(1) Ibid.,PP.8-9.
(2) Chesneaux and Others, Op. Cit.,PP.262-263.
(3) Ibid.,P.263.

والملاحظ أن أولئك الحكام أقاموا لأنفسهم نفوذاً وسلطة فاقت سلطة الحكومة نفسها، وهو ما أكده الوزير المفوض الروسي بوتو في تموز عام ١٨٦٩ بقوله "لا تتمتع الحكومة الصينية، ولدرجة كبيرة ، إلا بسلطة اسمية في أقاليم الصين ، التي يشكل كل واحد منها دولة مستقلة تقريبا، إذ يتمتع الحكام بسلطة غير محدودة، وفي الغالب لا يقيمون أي اعتبار للتعليمات التي تصلهم من العاصمة"[١]. اذ يظهر واضحاً أن تلك الإجراءات قد عززت سلطتهم على حساب السلطة المركزية ، التي أفتُرِضَ إقرارها وتعزيزها بقضائهم على حركات المعارضة . وعلى الرغم من تأكيدهم ضرورة اكتساب المعرفة بالعلوم الحديثة وتقليل الاعتماد على الخبراء الأجانب، استمروا في الاعتماد على الأجانب أنفسهم في تنفيذ وتمويل مشاريعهم وإغراق الصين في قروض جديدة زادت من خضوعها للدول الغربية ، ولذلك فإنه ليس بالإمكان أن تظهر الصين بمظهر الدولة القوية امام الدول الغربية على وفق ما خطط لها في سياسة التعزيز الذاتي . على أنه يجب عدم التوقف عند النتائج السلبية فقط بل لابد من التنويه عن ان تلك الإجراءات كانت لها جوانب ايجابية ايضاً على المدى البعيد . إذ إنها فتحت أذهان الصينيين لضرورة بل وامكانية ايجاد قوة عسكرية حديثة تستند اليها الدولة . كما ساعد افتتاح المدارس الحديثة على تثقيف من التحق بها بالثقافة الغربية حتى إن بعضهم انضم بعد فشل هذه الحركة، الى صفوف حركة طالبت بإصلاح نظام الحكم نفسه .

ويلاحظ أن طموح حكام الأقاليم لم يتوقف عند بناء القوة العسكرية والبحرية، بل اتسع ليشمل المشاريع الاقتصادية المربحة[٢]، التي رأى بعضهم انهم ابتغوا من ورائها خدمة مصالحهم الخاصة وليس زيادة قوة الدولة[٣]، إلا أن ما أكده لي هونغ تشانغ في احدى مذكراته التي رفعها الى العرش التي طالب فيها باقامة المشاريع الصناعية التي تسهم في بناء قوة الدولة الاقتصادية

(1) Quoted in Tikhvinski, OP. Cit., P.276.

(2) Shannon R. Brown, The Partialy Open Door. Limitation on Economic Change in China in the 1860s, Modern Asian Studies, Vol.12, Part 2, P.186.

(3) Allen, OP., Cit., P.24.

والعسكرية مثلما فعلت اليابان التي تمكنت من إقامة صناعة جبارة[1] من دون أن يحدث ذلك انهياراً للعرش الإمبراطوري أو انقلابات خطيرة في التركيب الاجتماعي[2] يعد اقرب الى الصواب . فعلى الرغم من ازدياد قوة هؤلاء الحكام على حساب قوة الحكومة المركزية، فقد كان وجودهم مرتهن ببقاء حكومة المانشو في سدة الحكم ، ومع ذلك ليس بالإمكان نفي أثر المصالح الخاصة في اتجاههم نحو بناء تلك المشاريع التي كانت توفر لهم أرباحاً كبيرة .

وضمن ذلك السياق أنشأ زعماء سياسة التعزيز عدداً من المشاريع التجارية ومصانع النسيج وخطوط الملاحة البحرية والنهرية، والسكك الحديد، والتلغراف، والبريد والبرق، ودعما لهذه المشاريع أرسلوا البعثات العلمية الى الخارج لاكتساب الخبرات الأجنبية[3].

وعلى الرغم مما توافر عليه زعماء سياسة التعزيز من أموال كبيرة اغتنموها في أثناء القضاء على حركات المعارضة، فضلاً عن إيرادات الضرائب المفروضة على التجارة الداخلية والصناعات الحرفية، فإن حاجتهم الى المزيد من الأموال دفعتهم لدعوة رؤوس أموال التجار الصينيين وملاك العقارات، الذين باعوا معظم أراضيهم وشاركوا في هذه المشاريع المربحة، لتشكيل شركات مختلفة وفق نظام عرف بـ (إدارة الموظفين العليا وعمل التجار) [4]. وقد أدى هذا النظام بمرور الوقت الى حدوث منافسة حادة مع الاقتصاد الوطني، الذي عانى من جراء

---

(١) أولت حكومة الميجي اهتماماً خاصاً بايجاد المؤسسات الصناعية الكبرى المزودة بآلات بخارية وتستخدم الطرق الفنية الحديثة وفقا لما كان متبع في الدول الغربية، وركزت على الصناعات المرتبطة بالدفاع القومي، وتلك التي تنتج سلعاً قابلة للتصدير. ينظر: فوزي دورويش، اليابان الدولة الحديثة والدور الامريكي، مطابع غباشي، طنطا، ١٩٨٤، ص٨٣.

(2) Li Hung–Chang's Defense of Building Steamships 1872, In Ssu-Yu Teng, Op. Cit., P P.108-111; ابشتاين، المصدر السابق، ص٣٥.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٤٢؛

Yen Ching–Hwang, The Overseas Chinese and Lat Ching Economic Modernization, Modern Asian Studies, Vol.16, Part 2,1982, PP.217-218.

(4) Tikhvinski, OP. Cit., P.277 ; Fairbank and Reischauer , Op. Cit. , P.337: Yen Ching-Hwang, The Overseas Chinese and Lat Ching Economic Modernization, PP.217-218; Wellington K.K. Chan, Bureaucratic Capital and Chou Hsue H-His in Lat Ch'ng China, Modern Asian Studies, Vol.II, Part 3, 1977, PP.422-432.

اختلاس الموظفين الأموال، وانفاق المبالغ الكبيرة على ترف البلاط[1] . إذ اتجه زعماء سياسة التعزيز، الذين أصبحوا مؤسسين ومساهمين في تلك المشاريع و من دون الاهتمام لمصالح المساهمين من التجار وأصحاب رؤوس الأموال الأخرى ، الى الاقتراض من الدول الاجنبية[2] ففي المدة (١٨٦٨-١٨٨١) اقترضوا خمسة قروض بلغت قيمتها (١٥,٧٥٠٠٠٠) تايل . مما زاد في عجز الميزانية التي زادها سوءاً استيرادهم المكائن الصناعية والمواد الخام اللازمة للصناعة من الخارج ، دون أن يكون هناك ما يغطي هذه النفقات من الصادرات الصينية[3] . وفضلا عن ذلك أنهم تجاوزوا قانون الكمارك لخدمة مصالحهم الخاصة فعلى سبيل المثال استخدم لي هونغ تشانغ بواخر الشركة الملاحية للتجارة التي أنشأها عام ١٨٧٢ لتهريب الافيون من مزارعه الخاصة ، من دون دفع الرسوم الكمركية أوالاهتمام لمصالح المساهمين، الذين أخذوا يمثلون مصالح الطبقة البرجوازية الوطنية الناشئة في المجتمع[4]. ويلاحظ هنا أن سياسة التعزيز الذاتي نبهت على امكانية ايجاد تعددية في مصادر الدخل القومي بدلاً من اعتماده على الرسوم الكمركية والضرائب المفروضة على التجارة الداخلية، وذلك من خلال إقامة المشاريع الصناعية الحكومية، إلا أنها من ناحية أخرى أسهمت في ازدياد عجز الميزان التجاري وخضوع الاقتصاد الصيني للسيطرة الأجنبية نتيجة لجوء زعماء سياسة التعزيزالذاتي الى استخدام القروض الأجنبية واستيراد المواد الخام وإدخال المستثمرين الأجانب على حساب مصلحة البرجوازية الصينية الناشئة .

يزاد على ذلك أن إقامة تلك المشاريع الحديثة ترك آثاراً سلبية على الصناعات الحرفية، ولاسيما صناعات النسيج التي كانت في طليعة الخسارة في المشاريع الحديثة، فضلاً عما الحق من أضرار بعمال الشحن والتحميل والفلاحين . إذ إن ظهور المكننة الحديثة ووسائط النقل المتطورة قوض من الحاجة اليهم، ففي السابق كان الفلاحون ينتجون فضلاً عما يحتاجون اليه، سلعا أخرى للبيع، ولكن بعد ظهور الصناعات الحديثة انخفض الطلب على منتجاتهم وأخذوا

(1) Tikhvinski, OP. Cit., P. 279; Yen Ching-Hwang , The Overseas Chinese and Lat Ching Economic Modernization , P.218.

(2) Brown, Op. Cit., P.186.

(3) Chesneaux and Others, Op. Cit. , P.216.

(4) The Criticisms of Cheng kuan–Ying, 1892 In: Ssu–Yu Teng, Op. Cit. , PP.113-114.

ينتجون سلعهم الخاصة فقط . يزاد على ذلك شهدت صناعات النسيج الصيني تراجعا كبيرا أمام النسيج الأجنبي الذي امتاز بجودة صنعه وأسعاره المناسبة[١]. وتحكم بذلك، الى حد كبير إنخفاض قيمة التعريفة الكمركية المفروضة على البضائع الاجنبية الى (٢,٥) بالمئة بموجب معاهدة تينتسين[٢]، وفتح قناة السويس عام ١٨٦٩ الامر الذي قصر المسافة بين الصين والدول الغربية، وقلل من كلفة النقل، فضلا عن البدء باستخدام التلغراف في عام ١٨٧١ بين شنغهاي وهونغ كونغ ولندن مما أسرع في عملية وصول الأخبار التجارية ومن ثمّ انعكاسها على مستويات الأسعار[٣].

والسؤال الذي يمكن أن يطرح، يتعلق بموقف الحكومة إذا كانت قد بقيت مكتوفة الأيدي تجاه ذلك أو أنها حاولت أن تسترد سلطتها في تلك الأقاليم ؟ في الواقع حاولت الحكومة ايجاد نوع من الموازنة بين السلطة المركزية في بكين والسلطات المحلية في الأقاليم ، فعمدت الى منح بعض حكام الأقاليم مناصب العضوية في السكرتارية العظمى، تكريما لهم على نجاحهم في إخماد حركات المعارضة التي استهدفت إسقاط الحكومة فأصبح كل من تسنغ كوفان، ولي هونغ تشانغ، وتسوتسونغ تانغ، تبعا لذلك، أعضاء في السكرتارية العظمى . وعمدت الحكومة ايضاً في اكثر من موقف الى استدعائهم الى بكين لمشاورتهم في أمور متعددة[٤] . ويمكن أن يفسر ذلك على أنها استهدفت تعزيز الرابطة بين حكام الأقاليم والحكومة المركزية، ومحاولة إستقراء أفكارهم من خلال مشاورتهم في مسائل متعددة تتعلق بوضع البلاد الداخلي وعلاقاته الخارجية . كما يمكن أن يفسر قيام الحكومة بحركة تنقلات لبعض حكام الأقاليم الذين برزت سلطتهم وقوتهم بشكل واضح في أقاليمهم على أنه محاولة لوضع حد لسلطانهم في تلك الاقاليم والافادة من قوتهم في اقرار الوضع في المناطق التي شهدت اضطرابا سياسياً . كما هو الحال بالنسبة لتسوتسونغ تانغ، الذي أرادت الحكومة بنقلها اياه من إقليم فوكين وتشكيانغ الى إقليم شينسي وقانصو أن تضرب عصفورين بحجر واحد، وذلك بإنهاء سلطته ونفوذه على ذلك الإقليم والافادة من جهوده في القضاء على حركات المعارضة الإسلامية في الشمال الغربي من البلاد . إلا أنها لم تستطع أن

(1) Chesneaux and Others, Op. .Cit. , P.214.

(2) Brown, Op. Cit., P.188.

(3) Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.214.

(4) Ibid., P.166.

تستخدم الأسلوب نفسه في الحد من سلطة لي هونغ تشانغ طالما أنها كانت بها حاجة اليه لإدارة علاقاتها الخارجية، التي أصبحت تدار من مقر حكمه في تينتسين.

واستناداً الى ماتقدم لجأت الحكومة الى مسلك آخر لإضعاف سلطة لي هونغ تشانغ من خلال إثارة المنافسة بينه وبين تسوتسونغ تانغ[١]، إلا أن هذه السياسة جاءت بنتائج سلبية على الصين حكومةً وشعباً، إذ إن رفض لي هونغ تشانغ وتسوتسونغ تانغ، التعاون معا في أثناء الحرب مع فرنسا في عام ١٨٨٤[٢] كان سبباً مهماً في هزيمتها في الحرب[٣]، ومن ثمّ ثبوت عدم ارتقاء سياسة التعزيز الذاتي الى المستوى الذي يؤهل الصين لمواجهة التحديات الأجنبية . وبدعم من المحافظين في البلاط الإمبراطوري اتجهت الحكومة الى دعم جماعة عرفت بـ "جماعة التطهير" لمواجهة سلطة حكام الأقاليم . واستعانت بالتجار والحرفيين وأصحاب القوارب الذين تضررت مصالحهم من جراء استخدام التقنيات الحديثة والمنافسة الأجنبية في توجيه هجمات شديدة ضد مشاريع التعزيز والشركات الأجنبية كإحراق المصانع وتدمير خطوط التلغراف والسكك الحديد[٤] . ولاسيما اذا ما زدنا أن حكومة المانشو تمكنت من إستغلال عدد من المعتقدات الدينية التي كانت ترى في مد السكك الحديد ما يوقظ الموتى، في إثارة المشاعر الدينية لدى البسطاء الصينيين الذين تضررت مصالحهم من عمليات التحديث، ومن ثمّ توجيههم نحو ما يخدم أهدافها[٥].

ب- تعزيز دور النخبة (حَمَلة الثقافة الكونفوشيوسية)

هاجمت ثورة التايبنغ النظام الإقطاعي ، بتدميرها لمعابد الكونفوشيوسية ومحاربتها مبادئها التي أقرت الطاعة العمياء للطبقة الحاكمة ، التي يستمد أبناؤها ــ بحسب زعمهم ــ السلطة من أجدادهم المقيمين في السماء . وبموجب ذلك اقترن بقاء هذه الطبقة في سدة الحكم بالمحافظة على المبادئ الكونفوشيوسية بوصفها الأساس الأيديولوجي الذي أستندت اليه في الحكم فكان يجب والحالة هذه، أن يشكل تعزيز هذه المبادئ وتعزيز دور حملتها جانباً مهماً في سياسة

---

(1) Ibid., P.210.

(٢) سيرد الحديث عنها لاحقا.

(3) Ibid, P.210.

(4) Ibid., P.235.

(٥) مجلة الهلال، السنة (٤)، المجلد (٤)، ١٨٩٥-١٨٩٦، ص٣٥٥.

التعزيز الذاتي الى جانب تعزيز القوة العسكرية الذي أشرنا اليه. وعلى اساس ذلك أكد دعاة سياسة التعزيز الذاتي ضرورة تدريس كتابات كونفوشيوس الى جانب العلوم الحديثة[١] . إلا أن دعوتهم لتدريس العلوم الحديثة جوبهت بمعارضة المحافظين المتطرفين في البلاط الإمبراطوري الذين لم يجدوا ضرورة في ذلك، في حين انهم تمسكوا بالدعوة الى تدريس كتابات كونفوشيوس التي وجدوا فيها ضالتهم في المحافظة على نظام الحياة الصينية القديم الذي يضمن استقرار العلاقات الاجتماعية، وبقائهم في قمة الهرم السياسي والاجتماعي[٢] . ففي الاعوام ١٨٦٠-١٨٩٠، بذلت أكاديمية هانلين للدراسات الكونفوشيوسية التي دعمها المحافظون جهوداً كبيرة لاستمرار التقليد الأعمى لمبادئ الكونفوشيوسية التي أكدت الطاعة العمياء لحملة الثقافة الكونفوشيوسية ولاسيما ذوي المناصب العليا في الدولة بوصفهم قدوة يجب ان يحتذى بهم . ثم أن أنصار هذه المدرسة جعلوا أنفسهم حماة للدولة الكونفوشيوسية والنظام الإقطاعي من خلال تأكيدهم أهمية الطابع المستقر للعلاقات الاجتماعية، وأن كل محاولة تغيير في ذلك خلافاً للمبادئ الكونفوشيوسية تعد جنوحاً للتمرد ويجب قمعها بالقوة وبذلك وفرت الكونفوشيوسية الجديدة الأساس الآيديولوجي لسياسة القمع التي اتبعتها أسرة المانشو والطبقة الحاكمة ضد حركات المعارضة لحكمها[٣].

وانسجاما مع ذلك أنفقت الحكومة مبالغ كبيرة لاعادة بناء المدارس والمعابد الكونفوشيوسية[٤] . وعملت على محاربة كل ما يعارض الكونفوشيوسية وحثت على توسيع أعداد النخبة من خلال زيادة أعداد المتقدمين لامتحانات الخدمة العامة من (١,١٠٠٠٠٠) طالب قبل الشروع بسياسة التعزيز الذاتي الى (١,٤٥٠٠٠٠) طالب لدى تطبيقها ، وتوسيع حجم الامتيازات الممنوحة لهم، بما يضمن تعزيز دورهم سياسيا واقتصادياً واجتماعياً ، فقد ضمنت الحكومة لحملة الشهادات الكونفوشيوسية التعيين في مناصب عليا في الدولة ومنحهم اعفاءات

---

(1) Georg M. Beckmann, The Modernization of China and Japan, Harpert and Row Publishers, (New York, 1962), PP.154-155; Gupt, OP. Cit., P.82-83; Eastman. Op. Cit., PP.24-25.

(2) Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.163; Fairbank and Reischauer,Op.Cit., P.312.

(3) Tikhvinski, OP. Cit., P.270; Beckmann, OP. Cit., PP.147.

(4) Tikhvinski, OP. Cit., P.271.

ضريبية لاسيما في أوقات الأزمات فضلاً عن حصولهم على حصص من الأموال العامة، وتعزيزا لهم تم شمول الوالدين والزوجة والأطفال بالامتيازات ذاتها[١] . وحرمت الحكومة في الوقت نفسه خريجي المدارس الحديثة ، التي فتحها زعماء سياسة التعزيز الذاتي ، من التعيين في وظائف الدولة، وحاولت تحديد دخول هذه المدارس بأبناء الطبقة البيروقراطية الموالين للاتجاهات المحافظة، إلا انها لم تستطع، إذ إزدادت نسبة دخول الشباب الصينيين الذين لا ينتمون الى الطبقة البيروقراطية، الى هذه المدارس من (٢٠) بالمئة من مجموع أعداد الطلبة في عام ١٨٧٩ الى (٤٠) بالمئة عام ١٨٩٣ ووصل الى (٥٤) بالمئة عام ١٨٩٣[٢] . وفي الواقع إن دل هذا الأمر على شئ فانما يدل على عزوف المحافظين في الطبقة البيروقراطية عن دخول هذه المدارس، وإفادة ابناء الطبقات الاخرى الراغبين بالتثقف بالثقافة الغربية من دخولها . وفضلاً عن ذلك كان عدم شمول خريجي هذه المدارس بالامتيازات الممنوحة لحملة الشهادات الكونفوشوسية، قد بيّن أسباب عزوف الكثير من الشباب المحافظين عن التسجيل بها.

على أن الإمبراطورة الأرملة التي كانت تقف دوماً في صف المحافظين المتطرفين، الذين خشوا من ازدياد تأثير أنصار سياسة التعزيز الذاتي ، في سياسة الدولة اتجهت الى دعم الصراع بينهما لتبقى هي المسيطر الفعلي في الدولة[٣] . وقد اشتد هذا الصراع بعد عام ١٨٧٠، ولاسيما بعد ظهور "جماعة التطهير"، التي كان أعضاؤها من بين حملة الثقافة الكونفوشيوسية، الذين ينتمون الى الوزارات الست ومجلس الرقابة وأكاديمية هانلين للدراسات الكونفوشيوسية التي دعمتها بقوة ضد حكام الأقاليم من أنصار سياسة التعزيز الذاتي ، مثل لي هونغ تشانغ الذي وقف الى جانب الأمير كونغ ضد محاولتها في عام ١٨٧٥، تنصيب ابن أختها إمبراطوراً تكون هي وصيةً عليه ، لتبقى المسيطر الفعلي على البلاد . فهاجمت جماعة التطهير أنصار سياسة التعزيزالذاتي ، وانتقدت ما تمتعوا به من سلطات سياسية واقتصادية وعسكرية ومالية وعابوا عليهم استعانتهم بالخبراء الأجانب ، فقد بذلت هذه الجماعة التي أدركت أن مصيرها مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببقاء النظام الحاكم، قصارى جهدها لادامته . وعلى الرغم من أنها أنكرت على أنصار سياسة التعزيز استعانتهم بالخبراء الأجانب دعت الى الاستعانة بالقوات الأجنبية للقضاء

(1) Chesneaux and Others, Op . Cit . , PP.162-163.

(2) Tikhvinski, OP. Cit., P.267.

(3) Fairbank and Reischauer, Op . Cit . , P.312.

على حركات المعارضة. فكانت النتيجة انها أبقت الصين في حاله الركود والضعف الأقتصادي، وعلى المدى البعيد أنقلبت تحفظاتهم ضدهم[١].

جـ - الآثار الأجتماعية والثقافية

أسفرت سياسة التعزيز الذاتي،عن نشوء عدد من المؤسسات الصناعية والتجارية والتربوية الحديثة، التي ساعدت في إحداث تغيرات مهمة في بنية المجتمع الصيني . فقد ادى التوسع في المشاريع الصناعية وحفر المناجم الى بداية نمو طبقة العمال، الذين بدأوا يكتسبون الخبرات الفنية الحديثة[٢] وأخذت أعدادهم بالتزايد كلما تم أفتتاح مشاريع جديدة حتى وصل عددهم الى (٤٠٠٠٠) عامل عام ١٨٨٥ يعملون في الشركات الصينية والاجنبية[٣]. ونتيجة اطلاعهم على المشاريع وأساليب العمل الحديثة، واحتكاكهم بالخبراء والمهندسين الأجانب العاملين في هذه الشركات بدأوا يتأثرون بالثقافة الغربية، ولاسيما أن بعضهم تلقى تعليمه في المدارس الحديثة التي افتتحها زعماء سياسة التعزيز فأخذت تتكون لديهم أفكار وآراء جديدة في كيفية تقدم الصين[٤].

وأدى اشتراك التجار وأصحاب رؤوس الأموال الآخرين من ملاك الأراضي وبعض حَمَلَة الشهادات الكونفوشيوسية في المشاريع الصناعية والتجارية التي أنشأها زعماء سياسة التعزيزالذاتي ، ولاسيما في الاعوام (١٨٧٢-١٨٨٥) الى ظهورالطبقة البرجوازية الوطنية، التي تعرض إسهامها في المشاريع الصناعية والتجارية منذ البداية الى منافسة و تغلب رؤوس الأموال الاجنبية عليها في الأستئثار بتلك المشاريع . فأصبح الدفاع عن مصالحها يحمل طابعاً وطنياً مناهضاً للتدخل الأجنبي . وحظي ظهورها باهتمام المثقفين الصينيين المتأثرين بالثقافة

---

(1) Chesneaux and Others, Op . Cit . , PP.166-167.

(2) China Handbook, P.119.

(٣) كانت اجور العمال، الذين كانوا يعملون لثمان ساعات بين ٠,٢-٠,١٥ دولار يومياً وفي حالة حدوث الوفاة اثناء العمل يدفع تعويض لعائلته. الا انه لا يمكن ان نتوقع انهم كانوا يعملون في ظروف مثالية بل كثيراً ما اشتملت معاملتهم على الاستغلال والامتهان فكان العمال يضربون ويغرمون لاتفه الاسباب. ينظر:

Chesneaux and Others, Op . Cit . , P.236.

(4) Ibid.; Beckmann, Op. Cit., PP.154-155.

الغربية[١]، التي إنسابت اليهم عبر قنوات متعدده، منها دخول بعضهم الى مدارس الإرساليات التبشيرية وإطلاعهم على ما كانت تنشره من كراسات وكتب تناولت مواضيع متعددة[٢]، والى جانب ذلك كان للمدارس الحديثة التي افتتحها زعماء سياسة التعزيز في بكين عام ١٨٦٢ وشنغهاي عام ١٨٦٣ وفوتشوعام ١٨٦٨ وكانتون وتينيسين عام ١٨٨٠، الدور المهم في نشر الثقافة الغربية بين صفوف الملتحقين بها من خلال ترجمة وتدريس الكتب الأجنبية التي تناولت مختلف العلوم والمعارف الحديثة، الى جانب تدريس اللغات الأجنبية والكتابات الكونفوشيوسية وقيامها بارسال البعثات العلمية الى أوربا والولايات المتحدة[٣] . وقد برز من بين خريجي هذه المدارس أشخاص متعددون تأثروا بما رأوه وما قرأوه عن أنظمة الحكم في الدول الغربية فتكونت لدى بعضهم اتجاهات إصلاحية دفعتهم للمطالبة بإصلاح نظام الحكم، في حين اتجه البعض الآخر إتجاها جمهورياً طالب بتغير نظام الحكم برمته كما سيتضح.

٣- التراجع عن سياسة التعزيز الذاتي

خلافاً لما رمى اليه زعماء سياسة التعزيز الذاتي، من تقوية الدفاعات الوطنية للصين على نحو يردع الدول الغربية من التمادي في مطالبها، شهدت تلك المدة رسوخ الوجود الأجنبي سياسيا واقتصادياً ودينياً، في الصين[٤] على نحوٍ أظهر أن ما سعى اليه هؤلاء الزعماء من تقوية الدفاع الوطني وتحقيق التطور الاقتصادي لم يكن له سوى أهمية ضئيلة[٥] . ففي الوقت الذي دعوا فيه الى وضع حد لتدخل الدول الغربية في الصين لجأوا اليها وتحالفوا معها في سبيل القضاء على حركات المعارضة التي بدأت في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفتحوا

(1) China Handbook, P.119; Tikhvinski, OP.Cit.,P.443; Yen Ching–Hwang, The Overseas Chinese and Lat Ching Economic Modernization ,P 217.

(2) Beckmann, OP. Cit., P. P.154-155 ; مجلة المشرق ،العدد العاشر، آيار١٨٩٨،ص ٤٧٦.

(3) Fairbank and Reischauer, Op . Cit . ,P.310.

(4) China Handbook, P.111.

(٥) أبشتاين، المصدر السابق، ص٣٦.

أمام سفنها التجارية الموانئ الشمالية والملاحة في نهر اليانغتسي[١] . والجدولان الآتيان يوضحان حجم تجارة تلك الدول في الصين في المدة١٨٧١-١٨٨٣ [٢].

الصادرات بالطن

نوع المادة	الأعوام ١٨٧١-١٨٧٣	الأعوام ١٨٨١-١٨٨٣
الأفيون	١٨٧٠	٢١٣٨٩
قطن خام	٧٥٧٥	٥٣١٩
خيوط قطن	١٨٩٠	٥٩٠١
منسوجات قطنية	١٦٠٠٦٨٦	١٤٢٤٦٩٦
حديد ونحاس	٧١٤٠	١٣٦٨٦

الواردات بالطن

نوع المادة	الأعوام ١٨٧١-١٨٧٣	الأعوام ١٨٨١-١٨٨٣
الشاي	٥١١٦٠	٦١٩٠٧
الحرير	١٨٧٦	١٩٦٧
الصويا	٢٨٧٥	٨٢٣٨

يسجل الجدول الاول ارتفاعا كبيرا في استيراد الافيون وقد يتعلق ذلك بأزدياد أعداد الموانئ المفتوح للتجارة والتي وسعت من امكانية استيراده، فضلا عن ازدياد الطلب عليه في الداخل . ويلاحظ أن بقية المواد المستوردة ارتبط الطلب عليها بتقدم مشاريع سياسة التعزيز الذاتي ، فيلاحظ ازديادا في الطلب على خيوط القطن وقد يفسر ذلك بأزدياد حاجة معامل النسيج اليها ولاسيما أن تلك الخيوط امتازت بجودة صنعها وانخفاض اسعارها . ويلاحظ ايضا أن تلك الاعوام شهدت انخفاض الطلب على المنسوجات الاجنبية الذي قد يكون مرده جزئيا الى افتتاح معامل المنسوجات القطنية في شنغهاي وكانتون . والى جانب ذلك تعلق ارتفاع الطلب على الحديد والنحاس بالشروع بتنفيذ مشاريع سياسة التعزيز الذاتي ولاسيما مصانع الاسلحة والسكك الحديد وغيرها .اما الجدول الثاني فيوضح استمرار حاجة الدول الغربية لمنتجات الصين من الشاي والحرير والصويا .

(1) kwang–Ching Liu, Anglo-American Steamship Rivalry in China, Harvard University Press, 1962 ,P.10; Smith, OP. Cit., P.198.

(2) Chesneaux and Others, Op . Cit, P.178.

فضلا عن ذلك أعتمدت مشاريعهم الصناعية العسكرية منها والمدنية، على الخبراء والمهندسين والعمال الفنيين الأجانب على نحو مكنهم وبشكل جلي من معرفة نقاط القوة والضعف في هذه المشاريع . وليس أدلّ من ذلك حوض بناء السفن الذي أقامه تسوتسونغ تانغ في فوتشو، بالاعتماد على المهندسين والفنيين الفرنسيين، وجرى تحطيمه في الحرب الصينية – الفرنسية ١٨٨٤-١٨٨٥ [١].

ومنذ تشكيل إدارة الكمارك العامة[٢] في شنغهاي في كانون الثاني عام ١٨٦١ التي أمتد نشاطها ليشمل الموانئ الصينية كلها ، ووضعها تحت إدارة الموظفين البريطانيين كان اولهم اج. ن لاي ثم روبرت هارت[٣] (Robert Hart) الذي اصبح مفتشاً عاماً للكمارك البحرية طوال المدة (١٨٦٣-١٨٧٥) فإنها أصبحت أداة للنفوذ السياسي والاقتصادي في الصين، لاسيما بعد ان أصبح لهارت نفوذ واسع وتأثير كبير في البلاط والتسونغ لي يامين وممثلي الدول الأجنبية والموظفين في الصين، فصار موجهاً للسياسة الداخلية والخارجية ومستشارا غير رسمي للحكومة وتوسط في مفاوضات متعددة دارت بين الحكومة الصينية وممثلي الدول الغربية واليابان[٤]، الذين ازدادت توجهاتهم نحو أقاليم الإمبراطورية الصينية، مستغلين في ذلك ضعف نفوذ حكومة المانشو، التي لم يعد لها سوى نفوذ إسمي فيها، وتكتفي منها بالاعتراف بالسيادة ودفع الضرائب ، فأخذت تلك الأقاليم تتساقط واحداً تلو الأخر بأيدي الدول الأجنبية . ففي مطلع الستينات سارعت بريطانيا لإكمال إحتلال بورما[٥] لاتخاذها قاعدة للتسلل الى جنوب الصين،

---

[١] أبشتاين، المصدر السابق، ص٣٦.

[٢] شكلت ادارة الكمارك العامة في الواقع لضمان جمع الرسوم وتسديد الغرامات الحربية المترتبة على الحكومة الصينية، وعلى الرغم من وضعها تحت الإدارة الدولية الا ان إدارتها الفعلية كانت بيد بريطانيا، واشتمل عمل هذه الدائرة ايضا على المسح الجغرافي الساحلي وإدامة وتطوير الموانئ وتنظيم عمليات الاستيراد والتصدير، والحجر الصحي ودراسة الأوبئة في مناطق الموانئ. ينظر: **Chesneaux and Others, Op. Cit. , P.276.**

[٣] ايرلندي كان يعمل مترجماً في القنصلية البريطانية، عين عام ١٨٦٣ مفتشاً عاماً للكمارك الصينية وعمل تحت امرته (٥٠٠) موظف اجنبي مثلوا (١٦) دولة غربية واكثر من (٢٠٠٠) عامل صيني . نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٩١.

(4) Fairbank and Reischauer,Op . Cit ., PP.310-311; Michael Edwarsdes, Asia in the European Age (1498-1955), N.V. Drukkerij Thieme, (Holland, 1961), P.142.

[٥] ضمن سياق حماية الهند البريطانية وايجاد اسواق وطرق توصل الى الصين، قامت بريطانيا أثناء الحرب الانكلو – بورمية الاولى (١٨٢٤-١٨٢٦) بفرض سيطرتها على المناطق المجاورة بما فيها سواحل بورما. وعلى الرغم من=

وقاعدة لعملياتها العسكرية ، لاسيما أن الروس بدأوا بالزحف عبر تركستان باتجاه الجنوب فكان على البريطانيين اتخاذ إجراءات تحول بين روسيا والهند . ففي عام ١٨٧٥ اتخذت بريطانيا من مقتل أحد مترجميها في مقاطعة يونّان في ٢١ شباط ، في أثناء رحله استكشافية، ذريعةً لانتزاع امتيازات جديدة من الحكومة الصينية، واجبرتها على توقيع معاهدة تشيفو في ١٣ أيلــول عــام ١٨٧٦، التي قدمت فيها الحكومة الصينية اعتذارا رسمياً عن الحادث ، ودفعت غرامة تعويضية قدرها ٢٠٠٠٠٠ تايل ، واعترفت بحق بريطانيا في ممارسة التجارة عبر الحدود بــين بورمـــا ويونّان ، وامتنعت عن فرض ضريبة ليجين على البضائع الأجنبية بما فيها تلك التي تبــاع عــن طريق الوسطاء الصينين . وافتتحت عشرة موانئ للتجارة، وأكدت هذه المعاهدة أيضا على مــنح بريطانيا حقوق المعاهدات السابقة في المقاطعات الجنوبية والجنوبية الغربية، الى جانب تنظـيم تجارة الأفيون[١] . ولمواجهة خطر تقدم الفرنسيين من الهند، وقعت بريطانيا فــي عــام ١٨٨٦ معاهدة أخرى مع الصين، اعترفت فيها الأخيرة بضم بورما الى الهند على نحــو نهــائي، وفــي عام ١٨٩٠ أجبرت بريطانيا الصين على التخلي عن حقوقها في نيبال وسيكيم وحولتهمــا الــى محميتين بريطانيتين[٢].

=رفض حكومة بورما لتلك السياسة الا ان بريطانيا واصلت تنفيذ سياستها ففي عام ١٨٥١ انتهزت حادثة قبض حاكم احد اقاليم بورما على اثنين من البحارة البريطانيين لفرض حصار على مصب نهر الايروادي شريان الحياة الاقتصادية لمملكة بورما. ومن ثم شن حرب على بورما عرفت بالحرب الانكلو-بورمية الثانية (١٨٥١-١٨٥٢) تمكنت فيها مــن احتلال بورما السفلى التي اعلنت ضمها اليها في ٣٠ كانون الاول ١٨٥٢، وأجبرت حكومة بورما على الاعتراف بذلك بموجب معاهدة فرضت عليها. وبذلك تمكنت بريطانيا من فرض سيطرتها ونفوذها على مصب نهــر الايــروادي وأن تجد لها منفذا جديدا الى الصين، للمزيد عن ذلك ينظر: فايز صالح ابو جابر، الاستعمار في جنوب شــرقي آســيا، دار البــشير ، عمــان، ١٩٩١، ص٥٢-٥٤؛ Oliver B. Pollak, The Origins of the Second Anglo-Burmese War (1852-53), Modern Asian Studies, No.12, 1978, PP.483-502.

[١] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢٧؛

Bureau of Parliamentary Research Congress Party in Parliament, India-China Boundary Problem, (New Delhi, 1960), P.15; Fairbank and Reischauer, Op. Cit . , P.350; Toller, W. Stark, The Undefined China-Burma Frontier, Eastern World. India, Far East, Pacific. Vol.II, No.11,P.20.

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢٧.

ولم تكن فرنسا أقل رغبةً من بريطانيا، في الأستئثار بأقاليم الصين الجنوبية ولاسيما إقليم يونّان[١]، فمنذ عام ١٨٥٩ احتلت سايغون على الحدود الجنوبية الشرقية للصين، لاتخاذها قاعدة للتسلل الى إقليم يونّان وكوانجسي . وفي عام ١٨٦٣ فرضت حمايتها على كمبوديا، وهاجمت هانوي في عام ١٨٧٣ للإستيلاء على النهر الأحمر والتوغل من خلاله في يونّان[٢] . وفي ٢٥ أب عام ١٨٨٣ وقعت فرنسا معاهدة جديدة مع مملكة فيتنام ، أصبحت الأخيرة بموجبها محمية فرنسية . وعلى الرغم مما شكله ذلك من تجاوز واضح لسيادة الحكومة الصينية على مملكه فيتنام فأنها لم تكن في وضع يسمح لها باستخدام القوة لمواجهة فرنسا، حسبما أفاد بذلك أحد المسؤولين الذي دعا الحكومة لتسوية المسألة سلمياً ومنح فرنسا امتيازات تجارية تجنب الصين الحرب[٣] . ومع ذلك حاولت الحكومة الصينية أظهار قوتها فحشدت جيوشها، التي انضمت اليها منظمة "الرايات السوداء"[٤]، في تونكين في كانون الثاني عام ١٨٨٤ وعينت لي هونغ تشانغ قائداً لها[٥]. ورداً على ذلك ومن دون أعلان رسمي للحرب احتلت القوات الفرنسية ميناء فوتشو مدعيةً اعتداء الصين على فيتنام ، وهكذا قامت الحرب الصينية الفرنسية ، التي تكبدت

---

(1) M. Bouree, Minstre De fronce A Pekin, A M. Duclerc, Minster Des Affaires Etrangeres, T.570 Shanghai, 5 December 1882, Ministere Des Affaires Etrangeres, Documents Diplomatiques Francais (1871-1914), Serie (1871-1900), Tome IV (13 Mai 1881-20 evrier 1883), Paris, P.548. سيرمز لهذه الوثائق الفرنسية في الصفحات القادمة بالرمز (D.D.F.)

(2) J. Kim Munhol Land, 'Collaboration Strategy' and the French Pacification of Tonkin 1885-1897, The Historical Journal, Vol.24, No.3, 1981, P.127.

(3) Eastman, Op. Cit., PP.30-33; Frank Maloy Anderson, , Amos Shartle Hershey, Handbook for the Diplomatic History of Europ, Asia and Africa 1870-1914, Negro University Press, 1969, P.187.

(٤) جماعات من قطاع الطرق اسهموا في حركة المقاومة ضد الوجود الفرنسي، وشنوا غارات عبر الحدود الجنوبية في عام ١٨٨٢ نجحوا في انزال خسائربالفرنسيين وتلقوا مساعدات مالية من الحكومة الصينية. ينظر: Anderson and Hershey, Op. Cit., P.187.

(5) Le Prince De Hohenlone, Ambeassadeur D'Allemagne A Paris, A M. Jules Ferry, Ministere Des Affaires Etrangeres, Paris, 17 A Out 1884, (D.D.F), 1 Serie (1871-1900), Tome V (23 Fevrier 1883 9 Avril 1885), P.373.

فيها القوات الفرنسية في أول الأمر خسائر كبيرة، لولا أنها تمكنت لاحقاً من هزيمة القوات الصينية والفيتنامية، وكبدتهما خسائر كبيرة، وأجبرت الحكومة الصينية على توقيع معاهدة تينتسين في ٩ حزيران عام ١٨٨٥[١] ، التي اعترفت الصين بموجبها بشرعية المعاهدات التي وقعها الفرنسيون مع فيتنام، أي التخلي عن حقوقها فيها واعترفت بمركز فرنسا في الهند الصينية التي تحولت الى مستعمرة فرنسية وكذلك في كمبوديا وتونكين مع امتيازات لسكك الحديد وأضيفت اليها لاوس فيما بعد[٢].

ولمواجهة خطر تقدم الفرنسيين من الهند وقعت بريطانيا في عام ١٨٨٦ معاهدة مع الحكومة الصينية ، اعترفت فيها الأخيرة بضم بورما الى الهند على نحو نهائي، وفي عام ١٨٩٠ أجبرت بريطانيا الصين على التخلي عن حقوقها في نيبال وسيكيم وحولتهما الى محميتين بريطانيتين[٣].

وقد حوّل ذلك التوسع على حساب سلطة حكومة المانشو الصين الى دولة شبه مستعمرة تتقاسم فيها الدول الكبرى مناطق النفوذ والامتيازات[٤]، سواء أكان نفوذاً اقتصادياً أم فكرياً كبيراً . إذ ازداد حجم الاستثمارات الأجنبية ودخلت رؤوس الأموال الأجنبية في منافسة كبيرة مع

---

[١] بقيت فيتنام التي كانت أقليماً تابعاً لإمبراطورية الصين، خاضعة لسيطرة الفرنسيين حتى عام ١٩٤٠ حينما غزتها اليابان في الحرب العالمية الثانية، ورافق ذلك قيام حركة وطنية معارضة للوجود الأجنبي تزعمها هوشي منه عرفت باسم (الفيت منه) تمكنت عام ١٩٤٥ من الإطاحة بالحكم الملكي واقامة جمهورية فيتنام، إلا أن عودة الفرنسيين للبلاد بعد هزيمة اليابان في الحرب، أدت الى تجدد الصراع بين الفيت منه والفرنسيين الذين هزموا في معركة (ديان بيان فو) والتي تلتها توقيع سلسلة اتفاقيات كان آخرها اتفاقية جنيف عام ١٩٥٤ التي قسمت فيتنام الى شمالية وجنوبية، للمزيد عن ذلك ينظر:

Nguyen the Anh, The Vietnamese Monarchy Under French Colonial Rule. 1884-1945, Modern Asian Studies, No.19, 1985, PP.147-162

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢٨؛ يقظان سعدون العامر، خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة،١٨٧٠- ١٩١٤ ،المؤرخ العربي ،العدد ٥١ ،١٩٩٥ -١٩٩٦ ،ص٤٩ .

[٣] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢٧.

[٤] المصدر نفسه، ص١٢٦؛ رادفرد توماس، تاريخ العالم (١٩١٤-١٩٥٠)، ترجمة حسين كامل ابو الليف، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦، ص٣٠-٣١؛

Caxton Publications Limited, The New Caxton Encyclopedia, Vol.5, London, (N.D). P.41.

رؤوس الأموال المحلية . وكان من نتيجة ذلك أن ارتبط الاقتصاد الصيني بعجلة الاقتصاد الرأسمالي، واضطر الكثير من البرجوازيين الصينيين الذين تضررت مصالحهم الى الهجرة[١] الى دول شرق وجنوبي شرق آسيا سيام – تايلند – وماليزيا والفلبين،و الهند الصينية ، وجزر الهند الشرقية دون أن يقطعوا صلتهم بمناطقهم في حين فضل الآخرون البقاء في الصين والاشتراك في العمليات الاقتصادية الى جانب رؤوس الأموال الأجنبية[٢] . وزيادة على ذلك رفعت الإرساليات التبشيرية في هذه المدة من نشاطاتها التي غالباً ما انطوت على أعمال استفزازية نحو الاستيلاء على الأراضي الخاصة ، والاستهانة بعقائد الصينيين . وهو الأمر الذي قاد الى قيام انتفاضات عدة مضادة للإرساليات التبشيرية والتدخل الأجنبي، في كوانغتونغ، وزيتشوان، وشينسي، وشانسي، وغيرها من المقاطعات الصينية . فأثار هذا الأمر خشية أنصار سياسة التعزيز الذاتي والتسونغ لي يامين ولاسيما أن عدداً من هذه الانتفاضات اتخذت طابعاً مضاداً لسياستها، مما دفع التسونغ لي يامين الى رفع تقرير الى العرش طالبت فيه بضرورة إخماد هذه الانتفاضات التي وقفت وراءها المنظمات السرية المعارضة لأسرة المانشو . وجرى القضاء على هذه الانتفاضات وتعهدت الحكومة الصينية بإعدام كل من يجرؤ على الاعتداء على المبشرين، وقدمت تعويضات عن الأضرار التي لحقت بمقراتهم[٣].

والى جانب إخفاق سياسة التعزيز الذاتي في تقوية الدفاع الوطني، وازدياد حجم النفوذ الأجنبي، وهزيمة الصين في الحرب مع فرنسا، واصل المحافظون المتطرفون دعواتهم للتراجع عن هذه السياسة ، وإلغاء الإصلاحات كافة والعودة الى سياسة العزلة . موضحين أن الاستمرار في تدريس العلوم الحديثة وتطبيقها سوف يؤدي في النهاية الى تدمير الكونفوشيوسية، وأن معاملة الدول الغربية معاملة الند للند، فيه انتقاص كبير من سيادة إمبراطورية الوسط وأن

---

[١] درجت الحكومة الصينية ولقرون عديدة على منع الهجرة الى خارج حدود الصين، وعدّت المهاجرين مجرمين وخارجين على القانون، وفرضت عليهم عقوبة الإعدام، الا أن اتفاقيات بكين فرضت على الحكومة الصينية الاعتراف بمبدأ الهجرة ضمن سياق ما عرف بتجارة الكولي التي كانت المنفذ الرسمي الوحيد للهجرة. ينظر:

ليز مثيسون، الصينيون فيما وراء البحار، ترجمة لجنة الترجمة في دار الشرق الجديد، (د. ت)، ص٦٣-٦٤.

(2) Yen Ching-Hwang, The Overseas Chinese and Lat Ching Economic Modernization , PP.217-219.

(3)Tikhvinski, OP.Cit., PP.313-312.

استمرار تلك الدول باستنزاف موارد الصين الطبيعية سيؤدي الى نفاذها لذلك يجب وقف التعامل معها[١].

وتعرض زعماء سياسة التعزيز الذاتي لانتقاد عدد من ممثلي الاوساط التجارية والصناعية في اقليم كيانغسو وتشكيانغ، ولاسيما تشانغ جيان أحد كبار ملاكي الأراضي، الذي اصبح لاحقا احد قادة الحركة الملكية الدستورية في عشية ثورة عام ١٩١١، موضحاً ان حكام الأقاليم الذين رفعوا شعار التعزيز الذاتي واشتروا الأسلحة ودربوا الجيش أنفقوا مبالغ خيالية لم يحسبوا الامر جيداً، وحينما جاءت اللحظة الحاسمة وهي الحرب مع فرنسا فإنهم لم يكونوا في حالة استعداد للحرب وطالبوا بالسلام[٢]. والواقع انه على الرغم مما شهدته المدة الممتدة بين هزيمة الصين في الحرب مع فرنسا وقيام الحرب الصينية ـ اليابانية ١٨٩٤-١٨٩٥، من محاولات زعماء سياسة التعزيز الذاتي ، الذين ادركو قصور إجراءاتهم في الارتقاء لمستوى الاحداث، تعزيز قوة الدفاعات البحرية وزيادة أعدادها[٣]، الا انها لم تستطع الصمود امام طموحات اليابان التوسعية في ليوشيو وفرموزة وكوريا ، ولاسيما ان الكثير من الاموال المخصصة لدعم القوات البحرية انفقت على بذخ الأسرة الحاكمة . فلم تكتف اليابان بما حصلت عليه بموجب معاهدة كانغ هوا الموقعة ٢٦ شباط عام ١٨٧٦، من فتح الموانئ التجارية وتبادل البعثات الدبلوماسية مع اعترافها بكوريا دولة مستقلة ، بعد ان كانت دولة تابعة للصين[٤] بل واصلت اليابان ضغطها على الصين لإجبارها على التخلي عن حقوقها التأريخية في كوريا[٥]. مستغلة في ذلك الاضطرابات

(1) Yu Yueh, My Three Fears, In: Dun J. Li, Op. Cit., PP.163-164; Green, Op. Cit., P.95.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., PP.312-313.

(3) Rowlison, OP. Cit., P.60.

(4) Edwarsd I-Chen, Japanese Colonialism in Korea and Formosa. A Comparison of the Systems of Political Control, Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol.30, 1970, P.126; Hilary Conroy, Japanese Nationalism and Expansionism, The American Historical Review, No.I, October, 1954, PP.818-821.

(٥) هانزجي مورجنتاو، السياسة بين الامم. الصراع من اجل السلطان والسلام، ترجمة خيري حماد، الدار القومية للطباعة، (د.ت)، ص٢٥١-٢٥٢؛

الداخلية في كوريا وانقسام سكانها ما بين موالين لليابان، وموالين للحكومة الكورية ومؤيدين بقاء تبعيتهم لحكومة الإمبراطورية الصينية . ودعمت في كانون الاول عام ١٨٨٤ انقلاباً في سيئول ضد الحكومة الكورية، اغتيل فيه عدد من المحافظين والقي القبض على الملك، مما قاد الى تدخل القوات الصينية واليابانية[1]، ومن ثم توقيع إتفاقية في ٨ نيسان عام ١٨٨٥ بين لي هونغ تشانغ ممثلا عن الحكومة الصينية و ايتوهيروبومي[2] وزير الخارجية الياباني عرف باتفاق لي – ايتو، ووافق بموجبه الطرفان على سحب قواتهما من كوريا، وان لا تدخل احدى الدول قواتها الى كوريا دون ابلاغ الدولة الاخرى[3]. وفي عام ١٨٩٤ ادى تدخل القوات الصينية لاخماد حركة التمرد التى قامت بها جمعية التونغ هاك (العقيدة الشرقية) في سيئول، الى استغلال اليابان الفرصة لإحتلال سيئول ومحاصرة القصر الملكي، وتشكيل حكومة جديدة موالية لليابان في ٢٣ تموز اصدرت بياناً الغت فيه المعاهدة الكورية مع الصين واعلان الحرب عليها، وخولت الحكومة اليابانية طرد القوات الصينية من البلاد . وهو الامر الذي قاد الى قيام الحرب بينهما في ٣١

William E. Henthorn, A History of Korea, Collier Macmillan Publishers, (London, 1971), PP.204-206; David Conde, Koreans in Japan, Eastern Horizon, Vol.XVI, No.5, 1977, P.31.

(1) Li Hung–Change, The Opening of Korea to the Trade of all Countries, In: Dun J. Li, Op. Cit.,P.201;Kodansha Encyclopedia of Japan,Vol.1, First Edition, (Japan, 1983) , PP.286-287.

(٢) ولد الميركيز ايتو هيروبومي في ولاية تشوتشو اليابانية عام١٨٤١ وتلقى تعليمه فيها ، وكان له دور مهم جدا في الحركة الاصلاحية ونهضة اليابان الحديثة إذ فسح له سفره الى اوربا المجال للاطلاع على العلوم والتقنيات الحديثة وأدرك أنها اهم أسباب تقدم اوربا فصمم على نقلها لبلاده ، وقد تسنم مناصب عديدة في حياته فأصبح حاكما لهيوجو عام١٨٦٨و وزيرا للمالية والاشغال العامة عام١٨٧٣و وزيرا للخارجية عام١٨٨٥، ورئيسا للوزراء ثلاث مرات ١٨٨٥و١٨٩٢ و١٨٩٨ ينظر: Encyclopedia Brtinca ,Vol12 , PP. 829-830 ;

مجلة الهلال المجلد العاشر، السنة العاشرة، ١٩٠١-١٩٠٢، ص٢٦٢-٢٦٥.

(3) The Li–Ito Agreement 1885, In: Dun J. Li, Op. Cit , PP. 200-210;

نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٣٣-١٣٤.

تموز من العام نفسه، وتمكنت القوات اليابانية من دحر القوات الصينية، وإحتلال كوريا[١]، والتوغل في الاراضي الصينية، واحتلال ميناء ويهايوي في شانتونغ وبورت ارثر ومنشوريا . ولم توقف القوات اليابانية توغلها في البلاد حتى تم إيقاف القتال بتدخل الولايات المتحدة[٢]، وتوقيع معاهدة شيمونيسكى في ١٧ نيسان عام ١٨٩٥، اعترفت الصين بموجبها باستقلال كوريا، والتنازل عن شبه جزيرة لياوتونغ جنوبي منشوريا بما فيها مينائي بورت آرثر ودايرين، وفرموزة[٣] وجزر بسكادورس، لصالح اليابان التي حصلت ايضا على حق الدولة الاكثر رعاية وحق إقامة المصانع على الاراضي الصينية، الى جانب فتح كثير من الموانئ للتجارة الخارجية، وألزمت الصين بدفع غرامة حربية لليابان مقدارها (٢٠٠) مليون تايل[٤]. وهكذا اثبتت سياسة التعزيز الذاتي فشلها في تقوية الدفاع الوطني واظهرت بما لا يقبل الشك استمرار عجز حكومة المانشو في الدفاع عن الاقاليم التابعة لها، واضطرارها الى تقديم التنازلات والامتيازات للدول الأجنبية، بما يتناقض مع تحقيق السيادة الوطنية، ولاسيما ان سياسة التعزيز الذاتي تم تنفيذها

---

(١) فقدت في تلك الاثناء ملكة كوريا ثم عثر عليها مقتولة في العاصمة سيئول واتُهم اليابانيون بقتلها. ينظر: مجلة الهلال، السنة (٤)، المجلد(٤)، ١٨٩٥-١٨٩٦، ص١٩٦.

(2) Li Hung–Change, The Eastern Learning Socity , In: Dun J. Li, Op. Cit. , PP.211-212; Kodansha Encyclopedia of Japan, PP.286-28; Mutsu Munemitsu, Kenkenroku. A Diplomatic Record of the Sino-Japanese War 1894-1895, The Japan Foundation, (Tokyo, 1982). PP.190-191: Tagawa Seiichi, A New Era Comes to Japan-China Relation, Japan Quarterly, Vol.XXXVI, No.1, 1979, PP.19-20;

وحول الموقف الدولي من الحرب اليابانية الصينية ينظر : يقظان سعدون العامر ،العلاقات الالمانية – الروسيةخلال عهدالسياسةالعالمية١٨٩٤ – ١٩٠٢ ،الاستاذ ، العدد٥٩ ، ٢٠٠٤ ،ص٤٨٩ – ٤٩١ .

(٣) بقيت هذه الجزيرة المعروفة حالياً باسم تايوان، خاضعة للنفوذ الياباني حتى هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية. وشهدت في تلك المدة تطوراً ملموساً في مؤسساتها ولاسيما التعليمية. ينظر:

E. Patrica Tsurumi, Education and Assimilation in Taiwan Under Japanese Rule 1895-1945. Modern Asia Studies, Vol.13, Part 4, 1979, PP.617-619.

(4) The Treaty of Shimono Seki 1895, In: Dun J. Li, Op.Cit., PP.223-226;

يقظان سعدون العامر، العلاقات الالمانية الروسية خلال عهد السياسة العالمية ١٨٩٤ – ١٩٠٢ ،ص ٤٩٠ -٤٩١ ٥٣٦،

بالاستعانة بتلك الدول، فضلاً عن ذلك أنها حتى عشية إعلان الحرب على فرنسا عام ١٨٨٤ كان هدفها الاساسيّ القضاء على حركات المعارضة .

ومن الجدير بالذكر ان هزيمة الصين في هذه الحرب فتحت عليها باباً لمزيد من التنافس الدولي في سبيل تقسيمها الى مناطق نفوذ[١] . فبعد ستة أيام من توقيع اتفاقية شيمونيسكى تمكنت كل من روسيا وفرنسا والمانيا، التي استكثرت على اليابان حصولها على تلك الامتيازات، من اجبار الحكومة اليابانية على ارجاع شبه جزيرة لياوتونغ الى الصين، بدعوى ان ذلك يشكل تهديداً للعاصمة بكين وخرقاً واضحاً لإستقلال كوريا[٢] . وكان ذلك بداية لتعزيز المصالح الدولية في الصين من خلال تقديم القروض وانتزاع الامتيازات الاقتصادية، ومنح الأفضلية في التعامل، وتأجير الاراضي . ففي تموز عام ١٨٩٥ قدمت كل من روسيا وفرنسا قرضاً قدره (٤٠٠) مليون فرنك الى الحكومة الصينية ، بضمان ايرادات الكمارك الصينية ، لتسديد غرامة الحرب، فضلا عن ذلك انشأت روسيا في العام نفسه مصرفاً روسياً ـ فرنسياً برؤوس اموال فرنسية وإدارة روسية كان له الحق في جباية الضرائب وسك النقود وإدارة سكك الحديد . وفي آذار عام ١٨٩٦ ومايس عام ١٨٩٨ قدم الاتحاد المصرفي الانكلو ـ الماني قرضين الى الحكومة الصينية بقيمة (١٦,٥) مليون جنيه وبفائدة قدرها (٤,٥) بالمئة[٣] . وفضلا عمّا تقدم أُجبرت

---

(1) Anderson and Hershey, Op. Cit., PP.242-243; M. Moncharville, Le Conflit Sino-Japonals, L'Affaire De Shanghai, Revue Cenerale De Droit International Public, Troisieme Serie Tome.VII, Tom.XL, 1933, P.234.

(2) Mustu Munemitsu, Op. Cit., P.192; Anderson and Hershey, Op. Cit., PP.242-243; John Toland, The Rising Sun The Dicline and Fall of the Japanese Empire 1936-1945. Bantom Books, 9th Printing, (New York, 1981), P.6.

(٣) أ.ج. جرانت، هارولد تمبرلي، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٧٩-١٩٥٠، ج٢، ترجمة محمد علي ابو درة، لويس اسكندر، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧، ص٧٩-٨٠؛ يقظان سعدون العامر ، العلاقات الالمانية الروسية خلال عهد السياسة العالمية ،ص٤٩١؛
The Royal Institute of International Affairs, Information Department Papers No.21. China and Japan, (London, 1938), P.31; D. Mclean, The Foreign Office and the First Chinese Indemnity Loan, 1895, The Historical Journal, Vol.XVI, 1973, PP.303-304;
مجلة الهلال، السنة ٦، المجلد ٦، ١٨٩٧-١٨٩٨، ص٥٤٧؛ مجلة الكاتب المصري، العدد (١٥)، كانون الاول ١٩٤٦، ص٤١٦-٤١٧.

الصين على توقيع سلسلة معاهدات قدمت فيها المزيد من الامتيازات التي حولت الصين الى دولة شبه مستعمرة[١] . ففي عام ١٨٩٦ وقع لي هونغ تشانغ عن الحكومة الصينية، معاهدة (لى – لوبانوف) مع روسيا نصت على إقامة تحالف عسكري بين روسيا والصين ضد اليابان أمده خمسة عشر عاما، والاقرار بمد سكة حديد سيبريا[٢]، التي بدأت روسيا بمدها منذ عام ١٨٩١، عبر اراضي منشوريا الى ميناء فلاديفوستك على ان توضع تحت اشراف المصرف الصيني – الروسي، وتمنح روسيا حق الإدارة والتعدين في الاراضي المحيطة بسكة الحديد جميعها، والحق في استخدام الموانئ الصينية في حالة الحرب[٣] . وفي عام ١٨٩٨ حصلت روسيا على حق استئجار جنوب شبه جزيرة لياوتونغ بما فيها مينائي بورت ارثر ودايرين، مدة خمسة وعشرين عاماً[٤].

اما فرنسا فإنها حصلت بموجب سلسلة معاهدات امتدت حتى نيسان عام ١٨٩٨، على امتيازات واسعة للتعدين وانشاء السكك الحديد في اقليمي كوانجسي ويونّان . واقرت الحكومة الصينية بعدم التنازل عن أي جزء من اراضي المقاطعات المجاورة للهند الصينية واعطيت فرنسا أيضا حق استئجار خليج كوانغتشو في كوانغتونغ جنوب الصين، مدة ٩٩ عاماً لاستخدامها

---

(١) محمد نعمان جلال، الصراع بين اليابان والصين، مكتب مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٨-١٩؛

Westel W. Willoughby, The Sino-Japanese Controversy and the League of Nations, Greenwood Press, (New York, 1968), PP.3-4.

(٢) يمتد خط سكة حديد سيبيريا الى مسافة ستة آلاف ميل، ومنذ كانون الاول عام ١٨٩٥، أقرت الحكومة الصينية مشروعا تقدمت به الحكومة الروسية الى شركة روسية – صينية، قضى بمد خط جديد يتصل بخط سيبيريا، وهو ماعرف بخط سكة حديد منشوريا الذي أمتد لمسافة ١٢٨٠ ميل، وخصصت له الشركة مبلغاً قدره (٥٠٠٠٠٠) روبل وقد تعرض ما يقارب مئة ميل من هذا الخط للانجراف نتيجة تعرضه لاحدى الكوارث الطبيعية. ينظر: مجلة الهلال، السنة (٧)، المجلد (٧)، ١٨٩٨-١٨٩٩، ص ؛ مجلة المشرق، العدد (١٣)، السنة الاولى، ١٨٩٨، ص٦٠٣؛

J.Cavare,La Reconnaissance De L'etat Et Le Mandchoukouo, Revue Generale Droit International Public, Troisieme Serie, Tom.IX, Tom.XLII, 1935, PP.17-18.

(3) The Sino–Russian Secret Treaty of 1896, In: Dun J. Li,Op. Cit . , PP.189-190.

(4) Information Department Papars No.12 , China and Japan , PP.31-32; Christopher Thorne, The Limits of Foreign Policy. The West, the League and the Far Eastern Crisis of 1931-1933, the Macmillan LTD., (London, 1972), PP.20-21.

قاعدة بحرية وتعديل الحدود بين الصين وتونكين لصالح فرنسا، وموافقة الحكومة الصينية على استخدام المستشارين الفرنسيين في دائرة البريد الصينية[١].

اما بريطانيا فقد حصلت بموجب سلسلة إتفاقيات وقعتها عام ١٨٩٨، على امتيازات عدة، منها توسيع المنطقة المؤجرة لها في شبه جزيرة كولون المقابلة لجزيرة هونغ كونغ، وإقرار الحكومة الصينية بعدم التنازل عن أي جزء من وادي اليانغتسي الذي أدعت بريطانيا سيادتها عليه، كما تمكنت بريطانيا من استئجار ميناء ويهاي وي[٢] في مقاطعة شانتونغ شمال شرق الصين، وتعديل الحدود بين الصين وبورما لصالح بريطانيا، وموافقة الحكومة الصينية على أن يكون المفتش العام للكمارك الصينية بريطانياً، على اساس أن التجارة البريطانية هي الأكثر انتشاراً في الصين[٣]. وفي العام نفسه إستغلت المانيا مقتل إثنين من مبشريها، للقيام باحتلال خليج كياوتشو وتحويله الى مستعمرة باسم المستعمرة الجديدة كياوتشو، ويشار الى أن ذلك حظي بموافقة روسيا وفرنسا للحد من النفوذ البريطاني المتزايد[٤].

وسلكت الولايات المتحدة، التي ازدادت توجهاتها نحو المحيط الهادي، طريقاً آخر في تعزيز مصالحها في الصين[٥] . فبناء على توجيهات بريطانيا التي شعرت بضعف موقفها في الصين

---

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٢) الغي عقد الاستئجار وأعيد ميناء ويهاي وي وكل ممتلكاته الى حكومة الصين بموجب اتفاقية وقعت بين الحكومة الصينية والحكومة البريطانية في ٢٠ نيسان عام ١٩٣٠ للمزيد عن ذلك ينظر:

Grande-Bretagne-Restitution De Wei-Hai-Wei-Convention Du 20 Avirl 1930, Revue General, Adroit International Public, to Me XXX V III, 1931. PP.125-127.

(3) Anderson and Hershey, OP. Cit., PP.207-208.

(4) John E. Schrecker, Imperialism and Chinese Nationalism. Germany in Shantung, Harvard University Press, 1971, PP.1-2 ;

مجلة المشرق، العدد (٢)، السنة الاولى، ١٨٩٨، ص١٦٥.

(5) Thomas C. Hart, The United States and the Pacific Islands, The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol.255, 1948; Richard H. Solomon, Parochialism and Paradox in Sino-American Relations, Asian Survey, Vol.VII, No.12;

حسن علي سبتي الفتلاوي ، العلاقات الامريكية اليابانية أهداف ثابتة سياسات متغيرة ، بغداد، ٢٠٠٤، ص٥٢.

بسبب حرب البوير[1]، اقترحت الولايات المتحدة على لسان وزير خارجيتها جون هاي[2] (John Hay) اتباع سياسة الباب المفتوح التي نصت على ضرورة حماية الامتيازات التي حصلت عليها الدول الاجنبية في الصين، وان تتولى السلطات الصينية وحدها حق جمع الضرائب، التي يجب ان تفرض بالتساوي على بضائع الدول جميعها من دون تمييز، وضرورة صيانة وحدة الاراضي الصينية[3]. وفي الواقع لم يكن هدف الولايات المتحدة حماية سيادة حكومة الصين على اراضيها، بقدر ماتفتح لها هذه السياسة امكانية تحقيق النفوذ الاقتصادي في مناطق الامتيازات جميعها التي حصلت عليها الدول الاخرى . وعلى نحو عام حوّل التنافس الدولى الصين الى دولة شبه مستعمرة سياسيا واقتصاديا وذلك باغراقها بالقروض التي ضمنت بموارد الكمارك وضريبة المرور الداخلي وهي المورد المالي الرئيس لحكومة الصين، وهو الامر الذي جعل اقتصاد الصين رهينة بأيدي تلك الدول التي حوّلت الصين الى مناطق لنفوذها . ومن دون

---

(1) استمدت هذه الحرب اسمها من البوير أحفاد المستوطنين الهولنديين في جنوب افريقيا، وهي تسمية أطلقت ايضا على جمهوريتين كانتا تحت السيطرة الهولندية وهما الترنسفال واورنج الحرة، الى جانب مستعمرتين كانتا تحت السيطرة البريطانية وهما الكيب وناتال، وتعود اسباب هذه الحرب التي نشبت بين بريطانيا والجمهوريتين، الى اكتشاف اغنى مناجم الذهب في العالم في الترنسفال وتقاطر آلاف البريطانيين اليها بحثاً عن الثروة والمغامرة، واتخاذ حكومة الترنسفال اجراءات متشددة نحوهم ، وهو الامر الذي قاد الى تدخل الحكومة البريطانية ومن ثمَ قيام الحرب التي استمرت للمدة بين ١٠ تشرين الاول ١٨٩٩-٣٠ آيار ١٩٠٢، وانتهت بتوقيع معاهدة فيرنكنك التي منح بموجبها الحكم الذاتي للجمهوريتين المذكورتين آنفاً. ينظر:

Encyclopidia Britannica, Vol.2 , (Chicago , 1985) , PP319-320 .

(2) سياسي امريكي جمهوري تخرج من كلية الحقوق في مدينة الينوي ، في ٢٢آذارعام١٨٦٥ أرسل الى باريس رئيسا للبعثة الدبلوماسية هناك . وعمل في الصحافة منذ عام ١٨٧٠ . وفي عام١٨٧٩عين نائباً لوزير الخارجية . وفي٨آب ١٨٩٨أستدعي من لندن التي كان يعمل فيها سفيراً لحكومته ليتم تعيينه وزيراً للخارجية . ينظر :

The Encyclopedia Americana , Vol . 13, 889-891.

(3) Hay's Open Door Proposal, In: Thomas P. Brokway, United States Foreign Policy, Van Nostrand Company. INC, (Prinston, 1957), PP.65-66; David Nelson Rowe, American Policy Toward China, The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Phladelepha, United States of America, 1948, P.136; Anderson and Hershey, OP. Cit.. PP.243-244.

شك انعكس ذلك على وضع حكومة المانشو إذ تراجعت مكانتها في الداخل ، وتقلص نفوذها على نحو كبير في الدول التي كانت تعدّ اقاليماً تابعة لها . وازاء ذلك وجب القيام بمحاولات لإنقاذ البلاد من ازمة التقسيم ، ولاسيما بعد فشل سياسة التعزيز الذاتي في ذلك، فأخذ التياران الجمهوري والإصلاحي مهمة تحقيق ذلك كل بحسب توجهه .

ثانيا- المطالبة بالاصلاح الدستوري حتى عام ١٨٩٨

١ - بداية الدعوة للإصلاح الدستوري

أظهرت الهزائم التي منيت بها الصين قصوراً كبيراً في سياسة التعزيز الذاتي، وعجزاً تاماً في الجهاز الحكومي الدبلوماسي والعسكري عن مواجهة المحاولات الأجنبية لإقتسام الصين فيما بينها مما وضع البلاد في ازمة وطنية حادة[١] . وفي خضم البحث عن مخرج من هذه الأزمة ظهرت تيارات فكرية وسياسية لكل منها منهجه الخاص واسلوبه في النهوض ومجابهة التحدي[٢]. ففي الوقت الذي مثل فيه إسقاط حكومة المانشو وإقامة الحكم الجمهوري، الحل الأمثل برأي صن يات صن[٣] واتباعه، اعتقد الإصلاحيون الذين تأثروا بتجربة اليابان الإصلاحية أن إقالة البلاد من عثارها يتطلب القيام بحركة إصلاحية شاملة لا تقتصر على استعارة تقنيات الدول الغربية، كما فعل زعماء سياسة التعزيزالذاتي، بل ترمي أيضاً الى تغيير نظام الحكم نفسه من ملكية مطلقة الى ملكية دستورية تقتسم فيها الجماعات البرجوازية السلطة مع الجماعات الاقطاعية وفق نظام دستوري محدد[٤] . والواقع أن هذين التيارين قد نما وترعرعا

---

(١) Tikhvinski, OP.Cit., P.343; Duncan Macfarlane, China, Japan and Western Impact in the Nineteenth Century, Asian Affairs, Vol.1x, Part. II, June 1978, PP.193-194.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٤٣، فؤاد محمد شبل، حكمة الصين، ص ٥-٧؛
Arthur F. Wright, Struggle VS. Harmony Symbols of Competing Values in Modern China. World Politics , Vol.VI, October 1953-July 1954, P.31.

(٣) ولد صن يات صن الذي تزعم التيار الجمهوري للإطاحة بحكومة المانشو، في عائلة فلاحية قرب كانتون عام ١٨٦٧، درس الطب في هونولولو في جزو هاواي، واعتنق المسيحية في سن مبكرة . وتأثر بتردي وضع بلاده السياسي والأقتصادي والأجتماعي وآثر العمل السياسي على مهنة الطب. وسنأتي على بيان نشاطه السياسي في الفصل القادم.
Dillon, Op. Cit., P.197.

(4) Beckmann, Op.Cit., PP.178-179; Latourett, OP.Cit., PP.431-432; Victornee and James Peek(ed), Revolution or Modernization, Eastern Horizon, Vol.XV, No.4, 1977. PP.64-65 .

أبشتاين، المصدر السابق، ص٤٧-٤٨.

في المناطق الجنوبية من الصين التي ظهر فيها الإتجاه الوطني بشكل متميز في أثناء حروب الأفيون والحرب الصينية ـ الفرنسية . فضلاً عن مناطق الموانئ المفتوحة، التي كانت أسبق تلقياً للمؤثرات الخارجية، من المناطق الأخرى بحكم احتكاكها المبكر بالدول الغربية، وتركز مستوطنات الجاليات الأجنبية فيها . والتي أثر أسلوب ادارتها القائم على انتخاب المجالس البلدية، وإنشائها المؤسسات التجارية والإدارية والثقافية الحديثة[1] التي أسهمت جنباً الى جنب مع الإرساليات التبشيرية، مثل جمعية الأدب المسيحي[2] وجمعية لندن التبشيرية في إصدار الكتب والمجلات والصحف المترجمة الى اللغة الصينية، مثل صحيفة العالم . كلها أثرت في نمو الأفكار الإصلاحية الدستورية، لدى بعض الصينيين المثقفين ثقافة كونفوشوسية وغربية . ولاسيما أن بعض المبشرين مثل ثيموتي ريتشارد (Timothy Richard) (١٨٤٥-١٩١٩) العضو البارز في جمعية لندن التبشيرية، تمكنوا من ممارسة التأثير فيهم في ذلك الإتجاه[3] . ويعد ذلك ميلا واضحاً لتدخل المبشرين في الحياة السياسية في الصين وتوجيهها على نحو يخدم مصالح دولهم إذ إن وصول الإصلاحيين الى سدة الحكم كان يعني تقليص نفوذ المحافظين المتطرفين الذين طالما وقفوا ضد سياسة الإصلاح، وحرضوا الشعب على محاربة الإرساليات التبشيرية التي وسعت نفوذها، بعد هزيمة الصين في الحرب مع اليابان إذ أصبح عدد من المثقفين، الذين ضعف تمسكهم بالثقافة الصينية التقليدية، اقل عدائية تجاهها[4]. والجدير بالذكر انه على الرغم مما حمله نشاط هذه الإرساليات من جوانب سلبية ، لكنه لا يخلو من جوانب أيجابية تمثلت بدعوتها

---

(1) Edwards J. M. Rhoads, China's Republican Revolution the Case of Kwangtung, 1895–1913, Harvard University Press, 1975, P.

(٢) جمعية تبشيرية انكلو ـ امريكية أسِّست في شنغهاي عام ١٨٨٧ وأصدرت صحيفة ناطقة بلسانها هي (صحيفة العالم) نشرت أكثر من مئة كتاب معظمها دينية، وبعضها الآخر يتعلق بالعلوم السياسية والقانون والكيمياء والعلوم الاجتماعية. وقد تركت هذه المؤلفات اثرها في البرجوازية الصينية.

Chesneaux and Others, Op. Cit., P.183 ; Edwarsdes, OP. Cit., P.14;

مجلة المشرق، العدد العاشر، آيار عام ١٨٩٨، ص٤٧٦.

(3) Shirely S. Garrett, Social Reformers in Urban China. The Chinese Y. M. C. A1895-1926, Harvard University Press, 1970, P.3; Chesneaux and Others,Op. Cit., P.183.

(4) Sidney A. Forsythe and Others, An American Missionary Community in China 1895-1905, Harvard University, 1971, PP.6-8; Latiurette, OP. Cit., P.377.

لواحدة من الديانات الموحدة، وإسهامها في نقل الأفكار السياسية والاقتصادية والاجتماعية الغربية الى الصين عبر إصداراتها المختلفة، وهو الأمر الذي ترك أثراً واضحاً في إسلوب استجابة المثقفين، الذين ضعف أيمان بعضهم بالثقافة الكونفوشوسية، لتحديات تلك المرحلة.

ويضاف لما تقدم، ان ظهور الطبقة البرجوازية الصينية، يعد عاملاً مهماً من عوامل التوجه نحو الإصلاح الدستوري، لاستخلاص حقوقها في المشاركة في نظام الحكم، وحمايتها من المنافسة الأجنبية[١] . ولاسيما أن ازدياد وجودها في الأقاليم الجنوبية من الصين البعيدة عن مركز الحكم مكنها من تقديم الدعم للحركة الإصلاحية بل حتى البرجوازيين والعمال[٢] الذين هاجروا الى سيام، وسنغافورة، وماليزيا، والفلبين، والهند الصينية الفرنسية، وجزر الهند الشرقية والهولندية وجزر هاواي على الساحل الغربي للولايات المتحدة، وحافظوا على علاقات مستمرة مع أقاربهم في تلك الأقاليم وقدم بعضهم الدعم لها[٣]. ومما يجدر ذكره أن اتصال الأقاليم الجنوبية ولاسيما كوانغتونغ بالمستعمرة البريطانية هونغ كونغ، أصبح قناة مهمة من قنوات الاتصال بالثقافة الغربية، من خلال النشرات والإصدارات المختلفة التي صدرت فيها و وجدت طريقها الى جنوب الصين . فضلاً عن أن هجرة أعداد كبيرة من المثقفين والبرجوازيين والعمال الصينيين اليها ، و الذين عمل بعضهم تحت حماية الإدارة البريطانية، أُعجبوا بأسلوب الإدارة فيها، وأدركوا أن أسلوب الحكم والإدارة التقليديتين في الصين، لم يعد ملائماً لروح العصر، وغير قادر على مواجهة تحديات تلك المرحلة[٤] . لذا فإنه ليس من قبيل المصادفة أن تشهد الأقاليم الجنوبية من الصين نمواً كبيراً في الحركتين الإصلاحية والجمهورية بعد أن اثبتت هزيمة الصين أمام اليابان وما تبعها من تقسيم الصين، عدم نجاح سياسة التعزيز الذاتي.

---

(1) Tikhvinski, Op. Cit. , P343.

(٢) مما يؤخذ بنظر الاعتبار أن هؤلاء الصينين المهاجرين على الرغم من محافظتهم على عاداتهم وتقاليدهم، إلا أنهم لم يترددوا في إرسال ابنائهم الى المدارس الحديثة التي انشأتها الارساليات التبشرية في تلك المناطق، الامر الذي عبر عن رغبة صادقة في التغيير. ينظر:

Yen Ching–Hwang, Overseas Chinese Nationalism in Singapore and Malay 1877-1912, Modern Asia Studies, Vol.16, Part 3, 1982, PP.399-400

(3) Ibid., PP.397-398.

(4) Roahds, OP. Cit., P.15.

وعلى اساس ما تقدم ظهر في الصين بعد عام ١٨٨٥إتجاه سياسي فكري إصلاحي، برز دوره في الحياة السياسية في الصين، على نحو واضح بعد الحرب مع اليابان ومثله رواد عدة ممن زاروا أوربا والولايات المتحدة واليابان وأُعجبوا بأنظمتها فأختلطت في أذهانهم النظريات الصينية القديمة، بالفكر الغربي الحديث[1]. ففي عام ١٨٩٠ أصدر تانغ زين أحد المفكرين الصينيين، كتاباً بعنوان (تحذير ضد الخطر) دعا فيه الى إقامة نظام برلماني في الصين على غرار الأنظمة البرلمانية التي أقيمت في اوربا والولايات المتحدة ، وبين ان ذلك حق أقره كتاب الطقوس[2]بتأكيده (على صاحب السلطة استشارة شعبه) ، على أن يتكون ذلك البرلمان من مجلسين: الشيوخ والعموم، ويضم الأول كبار موظفي الدولة من حملة الشهادات الكونفوشيوسية، الذين يجب منحهم لقب سيناتور، اما مجلس العموم فيتشكل من بقية الموظفين، ويضطلع هذان المجلسان بوظائف مجلس الحرب ومجلس الرقابة . ولتنظيم الإدارة المحلية في الأقاليم اقترح تشكيل برلمانات على غرار البرلمان الرئيس في العاصمة التي اقترح نقلها الى شيان شمال غرب الصين[3].

وظهر تأثر الفكر الإصلاحي بالتراث الصيني في آراء الصحفي والاديب والمؤرخ وانغ تاو[4]الذي اكد أهمية بقاء الحضارة الصينية الأساس في الإصلاح، الى جانب ضرورة الأخذ بأنظمة الدول الغربية القائمة على مبدأ الانتخابات وأوضح أن نظام الملكية الدستورية هو انسب نظام بالنسبة للصين[5] . ولدعم النظام الإقطاعي أصدر شين كيو كتيباً في عام ١٨٩٣، حول التنظيم السياسي للصين، اقترح فيه تحويل الاقاليم والمقاطعات والمحافظات والأقضية والنواحي، الى أقسام إدارية سياسية يقوم اقتصادها على الاكتفاء الذاتي، وعلى حكم وراثي يدار من حكام

---

(1) Gupt,Op . Cit . P.38, Macfarlane, OP. Cit. P.193;

(٢) راجع الفصل الاول: الديانات. الكونفوشيوسية، ص٧.

(٣) نادية كاظم محمد العبودي، ظهور الاتجاه الاصلاحي في الصين ١٨٨٥-١٨٩٥، مجلة كلية التربية الاساسية،الجامعة المستنصرية، العدد (٤٥)، ٢٠٠٥، ص١٦٣-١٦٤؛ Tikhvinski, OP. Cit., P.313.

(٤) ليس هناك الكثير من المعلومات عن حياته المبكرة، إلا أن تمسكه بالثقافة الكونفوشيوسية وتأثره بالثقافة والنظم الغربية، تدل على انه تلقى تعليمه في احدى المدارس التي انشأها زعماء سياسة التعزيز الذاتي، بدليل انه عمل في ادارة العديد من المؤسسات التجارية والصناعية التي انجزها أولئك، ففي المدة ١٨٨٢-١٨٨٤ أصبح مديرا لمعمل نسيج شنغهاي الذي أنشأه لي هونغ تشانغ. Ibid. P.315.

(5) Writing of Wang Tuo, In: Ssu–Yu Teng, Op. Cit , PP.137-141.

إقطاعيين يشكلون برلماناً يؤدي دوراً إستشارياً في الحكومة[1]. والملاحظ هنا أنه على الرغم من تأثر هؤلاء المفكرين بالأنظمة البرلمانية الغربية ، لكنهم لم يستطيعوا أن ينسلخوا عن التراث الصيني ، بل حاولوا أن يجعلوه الأساس في الإصلاح والتطور. وقد يرد ذلك الى إرتباط مكانتهم في المجتمع بالمحافظة على ذلك التراث، وزيادة على ذلك تضمنت آراء بعضهم دعوة صريحة لدعم النظام الإقطاعي.

وتبع أولئك مفكرون إصلاحيون آخرون مثل يان فو[2] (١٨٥٣-١٩٢١) الذي عبر عن آرائه في سلسلة مقالات نشرها في صحيفة "الأخبار الوطنية"، التي كانت تصدر في تينتسين كل عشرة أيام . وعنيت بنشر عدد من الموضوعات العلمية والسياسية الحديثة، المقتبس أغلبها من الصحافة اليابانية والغربية . زيادة على مقالات يان فو التي أوضح فيها أن حاجة الصين لا تكمن في اقتباس العلوم والتكنولوجيا الغربية ، والتنظيم السياسي الحديث فحسب بل في ضرورة تغيير نظرتها للواقع، الذي أصبحت تتحكم فيه نظرية البقاء للأقوى، لا المثل والمبادئ الكونفوشيوسية. واوضح أن فشل الصين في سياسة التغريب إنما يرجع الى ولع الصينيين بالماضي، دون أن يعطوا أهمية حقيقية للتطورات الحديثة . لذلك دعا الى سياسة إصلاحية شاملة وتدريجية، تضع حداً لاحتكار المحافظين للسلطة السياسية ويكون فيها الإمبراطور موضع رضى الشعب، الذي يجب تثقيفه بالعلوم الحديثة، فضلا عن تأكيده أهمية إقامة علاقات جيدة مع الدول الغربية[3]. وظهرت الدعوة الإصلاحية بأجلى صورها في الكتاب الذي أعده تشنغ كوان ينغ، في عام ١٨٦٢، ونشره في عام ١٨٩٣، بعد أن نقحه عدة مرات، وطبع بأسماء مختلفة حتى وصل صيغته النهائية بعد ثلاثين عاماً بعنوان (تحذير يقدم في وقت الازدهار والرخاء) وأصبح ممثلا للاتجاه الإصلاحي[4] إذ تضمن وجهات النظر الأساسية للإصلاحيين وهي:-

---

(1) Tikhvinski, OP. Cit., P.313.

(٢) ولد يان فو في فوكين عام ١٨٥٣، وأصبح يتيماً في سن مبكرة من عمره، وتلقى تعليمه في المدارس الحديثة التي أنشأها زعماء سياسة التعزيز الذاتي، وبعد تخرجه منها أمضى سنتين في بريطانيا، مما ساعد على توسيع مداركه الفكرية، وازدياد تأثره بالثقافة الغربية، وحصل بعد عودته الى الصين على وظيفة من المرتبة الثانية، في خدمة لي هونغ تشانغ، وبادر بعدهما الى ترجمة عدد من الكتب الأجنبية مثل كتاب آدم سمث المعنون بـ " ثروة الامم"، والكتاب "دراسة في علم الاجتماع" لهربرت سبنسر.

Chesneaux and Others, Op. Cit., P.315.

(3) Writing of Yen Fu, In: Ssu–Yu Teng, Op. Cit. ,PP.150-151.

(٤) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٤٥.

أ- أن الحفاظ على استقلال الصين وسيادتها يعتمد على مدى تعلمها من الغرب، إلا أن ذلك يجب أن يكون مقترناً بالإصلاح السياسي لتعزيز قوة الدولة، خلافاً لسياسة التعزيز الذاتي التي لم تتعد حدودها اكتساب التكنولوجيا والعلوم الحديثة من الغرب.

ب-النهوض بالصناعة الوطنية والتجارة وإقامة استثمارات حرة، ومحاولة إشراك بقية أفراد الشعب الى جانب أصحاب رؤوس الأموال، في ذلك، من خلال اسهامهم بالعمل.

جـ- عدّ الإصلاحيون نظام الملكية الدستورية أكثر ملاءمة للصين من الأنظمة الأخرى السائده، مثل نظامي الملكية المطلقة والجمهوري[١] .

وأصبحت هذه الأفكار اساساً للحركة الإصلاحية لعام ١٨٩٨ التي قادها كانغ يووي[٢] (١٨٥٨-١٩٢٧) وتبعه فيها يان فو، وهوانغ تسون ـ هسيان (١٨٤٨-١٩٠٥)، وليانغ تشي تشاو (١٨٧٣-١٩٢٩) وتان سو ـ تانغ (١٨٦٥-١٨٩٨)، ووانغ كانغ ـ نيان (١٨٦٠-١٩١١) . اذ تأثروا بما حلّ بالصين من هزائم متكررة على أيدي الدول الأجنبية، وما تبع ذلك من محاولات لإقتسامها، وادركوا أن الصين ستفنى دولة وشعباً، ما لم يتم النهوض بحركة إصلاحية شاملة[٣]، تنطوي على التخلص من الأنظمة السياسية التقليدية وتبني أنظمة الدول الغربية التي لا تكمن قوتها في التطور التكنولوجي فحسب، وإنما في قوة تنظيمها السياسي[٤]. وفيما يتعلق بكانغ يووي ظهرت أفكاره الإصلاحية في عدد من الكتب والمقالات التي ألفها ولاسيما كتاب (الوئام العظيم) الصادر عام ١٨٨٧ الذي امتزجت فيه الأفكار الكونفوشيوسية والبوذية والتاوية، وآراء اشتراكية، فضلا عن بعض المفاهيم عن أنظمة الدول الغربية السياسية والاجتماعية . ودعا فيه الى تحقيق المساواة وإلغاء الملكية الخاصة، وتنظيم سكان العالم كله في

---

[١] مجموعة من أساتذة كليتي التاريخ بجامعة فودان وجامعة المعلمين في شنغهاي، الحركة الاصلاحية عام ١٨٩٨، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، ١٩٧٨، ص٩-١٠.وسنشير له بالحركة الاصلاحية .

[٢] ولد كانغ يو وي في أسرة اقطاعية في نابنهاي في مقاطعة كوانغتونغ جنوبي الصين، وتلقى تعليمه في المدارس الكونفوشيوسية، وتجول في شنغهاي وهونغ كونغ واطلع فيها على الكتب والمجلات الغربية وأُعجب بها، وبنظام الادارة فيها، وغيّر نظرته للدول الغربية التي طالما نعتها الصينيون بالبربرية، بل وجد فيها أمماً متقدمة ويجب الاقتداء بها. ينظر: المصدر نفسه، ص١٠.

(3) Kang Yu–Wei's Statement for the "Society for the Study of Self-Strengthening", 1895, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit.PP.152-153.

(4) Tan Ssu-Tung, On the Need for Complete Westernization, In Ibid , P.158.

وحدات إنتاجية زراعية وصناعية تنتهي عندها حدود الدولة، وتشجع فيها الابتكارات والاستكشافات، عاداً ذلك الطريق السليم لتحرير الإنسان من الاضطهاد(١).

ويتضح أن هزيمة الصين في الحرب مع فرنسا، جعلت كانغ يو وي أكثر جرأة في تقديم المذكرات الى العرش. ففي نهاية عام ١٨٨٨ رفع كانغ عند قدومه الى بكين لأداء الإمتحان على مستوى المقاطعة، مذكرة الى الإمبراطورة الأرملة والإمبراطور الشاب ابدى فيها وعياً للتهديد الذي يحدق بالصين وبيّن سبل النهوض بها . إذ أنكر على الحكومة رفضها القيام بالإصلاح لتحسين وضع البلاد، وعدم توفيرها الإجراءات اللازمة لحماية البرجوازية الناشئة من الاستيراد الأجنبي وحذرها من قيام انتفاضات شعبية جديدة، في حال إصرارها على سياسة القمع . ونبهها الى ما يمكن أن يؤدي اليه التدخل الآجنبي في الصين ، مؤكداً ما كانت تشكله اليابان من خطر جسيم عليها . وطالبها بإصلاحات شاملة بما فيها إقامة برلمان يشارك فيه البرجوازيون وملاك الأراضي المثقفون ، وتطهير الجهاز الإداري من المحافظين المتطرفين الرافضين للإصلاح واستبدالهم بالإصلاحيين(٢). وعلى الرغم من أهمية هذه المقترحات التي اعتقد كانغ انها كفيلة بإنقاذ الصين من الأخطار المحدقة فيها ، لكنها لم تصل الى الإمبراطور نتيجة إعتراض مجلس الرقابة في البلاط الإمبراطوري على محتوياتها، ومع ذلك أصبحت معروفة في العاصمة ، إذ وزعت نسخ منها على بعض المسؤولين في الدولة(٣).

على الرغم من فشل كانغ في امتحان الخدمة العامة وفي إيصال أفكاره الإصلاحية للامبراطور، إلا انه واصل محاولاته لنشرها والدفاع عنها . من خلال محاضراته التي ألقاها في (أكاديمية وانمو) التي أسسها في كوانغتونغ عام ١٨٩١ (٤) ، والاستعانة بالأفكار الكونفوشيوسية لتبرير آرائه، في عدد من الكتب التي ألفها بعد أنضمامة لحركة عرفت (بحركة المتن الجديد)

---

(١) نادية كاظم محمد العبودي، المصدر السابق، ص١٦٦؛

Tikhvinski, OP. Cit., P.314; Gupt, OP. Cit., P.87.

(2) Tikhvinski, OP. Cit., PP.344-345.

(3) Immanuel C.Y. Hsu, The Rise of Modern China, Second Edition, Oxford University Press, 1975, PP.441-442.

(4) Lin Yu-Sheng, The Crisis of Chinese Consciousness, University of Wisconsin Press. 1979. PP.32-33.

استهدفت إعادة تفسير النصوص القديمة، على هدي التطور الفكري الحديث، للإفادة من التراث الصيني في إصلاح البلاد ، منها كتاب (دراسة الكلاسيكيات المنقحة) الصادر عام ١٨٩١ وكتاب (بحث حول الإصلاح الكونفوشيوسي) الذي بدأ بوضعه عام ١٨٩٢ وأتمه بعد سنوات . وقد حاول في مؤلفه الأول أن يكسب آراءه الإصلاحية أساساً من التفكير الكونفوشيوسي التقليدي وإثارة شكوك المثقفين في المؤلفات الكلاسيكية، التي عدّها مزيفة، مما أدى الى خلخلة الأساس الآيديولوجي الذي أستند اليه الإقطاعيون في اساليبهم المستمدة من أسلوب الأسلاف، لذلك حاولت الحكومة منع تداول هذا الكتاب[1] . وفي مؤلفه الثاني حاول كانغ أن يظهر كونفوشيوس على أنه من كبار الإصلاحيين، الذين اتخذوا سلطة الأسلاف أساساً للإصلاح وذلك لكسب رأي عام يؤيد آراءه في الإصلاح، بوصفها امتداداً لأفكار كونفوشيوس[2]. مما سبق يتبين أن كانغ، حارب في كتاباته، المحافظين المتطرفين، الذين طالما وقفوا عقبة في طريق الإصلاح، وذلك بالتشكيك بالاساس الآيديولوجي الذين أستندوا اليه والإعلان بأن الكلاسيكيات إنما زيفت لتمرير مصالحهم. والى جانب ذلك حاول أن يكسب آراءه في الإصلاح شرعية آيديولوجية بربطها بالأفكار الكونفوشيوسية، وإظهار كونفوشيوس أحد كبار الإصلاحيين، لعلها تحظى برضا الحكومة، التي تدين بالكونفوشيوسية . وعلى الرغم من تأثر كانغ بأنظمة الدول الغربية وثقافتها، ودعوته للاقتباس منها، بقيت الثقافة الكونفوشيوسية، التي يحملها تؤثر في طريقة تفكيره وتحديد اتجاهاته حتى في حركة المطالبة بالإصلاح التي نظمها بعد هزيمة الصين في الحرب مع اليابان، التي عرفت بـ "حركة موسم الربيع" .

٢ – حركة موسم الربيع

تزامنت مفاوضات التوصل الى معاهدة شيمونسكي ، في ربيع عام ١٨٩٥، مع حضور الطلاب من حملة لقب (جيوى رن)، من مختلف المقاطعات، الى العاصمة بكين لأداء الأمتحان على مستوى الدولة (جين شى)، الذي تأخر بسبب الحرب مع اليابان . وفي تلك الأثناء كشفت

---

(١) فؤاد محمد شبل، حكمة الصين، ص١٠٦؛ الحركة الاصلاحية، ص١٥؛

Beckmann, OP. Cit., PP.180-181; Rhoadzinski, OP. Cit., P.364.

(٢) الحركة الاصلاحية، ص١٦؛

Lin Yu-Sheng, OP. Cit., P.33; William J. Duiker, Ts'ai Yuan-P'ei and Confucian Heritage, Modern Asian Studies, Vol.5, Part 3, 1971, P.211.

أخبارشروط المعاهدة المجحفة، مما أثار موجة سخط عام بين أوساط الطلاب أفاد منها كانغ يووي للمبادرة بحركة مطالبة واسعة للإصلاح السياسي . من خلال تقديم العرائض للإمبراطور عرفت هذه الحركة بـ "حركة موسم الربيع"[1] . دشنها بعقد إجتماع في ١٥ نيسان شمل حملة لقب (جيوى رن) القادمين من كوانغتونغ وهونان . وخلص الإجتماع الذي ترأسه كانغ يو وي الى تقديم عريضة للإمبراطور وقع عليها ٨٠ شخصاً من المجتمعين الذين عملوا على جمع أكبر عدد من المؤيدين من حملة لقب (جيوى رن) من المقاطعات الأخرى، طالبوا فيها برفض بنود المعاهدة المزمع توقيعها ومواصلة الحرب . وجرى تقديم هذه العريضة لمجلس الرقابة، الذي رفض بدوره تقديمها للإمبراطور[2].

وبعد توقيع معاهدة شيمونسكي في ١٧ نيسان تصاعدت موجات السخط على نحو أكبر وعقد الإصلاحيون إجتماعاً برئاسة كانغ يو وي استمر يومين متواصلين من ٣٠ نيسان حتى ١ آيار ١٨٩٥ حضره ١٤٠٠ شخص من حملة لقب (جيوى رن) . وخلص الاجتماع الى توقيع ٦٠٤ اشخاص من الحاضرين على العريضة التي اشترك في وضعها كانغ يووي، وليانغ تشي تشاو، ومامنغ هوى، أوضحوا فيها الخطوط الأساسية للحركة الإصلاحية التي يجب أن تسير الحكومة على وفقها، وإلا فليس بالإمكان تفادي وقوع كارثة في البلاد[3] . ومن اهم ما أكدت عليه العريضة:-

أ - دعوة الحكومة الإمبراطورية لرفض المصادقة على المعاهدة، ومواصلة الحرب ونقل العاصمة الى شيان، لتفادي التهديد المباشر من اليابان وتحسين أساليب التدريب والإستعداد العسكري، على وفق ما هو متبع في الدول الغربية، ودعمه مادياً وعسكرياً . والاعلان أن الإمبراطور نادم على خطئه في الموافقة على شروط الاستسلام، ومعاقبة الموظفين المسؤولين عن عدم اتخاذ الاستعدادت اللازمة للحرب ومكافأة الذين أظهروا مهارة في التصدي.

ب - تعيين أشخاص كفوئين في المناصب السياسية والتعليمية العليا في الدولة، من ملاك الأراضي المتعلمين الراغبين بالاصلاح ، والبرجوازيين الصينيين المقيمين في الداخل

(1). Bays, China Enter the Twentieth Century , P.20; China Handbook, P.120.

(2) Tikhvinski, OP. Cit., P P.348-349.

(3) Immanuel C.Y. Hus, The Rise of Modern China, P.446.

والخارج . والسماح بتشكيل مجلس استشاري للإمبراطور (البرلمان) منتخب من الشعب، والسماح للموظفين من المستويات كلها بتقديم مقترحاتهم الى الإمبراطور.

جـ-تحسين مستوى معيشة السكان والاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة والعمل على حماية الصناعة الوطنية ضد منافسة السلع ورؤوس الأموال الأجنبية من خلال ايجاد نظام خاص للرسوم الكمركية . وتشجيع القطاع الخاص وإزالة العراقيل الموضوعة في طريقه، ومنع تدخل الموظفين المتعسفين في شؤونه، كما هو الحال في نظام (إدارة الموظفين العليا وعمل التجار).

د- تعديل نظام إمتحانات الخدمة العامة، وذلك بإدخال العلوم الحديثة فيها و التي لها مساس واضح بواقع الحياة . والتشجيع على التأليف، ونشر الكتب والمجلات والصحف وانشاء المكتبات العامة . أما الدراسات الكونفوشيوسية فيخصص لها حقل خاص بوصفها دين الدولة الرسمي(1). والواضح أن هذه الدعوة أرادت تحويل الحكومة من ملكية مطلقة الى ملكية دستورية وتقييد سلطة الإمبراطور بايجاد المجلس الاستشاري . وعكست هذه المطالب مصالح الطبقة البرجوازية التي أخذت مكانتها تزداد أهمية في المجتمع الصيني . وعلى صعيد آخر ان تأكيدها على الكونفوشيوسية كان يعني المحافظة على الأساس الآيديولوجي الذي أرتكزت عليه الطبقة البيروقراطية في بقائها في السلطة.

وتحت تأثير ضغط الرأي العام، وتركز حشود كبيرة من الطلاب وبقية المواطنين المطالبين بتقديم العرائض للإمبراطور، امام مجلس الرقابة، اضطر أعضاء هذا المجلس في ٣حزيران لرفع العريضة الثالثة للامبراطور ، والتي كتبها كانغ يووي في ٢٩ أيار من العام نفسه، بعد نجاحه في الأمتحان وحصوله على لقب (جين شي) . واكدت هذه العريضة على بنود العريضة السابقة، باستثناء رفض المصادقة على المعاهدة وتحويل العاصمة الى شيان . وقد أعجب الإمبراطور بالمقترحات التي حملتها العريضة، وطلب إعداد اربع نسخ منها على أن تقدم واحدة منها لأم الإمبراطور، والثانية الى المجلس الكبير، والثالثة تحفظ في سجل الوثائق الإمبراطورية، وأما الرابعة فتوضع في قاعة العرش ليتابعها الإمبراطور . وقد شجع تقبل الإمبراطور هذه العريضة،

---

(1) Kang Yu-Wei and Some of his Associates, In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit., P.P.149-150; Tikhvinski, OP. Cit., PP.350-351;

الحركة الاصلاحية، ص٢١-٢٢.

كانغ يو وي على تقديم عريضة رابعة طالب فيها بالتعجيل بالإصلاح، إلا أنها لم تصل للإمبراطور نتيجة لاعتراض مجلس الرقابة ومجلس الأشغال العامة الذي تعين كانغ فيه مساعداً لرئيسه[١].

والواقع أن نشاط الإصلاحيين في تلك المدة، لم يتوقف عند هذه الحدود وإنما تعداها الى التأثير في موظفي البلاط، وإقناعهم بفكرة الإصلاح . فكان من نتيجة ذلك أن انقسم البلاط على جناحين الأول يدين بالولاء للإمبراطور الشاب كوانغ شوي، الذي اقتنع بفكرة الإصلاح لإنقاذ عرش المانشو وتعزيز سلطته . ولاسيما بعد بلوغه سن الرشد وانتهاء مدة وصاية الإمبراطورة الارملة التي تقاعدت في القصر الصيفي اعتقادا منها انه سيسير على خطاها . بيد انه ادرك الحاجة لدعم الإصلاحيين للتخلص من سيطرة هذه المرأة المستبدة والوقوف ضد جناح المحافظين . فتجمع حوله الإصلاحيون ومعظمهم من الاقسام الجنوبية من الصين التي استمرت في معارضة المانشو، فضلا عن عدد من صغار الموظفين ممن فضلوا التفاهم مع اليابان ، وشكلوا جناحاً عرف بالحزب الجنوبي، قاده معلم الإمبراطور المدعو وينغ تونغ خه (١٨٣٠-١٩٠٤) . وحظي هذا الحزب بدعم بريطانيا والولايات المتحدة واليابان، التي استهدفت ايجاد موطئ قدم لها في البلاط الامبراطوري لمواجهة النشاط الروسي[٢].

اما المحافظون ، ومعظمهم من الوزراء وكبار الموظفين الذين خشوا ان يزعزع الإصلاح مراكزهم ، فشكلوا جناحاً التف حول الإمبراطورة الارملة . وساد انصار هذا الجناح في الاقسام الشمالية من الصين فعرف بالحزب الشمالي، وقاد هذا الحزب، الذي حظي بدعم روسيا، كل من لي هونغ تشانغ والأمير كونغ[٣].

لقد أظهر قبول الإمبراطور الافكار الإصلاحية في بداية الامر، توجهاً رسمياً نحو تبني الإصلاح السياسي . وابرز نفوذ أفكار كانغ يووي الإصلاحية انقسام البلاط و وضوح طابع التأثير الدولي فيه ، إذ قدمت بريطانيا والولايات المتحدة واليابان الدعم والاسناد للجناح الإصلاحي في البلاط متوخية ايجاد موطئ قدم لها في البلاط، وفتح باب واسعة للاستثمار الاجنبي . ولاسيما أن دعوات الإصلاحيين وإن اشتملت على وضع حد للتدخل الاجنبي، إلا أنها نبذت سياسة العزلة

(1) Immanuel C.Y. Hus, The Rise of Modern China, P.447.
(2) The Court and Emperor, In: Ssu-Yu Teng, Op .Cit . , PP.175-176; Sue Fwan Chung, Op. Cit., PP.178-179;
نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ١٤٨.
(3) The Court and Emperor, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit , PP.176-177;
نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ١٤٨.

وقطع العلاقات مع الدول الاجنبية، التي أظهر المحافظون تمسكاً كبيراً بها معتقدين أن ذلك هو الحل الامثل لمشاكل الصين، وحظي هذا الاتجاه بدعم روسيا التي خشيت من تعاظم نفوذ تلك الدول في الصين.

وبعد قيام المانيا باحتلال خليج كياوتشو في تشرين الثاني عام ١٨٩٧[1]، كثّف الإصلاحيون البرجوازيون، من جهودهم لإقناع الإمبراطور بتبني طريق الإصلاح، لإنقاذ البلاد من خطر التقسيم، من خلال انشاء الجمعيات وإصدار الصحف الإصلاحية، وتقديم العرائض[2]. فكتب كانغ يووي عرائض عدة للإمبراطور، صبت في الإتجاه نفسه. كان أهمها العريضة السادسة التي قدمها في ٢٩ كانون الثاني من ذلك العام، بعنوان (مذكرة حول السياسة المتعلقة بالوضع العام). ندد فيها بإحتلال المانيا خليج كياتشو وعجز الحكومة عن تعزيز قوة البلاد وضمان سلامة أقاليمه، التي تساقطت واحدة تلو الأخرى بأيدي الدول الأجنبية. وعزا أسباب الأزمة الوطنية الى تمسك الحكومة بطريق الأسلاف وعدم قبولها الإصلاح، وأوضح أنها ستفنى في حال إصرارها على ذلك، وأن طريق الإصلاح وحده الكفيل بإنقاذها. واقترح على الإمبراطور الإفادة من تجربتي الإصلاح في روسيا واليابان، وأن يشرف بنفسه على تنفيذ منهاج الإصلاح. وضمّن العريضة مطالب الإصلاحيين البرجوازيين في الإصلاح السياسي، التي غدت برنامجاً لما عرف بـ (فترة إصلاح المئة يوم)، إذ أكد فيها على جمله أمور منها :-

أ -دعوة الوزراء للإجتماع والقَسَم على الإصلاح ونبذ الأساليب القديمة كلها التي وقفت في طريقه.

---

[1] بقيت المانيا مسيطرة على هذا الاقليم حتى قيام الحرب العالمية الاولى إذ تمكنت بعد ذلك اليابان التي دخلت الحرب الى جانب الحلفاء، من السيطرة عليه. للمزيد عن ذلك ينظر:

Frank W. Ikie, Japanese-German Peace Negotiations during World War I, American Historical Review, Vol.LXXI, No.I, 1965, PP.62-76; Geoffrey Hudson, The Far East at the end of the First World War, Journal of Contempory History, Vol.4.No.2. 1969, PP.165-179;

يقظان سعدون العامر ، العلاقات الالمانية -الروسية في عهد السياسة العالمية ، ص ٥٠٠ -٥٠١ .

(2) Kang Yu-Wei and some of his Associates, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit., PP.148-149.

ب -إعطاء حرية إبداء الرأي وتقديم العرائض للإمبراطور ، وانشاء مكاتب خاصة لتسلم تلك العرائض من المثقفين، أما عرائض الموظفين فيجب أن ترسل مباشرة إلى الإمبراطور. وأن يجري تعيين اشخاص يتسمون بالكفاية، في المناصب الحكومية، دون الرجوع للإجراءات التقليدية.

جـ -تكوين هيئة استشارية من الأشخاص الذين يتسمون بالمقدرة والحنكة يتشاور معهم الإمبراطور يومياً في شؤون الدولة.

د - فصل السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية، بعضها عن بعض.

هـ - انشاء ١٢ دائرة، تحت إشراف هيئه قيادة الإصلاح لتباشر العمل بمشاريع الإصلاح بالمجالات المالية والقانونية والتعليم، والزراعة، والصناعة، والتجارة والدفاع، والسكك الحديد، والبريد والتعدين، والسفر، والمنظمات والجمعيات الشعبية السياسية والعلمية، على ان تكون للمقاطعات هيئات فرعية لتنفيذ الإصلاح.

و -ارسال البعثات العلمية الى الخارج، وترجمة الكتب العلمية الحديثة، وتغيير نظام الامتحانات وافتتاح المدارس الحديثة وإقامة البنوك وانشاء مختلف المؤسسات الحديثة[١].

وأرفق كانغ مع هذه العريضة بعض كتبه منها (بحث حول حركة الميجي الإصلاحية في اليابان) و(بحث حول الإصلاح السياسي الذي وضعه بطرس روسيا الأكبر) ، داعياً الإمبراطور للإفادة من تجارب هذه الدول في الإصلاح ، ولاسيما تجربة اليابان بوصفها دولة مجاورة وعاشت ظروفاً تشبه تلك التي عاشتها الصين[٢]. ومما تقدم كله يمكن القول انه إذا كان الصينيون تمكنوا من المحافظة على ثقافتهم التقليدية و أسلوب حياتهم ولمدة قرنين في ظل سيطرة المانشو فذاك لان المانشو كانوا أقل حضارة من الصينيين أنفسهم فانغمس المانشو بثقافة الصينيين و تطبعوا بطباعهم . والحال هذا لاينطبق مع أسلوب استجابتهم لتحديات الدول الغربية . ولاسيما بعد أن أثبتت لهم الأحداث أن إمبراطوريتهم ليست أرقى ألأمم ، و أن هذه الدول ليست متبربرة كما وصفوها . إنما هي أمم حازت على نصيب من العلم مكنها من تطوير مؤسساتها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العسكرية ، وتمكنت من أن تلحق بالصين هزائم متكررة لدرجة أوشكت فيها الصين على الانهيار . فكان من نتيجة ذلك أن

---

[١] الحركة الاصلاحية، ص٥٦-٥٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٥٦.

زلزل أسلوب تفكير الصينيين ، وضعف تمسك من تأثر منهم بالثقافة الغربية ، بالثقافة الصينية التقليدية ، التي ثبت عدم قدرتها على مواجهة تحديات تلك المرحلة . و أيقنوا ان البلاد مشرفة على الانهيار وان مؤسساتها التقليدية ، ولاسيما السياسية ، لم تعد ملائمة لروح العصر ، ولابد من القيام بحركة إصلاحية شاملة على غرار تلك التي قامت في اليابان ، والتي اتخذت من المؤسسات الغربية مثالا احتذت به في نهضتها في المجالات كافة . الا انهم مع ذلك ، لم يستطيعوا أن ينسلخوا عن الثقافة الصينية التقليدية التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ ، والتي ظهر تأثيرها واضحا في آرائهم الإصلاحية ، اذجعلوا منها الأساس في الإصلاح . ومع ذلك فإنهم لم يقدموا حلولا جذرية لمشاكل الصين ، فهم دعوا إلى ضرورة تحويل نظام الحكم من ملكية مطلقة إلى ملكية دستورية يشترك فيها البرجوازيون إلى جانب الإقطاعيين في السلطة وهذا ما اشتمل بطبيعة الحال على إبقاء النظام الإقطاعي من دون محاولة الإطاحة به مثلما فعل اليابانيون . وهذه هي مشكلة جميع الدول التي عانت كما عنت الصين مثل الدولة العثمانية ومصر والتي ركزت اصلاحاتها على الجانب العسكري وحينما مس الاصلاح الجوانب السياسية فكان مساً ضعيفاً لم يغير شئ من الجوهر . ومع ذلك يعد ظهور الاتجاه الإصلاحي في الصين في ذلك الحين حالة متقدمة قياسا لما عاشته البلاد من تأخر .

٣- إصدار الصحف وتشكيل الجمعيات الإصلاحية

قرر كانغ يووي وليانغ تشي تشاو، أن يجعلا جهود المطالبة بالإصلاح أكثر تنظيماً واتساعاً، من خلال إصدار الصحف[1] الناطقة باسمهم، وتشكيل الجمعيات السياسية والعلمية لنشر أفكارهم وكسب أكبر عدد ممكن من المؤيدين . ففي أواخر حزيران عام ١٨٩٥، أصدرا صحيفة على حسابهما الخاص أطلقا عليها (صحيفة العالم) ثم غيرا اسمها الى (صحيفة الأنباء العالمية والمحلية) (تشانغ – واي تشي – وين) ، نظراً لاعتراض جمعية الأدب المسيحي التي كانت تصدر صحيفة تحمل الأسم نفسه . عنيت هذه الصحيفة، التي تولى ليانغ تشي تشاو ومامنغ هوى رئاسة تحريرها، بنشر العرائض الإصلاحية التي قدمت للإمبراطور، زيادة على مقالات

[1] كانت تصدر في الصين، في ذلك الحين صحيفتان رسميتان، الاولى (صحيفة بكين الرسمية) التي كانت تصدر بشكل دوري منتظم في بكين وعواصم الاقاليم، وهي ناطقة باسم الحكومة وتنشر المراسيم الامبراطورية، وكان تداولها يجري في اوساط البيروقراطية فقط، اما الصحيفة الثانية فهي (صحيفة الاخبار المصورة) ولم تكن تصدر على نحو دوري منتظم، وانما في حالة وجود أحداث غير اعتيادية، وهي تحظى باقبال شعبي نظراً ليسر اسلوبها المصحوب بالصور التوضيحية. ينظر : Rhoads, OP. Cit., P.26.

وملخصات كتب اجنبية، مقتبسة من الصحف والمجلات الاجنبية التي أصدرها المبشرون باللغة الصينية، وعنيت موضوعاتها باطلاع القراء على العلوم الحديثة وأسلوب الإدارة . ووزعت (١٠٠) نسخة منها في بادئ الأمر، على موظفي الحكومة في بكين، ثم ارتفع عددها الى ثلاثة ألاف نسخة، مما يدل على ازدياد الإقبال عليها[١]. والواقع أن إصدار هذه الصحيفة غير الرسمية يعبر عن بداية نضج سياسي، ومحاولة لتكوين رأي عام بين الطبقتين البيروقراطية والبرجوازية يؤمن بالإصلاح، ومرحلة تأسيسية لتنظيم سياسي ينضوي تحت لوائه دعاة الإصلاح.

وتاكيداً لما سبق بادر كانغ يووي في آب عام ١٨٩٥ الى تشكيل جمعية عرفت بـ "جمعية دراسة التجديد الوطني" (تشانغ هسويه هوى) و"جمعية تعلم كسب القوة"[٢]. و بحضور عدد من ممثلي الطبقة البيروقراطية وملاك الأراضي وبعض البرجوازيين وموظفي البلاط من جناح الإمبراطور، والجنرال يوان شيه كاي المقيم الصيني السابق في كوريا، والمسؤول عن تدريب فرقة المشاة في الجيش الإمبراطوري، تم عقد المؤتمر التأسيسي للجمعية في نابنهاي . و أكد كانغ يو وي أن هدف الجمعية هو السعي لايجاد سبيل للخلاص من الأزمة الوطنية، والعمل على ايجاد وسائل لدعم الصين سياسيا واقتصادياً وثقافياً بما يضع حداً لتدخل الدول الأجنبية في شؤونها . وقارن كانغ بين وضع الصين، ووضع فارس وأفغانستان والدولة العثمانية والهند الخاضعة للسيطرة الأجنبية، وأوضح أن سبيل الإصلاح هو السبيل الوحيد لدعم الصين وإنقاذها[٣].

وبرزت في أثناء النقاشات، في جلسات الجمعية التي كانت تعقد مرة كل ثلاثة أيام وعلى نحو دوري، تباين في وجهات النظر بين الإصلاحيين الدستوريين، والإصلاحيين المحافظين الذين كان ينتمي بعضهم الى جناح أم الإمبراطور، مثل تشانغ تشي تونغ، حول نوع وحجم الإصلاح الواجب تنفيذه . ففي الوقت الذي دعا فيه كانغ يو وي وليانغ تشي تشاو الى ضرورة إحداث تغيير في مؤسسات الدولة وايجاد مؤسسات حديثة وتشكيل برلمان يشترك فيه ممثلون من الطبقة

---

(١) الحركة الاصلاحية، ص٣١-٣٢.

(2) Beckmann, OP. Cit., P.180.

(3) Tikhvinski, OP. Cit., P.353.

البرجوازية[١] . فإن تشانغ تشي تونغ، ممثل الإصلاحيين المحافظين، عدّ أن الإصلاح هو من صلاحيات الإمبراطور ولايجوز مناقشة بقية الناس فيه ـ قاصداً بذلك البرجوازيين ــ وأن الصين ليس بها حاجة الى برلمان وإنما بها حاجة الى إحياء الكونفوشيوسية والمحافظة على المؤسسات القديمة ودعمها . وأن ذلك، بحسب رأيه، لا يمنع من الإفادة من العلوم الغربية في إصلاح أوضاع البلد، فدعا الى "الإستفادة من التعليم الصيني من حيث الجوهر، والتعليم الغربي من حيث التطبيق" وهذا ما عرف بنزعة المواسطة[٢]. ومن الملاحظ ان انضواء المصلحين المحافظين تحت لواء هذه الجمعية، بدعوى التقارب الفكري الإصلاحي، كان ظاهرياً فحسب . إذ لم يختلف الإصلاحيون المحافظون عما جاء به أنصار سياسة التعزيز الذاتي، من تقوية سلطة النظام الإقطاعي، دون بذل أي محاولة لإصلاح سياسي لذلك لم يستمر عملهم مع الإصلاحيين الدستوريين طويلاً وأخذو يمارسون الضغط عليهم .

وقد خلصت اجتماعات الجمعية الى الإقرار بفشل سياسة التعزيز الذاتي، والحاجة الى تحقيق هدف الصينيين المعهود بإقامة (دولة غنية وجيش قوي فو ـ كوو ـ كووتشانغ بينغ) وضرورة التخلص من السيطره الأجنبية . ورُفض طلب لي هونغ تشانغ بالإنضمام الى الجمعية بوصفه سبباً لهزيمة الصين في الحرب مع اليابان[٣]. وقد وجد البريطانيون والامريكيون سبيلا في التغلغل الى هذه الجمعية فرصة للتأثير على جناح الإمبراطور والإصلاحيين وكسبهم الى جانبهم ، ضد النشاط الروسي الذي زاد تأثيره على الإمبراطورة الأرملة وجناحها . فأظهر المبشران البريطاني ريتشارد ثيموتي، والأمريكي جلبرت ريد تأييدهما للمصلحين . وقدم ريتشارد برنامجاً للإصلاح، الى معلم الإمبراطور وينغ تونغ خه لتقديمه للإمبراطور اشتمل على فقرات متعددة منها: أن تقوم الحكومة الصينية بتعيين اثنين من الغربيين ممن تثق بهم، ليقوما بصياغة سياسة الصين، وتعيين هيئة قيادية لتنفيذ هذه السياسة الجديدة تحت إشراف ثمانية اشخاص أربعة منهم من حكومة المانشو، واربعة من المندوبين البريطانيين والأمريكيين (روبرت هارت، وشارل أديس مدير مؤسسه هونغ كونغ وشنغهاي للبنوك البريطانية، وج. و. فوستر وزير الخارجية الأمريكي

(1) Liang Chi-Chao, On Reform, 1896, In: Ssu-Yu, Teng, Op. Cit , PP.154-155; Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.22-23.

(2) Chang Chih–Tung, On Reform, In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit., PP.170-171.

(3) Rhoads, OP. Cit., PP.22-23.

مستشار لي هونغ تشانغ، والأمريكي أدوارد ب. درو مدير الكمارك في تينتسين) . واقترح تيموتي أيضاً اصدار صحيفة تحت إدارة المبشر الأمريكي ريد وأن تقوم الحكومة الصينية بتعيين موظفين أجانب لمساعدتها في الإصلاح، إلا أن هذه المقترحات رفضت على نحو كامل[١]. الواقع أن هذه المحاولة وإن فشلت إلا أنها دلت على مدى تزايد أهمية هذه الجمعية بالنسبة لبريطانيا والولايات المتحدة ومحاولتهما توجيهها على النحو الذي يناسب اهدافهما الرامية الى ايجاد موطئ قدم لها في البلاط، ومواجهة التأثير الروسي فيه.

وقد دفع تزايد أهمية هذه الجمعية التي حظيت بدعم البرجوازيين وعدد من البيروقراطيين، المحافظين المتطرفين في السكرتارية العظمى، ومجلس الرقابة، الذين تظاهروا في بداية الأمر بتأييدهم للجمعية، لاتخاذ موقف سلبي منها . فرفع بعضهم مذكرة للإمبراطورة الأرملة، اتهموا فيها كانغ بتهمة التحريض ضد الحكومة، ودعوا لإنزال أشد العقوبات به، مما دفع كانغ للهرب الى شنغهاي[٢]، التي دعم فيها جهود مؤيدي الإصلاح بفتح فرع للجمعية في شنغهاي، بعد أن تمكن من الحصول على موافقة تشانغ تشي تونغ الحاكم العام لإقليم هوبي – هونان (ليانغ جيانغ) الذي أسهم شخصياً في دعمها والمشاركة فيها[٣] . وانسجاماً مع فرع بكين، ركز فرع شنغهاي لـ "جمعية كسب القوة" الذي عرف بأسم "جمعية تقدم الصين" (تشانغ شيو باو)، على الترويج للإصلاح، من خلال انشاء المكتبات العامة، وإقامة المتاحف، وترجمة الكتب ونشرها، وإصدار المجلات والصحف، وأصبحت صحيفة تقدم الصين ناطقة بأسمها . وتحت ضغط الإمبراطورة الأرملة، اضطر الإمبراطور الى إصدار مرسوم في كانون الاول عام ١٨٩٥، قضى بإغلاق الجمعية وصحيفتها، بدعوى أن نشاطاتها مغرضة ومحرضة ضد الحكومة . مما دعا كانغ الى إيقاف نشاطاته السياسية كلها في بكين وشنغهاي على نحو مؤقت وعاد الى كوانغتونغ واستأنف نشاطاته التربوية[٤] . وأخذ يتردد على هونغ كونغ ومكاو التي أصدر فيها في شباط

---

(١) الحركة الاصلاحية، ص٣٤-٣٥.

(2) Tikhvinski, OP. Cit., PP.353-354.

(3) Bays, China Enter the Twentieth Century, P.26.

(٤) الحركة الاصلاحية، ص٣٧-٣٨.

عام ١٨٩٧ صحيفة "المعرفة الجديدة" التي عنيت بالدفاع عن مصالح البرجوازيين والصينيين المهاجرين الى اليابان والولايات المتحدة وغيرها[1].

وإنسجاماً مع موقف الحكومة، سحب تشانغ تشي تونغ الذي لم يؤيد فكرة انشاء برلمان، ولم يؤمن بفكرة كانغ يووي، التي صور فيها كونفوشيوس على أنه من كبار المصلحين، دعمه للجمعية[2]. والواقع أن هذا يفسر ان انضمامه للجمعية ودعمه لها لم يكونا على اساس ايمان بأهدافها، وإنما أراد ان يتخذ منها ستاراً لتمرير أفكاره . والدليل على ذلك أنه بعد انسحابه منها اتجه لدعم صحيفة (شيو وو باو) التي أصدرها الإصلاحيون في شنغهاي، بعد إغلاق صحيفة (تقدم الصين) وتولى ليانغ تشي تشاو رئاسة تحريرها . واستطاع أن يؤثر في توجهاتها الإصلاحية، بما يناسب أفكاره من خلال دعمه المادي لمديرها التجاري وانغ كانغ نيان، وأن يعدل بهذا الطريق غير المباشر بعض المقالات التي كتبها ليانغ تشي تشاو، وأن يحجب نشر مقالات كانغ يووي فيها . مما دعا ليانغ تشي تشاو الى ترك العمل في هذه الصحيفة التي لم تعد تمثل آراء الإصلاحيين الدستوريين وغدا تشانغ تشي تونغ الموجه الفعلي لها حتى تأميمها في أثناء حركة إصلاح المئة يوم عام ١٨٩٨ [3].

أما ليانغ تشي تشاو، فقد أصدر بالاشتراك مع بعض الإصلاحيين في شنغهاي (صحيفة شؤون معاصرة) ، صدر العدد الأول منها في آب عام ١٨٩٦ وأصبح هو رئيس تحريرها . وكانت تصدر كل عشرة أيام بمعدل كان بين (٢٠٠٠-٤٠٠٠) نسخة، وسارت على نهج صحيفتي الجمعية في بكين وشنغهاي في الدعوة للإصلاح الدستوري ونبهت الى خطر تقسيم الصين بين القوى الكبرى . وحققت شعبية كبيرة بين صفوف البرجوازيين والموظفين والطلاب وملاك الأراضي، ومرد ذلك الى أن هذه الصحيفة ركزت على نشر مقالات كانغ وليانغ ومامينغ هوى وغيرهم من دعاة الإصلاح الدستوري . التي دعو فيها لإقامة ملكية دستورية، مؤكدين الرأي القائل (أن الاباطرة مخادعون ومضطهدون لشعوبهم) بل أن بعض المقالات أوحت بضرورة تشكيل نظام جمهوري في البلد . ولم تغفل الصحيفة المطالبة بدعم نشاطات أصحاب المصانع والتجار الصينيين بتوفير الحماية التجارية لهم من المنتجات الأجنبية، وإزالة العقبات من طريق التطور الرأسمالي للبلد . وانتقدوا فرض الحكومة ضريبة نسبتها (١٠) بالمئة على البضائع

---

(1) Tikhvinski, OP. Cit., P.356.

(2) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.25-26.

(3) Ibid., PP.27-28.

المصنوعة محلياً، استجابة لضغوط البريطانيين . وحددوا مدة مقدارها عشرة أعوام لتتمكن الصين من التخلص من كل الامتيازات والتنازلات التي منحتها حكومة المانشو للدول الأجنبية، وأكدوا ان الإصلاحات السريعة هي وحدها الكفيلة بإنقاذ الصين(١).

والجدير بالملاحظة أن الإصلاحيين الذين كثّفوا جهودهم بعد إحتلال ألمانيا لخليج كياوتشو، لم يكتفوا بتقديم العرائض للإمبراطور وإصدار الصحف، بل عمدوا الى تأسيس جمعيات علمية وسياسية أكثر تنظيما من الجمعيات السابقة . وتطورت حتى أصبحت حزباً سياسيا، مثل جمعية كوانغتونغ، وجمعية الجنوب ، وجمعية سيتشوان، وجمعية فوكين، وجمعية شنشي، وجمعية حماية البلاد (باوقوة) التي أسسها كانغ يووي، تمهيداً لانشاء حزب سياسي برجوازي . وعقد الاجتماع التأسيسي في ١٢ نيسان عام ١٨٩٨ في مبنى رابطة كوانغتونغ الشرقية في بكين، وحضره قرابة (٢٠٠-٣٠٠) عضو(٢) وألقى كانغ يووي البيان الافتتاحي للجمعية، وحذر فيه من مغبة استمرار التدخل الأجنبي، الذي هدد وجود الصين دولة وشعباً(٣) . وحدد دستور الجمعية الذي تألف من ثلاثين بنداً، أهدافها بحماية الصين من خطر التقسيم وحماية الكونفوشيوسية بوصفها دين الدولة الرسمي، والقيام بدراسة دقيقة للإصلاح السياسي والشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية ، والنهوض بإقتصاد البلاد . وفتحت الجمعية لها مكتبين قياديين في بكين وشنغهاي، فضلاً عن فروع الجمعية في بقية المقاطعات(٤). وفي الواقع أن هذا التطور الذي حدث وواكب جمعية تعلم كسب القوة وجمعية الجنوب وجمعية حماية البلاد كان يعني أن هذه الجمعيات قد نمت حتى امست حزباً سياسيا إصلاحيا . وهذا يمثل بداية وعي سياسي بأساليب التنظيم الحزبي، زيادة على ذلك انه على الرغم من مطالبة الجمعية بالإصلاح السياسي لكنها أسندت بقاء سلطة المانشو من خلال تأكيدها على حماية الكونفوشيوسية بوصفها دين الدولة الرسمي .

---

(1) Hao Chang , Liang Ch'I-Ch'a and Intellectual Transition in China 1890-1907, Harvard University Press, 1971, PP.73-77; Tikhvinski, OP. Cit., P.356.

(٢) الحركة الاصلاحية، ص٦٥- ٦٦؛

Tikhvinski, OP. Cit., P362-363.

(3) Kang Yu-Wei, The Nation is in Danger, In: Dun J. Li, Op .Cit. , PP.229-230.

(4) Immanuel C. Y. Hus, The Rise of Modern China, PP.450-451.

لقد اصبحت تجربة انشاء الجمعيات الإصلاحية، وإصدار الصحف في بكين وشنغهاي مثالاً يحتذى به في اقسام الصين الأخرى ولاسيما مقاطعة هونان التي كانت قد شهدت قيام عدد من مشاريع التحديث التي رفعت من مكانة الصناعيين والتجار فازدادت رغبتهم في المشاركة في إدارة شؤون المقاطعة . فضلاً عن ظهور بعض المثقفين الذين مثلوا رأي هؤلاء، في الصحف والجمعيات التي أنشأوها لهذا الغرض[1]. ففي عام ١٨٩٧ أصدر صحفيون من هونان (صحيفة هونان الجديدة) التي أشترك فيها تان سي تونغ وآخرون من مريدي كانغ يووي، ركزت في أول الأمر على أهمية التحديث في المؤسسات الصناعية والتجارية والتعليمية أحياناً، ثم أخذت تدعوا الى تفكيك القيود الإقطاعية وتنادي صراحة بأفكار كانغ يووي، التي وصفها تشانغ تشي تونغ بـ (الهرطقه الجديدة) واخذ يمارس الضغوط عليها منذ ذلك الحين . وفي الأول من أيلول من العام نفسه جرى تشكيل أكاديمية الشؤون المعاصرة (شيه ووهسويه ـ تانغ) التي ركزت على تدريس الفلسفة الصينية القديمة الى جانب العلوم الحديثة . وتمكنت مجموعة من حمَلة الأفكار الإصلاحية القادمين من كانتون، من السيطرة على شؤونها وإصدار صحيفة ناطقة باسمها، وأصبح تانغ سي تونغ رئيس تحريرها، ونحى بها منحى "مدرسة المتن الجديد" من خلال تأكيده افكار كانغ يووي التي صورت كونفوشيوس على أنه احد كبار المصلحين[2] . وفي الوقت نفسه حاول ليانغ تشي تشاو، الذي أصبح مسؤولا عن قسم الدراسات الصينية في هذه الأكاديمية التأثير في أفكار الطلاب، بل أن أفكاره الإصلاحية قادته في المدة ما بين كانون الأول عام ١٨٩٧ وكانون الثاني عام ١٨٩٨، الى مناشدة حاكم هونان تشن باوتشن، لتحقيق إستقلال هونان، وإقامة برلمان إقليمي فيها، مستغلاً تداعيات أوضاع الحكومة في ظل أخطر محاولة تقسيم تعرضت لها الصين في تاريخها الحديث[3].

وتحفز المصلحون في هونان الى إقامة جمعيات إصلاحية أخرى كان أهمها تلك التي أُقيمت في كانون الثاني عام ١٨٩٨ في تشانغشا عاصمة هونان، التي عرفت بجمعية الجنوب (نان هسويه ـ هوى) . وفي آذار أصدرت مجلة ناطقة بأسمها هي مجلة هونان، التي كانت تصدر كل عشره أيام. وعلى الرغم من اتخاذ هذه الجمعية طابعاً أكاديمياً، انطوى على إلقاء

(1) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.27-28.

(2) Ibid., PP.39-40.

(3) Ibid., PP.40-41.

المحاضرات حول التعليم والثقافة والسياسة والفلك والجغرافية، والذي حظي بإقبال كبير من لدن المثقفين إلا أنها كانت تبحث عن وسيلة التخلص من القيود الإقطاعية والأزمة الوطنية التي كانت تعاني منها الصين، وذلك من خلال ترويجها لفكرة الملكية الدستورية، وتأكيدها على تداعي النظام القديم[١] . وقد تعاظم نفوذ هذه الجمعية على حساب السلطة المحلية، وذلك بقيامها بتحصيل الضرائب وانشاء المدارس والمصانع والسيطرة على الشرطة والامساك بسلطة القانون في المقاطعة . مما أثار خشية السلطات المحلية التي سارعت الى سحب الموافقة القانونية منها في أوائل عام ١٨٩٨، ولاسيما بعد أن أبدى تشانغ تشي تونغ امتعاضه الشديد منها في رسالة موجهة الى حاكم مقاطعة هونان تشن باوتشن أوضح فيها : "أن هسيانغ هسيوباو (صحيفة جمعية الجنوب) تزداد يوماً بعد آخر، في ادمانها على نظريات كانغ يووي، اما هسيانغ باو (صحيفة هونان الجديدة) فإنها فضيعة بلا جدال" . وتلا ذلك قيام الحاكم تشن باوتشن بإحراق مؤلفات كانغ يووي التي صورت كونفوشيوس على أنه أحد كبار المصلحين . وأدت هذه الإجراءات الى عرقلة مسيرة حركة الإصلاح في هونان، التي لم تنته إلا بإقالة زعماء ومؤيدي الإصلاح من مناصبهم، في إنقلاب أيلول عام ١٨٩٨[٢] كما سيتضح . ويتجلى واضحاً ،هنا، أنه كان للإصلاحيين إصرار كبير على نشر أفكارهم من خلال مواصلتهم إصدار الصحف المعبرة عن أرائهم في الإصلاح . والتي مثلت في الوقت نفسه مصالح البرجوازيين الصينيين ، سواء من ناحيه توفير الحماية لهم من المنتجات الأجنبية أو من حيث الدعوة لإشراكهم في الحكومة، التي أُريد أن يكون طابعها ملكياً دستوريا . والى جانب ذلك امتازت صحافة الإصلاح في ذلك الحين بطابعها الوطني المعبر عن الدعوة لوقف التدخل الأجنبي الرامي الى اقتسام الصين موضحة أن طريق الإصلاح هو الطريق الوحيد لوقف ذلك . وفي سياق آخر أسهمت مسعى الاصلاحيين في الترويج لآرائهم ، في تقدم الصحافة الصينية و تفعيل دورها في المجتمع ، لايجاد رأي عام يؤمن بالاصلاح و يسعى الى تنفيذه .

---

(١) الحركة الاصلاحية، ص٤٣-٤٥؛

Bays. China Enter the Twentieth Century, PP.40-41 .

(2) Ibid., P.41-43.

ثالثاً- حركة الإصلاح الدستوري ١٨٩٨-١٩٠١

١- فترة اصلاح المئة يوم

أثمرت جهود زعماء الإصلاح في تقديم سلسلة عرائض للإمبراطور، ونشر أفكارهم في أوساط المثقفين والموظفين بمن فيهم موظفي البلاط ، من خلال تشكيل الجمعيات وإصدار الصحف الإصلاحية، في إيجاد قاعدة من المثقفين المؤمنين بأهمية الإصلاح . وفي اقناع الإمبراطور الشاب كوانغ شيوى البالغ من العمر ٢٨ عاماً بتبني سياسة الإصلاح، لإنقاذ الصين من مخاطر التقسيم وتعزيز قوة العرش الإمبراطوري[١] . ففي ٦حزيران ١٨٩٨ استغل كانغ يو وي فرصة وفاة الامير كونغ العضو البارز في جناح الامبراطورة الارملة الرافض للاصلاح ،فقدم عريضته الثامنة ، وحث فيها الإمبراطور على تبني سياسة الإصلاح . واستجابة لذلك وللتخلص من سيطرة الإمبراطورة الأرملة وجناحها المحافظ ، والامساك بزمام السلطة ، أصدر الإمبراطور في ١١ من حزيران مرسوماً بقي مفعوله سارياً حتى ٢٠ أيلول . أعلن فيه أمام المجلس الكبير تبني سياسة الإصلاح وأصدر مرسوماً آخرا حث فيه الحكام العامين وحكام الأقاليم على تزكية الأشخاص الكفوئين المؤهلين للخدمة الدبلوماسية في البلاط . وفي ١٣ حزيران أصدر مرسوماً ثالثا سمح فيه لكانغ يووي وبقية زعماء الإصلاح بمقابلته[٢]. من الواضح أن قناعة الإمبراطور بضرورة الإصلاح دفعته لتخطي القوانين القديمة التي كانت تمنع الطبقة الدنيا من الموظفين من مقابلته، وهذا ما فسح المجال أمام الإصلاحيين للاقتراب من الإمبراطور ومحاولة بسط نفوذهم في البلاط .

وخلافاً لما كان متوقعاً، كانت خشية الإمبراطور من إثارة الإمبراطورة السبب في عدم تعيينه كانغ يووي، الذي قابله في ١٦ حزيران وتداول معه في شؤون الإصلاح[٣]، في منصب مهم في

---

(1) Beckmann Op. Cit., P.182-183; Latourette, OP. Cit., P.432 ; Nee and Peek. OP. Cit.. P.65; Sue Fawn Chung, Op. Cit., P.179..

(2) The Full of 1898, In: Ssu–Yu Teng,Op. Cit. , P.175; Immanuel C.y Hsu. The Rise of Modern China, PP.451-452.

(٣) لم يضف كانغ شيئا جديدا لمقترحاته السابقة في هذه المقابلة إذ أكد على تعديل نظام الامتحانات وتغيير القوانين القديمة التي تقف في طريق الإصلاح والتي لم تعد ملائمة لروح العصر وتشكيل مجلس استشاري من الأشخاص الكفوئين. للمزيد عن ذلك ينظر: الحركة الأصلاحية، ص٧٩-٨١.

البلاط . بل عينه في وظيفة من الدرجة الثانية في التسونغ لي يامين، مع الإفادة من آرائه في الإصلاح[١] . ولاسيما أن الإمبراطور أراد أن يبقى كانغ يووي عيناً له في هذه الدائرة المهمة التي يسيطر عليها جناح الإمبراطورة ، والدليل على ذلك أنه لم يتردد في إبعاد سلطة المحافظين في البلاط وتقريب الإصلاحيين وتعيينهم في وظائف مهمة . إذ عزل عددا من المحافظين في البلاط وعين كل من تان سي تونغ، ليو كوانغ دي، يانغ روي، ولين شوي، موظفين من الدرجة الرابعة وأمناء في المجلس الإستشاري الكبير ، وأوكلت اليهم مهمة الإطلاع على العرائض كلها التي كان يقدمها الموظفون للإمبراطور، الى جانب وضع مسودات المراسيم الإمبراطورية . ومنذ ذلك الحين عرف هؤلاء بـ(المستشارين الأربعة في المجلس الإستشاري الكبير) . أما ليانغ تشي تشاو فعينه مسؤولاً عن التعليم العالي ومكتب الترجمة في بكين[٢]. مما لاشك فيه أن الإصلاحيين هيمنوا على اكبر جهاز سياسي حكومي في البلد ، مما هيأ الفرصة لهم لفرض إرادتهم في البلاط وتمرير مشاريع الإصلاح . وهو مالا تطيقه الإمبراطورة الأرملة والمحافظين المتطرفين الذين هدد الإصلاح مراكزهم في السلطة والمجتمع، فأخذوا يعدون العدة للتخلص منهم.

وخلال ١٠٣ أيام أصدر الإمبراطور أكثر من ١١٠ مراسيم ركزت على إزالة أسلوب القوالب الجامدة وتعديل نظام الإمتحانات، وانشاء مدارس حديثة تدرس فيها العلوم الحديثة، وارسال البعثات العلمية للخارج، وتشجيع الكتابة والاختراع، وتشجيع الصحافة والتعبير عن الرأي وتقديم العرائض للإمبراطور، وتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة وتوفير الحماية وانشاء الدوائر المختصة بذلك، والعناية بطرق المواصلات وانشاء سكك الحديد وإستخراج المعادن، ومد شبكة واسعة من الخدمات البريدية، وضرورة إعادة النظر بالقوانين القديمة وإلغاء المناصب الفخرية، وتنظيم المالية العامة للدولة، ووضع ميزانية خاصة لها، وتحسين أساليب تدريب القوات البحرية والبرية بإدخال الأساليب الأجنبية، وإلغاء امتيازات الموظفين المنشوريين الذين كانوا يتقاضون أجورهم من دون أي عمل[٣] . وأصدر الإمبراطور مرسوماً آخرا شجع فيه

---

(1) Immanuel C.y. Hsu, The Rise of Modern China, P.455; Tikhvinski, OP. Cit, P.365.

(٢) حركة الاصلاح، ص٨٢؛ Bays, China Enter the Twentieth Century, P.46.

(٣) الحركة الاصلاحية، ص٨٣-٨٧؛ Beckmann, OP. Cit., PP.183-184; Emper Kuang Hsu. Attempted Reforms1898, PP.1-journal/vol.12/text5.htm.

الهجرة الى منشوريا لاغياً بذلك جميع القيود المفروضة على الهجرة اليها، وذلك لملء الفراغ البشري فيها والحيلولة دون أن تسقط بيد اليابان او روسيا[١].

وعلى الرغم من اهمية هذه القرارات يلاحظ أن أغلبها بقيت حبراً على ورق، ورفض الإمبراطور نفسه تقييد سلطته حينما حثه الإصلاحيون على إقامة الملكية الدستورية المقيدة، معلنا أنه (يؤثر التنازل عن العرش على أن يبقى فيه من غير سلطة) . وفشلت دعوة الإصلاحيين، أيضاً في إصدار مرسوم يقضي بإقامة المجلس النيابي واضطروا الى التراجع عن الكثير من مبادئهم مجاراة للإمبراطور[٢].

يضاف لما تقدم، ان تلك القرارات لم تطل سلطات الحكومة والحكام العامين والاقطاعيين، ولم تشرك البرجوازيين في السلطة . ولم تشر الى تشكيل البرلمان مثلما طالب الإصلاحيون ولم تتعرض الى كيفية تنظيم العلاقات الخارجية . مما يدل على أن الإمبراطور لم يكن يرغب في التنازل عن سلطاته كافة وأنه لم يملك القدرة على تحقيق أكثر من ذلك، أمام الضغوط التي كان يتعرض لها من جانب الإمبراطورة الارملة التي سعت الى القضاء على هذه الحركة في مهدها .

وعلى الرغم من الموقف الإيجابي الذي اتخذته بريطانيا من هذه الحركة، التي أبعدت مؤيدي النفوذ الروسي في جناح الإمبراطورة عن سلطة القرار، إلا أن دبلوماسييها في بكين لم يأخذوا تلك المراسيم التي أصدرها الإمبراطور مأخذ الجد[٣] . لعل ذلك يعود لإدراكهم بقوة نفوذ الإمبراطورة وقدرتها على الإطاحة بهذ الحركة . وحظيت هذه الحركة أيضا بأهتمام كبير في الأوساط الصناعية والتجارية والعسكرية والسياسية اليابانية ، حتى إن الماركيز أيتو رئيس الوزراء الياباني زار الصين بهدف مقابلة الإمبراطور كوانغ شيوى إلا أن أنقلاب ايلول حال دون ذلك[٤].

---

(1) Kungtu C. Sun, The Economic Development of Manchuria in the First Half of the Twentieth Century, Harvard University Press, 1969, P.19.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٥٠.

(3) Tikhvinskiy, OP. Cit., P.370.

(4) Ibid., P.371 .

٢- التكتل في صفوف الإصلاحيين

على الرغم من إدراك الإصلاحيين كافة، ضرورة اتخاذ اجراءات فعاله لدعم قوة البلاد الصناعية والعسكرية والعلمية، وتعزيز بنية الهيكل السياسي للحكومة المركزية من خلال تشكيل برلمان يضمن تعزيز الوحدة الوطنية، عجزَ الإمبراطور عن القيام بإصلاح سياسي حقيقي، نظرا لتسلط الإمبراطورة الأرملة ووقوفها عقبة في طريق الإصلاح . فحدثت اختلافات في وجهات نظر المصلحين حول الإصلاح نفسه، فتان سي تونغ، اقترح العمل على إلغاء الملكية وإقامة نظام جمهوري ديمقراطي، وأخذ يمجد الحركة الجمهورية المعارضة لحكومة المانشو. والواقع أن أفكاره هذه لم تكن آنية، وإنما تمتد الى ماقبل عام ١٨٩٥، حين ألف كتابه (العقيده الإنسانية) الذي دعا فيه الى إقامة نظام (الملوك المنتخبون)، أي وبمعنى آخر إقامة نظام حكم جمهوري . ولمواجهة خطر التدخل الأجنبي دعا الى إقامة تحالف بين الصين واليابان وكوريا وأفغانستان وبلاد فارس ، على اساس أنها تعاني من ظروف متشابهة من حيث أنظمة الحكم والتدخل الأجنبي ، وأنها – بحسب رأيه – بها حاجة الى تغيير هذه الأنظمة من ملكية الى جمهورية ديمقراطية[١].

وقد يسوغ دخول تان سي تونغ، المتأثر بالأفكار الجمهورية الى الحركة الإصلاحية الدستورية على أنه محاولة لإيجاد حل وسط في سياق إنقاذ الصين من خطر التقسيم، من دون الإطاحة بالنظام الملكي . اما دعوته لإقامة تحالف بين تلك الدول الخمس لمواجهة، التدخل الأجنبي، فهي دعوة مثالية أكثر مما هي واقعية إذ إنه لاتتوفر الإمكانيات اللازمة لإقامة مثل ذلك التحلف في ذلك الحين.

أما كانغ يووى وليانغ تشي تشاو ومامنغ هوى، فقد شكلوا كتلة دافعت عن مصالح البرجوازيين وملاك الأراضي، ضمن سياق ما عرف بمبدأ "حقوق الشعب" (من تشوان) ، و عدّوا هذا الطريق الوحيد لتحقيق الوحدة الوطنية . من خلال تحقيق أفضل سبل الإتصال بين الإمبراطور والشعب، وفتح الطريق أمام نخبة من البرجوازيين وملاك الأراضي، بوصفهم – بحسب رأيهم – يمثلون الشعب، للمشاركة في العملية السياسية بتعيينهم في وظائف سياسية، الى جانب سلطة الإمبراطور الذي يجب أن تكون امتيازاته محددة ضمن نظام دستوري[٢].

(1) Tan Ssu-Tung , On the Need for Complete Westernization , In: Ssu-Yu Teng, Op .Cit., PP.158-159; Tikhvinski, OP. Cit., P.367.

(2) Bays, China Enter the TwentiethCentury, PP.29-31.

وظهر ضمن جناح الإمبراطورة الارملة المعارض للإصلاح، أتجاهان، الأول مثله المحافظون المتطرفون وعلى رأسهم الإمبراطورة الأرملة ، الذين انكروا حاجة الصين للإصلاح وأن إنقاذها يكمن في الرجوع الى طريق الأسلاف ، فسعوا للقضاء على هذه الحركة قضاءً مبرماً(١) . أما الاتجاه الآخر الذي مثله المحافظون المعتدلون وعلى رأسهم تشانغ تشي تونغ ، فإنه أقر حاجة الصين الى الإصلاح في مجال التعليم والجيش والإقتصاد والنقل . إلا أنه عارض بشدة الإصلاح السياسي الدستوري ، وإدخال البرجوازيين وملاك الأراضي في الجهاز السياسي المركزي ، موضحاً أن ذلك ينجم عن (كارثة) وأصبحت هذه المسألة واحدة من نقاط الإختلاف بينه وبين الإصلاحيين . وللرد على مبدأ حقوق الشعب ، طرح "مبدأ تصحيح الحقوق السياسية" (تشنغ ـ تشوان) الذي شكل تغييراً واضحاً لأساسيات المذاهب الدستوريه الغربية . إذ أوضح فيه أن الإصلاح هو من واجب العرش وليس لبقية الناس _ ويقصد البرجوازيين وملاكي الأراضي _ حق المناقشة فيه ، وأن تنفيذ مبدأ حقوق الشعب بتشكيل البرلمان سوف يؤدي الى أنهيار سلطة الإمبراطورية وتفكيكها بدلاً من تلاحمها ، معللاً ذلك بعدة أسباب منها :

أ- أن التجار الصينيين الذين سيكونون جزءاً من السلطة التشريعية في حال تشكيل البرلمان لايتصفون بروح الجماعة وبُعد النظر الى جانب (تدني المقاييس الأخلاقية لديهم) مما يجعل وجود سلطة حكومية ضرورة لامناص منها ، لكبح جماح طموحهم وجشعهم.

ب-من غير الحكمة رفع يد الحكومة عن النظام التعليمي وتسليمه الى يد الطبقة الارستقراطية المحلية في حال تشكيل البرلمان .

ج-ضرورة بقاء السلطة الحكومية المركزية وتقوية الدفاع بأستيراد المعدات الحربية الضرورية، والحصول على القروض الأجنبية لدعم البنى العسكرية(٢).

من الملاحظ أن تشانغ تشي تونغ بنى فكرته عن البرلمان ، على النظرة الاجتماعية والفلسفية المتدنية للتجار في المجتمع الصيني، ورأى أن إدخالهم في السلطة كان يعني تسليم شؤون الدولة السياسية والاقتصادية بأيدي أناس غير مؤهلين لها . وأن تشكيل البرلمان يعني تفكيك سلطة الحكومة المركزية ، يزاد على ذلك ان دعوته لبقاء نظام التعليم تحت سلطة الحكومة

---

(1) Conservative Opposition, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit., PP.180-181; Green, OP. Cit., P.96; Sue Fawn Chung, Op. Cit., PP.180-183.

(2) Selections from Chang's " Exhortion to Study " 1898 Rectification of Political Rights. In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit . , PP.166-174.

المركزية كان نابعا من خشيته على الأساس الآيديولوجي الذي استندو اليه في بقائهم في السلطة . وبذلك لم تتعد غاية دعوته للإصلاح الى ما سعى اليه أنصار سياسة التعزيز الذاتي من تعزيز قدرات الحكومة الاقتصادية والعسكرية ، دون المساس بصلاحياتها وبذلك مثلت دعوات تانغ تشي تونغ جانباً من جوانب وقوف المحافظين ضد سياسة الإصلاح الدستوري.

٣- أنقلاب أيلول

مع بدء حركة إصلاح المئة يوم ، أخذ الصراع حول السلطة ، يزداد حدةً بين جناح الإمبراطور الذي لم يكن يستند الى قوة كافية من المؤيدين لا في العاصمة ولا في الأقاليم ، وبين جناح الإمبراطورة الارملة الذي تضررت مصالحه في أثناء مدة المئة يوم من الإصلاح وقيام الإمبراطور بطرد عدد منهم من وظائفهم وتعيين عدد من الإصلاحيين في وظائف مهمة في الدولة . والى جانب ذلك أضاع إلغاء أسلوب القوالب الجامدة الفرصة على الطلبة في الحصول على الوظائف[٢]، وترك غلق المعابد ومراكز التعليم ذات الأساليب القديمة، أثراً سيئاً في مصالح الكهنة البوذيين، الذين أخذوا يروجون لمعارضة سياسة الإصلاح[٣] . فكان من نتيجة ذلك أن تشكلت جبهة معارضة للإصلاح من كل أولئك الذين وجدوا في الإصلاح تهديداً مباشراً لمصالحهم.

وعلى مايبدو أن الإمبراطور والإصلاحيين كانوا مدركين لما يمكن أن تقوم به الإمبراطورة وجناحها، للتخلص منهم ، فأعدَّ الإمبراطور وتان سي تونغ بالإستعانة بيوان شي كاي ، الذي كان قائداً لثمان وحدات من المشاه المدربة تدريباً حديثاً وعضواً في جمعية باوقوة، خطة للتخلص من الإمبراطورة وورنغ لو أشد مخلصيها في أثناء المناورات التي كان من المفترض إجراؤها في تشرين الأول عام ١٨٩٨[٤] . وعلى صعيد آخر أعدت الإمبراطورة خطة للانقلاب ضد الامبراطور، إذ خشيت على مركزها في السطلة وتأثرت برأي تشانغ تشي تونغ في الإصلاح "بالإفادة من الثقافة الصينية من حيث الجوهر والعلوم الغربية من حيث التطبيق" ، ودحضت ما دعا اليه الاصلاحيون، من الإصلاح الدستوري وإلغاء إسلوب القوالب الجامدة في الكتابة والوظائف العاطلة التي كان منتسبوها من المانشو يتقاضون رواتباً من دون القيام بأي عمل، وحث المانشو الذين الغيت امتيازاتهم على العمل لكسب قوتهم على مصالحهم القضاء على

---

(1) Green, OP. Cit., P.96; Immanuel C. Y. Hsu, The Rise of Modern China, PP.456-458.

(٢) الحركة الاصلاحية، ص٩٣؛ Gupt. OP. Cit., P. 89.

(3) Latourette. OP. Cit., P.433.

إستئثارهم بالسلطة . فبدأت بالتعاون مع رونغ لو بإعداد خطة للقيام بإنقلاب ضد الإمبراطور وجناحه [1]. وزاد إصرارها على ذلك بعد خيانة يوان شي كاي للإصلاحيين، بإفشائه خبر الانقلاب الذي كان الإمبراطور ينوي القيام به . فأشاعت أن الإمبراطور يريد قتلها وأن الأجانب يريدون التدخل ثم قامت بتوزيع قادة الفرق وكبار الموظفين المحليين، على المواقع الحساسة في الدولة بما يحقق سيطرتها . فعينت رونغ لو نائباً للإمبراطور في تشيلي، واستدعت كل من لي هونغ تشانغ الذي كان الإمبراطور قد طرده من منصبه في المجلس الكبير في السابع من أيلول من ذلك العام، وتونغ فو شيانغ قائد قوات قانصو، وقوات يوان شي كاي وقائد حامية بكين وحرس القصر وخدمه ورجال الدين المتعصبين[2] . ودلت هذه الإجراءات على ان الإمبراطورة تنوي القيام بانقلاب ، فسارع الإمبراطور الى إبلاغ كانغ يووي وبقية الإصلاحيين باتخاذ الأجراءات اللازمة لإنقاذه . ولاجل ذلك حاول كانغ الأستعانة بالسفير البريطاني في بكين، عن طريق المبشر ريتشارد، غير أن السفير البريطاني كان يمضي في حينها إجازته الصيفية في احد مصايف تشيلي . فحاول بعدها الإتصال بالدبلوماسي الياباني إيتوهيروبومي[3] الذي زار الصين في حينها . وعلى الرغم من أن محاولات التخلص من الانقلاب ذهبت سدى، وتمكنت الإمبراطورة من تنفيذ انقلابها في ٢١ أيلول من ذلك العام، إلا أنه لم ينقذ الإمبراطور من القتل سوى التدخل الأجنبي في بكين . فاكتفت الإمبراطورة بتجريده من كل الرتب، والألقاب وزورت مرسوماً بأسمه وضع كل السلطات بيدها، وأشاعت أنه مريض ووضعته سجيناً في أحد القصور القريبة من بكين حتى وفاته عام ١٩٠٨، ووضعت المناصب العليا بيد أنصارها[4].

وبحماية بريطانية تمكن كانغ يووي من الهرب الى هونغ كونغ في ٢٩ أيلول ومنها ذهب الى اليابان ولحق به تلميذه ليانغ تشي تشاو بمساعدة السفارة اليابانية . وألقت السلطات الصينية القبض على ستة من قادة الإصلاح و اعدمتهم ، و منذ ذلك الحين عرفوا بـ (الشهداء الستة) وسجن ٢١ آخرين وجردوا من ممتلكاتهم . وأصدرت الحكومة قراراً حظرت فيه تداول كتابات

(1) Beckmann,OP. Cit PP.184-185; Immanuel C. Y. Hsu, The Rise of Modern China. PP.456-458.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ص ١٥٠-١٥١؛ Latourette, OP. Cit., P.433.

(٣) الحركة الاصلاحية، ص٩٦.

(4) Beckmann, OP. Cit., P.186.

كانغ يووي[١]، وألغت معظم إجراءات الإصلاح، التي دشنها الاصلاحيون ، وأغلقت مجالس المستشارين في البلاط وصحافة الحكومة التي أنشأها الإصلاحيون[٢] . وألقي القبض على الصحفيين ومحرري الصحف في شنغهاي وهانكو وتينتسين وأُغلقت الجمعيات السياسية . ومنع المواطنون من تقديم التقارير الرسمية بشكل شخصي للإمبراطور، إلا أنه تم الأبقاء على المؤسسات الصناعية والتجارية والعلمية التي أنشأها الإصلاحيون مثل الجامعة الإمبراطورية في بكين والمدارس التي أقيمت في العاصمة وفي الأقليم التي كانت تدرس فيها العلوم الحديثة الى جانب الكلاسيكيات[٣] . والذي يبدو أن الإمبراطورة وجدت فيها ما يناسب تطلعها في تعزيز سلطة النظام السياسي والأجتماعي القديم، من خلال الإفادة من العلوم والتقنيات الحديثة والمحافظة على الأساس الآيديولوجي الذي يستند اليه نظام الحكم . وبناءً على ذلك أمرت الإمبراطورة، بطبع ثلاثمائة نسخة من مقال تشانغ تشي تونغ (تصحيح حقوق الشعب) الذي رد به على (مبدأ حقوق الشعب) الذي رفعه كانغ يووي . وروجت الصحافة الحكومية ولاسيما صحيفة (تشانغ واي جيه ـ باو) التي أصدرها كانغ نيان في شنغهاي، لذلك المقال وللإجراءات التي اتخذتها الإمبراطورة ووصفتها بأنها إجراءات بناءه . والواقع انه بدأت بوادر وعي لدى الإمبراطورة بأهمية الإصلاح ولكن في النواحي التعليمية والعسكرية والاقتصادية فحسب[٤].

لقد اجتمعت عوامل متعددة أدت الى فشل حركة الاصلاح قبل أن تؤتي ثمارها منها :

١- لم تكن للامبراطور نية حقيقية في الاصلاح بدليل رفضه التنازل عن شئ من سلطاته . فضلاعن قلة خبرة المصلحين الذين إنحسرت معرفتهم بالغرب بما قرأوه من كتب المبشرين وما اطلعوا عليه من أسلوب الإدارة في مناطق الامتيازات، ولم يكن أحد من قادة الإصلاح لا كانغ يووي ولا ليانغ تشي تشاو قد سافر الى الخارج وأطلع بنفسه على تجارب تلك الدول فبقيت معرفتهم وفهمهم للثقافة الغربية سطحية . فضلاً عن ذلك لم يدركوا أهمية سياسة القوة وقاعدة القوة التي يمكن أن ينطلقوا منها في تحقيق أهدافهم فاعتقدوا أن كسب ود الإمبراطور

---

(1) Immanuel C. Y. Hsu, The Rise of Modern China, PP.463-465.

(2) Hugh Deane, Herbert Hover and Kailan Mines Swindle, Eastern Herizon, Vol.XX, No.5, 1981, P.34.

(3) Immanuel C. Y. Hsu, The Rise of Modern China, PP.465.

(4) Bays, China Enter the Twentieth Century , PP.30-33.

وإصداره المراسيم كفيل بتحقيق التغيير المرجو، وأغفلوا منذ بداية الامر حقيقة أن القوة والسيطرة الفعلية هي بيد الإمبراطورة التي تزعمت طبقة من المحافظين الذين ارتبطت مصلحتهم ببقاء الأنظمة القديمة[١].

٢-بقيت هذه الحركة معزولة عن الشعب ولم تقدم أي شئ للفلاحين الذين شكلوا الغالبية العظمى في المجتمع الصيني[٢].

٣-ضعف الطبقة الوسطى البرجوازية الصينية على خلاف الطبقة الوسطى في اليابان التي تمكنت في عام ١٨٦٨ من تحقيق حركة إصلاح واسعة[٣] . يزاد على ذلك إنحدار أغلب أعضاء هذه الطبقة من ملاك الأراضي والموظفين الرسميين ومن ثمّ لم يكونوا مؤهلين للقيام بأنقلاب ضد النظام الاقطاعي ، بل انحسرت مطالبهم بمشاركة ممثلين برجوازيين الى جانب الاقطاعيين في السلطة ضمن نظام محدد .

٤ -وفرت إجراءات بعض الإصلاحيين بعزل بعض كبار موظفي البلاط وإلغاء الوظائف العاطلة وتحويل المعابد الى مراكز لتدريس العلوم الحديثة وإلغاء أسلوب القوالب الجامدة في أمتحانات الخدمة العامة، مناخاً ملائماً لحشد صفوف المعارضين للاصلاح من المحافظين المتطرفين ورجال الدين بزعامة الإمبراطورة الأرملة التي وجدت فيهم قوة يمكن الإفادة منها في القضاء على حركة الإصلاح .

٥ -جسدت استعانة الإمبراطورة بروسيا، وجناح الإصلاحيين في البلاط الامبراطوري ببريطانيا والولايات المتحدة واليابان، تأثرهما بأفكار وي يوان الداعية الى ضرورة استخدام (البربر ضد البربر) لتحقيق أهدافهما .

٦ -أدى فشل هذه الحركة الى ضعف جناح الإصلاحيين نتيجة عمليات التصفية والتطهير التي شنتها الإمبراطورة والتي كادت أن تطال الإمبراطورنفسه لولا تدخل الدول الأجنبية.

---

(1) Immanuel C. Y. Hsu, The Rise of Modern China, PP.465.

(2) Ibid.

[٣] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٥١.

رابعاً-نتائج فشل سياسة الاصلاح

قوبل فشل سياسة الإصلاح ، في إنقاذ الوضع الداخلي للبلاد ، ووضع حد للتدخل الأجنبي، وإلغاء الحكومة قرارات الإصلاح كافة وقيامها بحملة تصفية وإعتقالات لأعضاء الحركة الإصلاحية، طالت الإمبراطور نفسه ، بموجة ردود فعل وصلت ذروتها في قيام ثورة البوكسرز القومية عام ١٩٠٠[١].

١- الصراع بين الإصلاحيين والمحافظين حتى ٩ آب عام ١٩٠٠

لم تقتلع عمليات التصفية التي قامت بها الحكومة ، روح الإصلاح من دعاته ومؤيديه . فبعد هروب كانغ يووي وليانغ تشي تشاو الى اليابان، شكلا في تموز عام ١٨٩٩ بمساعدة يابانية وبريطانية جمعية إصلاحية عرفت بـ "جمعية حماية الإمبراطور" (باو ـ هوانغ هوي) التي استهدفت إنقاذ الإمبراطور وإستعادة سلطته، وتشكيل حكومة ملكية دستورية، والتخلص من الإمبراطورة وجناحها الذين إزدادوا مقتاً للأجانب والإمبراطور وأخذوا يحوكون الدسائس للتخلص منه . وقد نشطت هذه الجمعية ، التي كان مركزها اليابان ، وفتحت فروعا لها في ماكاو وفي جنوب الصين ولاسيما في كوانغتونغ ، وأصدرت صحيفة ناطقة بلسانها هي صحيفة إصلاح الصين التي كانت تمول من التجار الأثرياء[٢]، الذين أضمروا في أنفسهم تأييداً للإصلاح وتمنوا أن تستعيد الحكومة إصلاحات المئة يوم، في حال التخلص من الإمبراطورة الارملة [٣]. ومن جهة أخرى جهدت الحكومة نفسها في ملاحقة كانغ يووي وليانغ تشي تشاو في منافاهما في اليابان، للقبض عليهما أو قتلهما أو حرمانهما من كل ملجأ وملاذ خشية من أن يكونوا حكومة خطيرة في المنفى، ولاسيما بعد ان منحتهم اليابان حق اللجوء السياسي وسمحت لهم بنشر قضيتهم من خلال عقد الاجتماعات وتوزيع المنشورات . اذ عدتهما حكومة المانشو أخطر من جماعة صن يان صن الجمهوريين ، لكونهم مثقفين يحملون شهادات كونفوشيوسية، ويمثلون

---

(1) Joseph W. Esherick, Reform and Revolution in China. The 1911 Revolution in Hunan and Hubei, (Los Angeles, 1976), PP.19-20.

(2) Li Chien–Nung, The Political History of China 1842-1928, (New York, 1962), PP.168-169; Rhoads, Op. Cit., PP.46-48; Joshua A. Fogel, Op. Cit., PP.376-377.

(3) Bays,China Enter the Twentieth Century ,PP.55-56.

مصالح الفئة العليا للطبقة البرجوازية، أما صن يات صن وجماعته، فمثلوا الطبقة الدنيا في المجتمع بحسب رأيها[١].

وفي السياق نفسه تعقب تشانغ تشي تونغ ، وهو أبرز شخصية بين المحافظين المعتدلين ، تحركات من أسماهم بـ "جماعة كانغ – ليانغ الإصلاحية" . وحرض المشرف العام على احدى البعثات العلمية المتجهة الى اليابان على قتلهما . ولما فشل في ذلك اتجه للضغط على الحكومة اليابانية لإخراج كانغ يو وي من اليابان ، مبينا أن تنفيذ برنامجه الاصلاحي المستوحى من سياسة التعزيز الذاتي ، بالتعاون مع اليابان متوقف على إخراجه منها . فلم يبق أمام الحكومة اليابانية إلا الأستجابة إذ وجدت في ذلك الفرصة لفرض نفوذها في البلاط والتأثير في توجهاتهم على أساس ذلك غادر كانغ يووي اليابان في ٢٢ آذار عام ١٨٩٩، إذ أعطاه اليابانيون تسعة الآف دولار لإكمال رحلته . وقد أثار رحيله موجة استياء عامة لدى الإصلاحيين في اليابان وفي مناطق الامتيازات الدولية في الموانئ الصينية ، وشنت صحافتهم هجوماً واسعاً على حكومة الصين وتشانغ تشي تونغ خاصة . ففي صحيفة(حوار الصين) " تشنغ – يي باو " التي أصدرها ليانغ تشي تشاو في مدينه يوكوهوما في مطلع عام ١٨٩٩ كتب ليانغ مقالات عدة انتقد فيها مساعي تشانغ تشي تونغ وحكومة المانشو في ملاحقة الإصلاحيين ، والتضييق على الإمبراطور . وقد ترددت أصداء مقالاته على نحو واسع في داخل الصين وخارجها ، مما دعا تشانغ تشي تونغ والتسونغ لي يامين الى الضغط على وزارة الخارجية اليابانية لإخراج بقيه الإصلاحيين من اليابان وإغلاق صحيفة (حوار الصين) . وقد عدَّ البعض ذلك بمثابة صراع بين تشانغ تشي تونغ من جهة وكانغ يووي وليانغ تشي تشاو من جهه أخرى، حول إرث جهود الإصلاح في المدة ١٨٩٥-١٨٩٨ إذ كان الأخيران عدوين لدودين بنظر تشانغ تشي تونغ ، وبوسعها إدعاء ذلك الإرث، فأراد تشانغ تشي تونغ أن يظهر بمظهر الإصلاحي المحافظ المعتدل [٢] . إلا أنه يمكن أن يزاد على ذلك تمسك تشانغ تشي تونغ بالمؤسسات القديمة ورفضه للإصلاح السياسي الذي نادى به كانغ يو وي وليانغ تشي تشاو. فطالما أكد أن الصين ليست بها حاجة الى برلمان وإنما يكفيها إكتساب الخبرات وإقامة المؤسسات التجارية وتطبيق بعض أساليب الإدارة الغربية . ومن ناحية أخرى كان خوض الصراع من جانب كانغ وليانغ أكبر من

(1) Ibid, PP.57-59.

(2) Ibid., PP.60-62.

الصراع لإدعاء ذلك الأرث، وإنما يعد محاولة لإعادة الإصلاح السياسي الذي أطاح به إنقلاب أيلول .

و يبدو، أيضا ، أن إجراءات حكومة المانشو لم تتوقف عند حدود ملاحقة الإصلاحيين، وسجن الإمبراطور، وإنما عبرت عن رغبة حقيقية في التخلص من الإمبراطور وذلك بإعلان الطفل بو – تشون أبن الأمير توان أحد أمراء المانشو، ولياً للعهد وذلك في ٢٤ كانون الأول عام ١٩٠٠. وعدّ بعضهم ذلك خطوةً بأتجاه قتل الإمبراطور كوانغ شيوى ومع ذلك لن يواجه القرار سوى معارضة ضئيلة في البلاط تمكنت الإمبراطورة[١] من تخطيها[٢] . إلا أنه أثار موجة إستياء عامة لدى صغار المسؤولين والنبلاء والتجار والطلبة وبقية الصينيين في الخارج . اذ عارضوا ذلك القرار ورفع مجاميع منهم في تينتسين وهانغتشو مركز مقاطعة تشكيانغ جنوب غرب الصين ووتشانغ مركز مقاطعة هونان وشنغهاي مذكرات إحتجاج الى حكام المقاطعات ليرفعوها بدورهم الى العاصمة بكين . وأستنكرت أغلب الصحف الصينية قرار الإمبراطورة، وطالب الصينيون في الخارج السفارات البريطانية والأمريكية واليابانية في بكين التي رفضت حكوماتها الإعتراف بولي العهد ، بالتدخل لإنقاذ الإمبراطور . على أن أهم مظهر من مظاهر الإحتجاج هو المذكرة الجماعية التي أرسلت الى بكين من شنغهاي في ٢٦ كانون الثاني والتي وقع عليها نحو ١٢٣١ شخصاً من نبلاء وتجار وطلاب ومسؤولين كان أبرزهم مدير دائرة البرقيات الإمبراطورية في شنغهاي[٣]. و من الملاحظ أن حركة الإصلاح التي قادها كانغ يووي والتي حظيت بدعم الدول الغربية تركت أثراً أيجابياً في تشجيع مختلف أفراد المجتمع على نقد أجراءات الحكومة وتقديم الإحتجاجات. فبإستثناء الإحتجاجات التي رفعها كانغ يووي وبقية الطلبة في حركة موسم الربيع عام ١٨٩٥، لم يجرؤ أحد على تقديم مذكرات الإحتجاج على ذلك النحو .

---

(١) يشارالى ان الامبراطورة قبل اعلانها بو – تشون ولياً للعهد، امرت جميع اعضاء المجلس الكبير بارسال برقيات سرية الى حكام المقاطعات وحكام الاقاليم في المناطق الجنوبية من الصين، لاستبانة رأيهم في الامبراطور، فجاء الرد بأن حق الامبراطور بمنصبه امر لا جدال فيه، وهذا مافت في عضد الامبراطورة، وكان عاملاً من عوامل الابقاء على حياته، الى جانب الضغط الاجنبي.

Li Chien-Nung, Op. Cit.,168- 170.

(2) Ibid.

(3) Bays, China Enter the Twentieth Century ., PP.63-64.

ولاسيما أن الإمبراطورة قد حرمت، بعد أنقلاب أيلول، حتى على موظفي الدرجة الثالثة فما دون ، رفع المذكرات للإمبراطور فما بالك الآخرين الاقل درجة . والى جانب ذلك ، أن تهديد الإصلاحيين المستمر باستخدام التدخل الأجنبي للضغط على الحكومة ، زاد من كرهها للأجانب ودفعها لتبني الحركات المناوئة لهم كما سيتضح .

وحظيت تلك الإحتجاجات بمساندة الإصلاحيين في الخارج والداخل الذين اثاروا الرأي العام الجديد الذي تكون خارج نطاق الطبقة البيروقراطية ، وأومأوا في صحافتهم الى امكانية أستخدام القوة لإنقاذ الإمبراطور[١] . مما دعا تشانغ تشي تونغ الى مطالبة وزارة الخارجية اليابانية وقناصل الدول الاوربية والولايات المتحدة بغلق الصحف الصينية الصادرة بأسماء صينية ويابانية في مناطق الامتيازات الأقليمية والمحرضة على الفتن – بحسب زعمه – مثل صحيفة (كو – وين – باو) الصادرة في تينتسين لصاحبها يان فو، وصحيفة (تشنغ وي – جيه) لصاحبها وانغ كانغ نيان . يزاد على ذلك أنه حرض البلاط على ضرورة وضع حد للتأييد الذي حصل عليه الإصلاحيون ، فأصدرت الإمبراطورة مرسوماً عرضت فيه مكافأة مقابل إلقاء القبض على كانغ وليانغ أو إثبات قتلهما، ووجهت فيه أمراً الى مسؤولي المدن الساحلية قضى بضرورة مراقبة الإصدارات التي تروج للإصلاحيين . ومع ذلك لم تحرز هذه الجهود تقدماً كبيراً لمنع انتشار الصحف الإصلاحية ، إذ أن أغلب هذه الصحف والمكتبات كانت ملكاً لأشخاص أجانب ولم يكن بالإمكان قمعها الى الأبد من دون مساعدة أجنبية ، لذلك أصبحت حكومة المانشو تفقد سمعتها يوماً بعد آخر على يد رأي عام صيني فتي، تكون خارج نطاق الطبقة البيروقراطية، وتمركز في المدن الساحلية المشمولة بالمعاهدات[٢]. يلاحظ أن إجراءات الكبت والملاحقة للصحف الإصلاحية جاءت بنتائج عكسية إذ ازداد انتشار هذه الصحف بإزدياد الاقبال عليها في المناطق الساحلية والداخلية، ولاسيما أن الإصلاحيين وجدوا في مناطق الامتيازات حرية كبيرة في التعبير عن آرائهم بعيدا عن ملاحقة القوات الحكومية، مما ساعد على بلورة الرأي العام الجديد الذي وجد في مناطق الامتيازات حرية كبيرة في نقد اجراءات الحكومة.

وقد وجد الإصلاحيون في اندلاع ثورة البوكسرز في شمال الصين فرصة يمكن الإفادة منها في العودة والإمساك بزمام السلطة، فظهر اتجاه لدى ليانغ تشي تشاو الذي أخذ يستقل في نشاطه

(1) Ibid., PP.65-66; Joshua A. Fogel, Op. Cit., PP.382-383.

(2) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.67-69.

عن استاذه كانغ يووي، نحو التعاون مع الجمعيات السرية في الصين وشاركه في ذلك عدد من الطلبة الصينيين الموجودين في اليابان، الذين أصبحوا أكثر ميلاً للإطاحة بالحكومة، مع تمسكهم بولائهم للإمبراطور . وفي ربيع عام ١٩٠٠ غادر ليانغ تشي تشاو اليابان واتجه نحو هـاواي مقر المعارضين الجمهوريين بزعامة صن يات صن ، لكسب الأنصار والتقرب مـن صـن يـات صن[١] . على الرغم من الاعتراضات التي أبداها كانغ يووي ، الذي كان في حينها في سنغافورة، يجمع تبرعات من المهاجرين الصينيين في جنوب شرقي آسيا ، إلا أن أصرار ليانغ دفعه الـى المضي في ذلك[٢]. وكان من نتيجة التحالف مع الجمعيات السرية التخطيط للقيام بإنتفاضة آب عام ١٩٠٠ بقيادة "جمعية الإستقلال" (تسولي هوي) التي شكلها ألاصلاحيون في هونان وسط الصين، وذلك في ربيع العام نفسه . ووضع الإصلاحي تانغ تساي – تشانغ الخطط اللازمة لـذلك بالتعاون مع ليانغ تشي تشاو وكانغ يووي وأتخذ من هونان مركزاً للانتفاضة للافادة من الارباك التي أحدثته ثورة البوكسرز في الشمال . وحددت أهداف الانتفاضة بالإطاحة بـسلطة الحكومـة المركزية في منطقة اليانغتسي ، وإقامة حكومة جديدة في وسط الصين وجنوبه ومن ثم تحقيـق السيطرة الوطنية الكاملة على أنحاء البلاد كافة، بقيادة الإمبراطور كوانغ شيوى . وتشكل جمعية وطنية (كوو – هوي) مركزها شنغهاي، على ان تنقل الى العاصمة، بعد تحقيق السيطرة الكاملة، مقتدين في ذلك بحركة الميجي في اليابان التي أطاحت بسلطة توكوجـاوا[٣]، واسـتعادة سـلطة الإمبراطور. وبالفعل عقدت الجمعية الوطنية أجتماعاتها في(٢٦ -٢٧) تموز برئاسة تانغ تساي – تشانغ الذي كتب كلمة الافتتاح ، وقد اكتسب منهاجها الداعي الى استعادة سلطة الإمبراطـور وإحياء المئة يوم من الإصلاح ، العديد من المؤيدين من المسؤولين والتجار والطلبة، ولاسـيما بعد موجة الإحتجاجات التي نالت من قرار كانون الثاني الداعي لتعيين ولي عهـد للإمبراطـور. وايدها الدبلوماسيون الأجانب في شنغهاي . وعملت الجمعية على اتخـاذ الاجـراءات اللازمـة لإعلان الانتفاضة و وضع الاصلاحيون جل مواردهم في هذه المحاولة، وأرادوا بعد ذلك التقـرب الى البوكسيرز وإقامة تحالف معهم إلا أن ذلك لم يتم[٤].

(1) Eshirck, OP. Cit., PP.19-20; Chesneaux and Others , Op. Cit., PP.337-338.

(2) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.69-70.

(3) Ibid., PP.81-82.

(4) Ibid.

وعلى الرغم من محاولة الجمعية الوطنية اتخاذ الاستعدادات اللازمة لإعلان الأنتفاضة، إلا أنها أضطرت الى تأجيل إعلانها مرات متعددة نتيجة ضعف التنسيق بين أعضائها، ونقص مواردها وإنخفاض مستوى الدعم لها من الخارج . مما أدى إنسحاب بعض الجمعيات السرية من التحالف، فأعلنت مجاميع التحالف في ٩ آب الانتفاضة في نانكنج تمكنت الحكومة من القضاء عليها من دون صعوبة تذكر[١]، وبعد فشل هذه الانتفاضة لم يعد أمام المثقفين الذين انشقوا عن الإصلاحيين خياراً آخر سوى الثورة، وأنسحب كثير من من الطلبة من التحالف وفضلوا الخضوع الى الحكومة في حين أبدى قسم منهم ميله للاتجاه الجمهوري . وألقى قادة الجمعيات السرية تبعة فشل الانتفاضة على كانغ يووي الذي لم يوفر لها الدعم اللازم، بل إنهم حاولوا اغتياله. وقرر كانغ الابتعاد عن النشاط المسلح، في حين فضل ليانغ تشي تشاو الأنضمام لمجموعه صن يات صن ذات الاتجاه الجمهوري، للإطاحة بحكومة المانشو . أما الرأي العام المعتدل فإنه أصبح أكثر تقبلا لمبادرات الإصلاح التي قد تقوم بها الحكومة بعد نهاية ثورة البوكسرز[٢].

٢ - حركة البوكسرز ١٨٩٨-١٩٠١

ارتبط فشل الحركة الإصلاحية لعام ١٨٩٨ في تحقيق هدفها في الوصول في البلاد الى حالة من التقدم في مؤسساتها السياسية والإدارية، لتضع حداً للتدخل الأجنبي فيها، مع عوامل متعددة قادت الى ردود فعل عنيفة ضد التدخل الأجنبي من الصينيين الذين أحتكوا بالأجانب على نحو مباشر . ولاسيما في مقاطعة شانتونغ شمال غرب الصين، التي لم يكن نشوء الحركة فيها أمراً عرضيا ، فأثناء الحرب الصينية ـ اليابانية أصبحت شانتونغ ساحة للمعارك التي دارت بين الطرفين وحتى بعد نهاية هذه الحرب عانت هذه المنطقة أولاً من الاحتلال الياباني لميناء وي هاي وي الذي بقى تحت سيطرة اليابانيين لمدة ثلاث سنوات، مهددين بعدم الإنسحاب منه مالم تدفع الصين كافة التعويضات المتفق عليها في معاهدة شيمونسكي . ومن ثم الاحتلال البريطاني للميناء نفسه . والاحتلال الألماني لخليج كياوتشو[٣]، الذي حولوه الى مستعمرة لهم بأسم

(1). Schrecker, Op.Cit, P.29.

(2) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.96-97.

(٣) مجموعة اساتذة في كليتي التاريخ بجامعه فودان وجامعة المعلمين في شنغهاي، حركة يي خه توان عام ١٩٠٠، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٧٩، ص١٣و سنشير له بـ يي خة توان؛ مجلة الموسوعات، العدد (٢٠)، السنة (٢)، آب ١٩٠٠، ص٦٠٩-٦١٣؛ Our Staff Writer, The Role of the Boxer Movement Re-Assessed, Eatern Horizon, Vol.XIX, No.5, 1980. PP.36-37.

المستعمرة الجديدة كياوتشو، وأنشأوا فيها إدارة جديدة تابعة لوزارة البحرية الألمانية، بغية تحويلها الى هونغ كونغ المانية[١] . وحاولوا السيطرة على كل شاندونغ نظرا لكثرة توافر الفحم فيها[٢]، وانتهجوا في سبيل تحقيق ذلك سبلاً متعددة كالأستحواذ على الأراضي وإقصاء سكانها، الامر الذي أثار شكوك الدول الأخرى من أن المانيا تريد حرمان الدول الاخرى من ممارسة نشاطها الصناعي في إقليم شانتونغ[٣]. ولاسيما انها عملت على إنهاء سلطة الحكومة المركزية والسلطات المحلية فيها، وتعزيز دور الإرساليات التبشيرية الألمانية[٤] التي بدأت منذ عام ١٨٩٠ تمارس نشاطها بشكل مستقل عن الحماية الفرنسية للكاثوليك[٥]° . وشكل ذلك جزءاً من التنافس الكبير بين هذه الدول وسعيها لتقسيم الصين الى مناطق للنفوذ السياسي والاقتصادي بتقديم القروض ومد السكك الحديد وتطوير الملاحة النهرية وفتح المناجم وانشاء البنوك وإقامة الصناعات الآلية وإغراق السوق بالبضائع الأجنبية . مما أدى الى تدهور الصناعات الحرفية ولاسيما غزل القطن ونسجه فتضرر الفلاحون والحرفيون وعمال النقل والخانات والملاحون . وأنخفضت أسعار المنتوجات الصينية ، ولاسيما الشاي الذي انخفضت معدلات تصديره من (٤٦) بالمئة عام ١٨٨٣ الى (٢٧) بالمئة عام١٨٩٣ من مجموع صادرات الصين [٦]. وقد تركت هذه

---

(1) Schrecker, Op. Cit, PP.1-2.

(٢) مجلة المشرق، العدد الثاني، كانون الثاني ١٨٩٨، ص١٦.

(3) Le Marquis De Noilles Ambassadear De France A Berlin, A M. Delcasse, Minster Des Affaires Etrangeres, D.N.70, Berlin, 2 Mars 1902, (Recu: Cabinet, 4 Mars: Dir Pol, 5 Mars), (D.D.F.), 2 Serie (1901-1911), Tome Second (1er Janvier 31 Decembere), PP.136-137.

(٤) منذ بيان عام ١٨٧٧ اقترح وزير البحرية الالماني براد ندت أن تحل الحكومة الألمانية محل الحكومة الفرنسية في حماية الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية الالمانية لزيادة قوة المانيا وتدعيم جهودها في كسب ود الحكومة الصينية التي طالما استاءت من الحماية الفرنسية للكاثوليك . و تبنت جمعية ستايل التبشيرية الموضوع عام ١٨٧٥ وارسلت ارسالية كبيرة الى الصين ، ولم تعن الحكومة بهذا الموضوع إلا في عام ١٨٨٦ إذ وجدت فيه دعماً لقوة الرايخ في الداخل ومع ذلك لم يقر هذا الموضوع على نحو نهائي حتى عام ١٨٩٠. ينظر:
Schrecker,Op. Cit.PP.12-13.

(5) Ibid.

(٦) نوري عبد الحميد العاني، المصدرالسابق، ص١٥٤؛

الأمور بمجملها أسوأ الأثر في وضع الفلاحين والحرفيين وأصحاب العربات الذين ارتبطت مصالحهم ببقاء وسائل النقل القديمة والصناعات الحرفية، والذين وجدوا في الصناعات الحديثة ما يهدد مصالحهم و يخالف معتقداتهم. فعلى سبيل المثال، أنهم أعتقدوا أن انشاء السكك الحديد يقطع شرايين التنانين[1] في أرضهم ويوقظ الموتى ويدنس الأرواح[2]. لذلك لاعجب أن يتخذ الفلاحون والحرفيون موقفاً معادياً ممن حوّلوهم الى مشردين وعاطلين عن العمل . ولاسيما أن ذلك تزامن مع استمرار حدوث الكوارث الطبيعية في المدة ١٨٨٦-١٨٩٧ كالفيضانات الكبيرة التي دمرت العديد من السدود والقنوات التي رافقها أهمال كبير في الخدمة العامة، فضلاً عن العواصف الشديدة والجراد الذي اسهم في تراجع المحاصيل الزراعية بنسبة كبيرة . وتزامن ذلك مع تزايد الحاجة للمحاصيل الغذائية لإعالة الأعداد الكبيرة من السكان الذي أزداد بنسبة (٨) بالمئة، ولم يصاحب ذلك زيادة مناسبة في رقعة المساحة المزروعة سوى (١) بالمئة مما أسهم في تفاقم الأزمة في المقاطعات الشمالية ولاسيما شاندونغ، تشيلي، هنان، شانسي، شنسي . ولا سيما اذا ما علمنا انها كانت تعاني بالاساس من قلة المحاصيل الزراعية نتيجة طول فصل الشتاء فيها، وأسفر ذلك عن انتشار المجاعات الشديده وتشرد الألاف من المواطنين الذين وجدوا ضالتهم في الجمعيات السرية[3].

ومما أسهم في تعميق الشعور المعادي للأجانب ممارسات الإرساليات التبشيرية التي غالباً ما أنطوت على انتقاص من المعتقدات الصينية، وانتهاك لحرمة التقاليد[4] . فضلا عن دخولها في مواجهات مع الكونفوشيوسية، وتحولت كنائسهم الى معاقل لنشر النفوذ السياسي والثقافي والاجتماعي فتملكوا مساحات واسعة من الأراضي التي انتزعوها من الصينيين بالأساليب

---

[1] يرمز التنين في المعتقدات الصينية القديمة الى أمور متعددة أهمها أله الماء الذي يتحمل مسؤولية إدارة المياه وترويضها وهو موجود برأيهم في البحيرة والبحر والنهر والبئر وفي كل مكان فيه ماء ، وعندما يتعرض الناس للقحط يطلبون من التنين ان يمنحهم الأمطار وعندما يتعرضون للفيضان يطلبون منه وقف الأمطار والسيول. وهم يتبركون في موسم الزراعة والحصاد بترقيص التنين ويقدمون له القرابين. للمزيد عن ذلك ينظر: بانغ جين، التنين في عام التنين، مجلة الصين اليوم، العدد الأول، كانون الثاني ٢٠٠٠، ص٢٧-٢٨.

(2) Li Chien–Nung, OP.Cit., PP.164-167; Cheseaux , Op. Cit. , PP.49-50.

(3) Chesneaux and Others, Op. Cit . , PP.324-325.

[4] مجلة الموسوعات، العدد (٢٣)، السنة الثانية، ايلول ١٩٠٠، ص٧١٠.

الملتوية. حتى أصبح رجال الدين المسيحيون من كبار الملاك والتجار يمارسون إقراض الفلاحين بالربا ، فضلاً عن ذلك أنهم أستقطبوا الكثير من الصينيين الذين صاروا يتمتعون بحمايتهم مما أدى الى ظهور صراعات بين الصينيين المتنصرين وغيرهم . وتدخلت الإرساليات التبشيرية في القضاء الصيني وقدمت الحماية للهاربين من العدالة من الصينيين المتنصرين أو الذين تظاهروا بذلك وازدادت الكراهية لهذه البعثات بازدياد نفوذها . ولاسيما بعد صدور مرسوم إمبراطوري، بضغط من فرنسا في ١٥ آذار عام ١٨٩٩، خُول فيه رجال الدين الكاثوليك امتيازات وسلطات واسعة تساوى فيه القساوسة بنواب الإمبراطور والحكام في المقاطعات[١]. وارتبط ذلك كله بتدني مكانة الأسرة الحاكمة نتيجة الهزائم المتكررة التي منيت بها أمام الدول الأجنبية، ومنحها الامتيازات الواسعة التي زادت من حجم النفوذ الأجنبي في الصين، وتعسفها في إخماد حركات المعارضة التي راح ضحيتها أكثر من عشرين مليون مواطن، كل ذلك زاد من غضب الشعب منها ومن التدخل الأجنبي، الذي بلغ ذروته في قيام ثورة البوكسرز ١٨٩٨-١٩٠٠[٢].

قادت هذه الثورة جمعية سرية عرفت بـ "جمعية الأستقامة والتآلف" (يى خه توان) التي كانت تعرف بالأساس باسم "جمعية القبضات المستقيمة المتآلفه" (يى خه تشوان) نظراً لما عرف عن منتسبيها مهاراتهم في الملاكمة والقتال بالهراوات . وأطلق الغربيون عليهم تبعاً لذلك أسم البوكسرز (Boxers) أي الملاكمين . ويغلب على هؤلاء التصوف والتشبث بالرقى والتعاويذ والأيمان بالقوى السحرية التي اتخذوا منها أساساً في محاربة الأجانب وأصبحت فيما بعد سبباً مهماً من أسباب فشلهم . زيادة على ما كان يعوزهم من فهم عام لعلاقة الصين بالقوى الغربية وعلاقات تلك القوى فيما بينها . وافتقارهم للسياسة الواضحة وعزلتهم عن حركات المعارضة الأخرى، وعدم تقديمهم منهاج اجتماعي واضح كالذي جاء به التايبنغ، كل ذلك جعلهم فريسة سهلة لخداع المانشو[٣]. وشكل الفلاحون القاعدة الاساسية لهذه الجمعية، فضلا عن الحرفيين وفقراء المدن وعمال الشحن البري والبحري والباعه المتجولين وعدد من رجال الدين وملاك

---

[١] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٥٤-١٥٥؛

(2) Chesneaux, Op. Cit. , PP.44-45.

[٣] حركة يي خة توان ، ص ١٨-١٩؛ أبشتاين، المصدر السابق، ص٥٤؛ محمد القوزي و حسان حلاق، المصدر السابق، ص٩٥؛ فوزي درويش، الشرق الإقصى، ص١٠٤-١٠٥؛
George Nye Steiger, China and the Occident. The Origin and Development of the Boxer Movement, Russell and Russell, (New York, 1966), PP.128-129.

الأراضي ممن سلبت أراضيهم فضلا عن عدد من العناصر المنبوذة[١]، والموظفين الناقمين على التدخل الأجنبي الذين آثروا الأنخراط في صفوف هذه الجمعية[٢] . والمعروف أنها لم تنشأ لنفسها جهازاً قيادياً مركزياً موحداً بل كانت عبارة عن وحدات تعرف الواحدة منها باسم (تان) اي "الخلية"، وتتكون من الشبان والفتيان وعدد غير قليل من النساء والفتيات[٣] . وعلى غرار التايبنغ جرى تنظيم النساء التي كانت أعمارهن بين (١٢-١٨) عاما في تنظيم خاص عرف باسم "الفانوس الأحمر" (هونغ دنغ تشاو) والأرامل في تنظيم "الفانوس الأخضر" (لان ونغ تشاو) ، وكان الفانوس الاحمر هو اوسع هذه التنظيمات ويخضع لقائدة تدعى "الأم المقدسة للوتس الأصفر" بلغ عمرها (٢٠) عاماً وكانت تدعي أنها تملك طاقات سحرية وأنها تنتسب لأسرة المينج[٤]. أما الشباب الذين تراوحت أعمارهم بين (١٢-١٨) عاما فكان يتم تنظيمهم في أكواخ مهجورة وفي سرية تامة وجرى تقسيمهم الى مجموعتين تتميز كل واحدة منها عن الأخرى بألوان ملابسهم وقبعاتهم وأحزمتهم وراياتهم، الأولى صفراء والثانية حمراء . وهؤلاء يقسمون بدورهم على وحدات أصغر يرأسها قائد يدعى "المعلم الكبير" أو "المعلم الأب" وكان عدد الوحدة بين (٢٥-١٠٠) شاب، أمتازوا بشدة تنظيمهم وطاعاتهم للأوامر، وفي أثناء المعارك يشكل كل عشرة مقاتلين في المعركة حضيرة يقودها رئيس حضرة (تشي تشانغ) وكل عشرة حضائر تشكل فيلقاً (دادوى) يقودها رئيس فيلق (باي تشانغ)[٥].

---

(1) Tikhvinski, OP. Cit., P.401; Jerom Ch'en (e.d) , Studies in the Social History of China and South-East Asia, (Cambridge, 1971), PP.67-70..

(2) M. Pichon, Ministre De France A Pekin, Delcasse, Minster Des Affaires Etrangeres, T.N.123, Pekin, 4 Avril 1901, (D.D.F.), 2 Serie (1901-1911), Tom. First (Janvier-December 1901), P.214.

(٣) حركة يى خه توان ، ص١٨-١٩.

(٤) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٥٦-١٥٧؛

Weiss. From Confucian Obedience to Propping up Half the Sky, P. 32.

(٥) حركة يى خه توان، ص١٩.

والملاحظ أنه تحت وطأة تلك الظروف اندفع البوكسرز للقيام بحركة معارضة استهدفت القضاء على أسرة المانشو والتدخل الأجنبي، وأصبحت المفوضيات والكنائس والمبشرون[١] الذين قد تعرضوا من قبل لهجمات الصينيين ، هدفاً لهم، وتزامن ذلك مع السعي الحثيث لتلك الدول لتقسيم الصين[٢] . وقد وصفها الغربيون بأنها حركة معادية للمسيحية بدلاً من كونها حركة معادية للتدخل الأجنبي برمته، ليدرأوا عن انفسهم الجرائم والانتهاكات التي ارتكبوها في سلب الأراضي والتمادي في الحصول على الامتيازات[٣] . وشهدت مقاطعتا شاندونغ وتشيلي حركات معارضة للأجانب على نطاق واسع، صار فيها المبشرون . والصينيون المتنصرون والمانشو، هدفا لهجمات البوكسرز الذين رفعوا شعارات كانت بين القضاء على الأجانب وطرد المبشرين، ومعاقبة (الخونة) أي الصينيين المتنصرين، والقضاء على المانشو وإعادة حكم المينج[٤].

وفي تشرين الأول عام ١٨٩٨ هاجمت ١٨ مجموعة منهم المنطقة الواقعة على الحدود مع مقاطعة تشيلي وقاموا بتحطيم السكك الحديد التي شرعت المانيا في بنائها في شاندونغ ودُمرت الكنائس وقتل عدد من الجنود الألمان وتطورت الحركة في السنة التالية الى حركة اغتيالات واسعة في صفوف الأجانب وحرق الكنائس[٥] . ففي زيتشوان وحدها جرى تدمير (٢٠) كنيسة و(٤٠٠٠) منزل والحقت الأضرار بـ (٢٠٠٠) صيني مُتنصر[٦] . وحظيت هذه الثورة بإسناد

---

(١) ادى المبشرون في ذلك الحين أدواراً مفيدة في التجسس لحكوماتهم، إذ كان بإمكانهم ممارسة نشاطهم في كافة انحاء الصين تبعاً لما أقرته المعاهدات، وليس فقط في مناطق الموانئ. ينظر: أبشتاين، المصدر السابق، ص٥٣.

(2) M. Pichon, Ministre De France A Pekin, Delcasse, Minster Des Affaires Etrangeres,T.N.123, Pekin, 4 Avril 1901, (D.D.F.), Tom First , 2 Serie, P.214; ألن. أس. وايتنغ، التأكيد على القومية في السياسة الخارجية للصين، مركز البحوث والمعلومات (د.ت)، ص٢٢.

(3) Chester Ronning, Amemoir of China in Revolution from the Boxer Rebelion to the People's Republic, A Division of Random House, (New York, 1974), P.3; A Guangming Daily Report, The Reassessment of the Boxer Movement Goenon, Eastern Horizon, Vol.XIX, No.7, 1980,P.18.

(4) Tikhvinski, OP. Cit., P.402.

(٥) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(6) Tikhvinski, OP. Cit., P.396.

مسلمي الصين[١] في زتشوان وهوبي، إذ شهد العام نفسه قيام المسلمين في هوبي بتدمير مقر القنصلية اليابانية ومنازل موظفي القنصلية والتجار البريطانيين وطردوا المبشرين[٢] . و يزاد على ذلك أن المسلمين عمدوا الى شراء اطفال الصينيين المُتنصرين الذين انتشرت المجاعات بين صفوفهم وأودت بحياة العديد منهم، وأدخلوهم في الدين الاسلامي[٣]. الأمر الذي أثبت شمولية هذه الحركة في معارضة التدخل الأجنبي بأشكاله كلها .

وقد جذبت شعارات البوكسرز وأعمالها المعادية للأجانب والمانشو ، الالاف من الفلاحين والحرفيين والفقراء في شانتونغ وتشيلي . ومن الناحية التنظيمية جرى تنظيم وحدات البوكسرز في مجموعتين ، أتخذت احداهما طريق القناة الكبرى باتجاه تينتسين، والاخرى مع خط كياوتشو هانكوالحديدي باتجاه بكين . وهو الامر الذي أثار مخاوف حكومة المانشو والقوى الغربية، فحثت الأخيرة حكومة المانشو على القضاء على نشاطات هذه الجمعية ، فوقعت في آيار عام ١٩٠٠ صدامات متعددة بين قوات الحكومة والبوكسرز . الذين تمكن عدد منهم من الدخول الى بكين خلسة ، وراحو ينشرون الملصقات المعادية للمانشو والأجانب ، مما شجع الألاف من الحرفيين وفقراء المدن داخل بكين وفي خارجها على الانضمام فأنشأت في بكين وحدها (٨٠٠) مركز للبوكسرز، وقامت بتظاهرات عدة معارضة للأجانب وشنوا حملة مقاطعة السلع المستوردة، وحذروا أصحاب المتاجر من المتاجرة بها . وأشعلت النيران بصيدلية لاودجى للأدوية الأجنبية، واستجابة لذلك نظمت حركة مماثلة في تينتسين . وفي الوقت الذي حظيت فيه هذه الثورة بإسناد الطبقات الفقيرة من المجتمع الصيني، فإنها لم تحظ بتأييد البرجوازية وملاك الأراضي[٤] . ويمكن إرجاع موقف البرجوازية هذا الى طبيعتها في التطلع الى التحديث والنهوض بالصناعات الحديثة

---

[١] ظهرت في تلك الاثناء محاولات من السلطان عبد العزيز لضم مسلمي الصين للخلاقة الاسلامية، مستغلاً الفوضى التي حلت في البلاد واستعداد الدول الغربية المتحالفة لغزوها، الا أن محاولته فشلت. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج٥، ص١٩.

(2) Tikhvinski, OP. Cit., P.396.

[٣] احمد منيسى، الاقليات الدينية في الصين إعادة البحث عن الهوية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٢)، نيسان ١٩٩٨، ص١٠٣.

[٤] حركة يى خه توان، ص٢٦-٣١؛ Fei Chi-Hao, Op. Cit., PP.6-12.

خلافاً للبوكسرز الذين عارضوا تلك الصناعات التي أدت الى تراجع الصناعات الحرفية، فضلاً عن تثقف جزء كبير من البرجوازيين بالثقافة الغربية، ومن ثمّ تباينه في أسلوب أستجابتة للتحديات الداخلية والخارجية مع البوكسرز، وأما ملاك الأراضي الذين ما زالت أيام التايبنغ ماثلة امام أعينهم فلا شك أنهم يعارضون أي حركة معارضة فلاحية .

أما حكومة المانشو فإنها حاولت في أول الأمر التقليل من شأن هذه الثورة وأتهمتها بالكفر وعدّتها حركة إرهاب ولصوصية . وبتأثير البعثات الدبلوماسية، أصدرت في السادس من كانون الأول عام ١٨٩٩ أمراً بنقل حاكم شانتونغ يوهسين، المعروف بتعاطفه مع البوكسرز، الى حاكمية شانسي، وإحلال يوان شي كاي الذي كان يحظى بثقة الأجانب محله، فقام هذا بحملة واسعة ضد البوكسرز في شانتونغ مما أدى الى تحجيم وجودها في شانتونغ ونقل مركزها الى تشيلي ، التي انتشرت منها الى باقي المقاطعات . فشهد الرابع عشر من آذار عام ١٩٠٠ مقتل عدد من المبشرين في شانسي ، ثم امتداد الحركة الى هوبي وجنوبي منشوريا ومنغوليا الداخلية وبين نهاية آذار وبداية حزيران صارت كل المناطق الواقعة بين باود ونغ وتينتسين الميناء الرئيس لبكين تحت سيطرة البوكسرز وتم قطع خطوط السكك الحديد والتغراف المؤدية الى العاصمة، التي أصبحت في عزلة تامة واضطر الأجانب الى اللجوء اليها هرباً من تلك المناطق، وبعد أن وحد الثوار صفوفهم توجهوا من تينتسين الى بكين[1]. ومن الملاحظ أن البوكسرز تمكنوا من تحقيق توسع سريع في المناطق الشمالية من البلاد، وأرتكز ذلك التوسع على جانب مهم هو الاهتمام بالنشاط الدعائي، من خلال الملصقات التي روجوا بها لأهدافهم في القضاء على الأجانب وطرد المبشرين وإعادة حكم المينج ، وقد أكثروا من نشرها في مختلف المناطق قبل إجتياحهم لها وبعده وهو ما أكسبهم تأييد الرأي العام، وجذب اليهم الأنصار، فضلاً عما كانوا يقومون به من نشاطات معادية للأجانب.

وبعد أن أصبحت رايات البوكسرز ترفرف على جانبي سور الصين العظيم، ألم تحاول حكومة المانشو اللجوء الى التحالف مع الدول الغربية للقضاء على هذه الثورة، كما فعلت مع ثورة التايبنغ، وما طبيعة الموقف الذي اتخذته تلك الدول للحفاظ على مصالحها ؟ بإزاء ذلك التطور السريع الذي حققه البوكسرز، الذي هدد حكومة المانشو بالأنهيار الكامل . واستمرار انضمام أعداد كبيرة من الأنصار للبوكسرز . ورفض الدول الغربية الأعتراف بولي العهد الجديد ، وخشية

---

[1] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٥٧-١٥٨.

الإمبراطورة الأرملة من اعادتهم الإمبراطور وأتباعه الإصلاحيين للسلطة ، زيادة على تصاعد رغبة تلك الدول التي كانت تعسكر قواتها على مداخل بكين بأقتسام الصين لم تحاول حكومة المانشو التحالف معها بل قررت الإمبراطورة وجناحها من المحافظين ، الإفادة من الاستياء الشعبي للتخلص من التدخل الأجنبي ، وذلك بعد أن استدعت في ١٥ حزيران عام ١٩٠٠ أكفأ قادتها يوان شي كاي حاكم شاندونغ ، واشد مناصريها لي هونغ تشانغ نائب الإمبراطور في كوانغتونغ وكوانجسي ، بالقدوم الى بكين ، وطلبت من حكام المقاطعات ارسال الامدادت المادية والعسكرية الى بكين في أسرع وقت [1] . ولاسيما أن ذلك تزامن مع قيام اتفاق بين ست دول، هي فرنسا، الولايات المتحدة، ألمانيا، اليابان[2]، أيطاليا، والنمسا – المجر ، بعد مقتل القنصل الالماني في ١٩حزيران فأتفقت هذه الدول على انقاذ جالياتها في الصين فشكلوا قوة دولية كانت تقودها المانيا انتقاما لقنصلها [3] . وأضافوا الى ذلك إسبابا أخرى منها:

أ - إذا لم يتم القضاء على هذه الثورة بأسرع وقت فإنهم قد يخسرون كل الامتيازات التي حصلوا عليها من حكومة المانشو وتنتهي طموحاتهم في التوسع في مناطق الصين الداخلية .

ب -الخشية من ان نجاح هذه الثورة قد يؤدي الى حدوث صدى كبير في مستعمراتهم وتهتز أسس حكمهم الاستعماري فيها وقد عبّر عن ذلك السياسي الأمريكي هنري آدمز في رسالته الموجهة الى وزير الخارجية الأمريكي جون هاي بقوله "أن نهوض الصين قد يؤثر في فارس وآسيا الوسطى، وتبدأ ثورة عامة للمسلمين العرب".

---

(1) Stephen R. Mackinnon, Power and Politics in Late Imperial China. Yuan Shi-Kai in Beijing and Tianjin 1901-1908, P.23;

حركة يي خه توان، ص٥٠-٥٢ ؛ صباح محمود محمد، الشؤون الصينية،ج١، معهد الدراسات الآسيوية والافريقية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤، ص٤٣-٤٤

Jerom Ch'en, Studies on the Social History ..., PP.71-72.

(٢) نظراً لانشغال بريطانيا بحرب البوير (١٨٩٩-١٩٠٠) في جنوب افريقيا وعدم تمكنها من ارسال قوات كافية الى الصين، اقترحت ان تؤدي اليابان الدور الرئيس في قمع ثورة البوكسرز، مستهدفة من وراء ذلك استخدام الجيش الياباني لمقاومة مخططات روسيا داخل بكين، وقد رحب اليابانيون بذلك. ينظر:حركة يي خه توان، ص٤٦.

(3) Rene-Albreet Carrie,Op.Cit.,P.230.

جـ-وجدت هذه الدول في هذه الحرب فرصة لتشديد قبضتها على أسرة المانشو وإجبارها على منح امتيازات جديدة[١].

وفي ظل ذلك اصبحت حكومة المانشو أمام خيارين ، اما التحالف مع تلك الدول للقضاء على البوكسرز أو التحالف مع البوكسرز الذين دخلوا بكين منذ ١٣ حزيران ولم يعد بالأمكان القضاء عليهم ، ومواجهة قوات الدول الثمان المتحالفة . ويبدوا أن الإمبراطورة الأرملة وبتشجيع من مستشاريها آثرت الخيار الأخير، وذلك لاتخاذ البوكسرز وسيلة لمواجهة تحالف الدول الغربية، ومن ثم الشروع بتصفية البوكسرز أنفسهم . وعلى اساس ذلك إتجهت لإتباع سياسة الاسترضاء مع البوكسرز[٢]، فاستدعت قادتهم وأعلنت أنها تؤيد أهدافهم في القضاء على التدخل الأجنبي واعترفت بشرعية أعمالهم وجمعيتهم، وسمحت بوجودهم على نحو رسمي في بكين والعمل مع قوات الحكومة في مواجهة النفوذ الأجنبي . وتبعاً لذلك غيروا شعارهم من القضاء على المانشو وطرد الاجانب الى (لنحمي المانشو ونقتل الأجانب) . ومع ذلك، حاولت الإمبراطورة على الرغم من عدائها للأجانب الحيلولة دون تدهور الموقف ، إذ وعدت حكوماتهم بتوفير الحماية لهم ، إلا أن مطالبة الدول الثماني المتحالف السلطات الصينية بتسليم حصن تاكو ورفض الأخيرة لذلك، قاد الى مهاجمة تلك القوا ت حصن تاكو وأخذه بالقوة[٣] . ومما زاد الوضع توتراً قيام أحد الجنود الصينيين بقتل الوزير المفوض الألماني كليمنزفون كيتلير في أثناء توجهه الى التسونغ لي يامين للتباحث بشأن الموقف، مما وضع حكومة المالنشو أمام تحد مباشر مع قوات التحالف، ولم يبق أمامها سوى الخيار العسكري، ولاسيما بعد أن أبلغها مستشاروها برغبة تلك الدول بالتعاون مع الإمبراطور واستعادة سلطته، فأعلنت الحرب عليها ٢١ حزيران[٤]. وقد كابدت الصين في هذه الحرب خسائر كبيرة نتيجة غزو الحلفاء لبكين في ١٤ آب وهروب الامبراطورة وحاشيتها الى شيان ، مركز مقاطعة شانسي شمال غرب الصين ، تاركة البوكسرز في ذلك المعترك فغيروا شعارهم الى (فلتسقط حكومة المانشو والموت للأجانب ولتحيا الصين) . وخولت لي هونغ تشانغ التفاوض مع الحلفاء ودعته الى تجريد البوكسرز من السلاح

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٣-٤٤.

(2) The Boxer Uprising, In: Ssu-Yu Teng, Op. .Cit . , PP.187-188; A Guangming Daily Report, Op. Cit, P.17.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٥٩-١٦٠.

(٤) حركة يي خه توران، ص٥٤-٥٥.

ومعاقبتهم[1] . والأمر الذي زاد في تردي وضع البوكسرز هو عزلتهم عن الأقاليم الجنوبية والشرقية، التي لم تشهد سوى ردود فعل قليلة من الشعب تمكن حكام الأقاليم من إخمادها . ويرد ذلك الى تمكن بريطانيا من تحقيق الاتفاق شفاهاً مع تشانغ تشي تونغ نائب الإمبراطور في هونان وهوبي وليوكون يى نائب الإمبراطور في مقاطعات كيانغسو، وأنهوي، وكيانغسي فيما عرف باتفاق (الضمان المشترك لحماية جنوبي الصين وشرقها) الذي نص على تعهد نواب الإمبراطور بإصدار الأوامر المتشددة والملزمة للموظفين جميعهم ، و التي قضت بمنع أي ترويج للبوسكرز أو أي شكل من أشكال التعرض للأجانب، وأن تُعهد حماية مناطق الامتيازات في شنغهاي الى السلطات الاجنبية، وأُلقيت مسؤولية المحافظة على النظام في حوض اليانغتسي على عاتق نائبي الإمبراطور[2] . ويعد ذلك دليلاً على ضعف سلطة الحكومة على تلك الأقاليم والمقاطعات وبروز قوة حكامها الذين ارتبطت مصالحهم في إقامة مشاريع التصنيع الحديثة، بالمحافظة على الهدوء في أقاليمهم والحيلولة دون امتداد تأثير البوكسرز اليها . ولاسيما أن البوكسرز عرفوا بمعارضتهم لتلك المشاريع التي عمدوا الى تخريب أغلبها في المناطق الشمالية . والواقع أن هذا يعد من أبرز نقاط ضعفهم إذ حال دون حصولهم على تأييد البرجوازيين الذين عانوا من منافسة البضائع الأجنبية . زيادة على سوء تقديرهم لقوة الأجانب وظنهم أن ما يعتمدون عليه من رقى وتعاويذ وقوى سحرية كفيل بتحقيق النصر عليهم . ولكون أغلبهم فلاحين ليس لديهم خبرة عسكرية أضعف جانبهم . ناهيك عن أن توحد صفوف الدول الأجنبية، على الرغم من وجود بعض التناقض في مصالحها جعل منها قوة كبرى كان يصعب التغلب عليها.

والمعروف أن الدول المنتصرة هي التي تفرض شروطها على الدول المنهزمة . وبناءً على ذلك وقع برتوكول البوكسرز في السابع من أيلول عام ١٩٠١ من قبل لي هونغ تشانغ ، والأمير شينغ أحد أمراء المانشو والمسؤول عن التسونغ لي يامين منذ عام ١٨٨٤، عن الحكومة الصينية مع اثنتا عشرة دولة . ومن أهم مانص عليه البروتوكول : أن تدفع الصين غرامة قدرها (٤٥٠) مليون تايل (أي ما يعادل ٣٣٠ مليون دولار)[3]، على مدى (٤٠) عاماً بفائدة قدرها

(1) المصدر نفسه، ص١٧٩-١٨٠؛ Tikhvinski, OP. Cit., P. 417.

(2) Bays, China Enter the Tmentieth Century, PP.72-74.

(3) (٢٩) بالمئة لروسيا، (٢٠) بالمئة لالمانيا، (١٦) بالمئة لفرنسا، (١١) بالمئة لبريطانيا، (٨,٥) بالمئة لليابان، (٧,٥) بالمئة للولايات المتحدة، وتتقاسم بقية المبلغ كل من ايطاليا وبلجيكا والنمسا – المجر والاراضي المنخفضة واسبانيا والبرتغال والسويد والنرويج بنسب متفاوتة . نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٦٤.

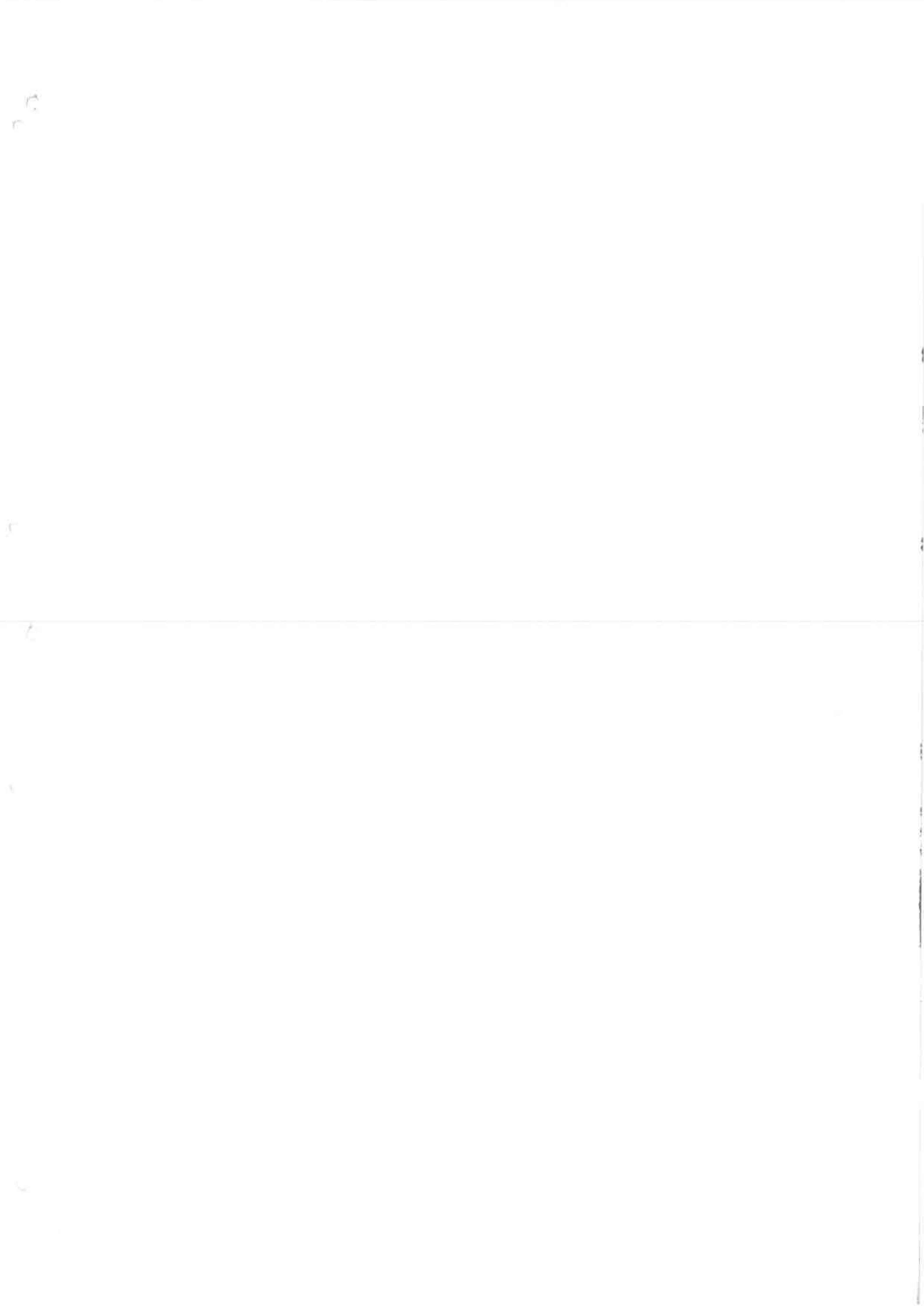
(٥) بالمئة ليصبح بذلك المجموع الكلي مليار ليانغ قابل للدفع بالذهب ، وأن تكون مضمونة بالعوائد الكمركية البحرية والكمارك الداخلية وضريبة الملح . وهدم حصن تاكو الذي يشكل منفذاً مهماً من منافذ العاصمة بكين . وضرورة اجراء تعديلات على اتفاقيات التجارة والملاحة وتقديم المزيد من التسهيلات فيها . وبمزيد من الإذلال والامتهان فرض على حكومة المانشو إرسال اثنين من أمرائها الى ألمانيا واليابان لتقديم اعتذار رسمي عن مقتل مندوبيهما (كتلر و سوغياما) في أثناء الثورة . والسماح للمفوضين الأجانب بتوسيع وتعزيز حي الأجانب في بكين بالقوات العسكرية ، وهو ما كلف السكان (١٤٠٠) منزل جرى هدمها وتشريد سكانها ، ومنعت القوات الصينية من الدخول الى ذلك الحي . وأقرت حكومة المانشو معاقبة الموظفين المتعاونين مع البوكسرز وعددهم ٩٦ موظفاً عقوبة كانت بين النفي مدى الحياة والإعدام . وتعطيل امتحانات الخدمة العامة في (٤٥) منطقة من المناطق التي عومل فيها الأجانب معاملة سيئة، من خمسة أعوام . وتحويل التسونغ لي يامين الى وزاره الخارجية . وفرض حظر أستيراد الأسلحة الى الصين مدة عامين . وأن تجري معاملة الممثلين الأجانب في البلاط الصيني على قدم المساواة وهو مايعني تخلي الصين عن التمسك بمراسيم الكوتو[١].

أكد هذا البروتوكول الوضع شبه الاستعماري للصين كما حط من سيادة الحكومة على أراضيها طالما أصبح هناك إقرار رسمي بوجود القوات العسكرية لحماية حي الأجانب . وقوضت تلك الغرامة الباهظة والتعديلات في الأتفاقيات التجارية والملاحية من امكانية النهوض بالاقتصاد الصيني . ووضع هدم حصن تاكو العاصمة بكين على مقربة من الأساطيل الأجنبية بعد إزالة ذلك الحصن الذي كان بمثابة عقبة في طريقها . فضلاًعن ذلك حقق البروتوكول إذلالاً للصين بأجبارحكومتها على تقديم اعتذار رسمي الى ألمانيا . وأخيراً شكل هذا البروتوكول هزيمة منكرة لسياسة التيار المحافظ المتطرف بزعامة الإمبراطورة، والذي وقف ضد سياسة الإصلاح ودعا لأكثر من مرة للخيار العسكري دون أن يحسب الأمر جيداً، ودفعه بعد ذلك لإعادة لنظر في سياسة

---

(1) TheBoxer Protocol ,In: Dun J. Li , Op. Cit. ,PP.288-291; Hurst, Op.Cit.,Vol.2,Doc. No.122,PP.716-723; Laffaire De La Perquisition De Lambassed A Pekin , Per Les autorites , Revue General Droit International Public, Troisieme Serie Tom XXXV,1928 ,P187.

الإصلاح . وفي ظل تلك الظروف تشجع التياران الإصلاحي والجمهوري على المضي في تحقيـق اهدافهما كل بحسب اتجاهه.



الفصل الرابع

التقدم نحو الحكم الجمهوري ١٨٩٥-١٩١١

أولاً- ظهور قيادة صن يات صن للتيار الجمهوري ١٨٩٥-١٩٠٠

ثانياً- الاصلاحات الحكومية العامة ١٩٠١-١٩٠٦

١- الاصلاحات العسكرية

٢- اصلاح التعليم

٣- الاصلاحات الاقتصادية و الاجتماعية والادارية

ثالثاً- نشاط حركة المعارضة ١٩٠١-١٩٠٦

١- نشاط التيارالجمهوري

٢- نشاط التيار الاصلاحي(الملكي الدستوري)

رابعاً- الاصلاح الدستوري ١٩٠٦-١٩١١

خامساً- سقوط النظام الامبراطوري وإعلان الحكم الجمهوري

١- قيادة جمعية التحالف المشترك للتيار الجمهوري

٢- مقدمات ثورة١٩١١

٣- ثورة ووتشانغ

٤- الاطاحة بحكومة المانشو

أولا: ظهور قيادة صن يات صن للتيار الجمهوري ١٨٩٥-١٩٠٠

تباينت استجابة المثقفين الصينيين للتحديات التي تعرضت لها الصين في تلك المرحلة من تأريخها . ففي الوقت الذي وجد فيه الاصلاحيون، الذين بقيت تؤثر فيهم الثقافة الكونفوشيوسية، ولم يغيروا ولاءهم لأسرة المانشو، أن إقالة البلاد من عثارها يكمن في تبني الحكومة سلسلة إصلاحات تحولها الى ملكية دستورية حديثة على غرار ما فعلته اليابان[1] . وجد المثقفون الصينيون، الذين تلقوا تعليمهم في مدارس الارساليات التبشيرية وفي هونغ كونغ، وتأثروا بالثقافة والنظريات السياسية الغربية، ولم يخضعوا في تعليمهم للثقافة الكونفوشيوسية، أن إنقاذ الصين يكمن بالإطاحة بحكومة المانشو وإقامة حكومة جمهورية، وتزعم هذا الاتجاه الدكتور صن يات صن[2]، الذي أكد ذلك بقوله:

"منذ عام ١٨٨٥ فرضت على نفسي واجب الإطاحة بحكومة المانشو، وإقامة جمهورية صينية على أنقاضها"[3]. والواقع أن الجمهوريين حمّلوا حكومة المانشو مسؤولية كل الهزائم التي منيت بها الصين منذ منتصف القرن التاسع عشر . وربطوا ذلك بإخفاق سياسة التعزيز الذاتي والإصلاح في وضع حد للإنتهاكات الأجنبية والحفاظ على سلامة أراضي البلاد. وربطوا ذلك كله بسيطرتها غير المشروعة على زمام السلطة ، ورفضها القيام بالإصلاح. فوضعوا نصب اعينهم هدف الإطاحة بها وإقامة الحكم الجمهوري.

وعلى أساس ما تقدم، ولرفض لي هونغ ــ تشانغ تبني مطالب الإصلاح التي قدمها صن يات صن[4] . بدأ صن يات صن منذ تشرين الثاني ١٨٩٤ بالترويج لفكرة الجمهورية بين

(1) Earll H.Pritchard, Political Ferment in China 1911-1951, The Annals of the American Academy of Political and Social Science, Report on China, (Philadelphia, 1951), PP.2-3; Rhoads, Op. Cit., P.39.

(2) Rhoads, Op. Cit., P.39; Stephen Hugh-Jones, The Giants of Asia. India, Pakistan. China, Japan, Georg Allen and Unwin LTD., (London, 1967), PP.36-37;
محمد مصطفى صفوت، المصدر السابق ، ص١٦٢-١٦٣، مجلة الهلال، السنة (٢٤)، المجلد (٢٤) ، ١٩١٥-١٩١٦، ص٣٥٧.

(3) Quoted in Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li,Op. Cit., P.297.

(4) Chu-Yuan Cheng , Sun Yat-Sen's Doctrine in the Modern World, West View Press, (United States of America , 1989) , P.7.

صفوف الصينيين المغتربيين في هونولولو عاصمة هاواي[١] وهونغ كونغ[٢] . وأسنده في ذلك عدد من زملائه في كلية الطب، الذين تأثروا بأفكاره بعد أن خاض معهم نقاشات سياسية طويلة . وتمكن من الحصول على تأييد جمعية مهاجري هونولولو، التي شكلها المهاجرون الصينيون في هاواي ورؤساء الجمعيات السرية في الصين وعدد من التجار الاغنياء والموظفين العاملين-في الشركات الاجنبية والمحلية والبائعين البسطاء[٣]. وفي إجتماع عُقد في تشرين الثاني من العام نفسه في هونولولو أعلن صن يات صن تشكيل "جمعية نهضة الصين" (هسينغ تشنغ هوى) . وحدد المنهاج الذي وضعه بنفسه أهداف الجمعية في القضاء على حكومة المانشو وتشكيل حكومة جمهورية وإحياء الصين من خلال دراسة ثروات البلاد وتطويرها ، وتدمير كل ما هو ضار بما فيه المؤسسات الحكومية، والقضاء على النظام الإقطاعي، والدفاع عن سيادة البلاد واستقلالها السياسي والاقتصادي، واكتساب العلوم والمعارف الغربية . وبلغ عدد أعضاء الجمعية في بداية تشكيلها (٢٠) عضواً ثم ارتفع الى (١٢٠) عضواً، معظمهم من الاطباء والمحامين والتجار ورؤساء الجمعيات السرية . وزيادة على ذلك سافر صن يات صن الى الولايات المتحدة للحصول على تأييد المهاجرين الصينيين فيها، إلا أن قيام الحرب مع اليابان وتصاعد مشاعر العداء ضد حكومة المانشو شجعه على العودة الى الصين في نهاية عام ١٨٩٤، لإعلان حركة المعارضة . وتمهيداً لذلك شكل في هونغ كونغ في ٢٧ كانون الثاني ١٨٩٥ فرعاً للجمعية

---

(١) منذ منتصف القرن التاسع عشر توافد الصينيون على جزر هاواي الواقعة في وسط المحيط الهادي، وشكلوا نحو (٢٥) بالمئة من سكانها، وعملوا بالزراعة والتجارة وحققوا ارباحاً كبيرة.

Tikhvinski, Op. Cit., P.376.

(٢) قسم تأليف سلسلة كتب تاريخ الصين الحديث، ثورة ١٩١١، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، ١٩٧٦، ص١٤ وسنشير له بـ ثورة١٩١١؛ عباس محمود العقاد، سن ياتسن ابو الصين، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت (د.ت)، ص٧٠؛

Chu-Yuan Cheng, Op. Cit., PP.17-18; Christopher Hibbert, The Dragon Wakes.China and the West 1793-1911, Long Man Grop Limited, (London, 1970), PP.316-362; Li Chien-Nung, Op. Cit., P.147; Tikhvinski, Op. Cit., P.375.

(3) Sun Yat Sen. My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit, , P.297; Harold Z. Schiffrin, Sun Yat-Sen and the Origins of the Chinese Revolution, Second Printing, (The Press of the University of California, 1968), PP.40-41; Chu-Yuan Cheng, Op. Cit., PP.18-19.

وجعله المقر الرئيس لها . وللتمويه على حكومة المانشو أطلق عليه اسم "الجمعية الزراعية" (تشيانهنغ) لمزاولة النشاط التجاري . وفتح فرعاً آخراً في كوانغتونغ عُرف باسم "العلم الزراعي"، لضم المؤيدين لها في داخل الصين[1]. وجرى تمويل هذه الجمعية من المساعدات المالية التي قدمها التجار وبعض الاعضاء المتنفذين . واستعداداً لإعلان الحركة تمت الاستعانة بالخبراء العسكريين الاجانب لتدريب ما تم تجنيده من الرجال المستعدين لمحاربة حكومة المانشو[2] . فضلاً عن ذلك تمكن هو – كيا، احدى الشخصيات القيادية في الجمعية ، من الحصول على مساعدة المستوطنين الاجانب في هونغ كونغ، في الترويج في صحفهم لأهداف الجمعية وبيان عدم عدائيتها للأجانب، وفي هذا السياق برزت صحيفتا (الصين اليومية) و (البريد) [3] . زيادة على ذلك أن انصار صن يات صن أفادوا من الهزائم المتتالية التي أُلحقت بقوات المانشو و أدت الى تناقص عددها الى ثلاثة أرباع العدد الكلي، وتصاعد سخط من بقي منهم بسبب التأخير المتكرر في دفع رواتبهم وحصتهم الغذائية[4].

وعلى الصعيد نفسه تم تحديد يوم ٢٦ تشرين الاول ١٨٩٥، موعداً لإنطلاق الحركة، وهو يوافق مع عيد (تشونغ – يانغ) الذي تجمع فيه آلاف المواطنين من مختلف انحاء البلاد في كوانغتونغ لزيارة مقابر الاسلاف وابداء مظاهر الولاء والاحترام لهم . وبذلك لم يثر ظهور عدد كبير من الناس في شوارع المدينة في مثل هذا اليوم الشك لدى السلطات، وجرى اقتسام مسؤولية قيادة الحركة بين صن يات صن في كانتون ويانغ تشو يون في هونغ كونغ[5]. وأقتضت خطة الحركة قيام يانغ بإرسال المقاتلين البالغ عددهم ثلاثة آلاف

---

(1) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit. , P.298; Schiffrin, Sun Yat Sen …, PP.42-46; Ian Thomson, The Rise of Modern China,Butler and Tanner Ltd., (London, 1957), P.60; Hibbert, Op. Cit.. P.363; Tikhvinski, Op. Cit., PP.377-379; ثورة ١٩١١، ص١٤-١٥

(٢) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص٧١؛

Tikhvinski, Op. Cit., P.378; Thomson, Op. Cit., P.60; Frank, Op. Cit., PP.56-57.

(3) Rhoads, Op. Cit., P.40; Chu-Yuan Cheng, Op. Cit., PP.18-19.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P.381 ; W.S.K. Waung, Revolution and Liberation Ashort History of Modern China 1900-1970, Heineman Eductional Books, (London, 1971), PP.44-45.

(5) Schiffrin, Sun Yat Sen …, P.61; Tikhvinski, Op. Cit., P.381; Franke, Op. Cit., P.57.

مقاتل عبر المراكب الليلية الى كانتون ليلة إعلان الحركة حتى تصلها صباحا وتتحد مع قوات صن يات صن وتقوم بمهاجمة الدوائر الحكومية[1] . ولكن في الواقع أن هذه القوات لم يصل منها سوى (٢٠٠) مقاتل، إذ بلغ يانغ تشو ـ يون صن يات صن، أن قواته لن تصل إلا بعد يومين ، مما دعا صن يات صن الى تأجيل إعلان الحركة، وأمر رجاله بالتفرق . وفي غضون ذلك أكتشفت السلطات أمر الحركة وألقت القبض على (٤٠) رجلا من رجال يانغ تشو ـ يون، وأجهضت الحركة في مهدها[2] . وترجع بعض الكتابات الصينية السبب في ذلك الى أن طمع يانغ تشو ـ يون بقيادة حركة المعارضة في هونغ كونغ دفعه الى تأجيل إرسال قواته الى كانتون في الموعد المحدد[3] . في حين يشير آخرون الى أن صن يات صن حسم مسألة النزاع على قيادة حركة المعارضة في هونغ كونغ قبل ذلك، بإعطائها ليانغ تشو ـ يون، بوصفه كان يقود أكبر عدد من الرجال ، وإن عدم إرسال يانغ قواته الى كانتون في الموعد المحدد يعود الى عدم إحضار قادة الجمعيات السرية رجالهم في الوقت المحدد[4] . وهذا الرأي هو أكثر إقناعاً ولاسيما ان تجنيد الرجال كان مسؤولية قادة الجمعيات السرية . إذ إن تحديد قيادة الثورة تقع ضمن المرحلة التمهيدية لإعلان الثورة وليس عند تنفيذها ، زيادة على ذلك يُعدّ عدم إرسال قادة الجمعيات السرية رجالهم في الوقت المحدد، سبباً وجيهاً لتأجيل إعلانها.

وعلى صعيد آخر، أدى إعلان السلطات المحلية الاحكام العرفية، وملاحقة قادة وعناصر الحركة، واعتقال (٧٠) شخصاً نُفذ حكم الإعدام بعددٍ منهم، الى حل "جمعية نهضة الصين" وهروب عدد كبير من أعضائها الى خارج البلاد . فهرب صن يات صن وعدد من اتباعه الى اليابان ، في حين لجأ آخرون الى هونغ كونغ ، أما يانغ تشو ـ يون فاتجه الى جنوب افريقيا وشكل خلايا صغيرة في جوهانسبورغ[5]. وعلى الرغم من إخفاق هذه الحركة قبل بدئها ، إلا أنها لم تكن نهاية مطاف قيادة جمعية إنهاض الصين لحركة المعارضة الجمهورية بل بداية عملية للمطالبة بإسقاط النظام الامبراطوري وإقامة الحكم الجمهوري ،

---

(1) Schiffrin. Sun Yat Sen and…, P.61; Rhoads, Op. Cit., PP.40-41.
(2) Rhoads, Op. Cit., P.41.
(٣) ثورة ١٩١١، ص١٦.
(4) Tikhvinski, Op. Cit., P.383.
(5)Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op.Cit., P.298; Rhoads, Op. Cit., P. 41.

خلافاً للحركات السابقة التي أراد بعضها إرجاع حكم أسرة المينج أو المجئ بأسرة جديدة كما فعل التايبنغ، مع الابقاء على نظام الحكم الملكي .

وتأكيداً لما ذُكر أعلاه سعى زعماء حركة المعارضة الجمهورية الى فتح فروع لجمعيتهم في اليابان وهاواي الآتي ولكن دون جدوى، فبعد فشل انتفاضة كوانغتونغ لم تلق الحركة الجمهورية قبولاً كبيراً لدى المهاجرين الصينيين[1]. ولعل السبب في ذلك يعود الى الخشية من العمليات القمعية التي مارستها الحكومة ضد أعضاء الجمعية، زيادة على تصاعد نشاط التيار الاصلاحي بزعامة كانغ يووي، الذي أخذ يستقطب كثيراً من الشباب والمثقفين كما ذكرنا ذلك سلفا .

ونتيجة لذلك فضل صن يات صن في حزيران عام ١٨٩٦ الذهاب الى الولايات المتحدة للترويج لأفكاره الجمهورية وجمع المساعدات المادية من المهاجرين الصينيين . وفي تشرين الثاني توجه الى اوربا وبقي فيها حتى آيار عام ١٨٩٧، حيث زار فرنسا وبريطانيا . وفي اثناء وجوده في لندن في تشرين الاول عام ١٨٩٦ ألقت السفارة الصينية القبض عليه، تمهيداً لإرساله الى الصين . إذ رصدت الحكومة الصينية مبلغاً قدره ربع مليون دولار ثمناً للقبض عليه . إلا أنه تمكن من تهريب رسالة الى أستاذه السابق في كلية الطب في هونغ كونغ جيمس كانتيل ، الذي تمكن من التأثير في الرأي العام في بريطانيا من خلال الصحافة ، وفي الحكومة البريطانية التي تدخلت في الامر، فتم إطلاق سراحه . وقد حقق له هذا الموقف شهرة في اوربا وتقبلاً كبيراً لدى الجمعيات المعارضة في داخل الصين و خارجها، ونجاحاً في ضم الكثير من المثقفين الى حركته، وجعل منه ضحية وبطلاً في وقت واحد . وزيادة على ذلك هيّأت له رحلته الى اوربا فرصة الاطلاع على انماط الفكر الغربي ودراسة الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فاطلع على تاريخ الحركة الدستورية في بريطانيا وتاريخ الثورة الفرنسية ، وتأثر بآراء العالم الاقتصادي هنري جورج (١٨٣٩-١٨٩٧) وجون ستيوارت مل وروسو ومونتسكيو. وتوصل الى رأي مفاده أن إنقاذ الصين لا يكمن في إبعاد المانشو فحسب، بل لابد من إيجاد حل لجميع مشاكل الصين السياسية والاقتصادية والاجتماعية[2].

---

(1) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit. , PP.298-300; Li Chien-Nung, Op. Cit., P.147.

(2) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit. , PP.301-302; Chu-Yan Cheng, Op. Cit., PP.18-19; Schiffrin, Sun Yat Sen …, PP.116-121; Thomson, Op. Cit., P.60

ومن الناحية التنظيمية واصل صن يات صن ، بعد عودته من اوربا في آواخر عام ١٨٩٧، الى جانب زميله شين شاوبو وهو ثاني شخصية قيادية في جمعية انهاض الصين بعد صن يات صن ، جهوده في فتح فرع للجمعية في يوكوهاما في اليابان ، ولاسيما بعد أن منعته السلطات البريطانية في هونغ كونغ من إعادة فتح فرعها الرئيس في هونغ كونغ . وبناء على ذلك انتقل نشاط الجمعية في المدة ١٨٩٨-١٩٠٠ الى اليابان التي كان يوجد فيها نحو عشرة آلاف صيني[١] . وقد شجعت اليابان هذه الجمعية من خلال انضمام وزير الخارجية الياباني اوكوما شيجينوبو نفسه اليها بغية اتخاذها ذريعة للتدخل في شؤون الصين الداخلية ، وزيادة على ذلك فُتح فرع آخر لها في تايوان الخاضعة لسلطة اليابان[٢]. ويبدو واضحاً مما سبق أن اليابان لم تُضع الفرصة للتدخل في شؤون الصين الداخلية، إذ انها دعمت كلا التيارين الجمهوري والاصلاحي في وقتٍ واحد، وأصبحت ملجأً لرموزهما على الرغم من تباين اتجاهيهما .

وعلى الصعيد نفسه، هيأ وجود رموز التيارين الجمهوري والاصلاحي في منفاهما في اليابان فرصة لتقاربهما تحت اشراف الحكومة اليابانية . وذلك من خلال اشتراكهما في تأسيس مدرسة في يوكوهاما لاطفال الصينيين المهاجرين . و سميت هذه المدرسة في اول الامر بالمدرسة الصينية ـ الافرنجية (زونغ ـ كي) ، ثم غير اسمها الى الوحدة الكبرى (داتونغ ـ كيباو) حسبما اقترحه الاصلاحيون، وأصبحت بنايتها مقراً لاغلب المناقشات السياسية التي دارت بينهما . إلا أن ذلك التقارب لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما غيّر الاصلاحيون موقفهم من الجمهوريين، بعدما حصلوا على درجات وظيفية في البلاط، فخشوا أن تؤثر علاقتهم بالجمهوريين في موقف البلاط منهم ، فبادروا الى ابعاد صن يات صن

---

(١) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص٧٢-٧٣؛

Marius B. Jansen, The Japaaese and Sun Yat Sen, Harvard University Press, 1954. P.385; Schiffrin, Sun Yat Sen …, PP.141-142.

(2) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit., PP.301-302; Chu-Yan Cheng, Op. Cit., P.302; Chesneaux and Others, Op.Cit.,P.363.

وبقية الجمهوريين عن تلك المدرسة[1]. إن هذا الموقف يعكس تماماً استمرار تباين اتجاهاتهما في إنقاذ الصين ، فبمجرد أن سنحت الفرصة أمام الاصلاحيين لتحقيق اهدافهم، قطعوا صلتهم بالجمهوريين، وضربوا التقارب معهم الذي كان في بدايته عرض الحائط ، وراحوا يجربون حظهم بالاصلاح .

ومن الجدير بالذكر أن نجاح الاصلاحيين في بداية الامر وقيام مئة يوم من الإصلاح ، لم تغير موقف صن يات صن وشين شاوباي وعدد من الجمهوريين ، من الوقوف ضد حكومة المانشو، على الرغم من انجراف عددٍ من اعضاء الجمعية وراء تيار الاصلاح واعلانهم تأييده[2]. وقد يُرد ذلك الى ايمانهم العميق بحتمية الوقوف ضد حكومة المانشو التي بقيت أجنبيةً بنظر الشعب ولا تمثل سوى اقلية في المجتمع ، فضلا عن تشبثها بأنظمة الحكم القديمة التي لم تعد تلائم روح العصر التي تحتم تغييرها . زيادة على إدراكهم مدى قوة الامبراطورة الارملة والطبقة البيروقراطية، التي وجدت في الاصلاح الدستوري ما يقوض سلطتها . والى جانب ذلك لعلهم ادركوا أنه لا يمكن إقامة نظام دستوري حرفي ظل حكم المانشو والطبقة البيروقراطية التي ستلجأ لمختلف السبل للبقاء في السلطة .

ومع ذلك ، فإن الجمهوريين بقيادة صن يات صن كانوا جادين في عدم اضاعة أي فرصة لإستقطاب الاصلاحيين ، الذين أصبحوا على قدم المساواة معهم، تضطَهدهم حكومة المانشو و تطاردهم ، ولاسيما بعد قضائها على الحركة في مهدها ، إذ اعتقد الجمهوريون أن ذلك سيدفع الإصلاحيين لحمل السلاح ضد المانشو . ولكن تجري الرياح بما لاتشتهي السفن، فقد أخفقت المحادثات الاولية التي أُجريت في تشرين الثاني عام ١٨٩٨ بين الطرفين ورفض كانغ يووي مقابلة صن يات صن . و لكن بتدخل من اليابانيين الذين اقتضت مصلحتهم إيجاد تكتل في صفوف المعارضة للضغط على حكومة المانشو، زيادة على الضغوط التي بدرت من عدد من عناصر التيار الاصلاحي ، حدث نوع من التقارب بين الطرفين قوضه شروع قسم من الاصلاحيين بتشكيل "جمعية حماية الامبراطور" ونبذهم العمل مع الجمهوريين . إلا أن ذلك لم يمنع القسم الاخر منهم ، الذي أيقن أن إنقاذ البلاد لا يكمن في الشروع بالاصلاحات فحسب ، بل في إسقاط حكم المانشو أيضاً . وفضلاً عن ذلك ظهر،

---

[1] ثورة عام ١٩١١، ص ص٤٣-٤٤؛ Jansen, Op. Cit., PP.78-79.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.386 ; Jansen, Op. Cit., PP. Op. Cit., P.386.

كما لاحظنا ، تغيير واضح في موقف ليانغ تشي تشاو الشخصية القيادية الثانية في التيار الاصلاحي، الذي قرر في خريف عام ١٨٩٩ إدماج التيار هذا بالتيار الجمهوري، غير أن الموقف السلبي لاستاذه كانغ يو وي الذي رفض التعاون مع صن يات صن، حال دون ذلك[1]. وهكذا وقعت العلاقة بين التيارين في حالة مدٍ وجزر، نتيجة لتمسك قسم منهما بمبادئ تيارِه وتذبذب القسم الاخر بين هذا وذاك . وهو الامر الذي جعل العلاقة بينهما غير مستقرة ورهينة الظروف المحيطة فمتى ما وجد الاصلاحيون الظروف مواتية لهم قطعوا صلتهم بالجمهوريين، ومتى ما وجدهم الاخرون في غير ذلك حاولوا إستقطابهم .

ومصداقاً لما تقدم حينما شكل الاصلاحيون عقب إضطهادهم من المانشو، "جمعية الاستقلال" في عام ١٩٠٠[2]، انضم اليها بعض الجمهوريين بغية التأثير في منهاجها، غير أن إصرار الاصلاحيين أن يتضمن منهاجها هدف إقامة حكومة دستورية وإستعادة سلطة الامبراطور كوانغ شيوى ، اضطر الجمهوريين للانسحاب منها[3].

وبناءً على ما ذُكر أعلاه ، ونتيجة لانضمام عدد كبير من البرجوازيين الصينيين في المهجر لجمعية حماية الامبراطور[4]، وللدعم الذي حصلوا عليه من اليابانيين ، زيادة على إضطراب الاوضاع السياسية نتيجة لقيام ثورة البوكسرز في المناطق الشمالية ، قرر الجمهوريون العمل بفعالية أكبر محاولين ترسيخ وجودهم في كوا نغتونغ . وذلك من خلال التحالف مع الجمعيات السرية فيها ، وإصدار صحيفة ناطقة بلسانهم في هونغ كونغ عرفت باسم "صحيفة الصين اليومية" (تشونغ غويباو) ، التي صدر العدد الاول منها في كانون الاول عام ١٨٩٩[5] وأكدوا فيه أهدافهم بالقضاء على حكم المانشو، وإقامة حكومة جمهورية دستورية، وطالبوا فيه بريطانيا بتقديم الدعم والإسناد لهم، في مقابل منحها الامتيازات السياسية والاقتصادية[6].

وفي سياق آخر جوبهت تحركات صن يات صن الاولية، في الاعداد لانتفاضة في كوانغتونغ، بتهديدات من السلطات المحلية والتجار في كوانغتونغ وكوانجسي، الذين خشوا

---

(1) ثورة ١٩١١، ص ص٤٤-٤٥؛ Tikhvinski, Op. Cit., PP.387-388.

(2) راجع الفصل الثالث. ردود فعل الإصلاح، ص٢٠٢-٢٠٣.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.389.

(4) Franke, Op. Cit., P.59.

(5) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit. ,P.303; Rhoads,Op. Cit., P.42; Tikhvinski, Op. Cit., P.392.

(6) Rhoads, Op. Cit., P.42.

في الوقت نفسه من إمتداد ثورة البوكسرز الى مناطقهم . فطلبوا من لي هونغ تشانغ الحاكم العام للإقليم عدم الاعتراف بشرعية الحرب مع الاجانب، وابرقوا الى صن يات صن حذروه وحمّلوه مسؤولية اي إضطراب يقع في مناطقهم . مما دعا صن يات صن الى التـأني فـي عمله حتى أتته الفرصة حينما غادر لي هونغ تشانغ الى شمال الصين بنـاءً علـى طلـب البلاط، فعاد من سنغافورة الى هونغ كونغ، وفي ١٧ تموز عام ١٩٠٠ اجتمع بسبعة مـن اعضاء الجمعية القدماء ابرزهم يانغ تشو ـ يون واثنين من الاعضاء الجُدد على متن احدى السفن قرب هونغ كونغ، لمناقشة خطة الانتفاضة [1] . وأعقب ذلك بالتوجه لطلب المساعدة من أصدقائه اليابانيين الذين أبدوا استعدادهم ابتداء لتجهيزه بالمـال والـسلاح والاتـصال بالجمعيات السرية في جنوب الصين . زيادة على ذلك اقترح الحاكم العام لفرموزة، أن تكون فرموزة مركزاً لانطلاق الانتفاضة ضد حكومة المانشو، وابدى استعداده لتزويـد مقاتليهـا بالمال والسلاح والمستشارين العسكريين اليابانيين ، إلا أن وصـول ايتوهيروبـومي الـى رئاسة الحكومة واتباعه سياسة مغايرة لسياسة سـلفه، حرمـت هـؤلاء المقـاتلين مـن المساعدات ومنعت حاكم فرموزة من التدخل في ذلك الشأن[2] . فضلاً عن ذلك فقـد واجـه صن يات صن صعوبة كبيرة في التحالف مع الجمعيات السرية في هونغ كونغ، نظراً لسعي الاصلاحيين الحثيث للتحالف معهم للقيام بحركة تسو لي هوي كما أوضحنا ذلك سلفا[3].

ومما ذكر سابقاً يتبين أن خطط صن يات صن في ذلك الحين كانت عرضة للتغيير على وفق الظروف القائمة ، ففي صيف عام ١٩٠٠ قدم (الاتحاد من أجل نهضة الصين) الـذي شكله الجمهوريون طلبا للحكومة اليابانية قضى بالتدخل العسكري لمساعدتهم فـي قلـب نظام الحكم، في مقابل منح اليابان وبريطانيا ، الامتيازات السياسية والاقتـصادية . وفـي الوقت نفسه فانهم أعدوا خطة لتوحيد الاقاليم التي كان من المزمع اعلان اسـتقلالها عـن حكم المانشو، وتكون تحت اشراف القوى الاجنبية ، كما اعدوا نـسخة مـن هـذا الطلـب ووجهوها الى الحاكم العام لهونغ كونغ في ٢٤ تموز عام ١٩٠٠. غير إن احـتلال قـوات التحالف لبكين ، ضمن مجريات الحرب ، والتوجه نحو توقيع البروتوكـول مـع حكومـة المانشو، أدى الى قطع المفاوضات بين الاتحاد من اجل نهضة الـصين وممثلـي اليابـان

(1) Ibid., P.73. Franke, Op. Cit., P.57.

(2) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit., P.303; Jansen, Op. Cit, PP.82-83; Chesneaux and Others, Op. Cit. , P.339; Franke, Op. Cit., P.6.

(3) Jerome Ch'en, Op. Cit., PP.27-28.

وبريطانيا[١] . ومن الواضح أن التيار الجمهوري بزعامة صن يات صن، عدّ أسرة المانشو أكثر عداءً للصين من التدخل الاجنبي، وقد يرجع ذلك لانبهارهم بالحضارة الغربية ، ورغبتهم باقتباس انظمتها وتطبيقها في الصين . زيادة على ذلك أنهم كانوا واقعيين في تصرفهم ومدركين لمقدار قوتهم بإزاء قوة المانشو وقوة التدخل الاجنبي فلم يقفزوا فوق الواقع ويعلنوا انتفاضتهم ضد المانشو والتدخل الاجنبي معاً، بل أرادوا الافادة من ظروف التدخل الاجنبي لخدمة أهدافهم في القضاء على حكم المانشو وإقامة النظام الجمهوري، في مقابل تقديم الامتيازات السياسية والاقتصادية لهم . وهم بذلك نقضوا مبدأ مهما من مبادئ جمعيتهم وهو تحقيق استقلال الصين السياسي والاقتصادي . ولعلهم أرادوا بذلك تثبيت أقدامهم أولاً ومن ثم الشروع بتنظيم علاقات الصين الخارجية على وفق ما يحقق استقلالها السياسي والاقتصادي.

ويبدو أن اخفاق (الاتحاد من اجل نهضة الصين) في إبرام إتفاق التدخل العسكري مع اليابان، فضلاً عن تأخر وصول الإمدادات العسكرية منها، ونفاذ صبر الجمهوريين في كوانغتونغ دفعهم لإعلان الانتفاضة قبل إكمال الاستعدادات وذلك في ٦ تشرين الاول عام ١٩٠٠ . وعلى الرغم من تحقيقهم انتصارات متعددة في أول الامر وانضمام كثير من المؤيدين اليهم حتى وصل عددهم إلى نحو عشرة آلاف مقاتل إلا أن نفاذ ما لديهم من أسلحة أدى الى تقهقرهم وإخماد انتفاضتهم التي استمرت إسبوعين، والقي القبض على شياه تشين ـ جو، وهو أحد الشخصيات المهمة في الاتحاد، وعلى الرغم من تدخل أحد المستشارين الامريكيين في السفارة الامريكية لإطلاق سراحه، بناءً على طلب احدى الارساليات التبشيرية، أعدمته حكومة المانشو في ٢٩ تشرين الاول من العام نفسه، في حين تمكن الآخرون من الهرب[٢] . ومرة أخرى رصدت الامبراطورة الارملة مبلغاً كبيرا لمن يلقي القبض على صن يات صن الذي رد عليها قائلاً "إن هذا هو مجرد فشلنا الثاني ... لقد سقطت الملكية ولم يبق سوى كنسها"[٣] . والواقع أن الاقبال الكبير في كوانغتونغ للالتحاق في صفوف هذه الانتفاضة يوحي بأن الجمهوريين لم يعودوا معزولين في ذلك

---

(1)Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit. , P.304; Tikhvinski, Op. Cit., P.394.

(2) Rhoads, Op. Cit., PP.44-46; Jerome Ch'en, Op. Cit., PP.27-28.

(٣) مقتبس في محمد عودة، المصدر السابق، ص٤٥.

الوسط وهذا ما أكده صن يات صن بقوله "بعد هزيمة عام ١٩٠٠ لم أسمع الناس البسطاء ولو لمرة واحدة يتكلمون عنا بسوء ، بل على العكس تماماً إن اغلبية الناس الواعين عبروا عن تعاطفهم معنا ، وشعروا بالأسف لعدم نجاح محاولتنا ، وهذا ما أوضح لنا بأن الوضع قد تغير كثيراً ، وهذا يفرحنا على نحو كبير ، لأن هذه هي العلامات الاولى للوعي التدريجي لشعبنا"(١) . ومثلما عبر ذلك الاقبال والتعاطف مع الجمهوريين عن بداية وعي الشعب ، عبر عن تعدد جوانب التحدي لحكومة المانشو التي هادنت الاجانب ومنحتهم ما يريدون ، إذ لم يعد الاصلاحيون اعداءها الوحيدين ، بل أصبح الى جانبهم الجمهوريون الذين استهدفوا قلعها من جذورها . وهنا يمكن أن يطرح السؤال الآتي : هل حاولت حكومة المانشو جذب اي من الطرفين سواء الاصلاحي أم الجمهوري اليها ؟ وما طبيعة الموقف الذي اتخذته للحفاظ على وجودها ؟ والواقع ان الاصلاحات التي قامت بها قد تبدو معبرة عن ذلك الموقف الى حد كبير وهذا ما سنأتي على بيانه لاحقا .

(1)Sun Yat Sen, Euvers Choisies, Pekin, 1957, P.174.Quoted in: Tikhvinski, Op. Cit., P.395.

ثانياً- الاصلاحات الحكومية العامة ١٩٠١-١٩٠٦

بعد إخماد ثورة البوكسرز وهزيمة الصين في الحرب وإرغامها على توقيع بروتوكول البوكسرز، الذي كرس وضع الصين شبه الاستعماري ، بدا كأن الصين عادت الى الوضع الذي كانت عليه في عام ١٨٦٠ من حيث سقوط بكين بأيدي القوى الاجنبية وهزيمة البلاط وترك الشعب يواجه مصيره وحده ، وخروج الاقاليم الجنوبية عن سلطة الحكومة[١] . كل ذلك كان ينبئ عن قرب زوال حكم أسرة المانشو مالم تنهض بحركة إصلاحية شاملة إن أرادت البقاء في السلطة مدة أطول[٢] . وهو مانبه عليه عدد من المسؤولين الذين أدركوا حجم الآثار السيئة لبروتوكول البوكسرز على سيادة الحكومة[٣]، وطبيعة التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع في الثلاثين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر، ومدى تأثيرها في حشد القوى الجمهورية والاصلاحية المعارضة لسياسة الحكومة، التي كانت المسؤول الاول والاخير، بحسب رأي الشعب، عن ضياع استقلال البلاد السياسي والاقتصادي وسيادته ، وحفزها على ممارسة نشاطاتها المعارضة للحكومة[٤] . لذا، ادركت الامبراطورة وافراد حاشيتها ، بأن الخطر لم يعد يأتي من الاصلاحيين فحسب ، بل من الجمهوريين الراغبين بإسقاط النظام الامبراطوري من أساسه ايضاً . واقتنعت بأن استمرارها في الحكم أصبح رهيناً بامتصاص السخط الشعبي وارضاء الاصلاحيين الراغبين بإقامة دولة عصرية [٥]. فأصدرت مرسوما في ٣٠آب١٩٠٠ طالبت فيه جميع الموظفين الكفوئين بتقديم المقترحات التي تمكن الحكومة من التخلص من عيوبها[٦]، وفي مرسوم

---

[١] راجع الفصل الثاني. الوضع السياسي في الصين ١٨٥٠-١٨٧٨.

(2) Edward L. Dreyer, China at War 1901-1942, Singapore, 1998, P.9; Rhoads, Op. Cit., P.50.; Pritcard, Op. Cit., P.3; Parssell, Op. Cit., P.65.

(3) Liang Ch'I-Ch'ao, Translation of Western Works and the "Schoolars of New Learning". In Liang Ch'I-Ch'ao, Intellectual Trends in the Ch'ing Period (Ch'ing-Tai Husueh-Shu Kai-Lun), Trans. By Immanuel C.Y. Hsu, Harvard University Press, 1959, PP.112-114; M. Beau, Ministre De France A Pekin, A M. Delcasse, Ministre Des Affairs Etrangeres, D.N.7. Confidenie, Pekin, 1 Juille 1901, (D.D.F.) 2 Serie (1901-1911), Tom First (Jaivier-December 1901), P.361.

(4) Chesnuex and Others, Op.Cit. , P.345; Jerome Ch'en, Op. Cit., P.25.

(5) Tikhivnski,Op.Cit.P 421; Hibbert,Op.Cit.,P.P.361-362 .

(6) The Post –Boxers program ,In Ssu-YuTeng and others ,P. 196

آخر صدر في ٢٠ كانون الثاني وحمل ختم الامبراطور السجين كوانغ شيوى أعلنت تبني الحكومة جميع الاصلاحات التعليمية و العسكرية والاقتصادية والادارية للارتقاء بمستوى الدولة ، على غرار أنظمة الدول الغربية واليابان ، وقد عرفت هذه السياسة بـ(النهج الجديد) . وفي ٢١ نيسان تم تشكيل لجنة عرفت بإسم (لجنة الشؤون الحكومية) برئاسة الامير المانشوي تشنغ مسؤول التسونغ لي يامين ، وعضوية تشانغ تشي تونغ وليوكونغ يي، لدراسة المقترحات المتعلقة بالإصلاح وتقديمها[1]. وبناءً على ذلك قدم عدد من المسؤولين المذكرات التي حملت آراءهم في الإصلاح ، وكان ابرزها المذكرات الثلاث التي قدمها تشانغ تشي تونغ وليوكونغ يي ، استجابة لطلب الحكومة . وجرى التأكيد في المذكرتين الاولى والثانية منها على اهمية الإصلاح وجوانبه التي شملت :- ضرورة إرسال البعثات العلمية الى الخارج لإكتساب العلوم والمعارف، ومنح الامتيازات لحملة الشهادات العلمية . وتطبيق أساليب التدريب العسكري الحديثة المتبعة في اوربا والولايات المتحدة، والتوسع بالصناعات العسكرية على وفق الأساليب الحديثة . والاهتمام بالزراعة والصناعة واتباع الاساليب العلمية الحديثة فيها، والاهتمام بمشاريع التعدين والنقل والتجارة وسن القوانيين المتعلقة بتنظيمها . واستخدام الدولار الفضي اساساً في التعامل التجاري نظراً لثبات قيمته ووزنه وهو الامر الذي يساعد على التخلص من عمليات الابتزاز التي كان يمارسها عدد من الموظفين ، مع بقاء العملات الصغيرة للاستخدامات الثانوية . وإنشاء دائرة بريد خاصة بالحكومة الصينية والافادة من إيراداتها المالية . وتعديل نظام الضرائب بإستخدام الطوابع التي تحدد قيمة الرسم على المعاملات ، فضلاً عن ذلك يجب فرض الضرائب على الفلاحين والحرفيين والتجار والمثقفين كافة وان تقوم الحكومة بزيادة نسبة الضرائب على الافيون بعد استيراده[2]. وترجمة المزيد من الكتب العلمية الأجنبية[3]. اما

(1) The Conservative Reform Movement, In: Ibid., PP.195-196.

(٢) سبق ان ذكرنا أن نسبة الضرائب المفروضة على البضائع المستوردة حددت بموجب المعاهدات بنسبة (٥) بالمئة وعليه فإنه لم يكن بإمكان الحكومة زيادتها فاقترح تشانغ تشي تونغ وليو كونغ يي لاجل زيادة الايرادات المالية الحكومية، أن تقوم الحكومة بتشكيل وحدات حكومية خاصة داخل دائرة الكمارك تقوم بشراء الافيون المستورد وبيعه بعد أن تفرض عليه ضرائب عالية. ينظر:

Liu Kun-I and Chang Chin-Tung, Amemorial to Plan Reform and Adopt Western Methods, In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit. , P.204.

(3) Ibid., PP. 204-205.

المذكرة الثالثة فقد أكدا فيها أهمية القروض الاجنبية في تمويل عملية الإصلاح التي اعتقدا انها كفيلة بتقوية النظام السياسي دون الحاجة للرجوع لأفكار كانغ يووي الدستورية[١]، الذي اتهماه بأنه "يسعى الى تعكير النظام الاساسي وانه لايملك اي فهم للافكار الاساسية للحكومات والمعرفة الغربية"[٢] و الملاحظ أن هذه المقترحات الاصلاحية التي قدمها تشانغ تشي تونغ وليوكونغ يي في تلك المذكرات، لاتختلف كثيراً عما اقترحه تشانغ تشي في برنامج (تصحيح حقوق الشعب) لعام ١٨٩٨، من حيث تأكيد اهمية جوانب الإصلاح التعليمية والاقتصادية والادارية والعسكرية وإنكار الحاجة للإصلاح الدستوري . وقد يكمن سبب ذلك في حرصهما على المحافظة على امتيازات الطبقة البيروقراطية في الاحتفاظ بالسلطة، والحيلولة دون إشراك الطبقة البرجوازية فيها ومحاولة إقصار دورها على النشاطات الاقتصادية فقط . ومن اللافت للنظر أن دعوتهما لتعديل نظام الضرائب تضمنت شمول المثقفين (حملة الشهادات الكونفوشيوسية) بالضرائب وإلغاء الاعفاءات الضريبية التي كانوا يتمتعون بها، وقد يفسر ذلك على اساس حاجة الدولة الملحة للأموال لتمويل عملية الاصلاح ، والحد من اهمية الشهادات الكونفوشيوسية وذلك بالتقليل من امتيازاتها ومن ثمّ زيادة التوجه نحو الدراسات العلمية الحديثة الاكثر اهمية ، ولاسيما أنهما حثّا الحكومة على منح الامتيازات لطلبة الدراسات العلمية الحديثة .

ومما لا يجب إغفاله أنهما جعلا من الاصلاح هدفاً لاستعادة ثقة الشعب بحكومته وذلك بقولهما "إن المشاعر الشعبية اليوم ليس كما كانت عليه قبل ثلاثين عاماً ، فالناس اليوم معجبون بثراء الدول الاجنبية ، ويحتقرون فقر المملكة الوسطى ... فبدأ المتمردون (الجمهوريون) يستغلون هذه الفرصة لنشر أفكارهم التخريبية ... لذلك لابد من أن نمحو عيوب مملكتنا قبل أن يتوحد الفكر الشعبي ومن ثم يصبح علينا التصدي للذل ومقاومة الإعتداءات"[٣] . ويستخلص من ذلك انهما كانا مدركين لطبيعة التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي طرأت على المجتمع الصيني خلال الثلاثين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر، التي جعلت كثيراً من الصينيين يغيرون رأيهم بالدول الاجنبية التي كانوا

(1) Bays , China Enter the Tewntieth Century , P.108.
(2) Kun-I and Chang Chin-Tung, Amemorial to Plan Reform and Adopt Western Methods. In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit. , P.205
(3) The Joint Proposals of Liu Kun-I and Chang Chin-Tung, 1901, In Ibid.,P.197-199.

ينعتون شعبها سابقاً بـ (البرابرة) ، بل أصبحوا من المعجبين بثرائها ومن الناقمين على فقر دولتهم . فضلاً عن ذلك أنهما أعربا عن خشيتهما من أن يستغل الجمهوريون الراغبون باسقاط نظام الحكم من اساسه ، حالة السخط الشعبي لصالحهم ، فآثروا أن تتخذ الحكومة طريق الإصلاح لتجنب قيام ثورة ضدها .

زيادة على ماتقدم ذكره اعتقد تشانغ تشي تونغ وليوكونغ يي أن طريق الإصلاح سيوضح الى المثقفين والرأي العام ، الذي تكوّن خارج نطاق الطبقة البيروقراطية وبرز دوره في اثناء انتفاضة تسولي هوي واخذت اهميته تتزايد بعد ثورة البوكسرز، نية الحكومة بتعديل نظامها وذلك بقولهما "إن هذا سيجعل المثقفين وبقية الناس يعرفون أن البلاط لديه نية في تجديد نظامنا، وعندها سيعدل الرجعيون (المحافظون المتطرفون) عن أخطائهم الفاضحة، وسيُعلن أولئك الذين يأملون في حكومة أفضل (الاصلاحيون) ولاءهم"[1]. يستفاد من ذلك أن تشانغ تشي تونغ وليوكونغ يي قدما المقترحات الاصلاحية المذكورة آنفاً لتكون مقدمة لإصلاح نظام الحكم نفسه ، وهما يعرفان تماماً أن ولاء الاصلاحيين للحكومة لايتم دون تبني الاصلاح السياسي ، ومع ذلك لم يذكرا صراحةً نية الحكومة بتبني الاصلاح السياسي ، وقد يعد ذلك من قبيل المناورة السياسية للحصول على ولائهم في ظل ظروف تأهب التيار الجمهوري بزعامة صن يات صن للافادة من الوضع في تحقيق أهدافهم .

وتأسيساً على ما تقدم حشدت حكومة المانشو جهودها للقيام بالإصلاحات المقترحة، هل نفذت كل ما أُقترح فعلاً ؟ وكيف أثر ذلك في موقف الطبقة البرجوازية ونمو دور الطلبة السياسي و من ثمّ اتجاه الحكومة نحو تبني طريق الإصلاح السياسي ؟ وللحيلولة دون الخروج عن الموضوع الرئيس ، سيتم عرض ابرز جوانب الإصلاحات العامة وصولا الى آثارها في الوضع السياسي .

١- الإصلاحات العسكرية

ادركت حكومة المانشو بعد هزيمة البوكسرز، مدى ضعف قواتها العسكرية التي بقيت، حتى عام ١٩٠١، تعتمد على تجمعات مختلفة الاصول متباينة في طبيعتها وتدريبها، أهمها ألوية المانشو التي كانت تتركز في مقاطعة تشيلي وحول العاصمة بكين وفي منشوريا. فضلاً عن القوات النظامية الصينية المعروفة بـ"قوات الراية الخضراء" التي كانت تنتشر في المقاطعات . والجيوش المحلية التي جُندت لقمع حركات المعارضة من القادة والاعيان

(1) Bays , China Enter the Tewntieth Century , PP.109-110.

وملاكي الاراضي في الاقاليم على اساس النزعة المحلية والقبلية والولاء الشخصي لقادتها لا للحكومة المركزية . فضلا عن ذلك كان هناك جيش التعزيز الذاتي الذي أنشأه تشانغ تشي تونغ بعد هزيمة الصين في الحرب مع اليابان(١)، وجيش تيانغ ــ وو ــ تشونغ الذي أنشأه هو هويو ــ فين المدير العام لسكة حديد بكين تينتسين، بالقرب من تينتسين وفقاً للطراز الالماني، وقد شكل هذا الجيش النواة الاولى لجيش بيانغ(٢) . وقد أثبتت تلك الجيوش عدم كفايتها في التصدي للتحديات الاجنبية التي تعرضت لها الصين منذ قيام حرب الافيون الاولى حتى توقيع بروتوكول البوكسرز . لذا اصبح لزاماً على حكومة المانشو التي أخذت عملية الاصلاح على عاتقها ، تقوية قواتها العسكرية تنظيماً وتدريباً وتسليحاً، فأصدرت في تموز عام ١٩٠١ مرسوماً إمبراطورياً، وجهَ الى حكام المقاطعات والاقاليم قضى بحل قوات الراية الخضراء وإعداد جيوش مدربة على وفق الطراز الاوربي او الياباني(٣) . وللحيلولة دون استغلال ذلك الوضع من الجمعات السرية والعصابات وقطاع الطرق، فقد سُمِحَ بحل تلك القوات على مراحل حتى يتم تشكيل الجيوش الحديثة(٤) . وشرعت الحكومة بموجب مرسوم آخر أصدرته في ٢٩ آب من العام نفسه، بإلغاء الاختبارات العسكرية القديمة وفتح أكاديميات عسكرية حديثة(٥) بالاعتماد على الخبراء العسكريين اليابانيين، فضلاً عن إرسال البعثات الى اليابان للإلتحاق بالاكاديميات العسكرية اليابانية(٦) . وظهرت ، تبعاً ، لذلك

---

(1) A Report on Consttutional Governments Abroad 1906, In: Ssu-YuTeng,Op.Cit..PP 208-209; Chesnuex and Others, Op.Cit., PP.345-346; Fairbank and Others, Op. Cit. , P.730;

نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٥.

(2) A Report on Consttutional Governments Abroad 1906, In: Ssu-Yu Teng,Op.Cit., PP.208 -210 ; Beckmann , Op. Cit., P.200..

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.422; Dreyer, Op. Cit., PP.17-18.

(4) Rhoads, Op. Cit., PP.58.

(٥) بلغ عدد الاكاديميات العسكرية الحديثة في عام ١٩٠٦ نحو (٣٥) أكاديمية تخرج منها نحو (٧٨٧) ضابطا و(٣٤٤٨) ضابط إحتياط، زيادة على اولئك الذين تلقوا تدريبهم في الخارج والذين بلغ عددهم نحو (٦٩١) ضابطاً. Chesnuex and Others, Op. Cit. , P.358.

(6) Donald S. Sutton, Provincial Militarism and the Chinese Republic. The Yunnan Army 1905-1925, The University of Michigon Press,1980, P.15 ; Dreyer, Op. Cit., P.17.

جيوش حديثة في الاقاليم كان أهمها الجيش الشمالي (بيانغ) الذي شكله يوان شي كاي، الذي ادى دوراً مهماً في الشؤون العسكرية في المدة ١٩٠١-١٩٠٧ بصفته حاكماً على الاقليم المركزي (تشيلي). وقد ضم هذا الجيش في عام ١٩٠٥ نحو ست فرق (٨٠ ألف مقاتل) بمعدات واسلحة حديثة ومدربين يابانيين وضباط برتب عالية تلقوا تدريبهم في الخارج او في الاكاديميات العسكرية الحديثة في الصين ولاسيما في باودونغ . وفي هوبي تم تشكيل وحدات مشابهة من تشانغ تشي تونغ على وفق الطراز الالماني إلا انه أقل عدداً من قوات بيانغ[١] . وفي جنوب غرب الصين برز جيش يونّان الذي تلقى أغلب أفراده تدريبهم في اليابان على نحوٍ هيّأ لهم فرصة الاطلاع على النظريات السياسية الغربية والتأثر بآراء ليانغ تشي تشاو وصن يات صن، وهو الامر الذي أثر في نمو الوعي الوطني لديهم، وفي تحديد موقفهم من حكومة المانشو[٢].

وعلى صعيد آخر حافظ إنشاء هذه الجيوش على بعض عيوب الجيوش القديمة ولاسيما في مسألة عدم خضوعها للسلطة المركزية[٣]، لذلك شرعت الحكومة في عام ١٩٠٥ بتنفيذ جزء من الخطة التي قدمها يوان شي كاي منذ عام ١٩٠٢، ولاسيما مايتعلق منها بتشكيل جيش وطني جديد يكون خاضعاً للسلطة المركزية وأصبحت نواته الاولى جيش بيانغ في حين لم تنفذ دعوته في حل الجيوش الاقليمية. وقد اشتُرِطَ في الشخص المتقدم للانضمام الى صفوف الجيش الجديد عدة شروط، منها أن يكون قد تلقى تعليماً حديثاً، اولياً في الاقل، وأن يكون قادراً على دفع الضريبة او لديه عقار مساوٍ لملكية فلاح غني في الاقاليم الشمالية، او ما يعادل ارض زراعية صغيرة او متوسطة بالنسبة الى الاقاليم الجنوبية، وأن تكفله السلطات القضائية الموجودة في مقاطعته او أحد الوجهاء وملاك الاراضي، وذلك لإبعاد العناصر غير المرغوب فيها عن الجيش الجديد[٤]. والملاحظ هنا انه على الرغم مما

---

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٤؛ Dreyer, Op. Cit., P.18.

(2)Sutton, Op. Cit., P.14, P.17.

(3) Rhoads, Op. Cit., PP.57-58 ; Hu Pu-Yu, Abrief History of Sino-Japanese War (1937-1945), Chung Wu Publishing Co., (Taiwan, 1974), P.1.

(4) Stephen R Mackinnon, Power and Politics in Late Imperial China. Yuan Shi-Kai inBeijing and Tianjin 1901-1908, The Regents of the University of California Prees. 1980 , PP.90-91; Thikhvinski, Op. Cit., PP.423-424; Jerome Ch'en, Op. Cit.,P.25:

اسهم به تحديث الجيوش في استمرار زيادة قوة حكام الاقاليم على حساب السلطة المركزية لم تحاول الحكومة في بداية تبنيها الاصلاح أن تضع حداً لذلك بحل الجيوش الاقليمية . وقد يُرد ذلك الى إدراكها بأن إستمرار حكمها في الاقاليم مرتبط بقوة حكامها فيها، والدليل على ذلك انها لم تبادر الى الغائها حتى بعد تكوين الجيش الجديد في عام ١٩٠٥ الذي أرادت من خلاله أن تحقق سلطتها المركزية في الاقاليم . وزيادة على ذلك كان وضعها جملة شروط لقبول إنتساب الاشخاص للجيش الجديد، دليلاً على انها أرادت تكوينه فقط من العناصر التي تضمن ولاءها.

وفي سياق محاولة تحقيق سلطة مركزية للشؤون العسكرية جرى تشكيل وزارة حرب جديدة في عام ١٩٠٦ اكثر تخصصاً من وزارة الحرب السابقة . لكنها ظلت عاجزة عن فرض مركزية عسكرية لإفتقارها الى الدعم المالي العسكري[١]، فضلاً عن أن الجيش الجديد كان مؤلفاً من سكان الاقاليم أنفسها التي كان ينتشر بها مما جعل روابطه المحلية والاجتماعية تتغلب على ولائه للسلطة المركزية[٢]. وزيادة على ما تقدم أولت الحكومة اهتماماً بالاسطول البحري الذي دمرته الحروب . ففي عام ١٩٠٧ جرى تأسيس وزارة للبحرية مهمتها الاشراف على الاسطول وتزويده بكل ماهو حديث . وقد قُدر مجموع القوات العسكرية الصينية البرية والبحرية عند نهاية حكم المانشو بـ (٨٠٠) الف مقاتل[٣]. والواقع أن الاقبال الكبير على الالتحاق في صفوف هذا الجيش ارتبط، الى حدٍ كبير، بنمو الوعي الوطني وتغير النظرة الاجتماعية له نحو الافضل، الى جانب تحسن المستوى المعاشي لافراده[٤].

John K. Fairbank and Others, East Asia Tradition and Transformation, George Allen nd Unwin LTD., (London, 1913), P.731.

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٦؛ Dreyer, Op. Cit., P.23.

(2)Rhoads, Op. Cit., PP.79.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٦.

(4) Chesnuax and Others, Op. Cit , PP.358-359; Edmund S.K. Fung, Military Subversion in the Chinese Revolution of 1911, Modern Asia Studies, Vol.9, Part 1, 1975, PP.103-104.

٢- إصلاح التعليم

إنطلاقاً من القناعة التي وصل اليها زعماء سياسة التعزيز الذاتي والإصلاحيون في عام ١٨٩٨ وكثير من مفكري القرن التاسع عشر ، وما أكد عليه الاصلاحيون المحافظون امثال تشانغ تشي تونغ وليونغ يي، من أن ضعف الصين يكمن في افتقارها الى رجال يتمتعون بالخبرة والكفاية وإبتعادها عن دراسة العلوم الحديثة[١]، وأن تحديث الادارة والجيش والاقتصاد يتطلب إعداد الملاكات الضرورية على وفق الاساليب والعلوم الحديثة . وبناءً على ذلك أعطت حكومة المانشو، بعد عودة الامبراطورة الارملة من سيان أولوية للتعليم وأصدرت خلال المدة ١٩٠١-١٩٠٦ عدة مراسيم لإعادة تنظيم التعليم طبقاً للنموذج الياباني[٢] . فشرعت في اول الامر بفتح المدارس الحديثة التي تُدرس فيها المناهج العلمية الحديثة الى جانب الموضوعات التقليدية في انحاء البلاد كلها . وضمن ذلك السياق جرى تحويل الاكاديميات الموجودة في عواصم الاقاليم الى جامعات حديثة ، وتلك التي في عواصم المقاطعات الى كليات حديثة، اما الموجودة منها في المدن والنواحي فحولت الى مدارس ثانوية وابتدائية على التوالي[٣] . وأجريت تحسينات على جامعة بكين وهي الشئ الوحيد الباقي من إصلاحات عام ١٨٩٨[٤] . وفي عام ١٩٠٤ وضعت خطة شاملة لفتح المدارس الابتدائية والثانوية والمهنية والحرفية في المدن والاقضية والنواحي كافة[٥]. ومع ذلك بقي التعليم يعاني من عدة صعوبات مثل توفير الموارد المالية اللازمة، ونقص كبير في الكتب المنهجية والاساتذة والمدرسين[٦]، وصعوبة ربط التعليم الحديث بمتطلبات الخدمة المدنية . ولتلافي تلك الصعوبات طالبت الحكومة حكام الاقاليم بالاعتماد على مصادر التمويل الذاتي وعمدت الى إنشاء معاهد إعداد المعلمين وتنظيم الدورات التدريبية السريعة مدة ستة اشهر

---

(١) راجع الفصل الثالث .

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٤؛

Fairbank and Others,Op. Cit . ,PP.727-728; Chesnuex and Others,Op.Cit., PP.345-346.

(3) Rhoads, Op. Cit., PP.51-52; The Chinese Ministry of Information, China Handbook 1937-1943, Macmilan Company, (New York, 1943), P368.

(٤) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٤.

(5) Rhoads, Op. Cit., P.53; Beckann, Op. Cit., P.303.

(6) Amemorial of Chang-Tung and Yuan Shih-K'ai, Vrging Abolition of the Old Examinations, 1903, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit., PP.206-207.

لمدراء المدارس والمدرسين، وجرى فصل التعليم الحديث عن التعليم التقليدي، ومنح الطلاب الذين نجحوا في مدارس التعليم الحديث الالقاب (الشهادات) والوظائف الرسمية انفسها التي كان يحصل عليها أولئك الذين يجتازون امتحانات الخدمة العامة[١]. ومع ذلك، إضطرت الحكومة لإلغاء إمتحانات الخدمة العامة في الخامس من ايلول عام ١٩٠٥، بعد أن حثها عدد من المسؤولين ولاسيما تشانغ تشي تونغ ويوان شي كاي الذي أصبحَ منذعام١٩٠١ حاكم تشيلي[٢]، على ضرورة إلغائها موضحين بأنها لم تعد تنسجم مع روح العصر[٣].

ومن جانب آخر اتجهت الحكومة منذ عام ١٩٠١ لإرسال البعثات العلمية الى الخارج، وحظيت اليابان[٤] بالقسم الاكبر منها نظراً لقربها من الصين ولتشابه العادات والتقاليد وسهولة تعلم لغتها ولضعف التمييز العنصري فيها، الذي طالما عانى منه الطلبة الصينيون في الدول الغربية . وبحلول عام ١٩٠٦ وصل عدد الطلبة فيها، الذين درسوا على النفقة العامة والخاصة نحو (٨) آلاف طالب وتضاعف العدد في السنوات التالية[٥] . اما في الولايات المتحدة فقد وصل عدد الطلاب فيها عام ١٩١١ الى (٨٠٠) طالب وبعدها تأتي الدول الاوربية ولاسيما بريطانيا والمانيا التي بلغ عدد الطلاب فيها نحو (٤٠٠) طالب، وشهدت السنوات التالية تزايداً في اعداد الطلاب فيها، ولاسيما بعد أن ألغت الولايات

---

(1) Rhoads, Op. Cit., PP.51-54; Ruth Weiss, Closer to the Revolution, Eastern Horizon, Vol.XV, No.2, P.47.

(٢) اوصى لي هونغ تشانغ الحاكم العام لتشيلي، الذي وقعَ بروتوكول البوكسرز، قبل يوم واحد من وفاته بأن يخلفه يوان شي كاي في حكم تشيلي، فكتب مذكرة الى الامبراطورة الارملة في ذلك الشأن ذكر فيها "لقد بحثت في جميع أرجاء الامة عن رجال قادرين فلم أجد افضل من يوان شي كاي" وبعد وفاته أخذت الامبراطورة هذه الوصية بالحسبان وعهدت الى يوان شي كاي حكم تشيلي. ينظر:

Li Chien-Nung, Op. Cit., PP.186-187.

(3) Amemorial of Ching Chil-Tung and Yuan Shih-K'ai, Urging Abolition of the Old Examinations, 1903, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit., PP.206-207; Dreyer, Op. Cit., P.17.

(٤) قسمت المدارس في اليابان، في ذلك الحين، على خمسة مستويات: المدارس الجامعية، والمدارس الكلية، والمدارس الوسطى، والمدارس الاعدادية، والمدارس الصغرى. ويعد المستوى الاول والثاني حكومياً، اما البقية فهي أهلية، والتعليم عندهم الزامي بين سن السادسة والعاشرة من العمر. ينظر: مجلة الهلال، السنة (١٤)، المجلد (١٤)، ١٩٠٥-١٩٠٦، ص٥١.

(5) Kodansha Encyclopedia of Japan,Vol.1,P.287.

المتحدة وروسيا واليابان في عام ١٩٠٨ جزءاً من الغرامات العائدة اليها بموجب بروتوكول البوكسرز، وأشترطت على الصين أن تنفق الاموال التي تنازلت عنها على تعليم الطلبة في جامعات تلك الدول[١].وعلى الرغم من أن العديد من المراسيم التي صدرت ضمن سياق إصلاح التعليم بقيت حبراً على ورق نظراً للصعوبات التي واجهتها، إلا أن الاجراءات التي اتخذت فعلاً أسهمت في إكمال ما بدأته مدارس الارساليات التبشيرية ومدارس سياسة التعزيز الذاتي وحركة إصلاح المئة يوم، في إيجاد شريحة من المثقفين ثقافة غربية يسهمون في بناء مؤسسات الدولة على وفق الطراز الغربي على نحوٍ حُدد سلفا . ولكن في الواقع تعدّى طموح هؤلاء الطلاب والمثقفين إرادة الحكومة في تعزيز قوتها، الى محاولة الاطاحة بها بعد أن أيقنوا تخلفها وفشلها في الحفاظ على سيادة الصين وكرامتها.

٣- الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية

في ظل ظروف تبعية الصين الاقتصادية، للدول الغربية الرأسمالية، لم تُستثن من سياسة الإصلاح الحكومي اوجه النشاط الاقتصادي الصناعي والتجاري والزراعي . ففي المجال الصناعي حفز النشاط الصناعي الاجنبي الذي أقامته الدول الغربية واليابان على أراضي الصين، الحكومة على تبني عدد من المشاريع الصناعية ولاسيما مشاريع السكك الحديد ووسائل الاتصال الاخرى التي كان اغلبها خاضعاً للسيطرة الاجنبية[٢] . فخصصت لها الحكومة ما نسبته (٣٧) بالمئة من مجموع القروض الاجنبية التي وصلت قيمتها الى (٥٢٦) مليون دولار في المدة ١٩٠١-١٩١٣ . زيادة على ذلك أسهمت الحكومة الى جانب القطاع الخاص الذي مثلته الطبقة البرجوازية في استثمار مناجم الفحم الحجري والحديد، وتطوير الصناعات الخفيفة، مثل صناعة المنسوجات وطحن الحبوب، فأنشأت (٣٨٦) مصنعاً، تعود ملكية (٣١٩) منها الى القطاع الخاص، استُثمر فيها نحو (٦٦) مليون يوان[٣]. والواقع أن هذه الصناعات الوطنية بمجملها واجهت منافسة البضائع الاجنبية

(1) Albert Feuerwerker and Others (eds) , Approaches to Modern Chinese History, University of Califronia Press, 1967, P.192; Beckmann,Op. Cit., P.203;
نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٥

(2) Economic Development, In: Ssu-Yu Teng, Op. Cit. , PP.211-212; Beckmann, Op. Cit., P.205; Thomson, Op. Cit., P.59;
ابشتاين، المصدر السابق، ص٥٩-٦٠.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.533.

المنتجة في الصين والمستوردة من الخارج، في ظل قانون وضع (٥) بالمئة حداً أعلى على للتعرفة الكمركية . فضلاً عن النقص الكبير في الخبرة ورأس المال، وانخفاض قيمة العملة الصينية بالنسبة للعملات الاجنبية، إذ أصبح التايل الواحد من الفضة، الذي يزن (٣١) غراما من الفضة، يعادل (٠,٦٢) دولار امريكي عام ١٩٠٢، بعد أن كان يعادل (١,٢٠) دولارا في عام ١٨٨٧، فازداد العجز في الميزان التجاري وتراكمت الديون على الصين وتراجعت صادراتها[١]. وقد القت تلك الاوضاع بظلالها على واقع الصين الاجتماعي، إذ إن ظهور الصناعات الحديثة أثر على نحوٍ كبير في الفئات الفقيرة في المجتمع، ولاسيما أن الصين كانت تتبع سياسة الإكتفاء الذاتي، ففي الوقت الذي كان رجال الاسرة يمارسون الزراعة، تتولى النساء نسج الاقمشة بالإيدي ويباع الفائض من الانتاج الزراعي والحرفي في الاسواق . ولكن بعد أن غزت الصناعات الحديثة البلاد انهارت الصناعات اليدوية وفي مقدمتها صناعات الحرير وغزل القطن ونسجه، وساءت احوال الفلاحين على نحو كبير، ولاسيما أن ذلك تزامن مع حصول تراجع كبير في المحاصيل الزراعية نتيجة تكرر حدوث الكوارث الطبيعية التي ادت الى تشريد قرابة نصف مليون مواطن في وسط وجنوب الصين في الاعوام ١٩٠٢، ١٩٠٦، ١٩٠٧، ١٩١١[٢] . زيادة على ان التوسع التجاري الاجنبي أدى الى إنخفاض عمليات المقايضة التي كانت شائعة في ذلك الحين، وازداد تبعاً لذلك التداول النقدي في المدن والارياف، وهو الامر الذي اوجد ظروفاً ملائمة لتطور الرأسمالية الوطنية في الصين[٣].

وفي سياق تمويل عمليات الإصلاح، لم تقتصر الحكومة على القروض الاجنبية، بل لجأت الى فرض المزيد من الضرائب على البرجوازيين وملاكي الاراضي، ولاسيما تلك الضرائب التي فُرضتها على الملح والسكر والشاي والنبيذ والصناعات الحديدية، فضلاً عن مضاعفة أيجارات المحلات التجارية والرسوم الدراسية، وزيادة رسوم المعاملات التجارية والمصرفية

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٠؛ Thomson, Op. Cit., P.59.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٠- ١٧١وص١٨٥؛ خالد محمد المقامس، الصين الجانب الآخر من العالم. نظرة كويتية، مؤسسة دار الارقم، الكويت، ١٩٨٧، ص١٨؛
Chesnuax and Others, Op. Cit., P.356.

(3)Tikhvinski, Op. Cit., P.531-532.

وعمليات بيع وشراء العقارات . والملاحظ أن سياسة فرض الضرائب هذه لم تُثر الفلاحين فحسب، بل أثارت الطبقة البرجوازية المعروفة بميلها للتغريب، زيادة على اولئك الذين كانت الحكومة تعتمد على ولائهم من ملاكي الاراضي وكثير من الموظفين والمتنفذين الذين استثمروا اموالهم بالتجارة والصناعة، وتضرروا من سياسة فرض الضرائب وأشتد سخطهم على حكومة المانشو التي تعدت على مصالحهم طوال المدة ١٩٠١-١٩١١ . ولاسيما أنهم ربطوا ذلك بعجزها عن مواجهة من وصفوهم بـ (شياطين ما وراء البحار) فاندفعوا لمساندة الحركة الدستورية وحركة مقاطعة السلع الاجنبية [١] .

ولتنظيم شؤون التجارة أصدرت الحكومة في عام ١٩٠٣ مرسوماً امبراطورياً قضى بتشكيل وزارة التجارة، التي أصبحت منذ عام ١٩٠٦ تدعى بوزارة الزراعة والصناعة والتجارة[٢]، وعين الامير تشاي تشين، أحد أمراء المانشو وزيراً لها . وأقِرت في عام ١٩٠٤ القوانيين المتعلقة بتشكيل غرف التجارة والصناعة وإنشاء الشركات التعاونية[٣] والاتحادات التجارية وتأسيس المصارف[٤] الحكومية[٥]. وفي عام ١٩٠٥ استقدمت احد الخبراء الامريكيين لاجراء إصلاحات مالية[٦] . الواقع أن الحكومة استهدفت من وراء ذلك امتصاص سخط الطبقة البوجوازية على سياسة فرض الضرائب، وكسبها الى جانبها في صراعها ضد المناوئين لنظام حكمها[٧]. زيادة على تلك القوانين ، قانون غرفة التجارة، الذي أعطى قوة جديدة

(1) Ibid., PP.528-530.

(2) Economic Development, In: Ssu-Yu Teng , Op. Cit., PP.211-212.

(٣) بعد إقرار قانون الشركات التعاونية بأربع سنوات بلغ عدد الشركات المسجلة في وزارة الصناعة والزراعة والتجارة نحو (٢٢٧) شركة أعتمدت التقنيات الحديثة في عملها الا انها عانت من نقص في الايدي العاملة المعدة لاستخدام التقنيات الحديثة ورؤوس الاموال، وبرزت من بين هذه الشركات نحو (٢٠) شركة ركزت أغلبها اعمالها في مجال صناعة النسيج. للمزيد. ينظر:

Chesneauxand Others, Op. Cit. , PP.355-356.

(٤) من أهم هذه المصارف: مصرف وزارة المالية انشأ عام ١٩٠٤ واعيد تنظيمه عام ١٩٠٨ ومصرف الاتصالات والمصرف الصناعي أنشئا عام ١٩٠٧. ينظر:

Economic Development, In Ssu-Yu Teng , Op. Cit. , P.212.

(5) Rhoads,Op.Cit., P. 80

(٦) مجلة الهلال، السنة (١٣)، المجلد (١٣)، ١٩٠٤-١٩٠٥، ص٥٦.

(7) Rhoads, Op. Cit., P.80.

للتجار إذ أصبحت غرف التجارة بمثابة الناطق الرسمي بأسمهم والمطالب بحقوقهم، ومحاولة توفير الحماية لهم امام المنافسة الاجنبية . فضلاً عن ذلك ساعد تشكيل غرف التجارة على توطيد الاواصر بين التجار، واتاح لهم فرص الاجتماع والنقاش حول الاوضاع السياسية والتدخل الاجنبي ومدى تأثيره في مصالحهم، وأعطى لهم شعوراً بالاستقلالية واحترام الذات الذي كانوا يفتقدونه في السابق[١] . فاصدروا الصحف المعبرة عن آرائهم مثل صحيفة (اخبار غرفة التجارة) التي عكست اهتمام التجار بالاوضاع العامة في البلاد، ولاسيما السياسية[٢].

أما الزراعة، فعلى الرغم من انها لم تحظ بالعناية الكافية ، فمع ذلك ، أصدرت الحكومة مرسوماً في عام ١٩٠٥ قضى بتنظيم الزراعة واستغلال الارض، وطالبت بتقديم إحصاء الاراضي المزروعة، ورفعت المنع عن كثير من الاراضي العائدة لمعابد الاسلاف، التي كانت الشعائر الدينية تحول دون زراعتها[٦]٣.

ارتبط بتلك الاصلاحات، أيضا، شروع الحكومة تحت ضغط الاصلاحيين والمثقفين ، في مكافحة استيراد وزراعة الافيون وتدخينه . وذلك بموجب مرسوم امبراطوري صدر في ٢٠ أيلول عام ١٩٠٦، ووضعت عقوبات صارمة تلحق بالمخالفين . وتوجت ذلك بتوقيع إتفاقية مع الحكومة البريطانية في عام ١٩٠٨ أوجبت فيها تقليل صادراتها من الافيون الى الصين بمقدار العشر في كل سنة حتى يتم إيقافه على نحو نهائي . وفي سياق الاصلاح الاجتماعي اصدرت الحكومة عام ١٩٠٢ مراسيم عدة رفعت فيها الحظر على الزواج بين المنشوريين والصينيين ، ومنعت وضع أرجل الفتيات الصغيرات في قوالب حديدية او خشبية ودعت حكام الاقاليم للقيام بحملة واسعة ضدها[٤].

ولتنظيم إدارة العلاقات الخارجية، أنشأت الحكومة بموجب ما نص عليه بروتوكول البوكسرز، وزارة الخارجية وعينت الامير المانشوي تشنغ، المسؤول السابق عن التسونغ لي يامين، وزيراً للخارجية، على وفق مرسوم أصدرته في عام ١٩٠١ . وفي مرسوم آخر

---

(1) Tikhvinski, Op. Cit., P.424; Rhoads, Op. Cit., P.80; Fairbank and Others ٢٣٥,Op. Cit., PP.733-734.

(2) Rhoads, Op. Cit., P.80, P.38.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.424 .

(٤) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٩.

أصدرته في عام ١٩٠٢ أمرت الحكومة حكام الاقاليم بتنظيم قوات شرطة على غرار الشرطة اليابانية[١] . وأعيد النظر في عام ١٩٠٥ بقانون القضاء الذي يرجع الى القرون الوسطى، فألغيت أساليب التعذيب القديمة، وبوشر بوضع القانون الجنائي على اسس القانون الياباني. وفضلاً عن ذلك الغت الحكومة شرط التوازن العددي بين الموظفين الكبار، بين المنشوريين والصينيين، ونظام إشغال المواطن مناصب عدة في وقت واحد وهي التي كانت مألوفة في الادارة . والواقع أن حكومة المانشو إستهدفت من وراء ذلك إبعاد الصينيين عن المراكز الادارية والسياسية ، التي ركزت أغلبها بأيدي المنشوريين[٢].

لقد أظهر أن تبني حكومة المانشو لسياسة الإصلاحات العامة في مطلع القرن العشرين رغبتها في تجريد المعارضة من أهدافها ، واطالة أمد بقائها في السلطة ولاسيما في ظل أتساع تأثير المعارضة الذي أرتبط بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي طرأت على المجتمع في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر. إذ تبين ازدياد أهمية الطبقة البرجوازية والمثقفين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الحديثة والذين أصبح إرضاؤهم يمثل جانباً مهماً من جوانب المحافظة على بقاء المانشو في السلطة والحيلولة دون انقيادهم للتيار الجمهوري . والواقع أن إصلاحات الحكومة كان لها أهميتها في تحديث الصين . إلا انها في سياق آخر تركت آثاراً سلبية على وضع حكومة المانشو فإلغاء امتحانات الخدمة العامة أضعف الطبقة البيروقراطية المثقفة ثقافة كونفوشيوسية ، التي كانت تستند إليها الحكومة في السلطة . فضلا عن ذلك أبعد ازدياد تأكيد أهمية الدراسات العلمية الحديثة الطلبة عن المبادئ الكونفوشيوسية، وكل ذلك كان يصب في اتجاه ضعف الأساس الآيديولوجي الذي استندت إليه أسرة المانشو في بقائها في السلطة، ولاسيما مع بروز مسوغات سحب التفويض السماوي منها بحسب رأيهم نتيجة عجزها عن توفير متطلبات الشعب التي أسلفنا ذكرها . وفضلا عن ذلك كله زاد شمول ملاك الأراضي ، الذين أخذوا يساهمون في التجارة ، مع البرجوازيين والتجار بالضرائب لتمويل عمليات الإصلاح في حنقهم عليها ، ولاسيما مع إدراكهم أهمية دورهم في المجتمع ورغبتهم في الاشتراك في السلطة ، فاتجه بعضهم للانضمام إلى صفوف الإصلاحيين الدستوريين ، فيما انضم بعضهم الآخر إلى صفوف الجمهوريين . لذا شكل العقد الأول من القرن العشرين علامة انتهاء إمبراطورية عمرها ألف سنة وأصبح سقوط أسرة المانشو يمثل سقوط نظام الحكم نفسه .

---

(١) Rhoads, Op. Cit., P.80, P.59.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٧.

ثالثا- نشاط حركة المعارضة ١٩٠١ -١٩٠٦

١- نشاط التيار الجمهوري

شهد مطلع القرن العشرين تصاعدا ملموسا في نشاط المثقفين والبرجوازيين الجمهوريين على الصعيدين الداخلي والخارجي. فعلى الصعيد الثاني ، أفاد الطلبة من المناخ الملائم الذي تهيئ لهم في اليابان والذي تمثل بالابتعاد النسبي عن الرقابة الحكومية ، والتأثر بتجربة اليابان الاصلاحية، والاطلاع على النظريات السياسية الغربية ، ناهيك عن تذمرهم المسبق من فشل محاولات الاصلاح السابقة في ايجاد حلول لمشاكل الصين[١]. كل ذلك أسهم في اتجاههم نحو تشكيل جمعيات ومنظمات سرية كان أغلبها ذات توجهات قومية جمهورية معارضة لحكم المانشو . ففي ربيع عام ١٩٠١ شكل الطلبة بالاشتراك مع الصينيين المهاجرين الى اليابان عدة منظمات معارضة اهمها منظمة القومية (غومينباو) التي كان اغلب اعضائها ممن شاركوا في انتفاضة تسولي هوي . وتعدّ هذه اول منظمة طلابية دعت الى نبذ شعار الملكية الدستورية الذي نادى به كانغ يووي، والإطاحة بأسرة المانشو، واقامة الحكم الجمهوري وظهر ذلك واضحاً في اغلب المقالات التي نشرتها في مجلتها (القومية) التي أصدرتها في طوكيو، والتي حملت عنوان (الانتقام من المنشوريين)[٢] . وشهد ربيع العام نفسه تشكيل الطلبة القادمين من كوانغتونغ جمعية عرفت باسم "جمعية استقلال كوانغتونغ" احتجاجاً على تفشي إشاعة مفادها أن حكومة المانشو تنوي التخلي عن كوانغتونغ للفرنسيين[٣]. وشهد عام ١٩٠٢ اتساعا في نشاطهم السياسي ، ففي شهر آب افاد عدد من التجمعات الطلابية من حالة السخط لدى كثير من الطلبة الذين رُفض قبولهم في المدرسة العسكرية في اليابان، فعبروا عن مشاعرهم

---

(١) محمد نعمان جلال، المصدر السابق، ص٢٦-٢٧؛

Beckmann, Op. Cit., P.204 ; Kodansh Encyclopedia of Japan,Vol..1, P.287; Chang Pao-min ,Chen Tu-hsiu :In Quest of Chinese Liberalism , Journal of Asian and African Studies , No.17,1979,P.60.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.438.

(3) Jensen, Op. Cit., P.86; Rhoads, Op. Cit., P.63; Li Eve Armentrout, The Canton Rising of 1902-1903. Reformers, Revolutionaries, and the Second Taiping, Modern Asian Studies, Vol.10, Part 1, 1976.

المناهضة لاسرة المانشو، بالاعتصام أمام مبنى السفارة الصينية في طوكيو . الامر الذي دعا السفير الصيني تساي تشن وهو احد أمراء أسرة المانشو، الى الاستعانة بالشرطة اليابانية لتفريق صفوف المعتصمين الذين أُلقي القبض على إثنين منهم وسُفرا الى الصين . و بإزاء ذلك تقدم عدد من الطلبة بشكوى ضد السفير الى وزارة الخارجية الصينية ، فبادرت الاخيرة الى استدعائه ومن ثم إعفائه من منصبه وتعيين يانغ شو محله الذي بقي في منصبه هذا حتى عام ١٩٠٦[١]. وقد سوّغ السفير الصيني تساي تشين حادث الاعتصام بأن اللوم لا يقع في ذلك لا على طريقة تصرفه معهم ولا على الطلاب أنفسهم ، بل على اسلوب قبولهم في الدراسة وتنظيم سلوكهم، وأوصى بضرورة إنشاء مكتب خاص في طوكيو لإدارة شؤون الطلبة الصينيين في اليابان[٢] . فكان من نتيجة ذلك أن أيقنت حكومة المانشو أن عليها أن تُخضع إرسال البعثات العلمية الى اليابان لضوابط أكثر صرامة ودقة من السابق . وبناء على ذلك أُنشأ في ٣١ تشرين الاول عام ١٩٠٢ مكتباً خاصاً للإشراف على شؤون الطلبة الصينيين عرف بـ (مكتب المشرف العام على الطلبة الصينيين في اليابان) وترأسه وانغ تا ـ هسيه أحد مسؤولي وزارة الخارجية . ووضع شرطاً لقبول الطلبة الصينيين في المدارس النظامية اليابانية، وذلك بأن يكمل جميع الطلبة في الاقل نصف عام دراسي في احدى المدارس الخاصة بالصينيين قبل أن يتم قبولهم في المدارس اليابانية . وبقي ذلك الشرط نافذاً حتى تم إلغاء مكتب المشرف العام في عام ١٩٠٣ وتبني المقترحات الـ (٢٧) التي قدمها تشانغ تشي تونغ الذي كان اكثر حماساً من حكام الاقاليم الآخرين، في إرسال البعثات العلمية الى اليابان ولاسيما من منطقة نفوذه هوبي وهونان . وقد رمت هذه المقترحات الى الحفاظ على ولاء الطلاب للحكومة التي أقرتها في الحال، اذ أكدت (١٧) منها على وضع الطلبة في اليابان ، سواء أكانوا يدرسون على النفقة العامة ام الخاصة ، تحت الاشراف المباشر للسفير الصيني في اليابان، وفصل الطلبة الذين يثبت تورطهم في النشاطات السياسية والمناقشات في النظريات السياسية الغربية وتسفيرهم الى

---

(1) Bays, China Enters the Twentieth Century, P.135; K.S. Liew, Struggle for Democracy. Sung Chiao-Jen and the 1911 Revolution, California University Press, 1971, PP.52-53..

(2) Bays, China Enters the Twentieth Century, PP.134-135.

الصين ، وإجراء تحريات دقيقة ومطولة عن الطلبة قبل السماح لهم بالسفر الى اليابان . اما المقترحات العشرة الباقية فأكدت ضرورة استخدام المكافأت والعقوبات بصفتها وسيلة لحث الطلبة على الالتزام بالتعليمات والابتعاد عن النشاطات السياسية، فإذا ثَبُتَ التـزام الطالـب بذلك فيكافأ بمنحه الشهادة التي يروم الحصول عليها، وتُهيأ له وظيفةً في الدولة يتـسلمها عند رجوعه الى الصين(١). فضلاً عن ذلك اقترح تشانغ تشي تونغ في كانون الثـاني عـام ١٩٠٤ ضرورة تقوية المثل الكونفوشيوسية لدى الطلبة مـن خـلال إرسـال عـدد مـن المسؤولين الكبار السن المتشربين بالمثل والمبادئ الكونفوشيوسية، الى اليابان ليمارسـوا تأثيراً أخلاقياً في الطلبة، وذلك بأن يجعلوا من أنفسهم مثالاً يقتدي به الطلبة، والى جانـب ذلك أكد تشانغ ضرورة توزيع كتابه (تصحيح حقوق الشعب) على الطلبة للإفادة منه ضـمن ذلك السياق . ولم يُجدِ تنفيذ الحكومة لذلك نفعاً، إذ إن تأثير الافكار والنظريات الغربية على الطلبة كان أكبر من تأثير المُثل الكونفوشيوسية عليهم ، لذا ، لم يحظ أولئـك المـسؤولين بتقدير الطلبة واهتمامهم نظراً لإفتقارهم للمعرفة بالعلوم الحديثة التي حازت علـى اهتمـام الطلبة وتقديرهم ، وفضلاً عن ذلك ان كثرة اعداد الطلاب وقلة عدد المسؤولين الذين أوفدوا في هذه المهمة، جعل مقترحات تشانغ صعبة التنفيذ . والواقع أن فشل هذه الاسـاليب فـي الحفاظ على ولاء الطلبة للحكومة، جعل كثيراً من المسؤولين المحافظين في البلاط يطالبون بإلغاء الدراسات الحديثة والتوقف عن إرسال البعثات العلمية الى اليابان(٢) . ولاسـيما مـع توجه الطلبة نحو إصدار الصحف المعبرة عن آرائهم المناهضة لحكومـة المانـشو مثـل "صحيفة طلبة هونان" (يو ــ هسويه يي ــ بيان) و"حلقة طلبة هوبي" (هو ــ بيا هسويه ــ شنغ) و"تيار تشكيانغ" (تشي ــ تشيانغ تشاو) و"صحيفة كيا نغسو" (تشيانغ سو) . واهتمت هذه الصحف على نحو عام بمناقشة الموضوعات العلمية والسياسية، إذ شـهّرت بـضعف حكومة المانشو وخضوعها للرغبات الاجنبية ونشرت المقالات المناهضة لها . وقـد وجـد أعضاء (رابطة الشباب) التي تشكلت منذ اواخر عام ١٩٠٢، في تلك الصحف منفذاً لنـشر أفكارهم المناهضة للحكومة (٣). وان دل ذلك على شئ انما يدل على تطور ملموس في نشاط الطلاب السياسي و وجود مخاوف كبيرة لدى المسؤولين من يصبح ذلك حالة عامـة فـي

---

(1) Ibid. , P.135, PP.139-140.

(2) Ibid., PP.140-141.

(3) Ibid., PP.141-142.

صفوف الطلبة الصينيين في اليابان . ويستدل على ذلك بالتوجه الكبير لديهم نحو اقتراح الوسائل الكفيلة بضمان ولاء الطلاب للحكومة بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، ودعوتهم لإلغاء الدراسات العلمية الحديثة والاكتفاء بالدراسات الكونفوشيوسية . زيادة على أن إصدار الصحف وتشكيل الجمعيات أصبح يعبر عن رأي عام وطني في صفوف الطلبة، معارض لحكومة المانشو ومندد بالتدخل الاجنبي.

وتأكيداً لما تقدم قوله، أدى رفض روسيا عام ١٩٠٣ سحب الجزء الثاني من قواتها من وسط منشوريا، التي دخلتها في أثناء ثورة البوكسرز[١]، الى إثارة مخاوف دولية من إستمرار التوسع الروسي في الصين[٢]، فضلاً عن قيام موجة من الاستياء الشعبي والرسمي[٣] . ولاسيما بعد أن قررت توسيع خط سكة حديد منشوريا وربطه بمدينة كلغان الواقعة على ابواب سور الصين العظيم شمال غرب العاصمة بكين[٤] . وقدمت روسيا شروطاً لانسحابها، منها أن تتعهد الصين بالا تتنازل عن أي جزء من إقليم منشوريا لدولة ثالثة، ولا تفتح مدناً جديدة للتجارة الاجنبية فيها دون موافقة حكومة روسيا، والابقاء على حقوق الرعايا الروس التي حصلوا عليها في اثناء مدة الاحتلال، وأن تحتفظ للروس بوظائف المستشارين التقنيين في عملية استغلال المناجم في منشوريا ومنغوليا[٥]. كما

---

(١) وضعت منشوريا في تلك الاثناء تحت الحماية الروسية بموجب إتفاقية وقعت بين الصين وروسيا عام ١٩٠١ نصت على إحتلال روسيا لمنشوريا بصفة مؤقتة على أن تعد جزءاً من الامبراطورية الصينية وأن تنسحب منها روسيا على مراحل لاتتعدى سنة ونصف، واشترطت الصين مقابل ذلك توسط روسيا لدى دول الحلفاء لصالح الصين لقبول السلام . ينظر : يقظان سعدون العامر،العلاقات الالمانية –الروسية في عهد السياسة العالمية، ص٥٢٩؛

M. Pichon, Minister Defrance A Pekin, A M. Delcasse, Ministre Des Affaires Etrangeres, D.N.191, Shanghi, Janvier 1901, (D.D.F.), 2 Serie (1901-1911), Tom First (Janvier-December 1901), PP.192-194.

(2) M. Bompard, Ambassadeur De France A Saint-Peterspourg, A. M. Delcasse, Ministre Des Affaires Etrangeres, D.N.171, Saint-Petersbourg 4 December 1903, (D.D.F.), 2 Serie (1901-1911), Tom VI' (Janvier-December 1903), PP.160-161.

(3) Feuerwerker, Op. Cit., PP.199-200.

(٤) مجلة الهلال، السنة (١٠)، المجلد (١١)، ١٩٠٢-١٩٠٣، ص٢٥٣.

(5) Lewis H. Siegelebaum, Another "Yellow Peril". Chinese Migrants in the Russian Far East and the Russian Reaction befoer 1917, Modern Asian Studies, Vol.12, Part 2,1978,P.307; جلال يحيى، المصدر السابق، ص٢٩٣.

شهدت تلك الاثناء ازدياد التوجه البريطاني نحو التبت، بدعوى إمتداد النفوذ الروسي اليها ومايشكله ذلك من خطر على وجودها في الهند . فوجهت حملة الى التبت أرغمتها على توقيع إتفاقية لاهاسا عام ١٩٠٤ ، وبموجبها سُمِحَ باقامة المندوبين البريطانيين في مدن التبت، وتم تحديد الحدود بين التبت وسيكيم، وفتح مراكز تجارية بريطانية في مدن التبت، وأن تدفع حكومة التبت غرامة مالية مقدارها (٧٥) لاكا (أي مايعادل (٥٦٥,٥٠٠) جنيها استرلينياً). وأن تبقى القوات البريطانية في وادي شومبي حتى يتم دفع الغرامة[١].

وبازاء ذلك عقد الطلبة الصينيون في اليابان بالاشتراك مع عدد من طلبة مقاطعة كيانجسو في شهري نيسان ــ آيار إجتماعات عدة في طوكيو أسفرت عن تشكيلهم منظمة طلابية عسكرية عرفت أولاً بأسم "فيلق المتطوعين" (ي ــ يانغ توي) ثم أطلق عليها "منظمة جيش الطلبة" (هسويه ــ شينغ تشون) أكد منهاجها على معارضة التدخل الروسي في منشوريا . وجرى تقسيم جيش الطلبة على ثلاث كتائب تولى قيادتها ثلاثة قادة من الطلبة القادمين من هوبي. اما القيادة العامة للجيش فكانت بيد (لان تيان ــ واي) وهو من طلبة هوبي أيضا[٢]. و الملاحظ أن تشكيل هذه المنظمة العسكرية يعدُّ تحولاً مهماً في نشاط الطلبة ودورهم السياسي وعبر عن قوة وجّدية إرادتهم في الحفاظ على كيان الصين. فضلا عن ذلك أنّ تولي القيادة العليا لهذه المنظمة من طلبة هوبي يعكس مدى قوة نفوذهم وتأثرهم بالظروف التي أحاطت بمقاطعتهم على نحوٍ خاص، من حيث قوة التحول الثقافي فيها ، الذي تعود بداياته، كما لوحظ ذلك سابقاً الى سياسة التعزيز الذاتي، واستمر في اثناء حركة إصلاح المئة يوم، وأفاد على نحوٍ افضل من سياسة الاصلاح الحكومي في ظل الدعم الكبير الذي لقيه من تشانغ تشي تونغ الحاكم العام لإقليم هونان هوبي، كل ذلك عزز من قوة إرادتهم في مواجهة التدخل الروسي ومحاولة إيجاد حكومة قادرة على النهوض بالصين والحفاظ على سيادتها .

---

(١) محمد حسن العيلة أواسط آسيا الاسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٦٨، ص٣١٥-٣١٦.

(2) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.142-143; Benjamin I.Schwartz(e.d) , Reflections on the May Fourth Movement. A Symposium, East Asian Recerch Center Harvard University, United States of America, 1972, PP.59-60.

وعلى صعيد آخر أثار الطابع العسكري لمنظمة جيش الطلبة وإعرابها عن استعدادها لمقاتلة الروس، مخاوف الحكومة اليابانية من التورط بمشاكل دبلوماسية مع روسيا[1]، فمارست اليابان ضغطا على هذه المنظمة لتغيير موقفها من روسيا . وتبعاً لذلك تغير اسم المنظمة في ١١ آيار عام ١٩٠٣ الى رابطة الثقافة العسكرية للمواطنين الصينيين (تشون كوو– مين تشياو– يو هوي)، والغت المنظمة كل أشارة في منهاجها دعت فيها الى معارضة روسيا، وابقت على طابعها العسكري العام . وفي سياق آخر نسقت هذه المنظمة جهودها مع جهود الطلبة في الصين في تقديم الالتماسات الى حكومة المانشو للوقوف بحزم ضد مطالب روسيا ومقاتلتها اذا لزم الامر، وأبدوا استعدادهم للمشاركة الفعلية في ذلك . وأقترحوا على الحكومة أن تلجأ الى بريطانيا واليابان لمساعدتها في الوقوف بوجه مطالب روسيا[2] . ومن جانب آخرأستغل الطلاب ذلك الموقف ، فتحت غطاء التأهب العسكري لمواجهة التدخل الروسي ، أعدوا انفسهم للقيام بحركة ضد المانشو، لولا وشاية أحد الاعضاء المندسين في الجمعية، التي أفسدت خطة الانتفاضة واصبح اعضاء الجمعية ضحية المطاردة والاضطهاد بموجب المرسوم الذي أصدرته الحكومة في آيار عام ١٩٠٣ . وهو الامر الذي أدى الى ضعف نشاط هذه الجمعية حتى تحالفها مع صن يات صن في جمعية إنهاض الصين في عام ١٩٠٥[3].

وضمن سياق نشاط المثقفين السياسي يندرج ،أيضا، نشاط صن يات صن الذي حاول منذ عودته الى مدينة يوكوهاما اليابانية عام١٩٠١ بعد فشل المحاولة المذكورة سلفا الافادة من موقف الطلاب ذلك في إعادة نشاط جمعية إنهاض الصين وشمول اعداد منهم فيها وتوسيع فروعها وجمع المساعدات المالية لها من المهاجرين في هاواي والولايات

---

(١) شهدت تلك المدة تصاعداً كبيراً في التنافس الروسي–الياباني حول كوريا ومنشوريا. فقد طالبت اليابان روسيا بأن تعترف بمصالحها في كوريا، وصرحت بأنها لن تتخلى عن سياستها في منشوريا إلا بالاعتراف بحقوقها (القومية) في ممارسة نشاطها التجاري فيها بحرية كبيرة.

M. Bompard, Ambassadeur De France A Saint-Peterspourg, A. M. Delcasse, Ministre Des Affaires Etrangeres, D.N.171, Saint-Petersbourg, 4 December 1903. PP.160-161.

(2) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.143-144; Schwartz. Op. Cit., P.61.

(3) Feuerwerker, Op. Cit., PP.201-203; Bays, China Enter the Twentieth Century. PP.145-146.

المتحدة[1] . وتعميقاً في تنسيق الجهود معهم ، فتح صن يات صن مدرسة عسكرية للطلاب الصينيين في طوكيو على نفقة جمعية إنهاض الصين وبمساعدة عدد من الاصدقاء اليابانيين، على الرغم من سعي حكومة المانشو لتقويض ذلك بالضغط على الحكومة اليابانية . و فضلا عن ذلك قدم صن يات صن مساعدات مالية للرابطة الوطنية وأيد نشاط جمعية استقلال كوانغتونغ ، و رغب في نهاية عام ١٩٠٢ بفتح مركز جديد للمعارضة في هانوي شمال فيتنام الخاضعة للنفوذ الفرنسي، إلا أن سفر الحاكم الفرنسي ،الذي أبدى استعداده للمساعدة ، سلفا ، حال دون ذلك[2]. ودفعته الحاجة الى الموارد المالية وفتح فروع جديدة للجمعية، الى القيام برحلة الى هاواي والولايات المتحدة في عام ١٩٠٤. وفي سياق آخر عمد الى ادخال تعديلات الى منهاج الجمعية اكد فيها حماية حقوق البرجوازية ، فتمكن بذلك من إستقطاب عدد من مؤيدي التيار الإصلاحي في المهجر . ولتوطيد علاقته بالمهاجرين إنضم الى "حزب الإخلاص والعدالة" (تشانغو تشانغ) وهو منظمة سرية نظمها المهاجرون الصينيون في المهجر دأبت على توطيد التعاون بينهم، ووُضِعَ صن يات صن في مكانة مرموقة في المنظمة، وحقق نصراً كبيراً على الإصلاحيين الذين هاجموه عبر صحافتهم ووصفوه بأسوا الاوصاف، وتمكن من إضفاء الطابع السياسي على هذه المنظمة ودعم نشاطها المعارض لحكم المانشو[3]. وفضلا عن ذلك نشطت فروع جمعية انهاض الصين الاخرى ، في تلك المدة ، ولا سيما فرع هونغ كونغ بقيادة تشين تشاو باي ، الذي أصدر صحفاً عدة كان أهمها صحيفة كوانغتونغ (غوانغدونغ ريباو) التي صدر العدد الاول منها عام ١٩٠٤، وأكدت أغلب مقالاتها على أن إنقاذ الصين يكمن في إنهاء حكم المانشو وإقامة حكومة جمهورية ديمقراطية[4].

---

(1) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op.Cit. , P.305; Edwin J. Dingle, China's Revolution 1911-1912, A Historical and Political Record of the Civil War, Haskell House Publish Ltd. (New York, 1972), PP.15-16; Pritchard, Op. Cit., P.3.

(2) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit., P.306; Tikhvinski, Op. Cit., P.448.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., PP.449-450.

(4) Ibid., P.448; Rhoads , Op. Cit., P.66.

ويضاف الى ما تقدم شهد عام ١٩٠٥ ظهور اتجاه لدى صن يات صن والمثقفين وعدد من الجمعيات السرية ، نحو توحيد جهودهم في حزب برجوازي جمهوري يتزعمه صن يات صن نفسه[١] . وتعلقت أسباب ذلك ببطء الاصلاح الحكومي وعدم شموله نظام الحكم ، فحتى عام ١٩٠٦ لم تعد الحكومة بوضع دستور للبلاد . وهو الامر الذي جعل عدداً من المثقفين ولاسيما أولئك الذين تلقوا تعليمهم في اليابان ، يدركون أن سياسة الاصلاح الحكومي، استهدفت المحافظة على بقاء المانشو في السلطة مدة أطول ، وليس لديها النية في اتباع النظام الدستوري ، فركزوا جهودهم للإطاحة بها[٢] . وترك ازدياد توجهات اليابان التوسعية وأحداث الحرب الروسية اليابانية عام (١٩٠٤-١٩٠٥)[٣] التي شكلت إنتهاكاً واضحاً لسيادة الصين[٤]، أثرها في حكومة المانشو والحركة الجمهورية، فقد لاح لحكومة المانشو أمل التخلص من التوسع الروسي في منشوريا على يد اليابان التي تظاهرت بأنها لم تقم

---

(١) خالد محمد المقامس، المصدر السابق، ص٣٢؛

Ho Kan-Chih, A History of the Modern Chinese. Revolution, Foreign Languages Press, Peking, 1959, P.9; Liew, Op. Cit., P.50; Dreyer, Op. Cit., P.25; Jerome Ch'en, Op. Cit., P.29; Franke, Op. Cit., PP.70-71.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., PP.451-452; Kodansha Encycolpedia of Japan, P.287.

(٣) نشبت هذه الحرب بين روسيا واليابان بسبب التنافس والصراع حول اقليم منشوريا، وتمكنت القوات اليابانية فيها من الحاق هزائم متكررة بالقوات الروسية ففي العاشر من شباط سيطرت القوات اليابانية على اقليم منشوريا وطردت القوات الروسية منه، وفي الثاني من كانون الثاني ١٩٠٥ سيطرت على ميناء بورت آرثر، وفي آيار من العام نفسه حطم الاسطول الياباني القسم الاكبر من الاسطول الروسي، وانتهت الحرب بتوسط الولايات المتحدة وعقد معاهدة بورتسموث بين الدولتين المتحاربتين، وبموجبها حصلت اليابان على الجزء الجنوبي من سكة حديد منشوريا فضلا عن عدد من الامتيازات في الاقليم نفسه، وتنازلت روسيا لليابان عن الجزء الجنوبي من جزيرة سخالين وتعهدت بعدم التدخل في نشاط اليابان في كوريا. للمزيد من التفاصيل ينظر : روجر باركنسن، موسوعة الحرب الحديثة، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون، بغداد، ١٩٩٠، ج٢، ص٥٢١-٥٢٤؛ عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص٢١٧-٢١٨؛ مجلة الهلال، المجلد (٤) السنة (١٨)، ١٩٠٩-١٩١٠، ص٢٥٤-٢٥٥.

(4) Shumpei Okomato, A Phase of Meiji Japan's Attitude Toward China. A Case of Komura Iutaro, Modern Asia Studies, Vol.13, Part 3, P.446; Patwant Sing. The Struggle for Power in Asia, Hutchinson and Co. LTD., (Bombay, 1977), PP.10-11; Madeleine Chi, China Diplomacy 1914-1918, Harvard University Press, 1970, P.28.

بهذه الحرب إلا لحماية منشوريا، وطالبت حكومة المانشو بالمشاركة في تحمل نفقات هذه الحرب . وعلى صعيد آخر أساءت هذه الحرب لكرامة حكومة المانشو التي عجزت عن الدفاع عن سيادة الصين[١]، ففضلاً عن ان منشوريا كانت ساحة حرب بين الطرفين ، فقد أقرت معاهدة الصلح (بورتسموث) تنازل روسيا لليابان عن كل امتيازاتها في جنوب منشوريا[٢] . وهو الامر الذي أعطى زخماً قوياً للثورة ضد حكومة المانشو التي فشلت في الحفاظ على سيادة البلاد ، وفي مواجهة الضغوطات الامريكية لإنهاء حركة مقاطعة البضائع الامريكية . وزادت أحداث ثورة ١٩٠٥ في روسيا في إصرار الجمهوريين ، على المضي في ذلك الاتجاه ودفعهم الى التقرب من صن يات صن ، الذي صاغ منهاجه الجمهوري وأهدافه على نحوٍ يحفظ سيادة البلاد برأيهم ، مع تأكيد ضمان حقوق الطبقة البرجوازية ، وتوزيع الارض على نحوعادل ، فتشجع عدد من المثقفين والبرجوازيين والجمعيات السرية على الالتفاف حوله[٣]. والى جانب ذلك يمكن القول أن الفشل المتكرر الذي منيت به جمعية نهضة الصين والجمعيات السرية وجمعيات المثقفين في تحقيق هدفها ، لأسباب تنظيمية و مالية و ، جعلهم يدركون الحاجة الى توحيد تنظيماتهم المتعددة في تنظيم مركزي جمهوري موحد يقود عملية الاطاحة بحكومة المانشو.

وعلى أساس ذلك قام صن يات صن بجولة واسعة في عامي ١٩٠٤ و١٩٠٥، ألتقى فيها بالمهاجرين الصينيين في اوربا والولايات المتحدة وجزر هاواي واليابان، لضم الاصوات وجمع الاموال وتوحيد العمل ، ومعرفة موقف تلك الدول من التيارالجمهوري في الصين . وأسفرت تلك الجولة عن إقامة تنظيم موحد برئاسة صن يات صن عرف باسم "جمعية التحالف المشترك" (تونغ مينغ هوي) شمل المنظمات الداعية لإنهاء حكم أسرة

---

(1) M. Duball, Ministre De France A Pekin, A M. Delcasse, Ministre Des Affaires Etrageres, D.N.6, Pekin, 11 Jannvier 1905, (D.D.F.), 2 Serie (1901-1911), Tom VI (2 Janvier-6 Juin 1905), P.22.

(2) M. Jusserand, Ambassadeur De France A Washin-Gton, A. M. Delcasse, Ministre Des Affaires Etrangeres, T.N.3, Washington, 15 Januier 1905, (D.D.F.), 2 Serie (1901-1911), (2 Janvier-6 Juin 1905), PP.37-38.

(٣) ثورة ١٩١١، ص٣٢-٣٤ ؛ عبد الرزاق مطلك الفهد، تاريخ العالم الثالث، مطابع وزارة التعليم العالي ، بغداد (د.ت)، ص٣٧١؛

Tikhvinski, Op. Cit., P.; Thomson, Op.Cit.,P.610.

المانشو[1]. وبحضور (٨٦٣) عضو (١٠) بالمئة منهم من الطلاب الموفدين الى اليابان، والباقي من التجار وملاكي الاراضي و الاطباء والمحامين وأعضاء الجمعيات السرية، عقد المؤتمر التأسيسي للجمعية في طوكيو في ٨ أيلول عام ١٩٠٥ . وحدد اهداف الجمعية الاربعة، وهي القضاء على حكم المانشو، واقامة الجمهورية، واستعادة سيادة الصين، والمساواة في حقوق الارض[2]. وصاغ صن يات صن مبادئ الثورة ومراحلها في ثلاثة اقسام عرفت بـ (المبادئ الثلاثة للشعب)، عرضتها "صحيفة الشعب" (مينباو) لسان حال الحزب، في المقال الافتتاحي الذي كتبه صن يات صن، في عددها الاول الصادر في ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٠٥ والذي أوجز فيه تلك المبادئ على النحو الآتي:-

١ – القومية (مين تسو): واراد بها تخليص الصين من حكم المانشو، وإقامة جمهورية صينية ديمقراطية تشمل جميع القوميات وتكون فيها قومية الهان هي الغالبة.

٢ – الديمقراطية (مين تشوان): وتعني تحقيق حكم الشعب بدءاً بتشكيل المجالس القروية حتى البرلمان ويأتي ذلك على ثلاث مراحل:-

- المرحلة الاولى: الثورة ضد حكومة المانشو وجهازها الاداري الفاسد، وتشكيل حكومة عسكرية أمدها ثلاث سنوات.
- المرحلة الثانية: هي مرحلة الاعداد والوصاية على حقوق الشعب من خلال انتخاب المجالس المحلية، وانتخاب جمعية وطنية تتولى مسؤولية وضع دستور مؤقت للبلاد أمده ستة اعوام.
- المرحلة الثالثة: وتبدأ بسن الدستور وتشكيل حكومة جمهورية دستورية ورئيس منتخب.

٣ – معاش الشعب (مين شنج): أكد المساواة في توزيع الارض، وتحديد أسعارها وتحويل كل زيادة تطرأ على سعرها الى ملكية الدولة[3].

(1) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, P.306: Rhoads, Op. Cit., P.104.

(2) Tkhvinski, Op. Cit., P.457.

(3) Sun Yat-Sen, The Purpose of Our Revolution, In Dun J. Li, Op.Cit., PP.317-319; المفوضية الصينية ببغداد ، كان ناى كوان، المبادئ الثلاثة للشعب، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦، ص٨-٢٨؛ أكاديمية العلوم السوفيتية. معهد الشرق الاقصى، الصين المعاصرة. مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية (مجموعة مقالات)، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥، ص٧-٨.

والملاحظ أن هذا المنهاج أهمل قضايا أساسية نحو المشكلة الزراعية والتذمر في اوساط الفلاحين ومسألة التهديد الخارجي ووقوف القوى المحافظة بوجه عمليات التحديث، إلا أنه حظي بتأييد البرجوازية ، ولاسيما انه استهدف القضاء على حكم المانشو وإقامة جمهورية دستورية ديمقراطية تحقق المساواة بين المواطنين وتدعو الى الفصل بين السلطات الثلاث[1] . ولكنه من جانب آخر واجه اعتراضات وتحفظات عدد غير قليل من أعضاء الجمعية أنفسهم . فعلى سبيل المثال أبدى عدد من الاعضاء ممن ينحدرون عن طبقة ملاك الاراضي اعتراضاتهم بشأن تحقيق المساواة في ملكية الارض، وأبدى آخرون تأكيدهم النضال ضد المنشوريين بشدة ولم يهتم بالمسائل الاخرى[2] . وانعكس ذلك التباين في وجهات النظر ، في صحافة الجمعية وادبياتها ، فقد أهمل عدد من اعضاء الجمعية ممن لا يؤمنون بتحقيق المساواة في توزيع الاراضي الترويج لمبدأ معاش الشعب في مقالاتهم وركزوا جل جهدهم على مبدأ القومية[3] . ومع كل ذلك حظيت الجمعية بتجاوب الجمعيات والمنظمات الاخرى المؤيدة لانهاء حكم المانشو ، حتى قدر صن يات صن في عام ١٩٠٦ عدد المنتمين الى الجمعية بـ (١٠) آلاف عضو[4]. عكس ذلك التباين في الرأي الاختلاف الكبير في الانحدار الطبقي والثقافي بين اعضاء الجمعية . ومع ذلك ، فانهم حاولوا أن يكرسوا جل اهتمامهم على الهدف الاساسيّ المتمثل باسقاط المانشو. والواقع أن هذا المد المعارض دفع الحكومة بأتجاه تبني الاصلاح الدستوري بصفته حلا يرضي احد اطراف المعارضة ويحفظ للحكومة بقاءها في السلطة، ولاسيما مع تصاعد نشاط الحزب الدستوري البرجوازي في ذلك الحين .

وعلى الصعيد الداخلي لم يحل اكتشاف الحكومة لتلك الحركات المعارضة التي نظمها الطلبة الصينيون في اليابان، دون ولوج عدد من الطلبة الذين تلقوا تعليمهم في داخل الصين والمتخرجين العائدين من اليابان، في النقاشات السياسية وتشكيل الجمعيات السرية المناوئة لحكمها ، ولاسيما في اقليم ليانغ جيانغ (هوبي – هونان) وكوانغتونغ وشنغهاي . ففي ووتشانغ مركز إقليم ليانغ جيانغ ظهرت في عام ١٩٠٣ "رابطة الحوار السياسي الراديكالي"

---

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٩٢.

(٢) ثورة ١٩١١، ص٣٨.

(3) Tikhinski, Op. Cit., PP.460-461.

(4) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit. , P.306.

وكان وولو تشين، وهو أحد الضباط المتخرجين من مدرسة ضباط الجيش اليابانية عام ١٩٠٢، وعاد الى هوبي في خريف العام نفسه، أحد الشخصيات المهمة في هذه الرابطة، التي تأثر أعضاؤها بقراءة منشورات وكتابات ليانغ تشي تشاو حول القومية. فيما انضم عدد منهم الى صفوف الجيش الجديد بغية التأثير في أفراده، وسرعان ماتم اكتشاف أمر هذه الرابطة من السلطات المحلية، وبأمرٍ من الحاكم العام للاقاليم تشانغ تشي تونغ، لم تستخدم القوة في التخلص منها، بل لجأ تشانغ الى أسلوب الاستقطاب والتفريق . إذ عهد الى وولوتشن، الذي أُعجب بفصاحته وثقافته، مسؤولية الشؤون التعليمية في إحدى المدارس العسكرية فضلاً عن مسؤوليات أخرى مهمة ، في حين أُرسل الآخرون للدراسة في اوربا واليابان على نفقة الدولة. وقد أُرجعَ السبب في ذلك الى عدم تحالف أعضاء هذه الرابطة مع الجمعيات السرية، فضلاً عما يمكن أن يتعرض له تشانغ تشي تونغ الذي تحمل مسؤولية إرسالهم ضمن البعثات العلمية، من موقف محرج أمام البلاط[1] . ومن الممكن أن يزاد على ذلك سبب آخر هو أن تشانغ تشي تونغ أدرك أن التخلص من المخاطر لايعني دائماً استخدام القوة بل يجب اللجوء الى الاساليب السلمية للتخلص منهم فوجد في تفريق اعضاء هذه الرابطة ومنح بعضهم المناصب الحكومية وإرسال الآخرين للدراسة في اوربا واليابان وسيلة افضل من اللجوء للاضطهاد . فضلاً عن ذلك لم يكن تشانغ تشي تونغ الذي عرف بحرصه على إرسال البعثات العلمية مستعداً للتخلص من خمسين مثقفاً يمكن الافادة منهم.

والواقع أن إجراءات تشانغ تشي تونغ وإن نجحت في اول الامر في السيطرة على جزء من اعضاء رابطة الحوار السياسي، إلا أن من بقي منهم ظلوا يعملون في الخفاء، وفي آيار عام ١٩٠٤ اختاروا للتنظيم اسم "مركز دراسة العلوم التكميلية" (لودا شين)، للتغطية على نشاطاتهم السياسية . وأكد منهاج تنظيمهم على ضرورة القضاء على سلطةالمانشو العسكرية والمدنية في ووتشانغ للترويج لأفكارهم الجمهورية . وفي صيف العام نفسه اتحد هذا المركز مع المنظمة الثورية التي اقامها طلبة هونان المعروفة باسم "منظمة هونان الثورية" (هوا ـ هسنغ هوي) و"رابطة الثقافة العسكرية" ، فشكلوا "جمعية نهضة الصين"، واتخذوا من تشانغشا ـ عاصمة هونان ـ مركزاً لها، وانتخب

(1) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.148-150; Edmund S.K. Fung. Op. Cit., PP.104-105.

هوانغ شينغ رئيساً لها وهو احد الطلاب العائدين من اليابان[١] . واتجهت هذه الجمعية للتحالف مع الجمعيات السرية في هونان ، وجعلت من إنهاء حكم المانشو وإقامة الجمهورية بوصفها هدفاً لها . ولتحقيق ذلك أصدروا صحيفة ناطقة بلسانهم "صحيفة الصين اليومية" فضلاً عن عدد من المقالات والنشرات الثورية، التي لقيت رواجاً شعبياً لسلاسة إسلوبها وأهمها "ناقوس الإنذار" و"اليقظة المفاجئة" . ووضعوا خطة للقيام بأنتفاضة في اليوم العاشر من تشرين الاول المصادف يوم الاحتفال بميلاد الامبراطورة الارملة التي بلغت السبعين من عمرها، وذلك بوضع قنبلة على بساط الركوع في داخل قصر وانشو الإمبراطوري في تشانغشا لقتل جميع الموظفين والضباط في مقاطعة هونان، القادمين للتهنئة بميلادها . ثم الاستيلاء على تشانغشا، مع القيام سلفاً، بتحريض خمسة أرتال من الجيش المحلي للمساعدة في الانتفاضة . إلا أن ذلك لم يتم إذ اكتشف أمر الانتفاضة قبل عشرة أيام من تنفيذها، فأُلقي القبض على عدد من اعضائها، في حين لجأ آخرون ومنهم هوانغ شينغ الى شنغهاي ومنها الى اليابان[٢].

وعلى الصعيد نفسه، أصبحت شنغهاي مركزاً من مراكز حركة المعارضة في الصين في مطلع القرن العشرين[٣] . فمنذ عام ١٩٠١ وصل اليها عدد من قياديي "منظمة القومية" (غومينباو) ، قادمين من اليابان ، وأسسوا "الرابطة الصينية للتعليم" وانتُخب تساي يوان باي رئيساً لها ، وأعلنوا أن اهدافها تحسين مستوى التعليم وتشجيع حركة التأليف والنشر، فانضم اليها عدد من المثقفين والادباء الصينيين . وفي عام ١٩٠٣ أسست مدرستان ثانويتان حديثتان احداهما للذكور والاخرى للإناث، سميت الاولى بـ"الجمعية الوطنية للطلاب" ضمت جميع الطلاب المطرودين من مدارس كيانجسي، نظرا لمطالبتهم بحرية الرأي وتدريس النظم السياسية [٤]. والواقع أن الاتجاهات الجمهورية بقيت تسيطر على قياديي هذه الرابطة، فأصدروا في عام ١٩٠٣ جريدة ذات طابع جمهوري

---

(1) Pritchard. Op. Cit., P.3; Bays, China Enter the Twentieth Century, P.149; Tkhvinski . Op. Cit. ,PP.440-441.

(٢) ثورة ١٩١١، ص٢٦ وص٢٨.

(3) Hollington K. Tong , Chiang Kai-Shak, China Publishing Company, Taipei, 1953, P.27.

(4) Tikhvinski. Op. Cit., PP.442-443; Martin Bernal, The Tzu-Yu Tang and Tai Chi T'ao 1912-1913, Modern Asian Studies, Vol.1, Part 2, 1967, PP.133-134.

عرفت بجريدة (سوباو)، ركزت على نشر مقالات الجمهوريين المنددة بالإصلاحيين، منها مقالة تشانغ بينغ لين (دحض "حول الثورة" لكانغ يووي) ومقالة عن كتاب (الجيش الثوري) لتسو رونغ، وغيرهما من المقالات التي الهبت المشاعر الوطنية لدى قرائها[1]. وقد ترددت أصداء هذه الصحيفة بين صفوف الطلبة والمهاجرين الصينيين في اليابان وهونغ كونغ وجنوب شرق آسيا. وأحست حكومة المانشو بقلق كبير من نشاط الجمهوريين الذي أخذ ينمو في شنغهاي فلوحت للمندوب الامريكي غودهاو بأمتيازات جديدة وأغرت شرطة شنغهاي برشوة، في مقابل التخلص من الرابطة الصينية للتعليم وهيئة تحرير صحيفة سوباو . فتم لها ذلك، إذ نظمت سلطات شنغهاي محاكمة علنية لعدد من زعماء هذه الرابطة، بحجة التشكيك في مقالاتهم بقدرات الامبراطور العقلية، وحكم عليهم بالسجن مدة كانت بين عامين الى ثلاثة أعوام[2] . وزيادة على ذلك فرضت الحكومة حظراً شديداً على صحيفة سوباو وكتاب اليقظة المفاجئة الذي نعتته بالكتاب العاصي وأصدرت بلاغاً بقتل كل من يقرؤه[3] . وخلافاً لما إبتغته إجراءات الحكومة من تقويض النشاط الجمهوري ، ترددت أصداء محاكمة محرري جريدة سوباو في الصحف الصينية، على نحوٍ شكل دعاية كبيرة لنشاطهم . فضلاً عن ذلك قام عدد من أعضاء رابطة التعليم بتشكيل جمعية عرفت باسم "الاتحاد من أجل استعادة السيادة"، وانتخب تساي يوان باي رئيساً لها، وأصدروا صحيفة "محنة القومية" (غومين تشي ريباو)، التي أطلق عليها "الثوريون سوبا والثانية"، فضلاً عن "صحيفة الناقوس" (تشنغ تونغ ريباو) . ونظمت عملية شراء الأسلحة إستعداداً للقيام بالثورة في إقليم آنهوي، وانضم الى هذا الاتحاد عدد من الموظفين والنبلاء المثقفين ، ومجاميع من ملاكي الاراضي المعارضين لحكم المنشوريين، الذين عانوا من الضرائب الفادحة التي فرضت عليهم، وأكدوا أن هدفهم إسقاط المانشو، ولم يقدموا لا بديلاً عنها ولا برنامجاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً يطبق بعد سقوط المانشو . إلا أن القيادة العليا للاتحاد أكدت أن هدفها إسقاط حكومة المانشو وإقامة الحكم الجمهوري، وتحقيق المساواة وحماية حقوق الطبقة البرجوازية، والملاحظ أن نشاطات هذا الاتحاد في عامي ١٩٠٤-١٩٠٥ اقتصرت فقط على الدعاية للنشاط الجمهوري [4].

---

[1] ثورة ١٩١١، ص٣٠.

(2)Tikhvinski, Op. Cit., PP.443-444.

[3] ثورة ١٩١١، ص٣١.

(4)Tikhvinski, Op. Cit., PP.444-445.

٢- نشاط التيار الإصلاحي (الملكي الدستوري)

الى جانب نشاط التيار الجمهوري ، شهد مطلع القرن العشرين ، أيضاً ، تصاعدا ملموساً في نشاط التيار الملكي الدستوري . وارتبط ذلك بعوامل متعددة ، كان أهمها ألحاق الاضرار بمصالح البرجوازيين الدستوريين نتيجة عدم توفير الحماية للبضائع المحلية من منافسة البضائع الاجنبية ، في ظل قانون (٥) بالمئة حداً أعلى للتعريفة الكمركية المفروضة عليها ، فضلاً عن إعفائها من ضريبة المرور الداخلي (ليجين) ، وارتفاع قيم الاستثمار الاجنبي من (٧٥٠) مليون دولار عام ١٩٠٠ الى (١٦٥٠) مليون دولار قبيل الحرب العالمية الاولى [١]. وكان من نتيجة ذلك أن أصبح البرجوازيون أكثر اهتماماً بمناقشة الوضع السياسي ، مستفيدين في ذلك من الغرف التجارية التي أقرتها الحكومة [٢] . وفي السياق ذاته فإنهم أُجبروا على تمويل سياسة الاصلاح الحكومي ، إذ فرضت الحكومة على التجار وملاك الاراضي ، ضرائب ثقيلة أثرت في عوائدهم ونشاطهم التجاري، مثل ضريبة الملح وضرائب أخرى فرضت على التبغ والسكر والشاي والنبيذ، فضلاً عن مضاعفة إيجارات المحلات والرسوم الدراسية والرسوم المفروضة على المعاملات التجارية والمصرفية ، وعمليات بيع وشراء العقارات . و هذه الامور كلها اوجدت لديهم احساسا بالمرارة والغبن، واضطر عدد منهم الى الهجرة الى خارج البلاد، وهناك انتمى قسم منهم الى "جمعية إنهاض الصين" كما اتضح ذلك سلفا ، أما القسم الآخر فأيد الافكار الإصلاحية لكانغ يووي وليانغ تشي تشاو [٣] ، التي روجوا لها عبر نشاطاتهم الصحفية . ففي عام ١٩٠٢ أصدر ليانغ تشي تشاو "صحيفة نهضة الشعب" (تشين ين كونغ باو) و"مجلة الرواية الجديدة" (تشينشي باو)، وفي شنغهاي أصدر " صحيفة الزمان" (شي باو) عام ١٩٠٤ . زيادة على ذلك فتح "دار نشر المعارف" (غوانغ تشي) . وتولى رئاسة تحرير جميع تلك الصحف، التي أصبحت المراكز الآيديولوجية للتيار الاصلاحي الملكي الذي أداره كانغ يووي . والواقع أن النتاجات الصحفية لليانغ تشي تشاو، الذي لم يكن يؤمن مثل أستاذه بالتغييرات الجذرية (الجمهورية)، لم تركز على أهمية الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فحسب . بل ركزت على ضرورة تغيير الشعب الصيني لنفسه على

---

(1)Tikhinski, Op. Cit., P.523.

(2)Rhoads, Op. Cit., P.38.

(3)Tiinski, Op. Cit.,P.435, P.535.

وفق ما أسماه بـ"حركة إحياء الشعب" التي رمت الى قيادة حركة وطنية من خلال ايجاد ما أطلق عليه بـ "الثقافة الجديدة" [١] ، التي لا تنبذ برأيه كل ماهو قديم، بل تنادي بتجديده، ولاسيما العادات والتقاليد والآداب العامة والقوانين التي أعتقد أن من شأنها رفع الروح الوطنية لدى "الشعب الجديد"، الذي يجب عليه اقتباس كل مايفتقر اليه من الامور النافعة[٢]. من الواضح أن ليانغ تشي تشاو ربط أهمية إجراء التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بضرورة تغيير الشعب نفسه وذلك لتحقيق التوافق والانسجام بينه وبين تلك التغيرات المزمع إجراؤها . ويبدو أنه أفاد في ذلك من تجارب السابقين ، ولاسيما تجربة زعماء سياسة التعزيز الذاتي، الذين جوبهت كثير من مشاريعهم الصناعية الحديثة بمقاومة شعبية ، لذا أرتأى ضرورة تثقيف الشعب أولا ، ومن ثمّ الشروع بتنفيذ التغييرات المزمع أجراؤها . والى جانب ذلك توحي فكرة الثقافة الجديدة بأن ليانغ تشي تشاو وضع أسرة المانشو ضمن الاشياء القديمة التي يجب الاحتفاظ بها ، ولكن بشرط تجديدها من خلال اقتباس الانظمة الحديثة ، وفضلاً عن ذلك يوضح طرح هذه الفكرة في وقت متزامن مع طرح صن يات صن لفكرة المبادئ الثلاثة للشعب الصيني انها جاءت ضمن سياق المنافسة حول جمع أكبر عدد من الانصار.

وعلى الصعيد الداخلي، هيأ إقرار الحكومة تشكيل الغرف التجارية، الفرصة أمام التجار للتشاور بشأن مصالحهم وتحديد موقفهم السياسي وتخويل من ينوب عنهم للتشاور مع الاوساط الحكومية حول مطالبهم[٣]، التي اتفق معهم فيها عدد من ملاكي الاراضي، التي أكدت ضرورة وضع دستور محدد للبلاد في ظل حكم المانشو، يضمن للتجار والصناعيين الصينيين بعض الحقوق السياسية [٤] . ففي ربيع عام ١٩٠٤ قدم تشانغ جيان، أحد كبار ملاكي الاراضي، مقترحاً الى تشانغ تشي تونغ، قضى بتشكيل حكومة ملكية دستورية وطلب منه عرضه على البلاط . وعلى الرغم من أنه لم يستجب له، إلا أن ذلك لم

(1) Liang Chi-Chao, The Renovation of the People, In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit,. PP.220-221; Hao Chang, Op. Cit., PP.149-151.

(2) Liang Chi-Chao, Explanation of the Meaning of "The New People", In: Ssu-Yu Teng, Op.Cit., PP.222-223.

(3) Rhoads, Op. Cit., P.58; Sutton, Op. Cit., P.27.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P.436.

يمنع مسؤولين آخرين من المطالبة بالحكومة الملكية الدستورية، التي أصبحت بحلول عام ١٩٠٥ إحدى اهم قضايا الرأي العام والنقاش في الدوائر الحكومية[١].

وفي سياق آخر عبر البرجوازيون المطالبون بالملكية الدستورية، والذين اتخذوا لانفسهم اسم "أنصار الملكية الدستورية والإستقلال المحلي وتنشيط الصناعة والتجارة وبقية النشاطات والهيئات الدستورية" عن سخطهم تجاه السيطرة الاجنبية على المشاريع الاقتصادية، ولاسيما السكك الحديد . وظهر ذلك واضحاً في صحافتهم منذ عام ١٩٠٢ حينما نشرت مجلة (وانجياباو) في عددها الاول مقالاً بعنوان (الاجانب يستولون على خطوط السكك الحديد والمناجم في الصين) و أبدوا فيه قلقهم بذلك الشأن ودعوا الحكومة لتبني الاصلاح على وفق تجربة الميجي الاصلاحية في اليابان . ومثلما أثر انتصار اليابان في الحرب على روسيا عام ١٩٠٥ وقيام الثورة الروسية في دفع الحركة الجمهورية بقيادة صن يات صن، أثارت هذه الحرب التي دارت فوق الاراضي الصينية، وبينت عجز حكومة المانشو عن الدفاع عن سيادة واستقلال البلاد، حماسة وطنية كبيرة لدى البرجوازيين وشجعت عدداً من كبار ملاك الاراضي على الانضمام للتيارين المعارضين لحكم المانشو[٢] . وفضلاً عن ذلك وجد كثيراً من البرجوازيين والمثقفين الصينيين أن انتصار اليابان على روسيا انما يرجع الى إقامتهم حكومة دستورية . ومن جانب آخر شجعهم إجبار ثورة ١٩٠٥ الحكومة القيصرية على تقديم التنازلات، على الضغط على حكومة المانشو، التي خشيت من أنباء هذه الثورة، لإرغامها على تبني الاصلاحات الدستورية[٣].

وعلى صعيد آخر أبدى البرجوازيون بالاشتراك مع عدد من الطلبة والمثقفين، مواقف عبرت عن تزايد قوتهم ونمو دورهم السياسي، ولاسيما في حملة مقاطعة البضائع الامريكية عام ١٩٠٥، وحملة مقاطعة البضائع اليابانية عام ١٩٠٨، وحملة استعادة حقوق خط سكة حديد كانتون — هانكو[٤] . ففي كانون الاول عام ١٩٠٤ انتهت مدة المعاهدة

---

(1) Hibbert, Op. Cit., P.362; Bays, China Enter the Twentieth Century, P.127.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.437-451.

(3) Don C. Price, Rusia and the Roots of the Chinese Revolution 1896-1911, Hrvard University Press, 1974, PP.91-92.

(4) Chesneaux and Others, Op. Cit. , P.362; Sutton, Op. Cit., P.29.

الصينية ـ الامريكية المعروفة بمعاهدة الاستثناءالتي وقعت عام ١٨٩٤، والتي منع بموجبها العمال الصينيون من الهجرة الى الولايات المتحدة، وشملت فيها لاحقاً الفلبين وهاواي التي كان يوجد فيها عدد كبير من الصينيين . وقد حاولت الولايات المتحدة تجديد هذه المعاهدة بوساطة مبعوثها روك هل (W.W. Rockhill) ، الذي أجرى في نيسان عام ١٩٠٥ مفاوضات مع وزير الخارجية الصيني، وبذلت حكومة المانشو أقصى ما في وسعها لتعديل هذه المعاهدة وضمان معاملة أفضل للعمال المهاجرين وفتح باب الهجرة امامهم للفلبين وهاواي ولكن دون جدوى . فأثار هذا الامر خشية البرجوازيين الصينيين، ولاسيما أولئك الذين في الخارج، فدعوا الى مقاطعة السلع والبضائع الامريكية، في سبيل الضغط على حكومة بكين والولايات المتحدة وإشعارهما بنمو الحس الوطني والموقف الشعبي الرافض للمعاهدة. ونظراً لانتماء أغلب المهاجرين الصينيين في الولايات المتحدة والفلبين وهاواي، لإقليم كوانغتونغ، استجاب سكانه بحماسة كبيرة لنداء المقاطعة[1] . وأسهم الطلاب وممثلو مختلف الجمعيات الخيرية والنقابات والصحف في التحريض على المقاطعة، وشكلوا جمعية عرفت بـ"جمعية معارضة المعاهدة" . ونسقوا جهودهم مع الغرف التجارية، ولاسيما غرفة تجارة شنغهاي التي شكلت لجنةً عرفت بـ "لجنة النضال" ضد المعاهدة، التي دعت من جانبها مختلف الاقاليم لتطبيق نداء المقاطعة[2]، الذي طبق في شنغهاي في ٢٠ تموز وكوانغتونغ ٢٣ تموز . إذ عمل ممثلو الجمعيات وقادة حملة المقاطعة، الذين برز منهم تشنغ كوان ـ ينغ و وتشيا ـ مينغ، على أخذ تعهدات من أصحاب المحلات والنقابات بعدم عقد اي صفقات تجارية بالبضائع الامريكية او الالتزام بعقود شرائها . وجرى تشكيل لجنة خاصة لمراقبة مدى الالتزام بذلك، وعلقت لائحات على جدران وابواب المحلات، حملت شعارات مختلفة بينت عدم استعدادها للتعامل بالبضائع الامريكية . في حين بينت لوائح أخرى أن سبب ذلك، هو أن "سوء معاملة الامريكان للعمال الصينيين أمرٌ غير مقبول، وقد إتحد شعبنا الآن لمعارضة ذلك، وأن لنا الحق في عدم شراء واستخدام البضائع الامريكية، وأن أي شخص او تاجر يقوم بالمتاجرة بالبضائع الامريكية فهو عديم الحياء". ومن جانب آخر لقيت الحملة، التي إنتشرت في وسط الصين وجنوبها، دعماً من حكومة المانشو في اول الامر، إذ وجدت فيها سنداً لمقاومة التدخل الاجنبي،

(1) Rhoads, Op. Cit., PP.85-86.

(2)Schwartz, Op. Cit., P.61.

ولقيت هذه الحملة تجاوباً من لدن التجار والمثقفين في هونغ كونغ وماكاو[١] . ومع كل ذلك رفضت الولايات المتحدة في تموز عام ١٩٠٥ تعديل المعاهدة، ولاسيما انها شعرت بتزايد أهمية الصين في تحديد قوتها ومستقبلها في المحيط الهادي وهو ما اكده الرئيس الامريكي ثيودور روزفلت[٢] (Theodore Rosevelt) (١٩٠٠-١٩٠٤) بقوله: "إن موقفنا المقبل سيقرره وضعنا في المحيط المقابل للصين (المحيط الهادي) أكثر مما يقرره موقفنا على المحيط الاطلسي المواجه لاوربا"[٣] . وفضلا عن ذلك زاد ضغطها على حكومة المانشو، فعمدت في ١٤ آب الى قطع المفاوضات مع وزير الخارجية الصيني، بعد أن قدم مذكرة شديدة اللهجة أوضح فيها أن حكومته ستعمد الى جعل حملة المقاطعة قضيةً دولية في حال إصرار حكومة المانشو على عدم وقفها[٤]. مما حدا بحكومة المانشو بعد ايام قليلة، الى إصدار مرسوم قضى بمنع حملة المقاطعة، التي أخذت تتراجع نتيجة حملات الاعتقالات التي قامت بها الحكومة ضد المعترضين على ذلك . زيادة على الموقف المعارض لهذه الحركة الذي تبناه عدد من كبار البرجوازيين الذين عملوا وكلاءً للشركات الاجنبية، وارتبطت مصلحتهم بانهاء المقاطعة . كل ذلك قاد الى إنهاء حركة المقاطعة في خريف العام نفسه. ولكسب ود الطلبة الذين شجعوا تلك المقاطعة، قررت الحكومة الامريكية التنازل عن المبالغ ـ الغرامات ـ المترتبة على حكومة المانشو وفق ما أقره بروتوكول البوكسرز، لصالح الطلبة[٥]. على الرغم من أن هذه الحملة أقيمت للضغط على الولايات المتحدة وحكومة المانشو، لتعديل بنود المعاهدة إلا أنها عبرت عن نمو الوعي السياسي لعدد من طبقات الشعب وتطور اساليب الضغط على الحكومة والاجانب . وعبرت ،أيضا،

(1) Rhoads, Op. Cit., P.86 .

(٢) الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة الامريكية، ولد عام ١٨٥٨، عمل مساعداً لوزير البحرية عام ١٨٩٦، وحاكماً لنيويورك عام ١٨٩٨. ثم انتخب نائباً للرئيس ماكنلي عام ١٩٠٠ الذي أغتيل في السنة التالية فخلفه في منصب الرئاسة. ثم انتخب رئيساً عن الحزب الجمهوري عام ١٩٠٤ واعيد إنتخابه عام ١٩٠٩ واعتزل من منصبه عام ١٩١٠. أحمد عطية، المصدر السابق، ص٥٧٤.

(3) Barbara W. Tachman, Stilwell and the American Experience in China 1911-1945, United States of America, 1987, P.35.

(4) Rhoads, Op. Cit., PP.85-86; Tuchman, Op. Cit., PP.34-35.

(5) Tikhvinski, Op. Cit., P.454; Paul S. Reinsch, Aparliamen for China. Decemper 1909, File://F:A%20 Parliament%20 China%200, 12 htm,5.

عن ان قيادة البرجوازية للحركات الشعبية بدأت تدفع الحكومة نحو ضرورة تبني الاصلاح الدستوري لكسبها الى جانبها في صراعها ضد الجمهوريين .

رابعاً- الاصلاح الدستوري ١٩٠٦-١٩١١

نتيجة لكل ما تقدم أدرك عدد من المسؤولين في الأوساط الحكومية، ضرورة قيام الحكومة بإصلاح سياسي، يجنبها اندلاع الثورة، ويكسبها دعم الاصلاحيين الدستوريين . ولاسيما أن كثيراً من اولئك المسؤولين كانوا قد تلقوا مقترحات متعددة من البرجوازيين وملاكي الاراضي، من قومية هان الذين استاءوا من سيطرة المانشو على السلطة، طالبوا فيها حث الحكومة على إقامة نظام ملكي دستوري، إذا أرادت البقاء في الحكم مدة أطول . فقدم كل من تشانغ تشي تونغ ويوان شي كاي مذكرة الى الامبراطورة الارملة دعوا فيها الى ضرورة تبني ذلك، إذ إنه بحسب اعتقادهم الطريق الوحيد لزيادة قوة الدولة ومقاومة المعارضة الجمهورية . وتوالى بعد ذلك إرسال عدد من المذكرات من حكام الاقاليم، ولاسيما الوسطى والجنوبية، الى حكومة بكين طالبوا فيها بإقامة حكومة ملكية دستورية لإبعاد خطر الثورة [١] . وبناءً على ذلك أرسلت الامبراطورة، بموجب مرسوم أصدرته في حزيران عام ١٩٠٥، بعثتين الى الولايات المتحدة وأوربا واليابان، لدراسة الانظمة الدستورية المطبقة فيها . وفي أيلول عام ١٩٠٦ قدم المبعوثان تاي هونغ – تزو(١٨٥٣-١٩١٠) وتوانغ – فانغ (١٨٦١-١٩١١) تقريرهما عن طبيعة الحكومات الدستورية، ولاسيما تلك التي تحولت من الملكية الأوتوقراطية الى الملكية الدستورية مثل المانيا[٢] . وقدم المبعوث الثالث تساي تسي تقريراً سريا للإمبراطورة، أوضح فيه ان هناك ثلاث فوائد كبيرة تتحقق إذا طبق النظام الدستوري وهي: توطيد العرش الامبراطوري الى الابد، والتناقص التدريجي للتهديدات الاجنبية، وإيقاف الفوضى الداخلية[٣].

مما لاشك فيه أن إجماع المبعوثين على اهمية النظام الدستوري انما جاء نتيجة ما لاحظوه من تقدم كبير أحرزته الدول ذات الانظمة الدستورية ، زيادة على إدراكهم السابق

---

(١) ثورة ١٩١١، ص٧٧-٧٨؛

Jerome Ch'en, Op. Cit., P.26.

(2) A Report on Consttutional Governments A Broad 1906; In: Ssu-Yu Teng. Op.Cit., PP.208-209; Beckman, Op. Cit., P.199.

(٣) ثورة ١٩١١، ص٧٩-٨٠.

بأهمية تجربة الميجي في اليابان ، والى جانب ذلك أن هذا الاجماع جاء متزامنا مع تصاعد نشاط التيار الجمهوري و الهيجان الشعبي، الذي ترك انعكاساً كبيراً على طبيعة الاستجابة لمقترحاتهم .

ومصداقاً لما تقدم ، وبناء على التوصيات التي قدمها المبعثون الذين وقع اختيارهم على الدستور الياباني ، أصدرت الامبراطورة الارملة في الاول من ايلول عام ١٩٠٦ مرسوما قضى بتحويل الملكية المطلقة الى ملكية دستورية، وعلى نحوٍ تدريجي خلال مدة كانت بين (١٥-٢٠) سنة ، وإعادة التنظيم الاداري للبلد على وفق الدستور الياباني[١]. ولعل ما دفع الصينيين الى اختيار الدستور الياباني، الذي هو نسخة معدلة من الدستور الالماني ، هو أن مظهره النيابي لا يُفقد الامبراطور شيئاً من سلطاته[٢]. وقد أحدث هذا القرار انقسامات في البلاط الامبراطوري ، إذ اعترض الامراء المنشوريون المحافظون على ذلك القرار بوصفه (يحد من سلطات الحكومة المطلقة ، ويفيد الصينيين ــ ويعني بهم قومية هان ــ وليس المنشوريين) ، في حين أيد المسؤولون الصينيون ذلك القرار لانه أوحى بإلغاء احتكار المنشوريين للسلطة وتقويض احتكرهم للادارة ، مما أكسبهم تأييد عدد من البرجوازيين وملاكي الاراضي[٣].

وفي السياق نفسه أيد الاصلاحيون في المنفى قرار الحكومة ، إذ روج كانغ يووي لهذا القرار في صحيفة "إصلاح الصين" التي أصدرها في نيويورك في كانون الاول عام ١٩٠٦، ودعا فروع جمعية حماية الامبراطور الى تحويل أسمها الى الجمعيات الدستورية للمواطنين[٤]. ويبدوا أنهم أعتقدوا ان ذلك سيكسبهم رضى الامبراطورة ويتيح لهم فرصة تحقيق أهدافهم الإصلاحية .

وخلافاً لما توقع الاصلاحيون بقيت الامبراطورة تخشى من ولائهم للامبراطور منذ قيامهم بالحركة الاصلاحية عام ١٨٩٨، وظلت تعتقد أنهم يريدون إسناد الامبراطور كوانغ

---

(1) Edmund Clubb, 20th Century China, Second Edition, Columbia University Press, 1972, P.37; Chesneaux and Others, Op.Cit., P.350.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٨.

(3) Tikhvinski. Op. Cit., P.462.

(٤) ثورة ١٩١١، ص٨١؛ Hibbert, Op. Cit., P.362.

شيوى وليس إسنادها فأمرت بالقاء القبض عليهم . ويشار الى ان هذا القرار شمل مؤيديهم أيضاً[١]. ولكن يبدو أن الواقع غير ذلك ، فالمعروف ان أتباع كانغ يووي وليانغ تشي تشاو هم من الطلاب والبرجوازيين وبعض ملاكي الاراضي الذين أرادوا ان توفر الدولة الحماية لهم من المنافسة الاجنبية ، وان تمنحهم بعض الحقوق السياسية في ظل حكم المانشو ، وليس من المعقول ان تشملهم الحكومة بذلك القرار في وقت كانت تسعى فيه الى كسبهم الى جانبها وتقوض حجم الجبهات المعارضة لها .

ويستدل على ما تقدم ان قرار الحكومة بالتحول الى الملكية الدستورية لقي ترحيباً كبيراً من لدن البرجوازيين والطلاب انصار التيار الاصلاحي الملكي في كوانغتونغ وشنغهاي ، على الرغم من اصدار الامبراطورة الارملة لقرار إلقاء القبض على كانغ يووي وليانغ تشي تشاو[٢].

ولإعادة تنظيم هيكلية الدولة أُسس في السادس من أيلول عام ١٩٠٦ (مكتب إعادة التنظيم الإداري) الذي قدم في الثاني من تشرين الثاني، توصيات الى الامبراطورة بإعادة تنظيم السلطة المركزية، وذلك بتشكيل مجلس وزراء بدلاً من المجلس الكبير. وفي الخامس من تشرين الثاني أرسل المكتب الى حكام الاقاليم، جملة مقترحات استهدفت توسيع مجال المشاركة الشعبية من خلال تشكيل المجالس المحلية على مستوى الاقاليم والمقاطعات والاقضية والنواحي، تُنتخب من الشعب . يزاد على ذلك اقترح المكتب تشكيل جهاز قضائي مستقل في الاقاليم والمحافظات . ودعا الى تقليص سلطة المحافظين العامين، بإيجاد وظائف جديدة كنائب المحافظ او ما يعرف بالقائم مقام، وتأسيس مكتب اقليمي جديد للإدارة المالية. والواقع أنه على الرغم من قبول أغلب حكام الاقاليم بهذه المقترحات لم تأخذ الحكومة بأغلبها[٣]. ومع ذلك أصدرت في ٢٠ أيلول و١٥ تشرين الاول عام ١٩٠٧ مرسومين أوصيا بتشكيل جمعية وطنية ومجالس محلية على مستوى الاقاليم والمقاطعات والمحافظات مع إعداد مجالس اشبه ما تكون بالمعاهد السياسية يتدرب فيها المرشحون على الحياة النيابية . وبرز من بين هذه المجالس تلك التي أُقيمت في كوانغتونغ

---

[١] ثورة ١٩١١، ص٨٢.

(2) Rhoads, Op. Cit., PP.97-98.

(3) Bays, China Enter the Twentieth Century, PP.200-202.

وشنغهاي[1] . ولا عجب في ذلك إذ ان هذه المناطق شهدت نمو التيارين الجمهوري والاصلاحي الملكي فيها . ولعل أنصار التيار الثاني أرادوا أن يثبتوا بذلك للجمهوريين والحكومة معاً ، إمكانية نجاح الاصلاح الدستوري وقدرة الشعب في التعبير عن رأيه، وفضلاً عن أن احتكاك سكان هذه المناطق المبكر بالغربيين جعلهم أكثر تأثراً بالافكار والمبادئ والنظريات السياسية الغربية . الى جانب ان شنغهاي نفسها كانت قد شهدت تنظيم إدارة مناطق الامتيازات الدولية، القائم على إنتخاب المجالس البلدية .

ويمكن أن يزاد على ذلك ان قرب كوانغتونغ من المستعمرة البريطانية هونغ كونغ والاتصال المستمر بينهما، أتاح لهم فرصة الاطلاع على أسلوب الادارة فيها القائم على إنتخاب المجالس البلدية[2]، كل ذلك أعطاهم القدرة على التفوق في إدارة مجالسهم بصورة أفضل من المجالس الاخرى.

وفي الوقت نفسه اتخذت الحكومة عدداً من الاجراءات الوقائية للحد من النشاطات السياسية للطلبة والجمعيات السياسية . فأوكلت الى وزارة التعليم مسؤولية إلزام الطلبة بالمواظبة على دروسهم وعدم التدخل في الامور السياسية . ووجهت الى لجنة صياغة الدستور التي شُكِّلت في ١٣ آب عام ١٩٠٧ أمراً قضى بالتعاون مع وزارة الداخلية لوضع تعليمات تُقنن تشكيل ونشاط الجمعيات السياسية وتضع حداً لتدخل البرجوازيين والوجهاء في الشؤون السياسية، في خارج نطاق ما سمح به[3] . والملاحظ ان هذه الاجراءات لم تستطع ان تحول دون ممارسة تلك الفئات ضغوطاً على الحكومة للإسراع بتشكيل الملكية الدستورية، ولاسيما ان ذلك تزامن مع موجات مقاطعة السلع الاجنبية وحملات استعادة حقوق امتيازات سكك الحديد . ففي طوكيو نظم ليانغ تشي تشاو وآخرون في العام نفسه، رابطة عرفت بـ"رابطة دراسة المسائل السياسية" أصبحت مركزاً سياسياً أدار حركة المطالبة بالملكية الدستورية في الخارج . وفي ٧ تشرين الاول أصدرت الرابطة "مجلة الرسالة السياسية" في شنغهاي ، طالبت فيها بضرورة ان تدعو الحكومة البرلمان

---

(1) Tikhvinski, Op. Cit., P.363.

(2) James L. Watson, Hereditary Tenancy and Co. Oporate Landlordism in Traditional China. A Case Sudy, Modern Asian Studies, Vol.II, Part 2, 1977, PP.162-163.

(3) Bays, China Enter the Twentieth Century, P.205; Reinsch, Op. Cit., P.5.

للإنعقاد فورا ، وان تشكل حكومة مسؤولة امام هذا البرلمان، كما شهّر ليانغ تشي تشاو فيها بفساد حكومة المانشو وبكل إصلاحاتها[١] . ولا شك ان هذا يتناقض مع ما أبداه من تأييد لقرار الحكومة بالتحويل الى الملكية الدستورية في أيلول ١٩٠٦، ولعل تسويف الحكومة في تنفيذ ذلك، وإتخاذها موقفاً مضاداً منه ومن أستاذه، دعاه الى تغيير موقفه منها.

وعلى الصعيد الداخلي أدى تسويف الحكومة ، الى اثارة سخط البرجوازيين وملاكي الاراضي ودفعهم نحو تشكيل جمعيات دستورية بقصد الضغط عليها للإسراع بوضع الدستور، مثل (الجمعية التحضيرية لتطبيق الدستور) التي تشكلت في هوبي، و(الاتحاد الدستوري) في هونان، و(جمعية الحكم الذاتي) في كوانغتونغ و(الرابطة الموحدة لإعداد الدستور) في كيانجيسو[٢]. وقد سوت هذه الجمعيات جهودها مع الجمعيات الدستورية التي شكلها البرجوازيون في الخارج ، ولاسيما "جمعية دراسة المسائل السياسية" التي شكلها ليانغ تشي تشاو في طوكيو و بادرت في شباط عام ١٩٠٨ الى نقل مقرها الى شنغهاي بأسم "رابطة التعجيل بفتح البرلمان" . إذ نظمت هذه الجمعيات حملة واسعة لتقديم العرائض للحكومة، من التجار والطلاب وملاكي الاراضي، طالبوا فيها الحكومة بأصدار الدستور وتشكيل البرلمان . وبموجب إقتراح تقدمت به الرابطة الموحدة لإعداد الدستور برئاسة تشانغ جيان احد كبار ملاكي الاراضي، تم ارسال وفد من مندوبي تلك الجمعيات وغيرها فضلا عن عدد من الاشخاص المستقلين، الى بكين في آب من العام نفسه لتقديم العرائض الى مجلس الرقابة، بعد ان وقع عليها ممثلون عن ملاكي الاراضي والتجار والصناعيين، فقد حملت عريضة تشكيانج (١٨٠٠٠) توقيع، وكوانغتونغ (١١٠٠٠) توقيع، وشانتونغ أكثر من (٢٠٠٠) توقيع[٣] . لقد عبر ذلك بوضوح، عن

---

(1) Reinsch, Op. Cit., PP.6-7; Tikhvinski, Op. Cit., P.467.

(٢) ثورة ١٩١١، ص٨٢؛ Reinsch, Op. Cit., PP.5-6.

(3) Chary Fletcher to the Secretary of State, Extract from the North China Daily News, November 29, 1909, No.1317, Peking, December 6, 1906, In Papers Relating to the Foreign Relations of the United States With the Annual Message of the President Transmitted to Congress December 6, 1910, Washington Government Printing Office 1915, P.328;

سيرمز لهذه الوثائق الامريكية في الصفحات القادمة بالرمز **(P.R.F.U.S)**

Tikhvinski, Op. Cit., PP.468-469.

توسع القاعدة الشعبية للحركة الملكية الدستورية، وتطور ملموس في تنظيم الجهود وأسلوب المطالبة بإقرار الحقوق الدستورية.

وترتب على تلك الحملة ردود فعل مزدوجة من جانب الحكومة، فمن ناحية سعت الحكومة الى غلق "جمعية دراسة المسائل السياسية" في شنغهاي، ووجهت اوامر الى حكام الاقاليم بوضع حد لنشاطها، وشددت الرقابة على الصحافة . وهو الامر الذي حرم هذه الجمعية من مركز سياسي مهم في وسط البلاد . ومن ناحية أخرى خلافاً لذلك لم تتبع هذا الاسلوب مع بقية الجمعيات الدستورية التي انشأها البرجوازيون وملاكو الاراضي في داخل البلاد، الذين أقاموا علاقات وثيقة مع كبار المسؤولين في الدولة[1] . وتزامن ذلك مع قيام حكام اقاليم كيانغسو، تشكيانغ، فوكين، كوانغتونغ، وإقليم منشوريا بدعوة الحكومة الى الاسراع بتشكيل البرلمان[2]. لقد بين موقف الحكومة هذا استمرار قلقها من تدخل ليانغ تشي تشاو، الذي قد يؤدي الى إعادة السلطة الى الإمبراطور السجين كوانغ شيوى . فضلا عن محاولتها الاحتفاظ بولاء البرجوازيين وملاك الاراضي، ثم انها أدركت أن هذه الحركة أصبحت لها قواعد شعبية واسعة ولابد من التجاوب معها وتقريبها، ولو ظاهرياً في الاقل، من أجل إقصاء التيار الجمهوري.

وبناءً على ما تقدم ، وللتخفيف من توتر الوضع السياسي في البلاد ، أصدرت الحكومة في ٢٧ آب ١٩٠٨ لائحة إعداد الهيئات الاستشارية (المجالس الاقليمية) في مختلف المقاطعات . ثم أصدرت منهاج الدستور العام المقر من (الامبراطور) . واعلنت ابتداءً من العام نفسه ، أن المدة التحضيرية للدستور هي تسع سنوات ، وبعدها (اي في عام ١٩١٦) يُشكل برلمان ويطبق الدستور على نحو رسمي[3] . والملاحظ أن تحديد الحكومة مدة تسع سنوات تحضيرية للدستور، تنم عن أنها أرادت أن تحصل بها على مزيد من الوقت لتثبيت إقدامها وتعزز قبضتها على السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية .

---

(1) Tikhvinski. Op. Cit., PP.470-471; Reinsch, Op. Cit., P.8.

(2) Chary Fletcher to the Secretary of State, No.1354, Peking, February 1, 1910, (P.R.F.U.S.), P.329.

(3) Ibid.; Clubb. Op. Cit., P37; ثورة ١٩١١، ص٨٤ .

ومصداقا لما تقدم هو ما نص عليه المنهاج العام للدستور ، من أن الامبراطور يتمتع بالسلطة العليا في البلاد، وحق ممارسة السلطة على الشؤون التشريعية والإدارية والقضائية كلها ، وأن قداسته وهيبته مصونتان ، وأن كل قانون يصوت عليه البرلمان ولايصادق عليه الامبراطور يعد غير نافذ ، كما انه يتمتع بحق دعوة البرلمان وحله وتعيين الموظفين وإقالتهم [١]. والواقع أن هذه الامتيازات تعني بقاء السلطة العليا بيد المانشو، وأن المجالس الاقليمية والبرلمان ليست سوى هيئات إستشارية ليس لها حق إتخاذ القرار وهذا مالا يرضي الاصلاحيين . وبذلك تكون الحكومة قد مهدت الطريق لفشل الاصلاح الدستوري وأعطت زخماً للتيار الجمهوري.

وعلى صعيد آخر ألقت التحولات في قيادة البلاط الامبراطوري بظلالها على مسيرة الحركة الملكية الدستورية . ففي ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٠٨ توفيت الامبراطورة الارملة عن عمر ناهز ٧٤ عاماً تاركة ثروة قدرها (١٦) مليون باون ، عدا مادفن معها في القبر من المجوهرات الثمينة[٢] . وقبيل وفاتها بأيام قليلة تناها الى مسمعها أن يوان شي كاي، الذي كان تحت إمرته الجيش الجديد، والامير شنغ وزير الخارجية الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في البلاط وبعلاقات جيدة مع الدول الغربية، يخططان لخلع الامبراطور كوانغ شيوى، وينصبان مكانه ابن الامير شنج . فسارعت الى ارسال الامير شنغ بمهمة تقصي وضع القبر المعد لدفنها، وابعدت الجيش الجديد عن بكين وجاءت بلواء آخر موال لها وشددت الحراسات على ابواب المدينة . وحققت ما كانت تصبوا اليه من تنصيب الامير بويي ابن اخلص أصدقائها الامير رونغ لو، البالغ من العمر ثلاث سنوات، إمبراطوراً باسم هسوان تونغ (١٩٠٩-١٩١٢) . وذلك بعد أن دبرت، قبل موتها بيوم واحد، مقتل الامبراطور كوانغ شيوى الذي ابقته سجيناً في احد قصورها منذ انقلاب أيلول عام ١٨٩٨ حتى وفاته عام١٩٠٨ [٣] . وبتولي الامير تساي فينغ، الذي أصبح وصياً على ابنه الذي أصبح عاشر

---

(1) Tikhvinski, Op. Cit., PP.470-471; Reinsch, Op. Cit., P.8.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٨٢؛ محمود الدرة، تجربة الشيوعية في الصين مشاهدة ودراسة، دار الكتاب العربي ــ دار الكفاح، بيروت ١٩٦٤، ص٥٥.

(3) Yun Yu-Ting, The Emperor and Empress Dowager, In: Dung. Li, Op.Cit. , P261: Pamela Grant, Celestial Empire. Chinain Twentieth Century, Macdonald Qeen Anne Press, (London, 1988), P.22; History of China 1850 to 1911+PDF. http://www.Filmeducation.org/filmlib/Last Emperor.pdf.;
مؤسسة روز اليوسف، صاحب الجلالة الجنايني، القاهرة، د.ت، ص٢١-٢٢.

أباطرة أسرة المانشو وآخرهم ، زمام السلطة ، تغيرت موازين القوى في البلاط ، إذ اتجه الامير تساي فينغ الى التخلص من نفوذ يوان شي كاي بتجريده من مناصبه كلها بحجة مرضه ولمعادلة ، جيش بيانغ الموالي ليوان شي كاي، أنشأ جيشاً خاصا من الالوية المدربة حديثاً، واقصى نفوذ كثير من الحكام وملاكي الاراضي من قومية هان، وركز السلطة بأيدي أمراء المانشو[١].

ولامتصاص سخط البرجوازيين سمحت الحكومة بانعقاد المجالس الاقليمية البالغ عددها (٢١) مجلساً اقليمياً جرى انتخابها في ١٤ تشرين الاول عام ١٩٠٩ وبطريقة غير مباشرة وبأصوات محددة، من الاعيان والموظفين وملاك الاراضي . ففي شانتونغ مثلاً صوت (١١٩) ألف موظف من بين سكان المقاطعة البالغ عددهم (٣٨) مليون، وفي هوبي صوت (١١٣) ألف من مجموع سكان المقاطعة البالغ (٣٤) مليوناً . وعلى الرغم من ذلك أصبحت هذه المجالس مراكز للمعارضة والحد من تصرفات الهيئة الحاكمة[٢]. إذ واصل الدستوريون ضغوطهم على الحكومة، فشكلوا "جمعية الملتمسين لعقد البرلمان" التي نظمت حملة واسعة لتقديم العرائض للحكومة للمطالبة بعقد البرلمان وتشكيل مجلس الوزراء بسرعة[٣] . وبعد أن رفضت الحكومة ذلك مرات متعددة، إضطرت لإجابتهم فحددت الثالث من تشرين الاول عام ١٩١٠ موعداً لإنعقاد البرلمان بحضور ٢٠٠ عضو يعين الوصي على العرش نصفهم (مجلس الشيوخ او الاعلى) من أمراء اسرة المانشو وكبار الملاكين وموظفي الدولة، وينتخب النصف الآخر (مجلس النواب او الادنى) من اعضاء مجالس المقاطعات الذين ينتخبون بدورهم من فئات خاصة من السكان يراعى فيهم الثراء والمركز الاجتماعي . وتحت تأثير الضغط الشعبي والظروف السياسية اضطرت الحكومة لتقليص

---

(1) Merlbeth E. Cameron and Others, China, Japan and the Powers, The Roland Press Company, (New York, 1952), P.382; Beckmann, Op. Cit., P.199, P.201; Jerome Ch'en, Op. Cit., P.26 ; Dreyer, Op. Cit., P.26; Hibbert, Op. Cit., PP.364-365; Clubb, Op. Cit., P.37.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٨؛

Chesnuax and Others, Op. Cit. , P.351.

(3) Charge Fletcher to the Secretary of State, No.1554, Peking, Feberuary 1, 1909, (P.R.F.U.S.). P.329;

ثورة ١٩١١، ص٨٥-٨٦.

المدة الانتقالية بأربع سنوات بدلاً من تسع سنوات، فحددت عام ١٩١٣ موعداً لتطبيق الدستور ودعوة المجلس الوطني للاجتماع . وتم تشكيل مجلس وزراء اجتمع أول مرة في نيسان عام ١٩١١، وتكون من ١٢ وزيراً منهم أربعة من قومية الهان وثمانية من المانشو خمسة منهم من البيت المالك نفسه[١] . ومع اندلاع الثورة في خريف العام نفسه، أراد الوصي تقديم تنازلات أخرى ولكن بعد أن فات أوان ذلك، فكانت تلك آخر الاهتزازات التي تعرضت لها أسرة المانشو قبل تنازلها عن العرش[٢].

لقد أظهرت تلك الاجراءات، التي أرادت أسرة المانشو من خلالها إستعادة سلطتها المركزية على الاقاليم، للبرجوازيين وملاكي الاراضي أن الاصلاح الدستوري لم يعد إلا حبراً على ورق ومظهراً خداعاً وان المانشو ليس لديهم النية بفسح المجال أمامهم لمشاركتهم في السلطة، وأنهم لم يضمنوا مستقبلهم السياسي، ولاسيما بعد ان رأوا بأم عينهم أن يوان شي كاي من أقوى رجال البلاط قد جُرد من كل مناصبه . ومن الطبيعي ان يعطي ذلك زخماً للثورة الجمهورية ، وهو ما ادركته حكومة المانشو فعلاً ولكن بعد أن فات أوان ذلك .

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص ص١٧٨-١٧٩؛

Chesnuax and Others, Op. Cit., P.351; Beckmann , Op. Cit . , PP. 204-205.

(2) Ibid.

خامسا- سقوط النظام الامبراطوري وإعلان الحكم الجمهوري

١- قيادة جمعية التحالف المشترك للتيار الجمهوري

اسهمت عوامل متعددة في التعجيل بوضع نهاية لعهد آخر سلالة حكمت الصين منذ عام ١٦٤٤، أرتبط جانب منها بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي أشير اليها سلفا، و التي سببت انحلال النظام الاقطاعي، وأسهمت في رسم نهاية احد أقدم أنظمة الحكم الثيوقراطي في مطلع القرن العشرين . وأدت جمعية التحالف المشترك ، التي جاءت مخاض تلك التحولات ، دوراً فاعلاً في إنهائه من خلال قيادة الصراع السياسي ، على صعيدين، الاول صعيد الاصلاحيين الدستوريين بزعامة كانغ يووي وليانغ تشي تشاو . والثاني صعيد حكومة المانشو المتشبثة بالسلطة. فعلى الصعيد الاول خاضت الجمعية صراعاً آيديولوجياً استمر حتى قيام ثورة عام ١٩١١ . ودار حول أربع مسائل، هي شرعية الثورة ضد حكومة المانشو، احتمالية التدخل العسكري الاجنبي لدى قيام الثورة، وشكل الحكومة المقبلة، ومنهاج التحولات الاجتماعية . واتخذ ذلك الصراع صيغة المهاترات السياسية، التي ملأت الصحف المركزية للطرفين . فدافع الجمهوريون في سلسلة مقالات نشروها في صحيفة الشعب عن وجهة نظرهم في أهمية اهداف الثورة السياسية والاجتماعية، من خلال الاطاحة بنظام المانشو، وإقامة الحكم الجمهوري وتحقيق المساواة في ملكية الارض . وأدانوا فيها انتقادات الاصلاحيين التي نشروها عبر صحيفتهم نهضة الشعب، لتلك الاهداف، وبينوا أن الصين ليس بها حاجة لإصلاح دستوري، بل لتجديد شامل للنظام السياسي[١]. ودافع ليانغ تشي تشاو في صحيفة نهضة الشعب، عن بقاء النظام الملكي لأسرة المانشو، وأنه ليس هناك حاجة للثورة مادامت (المساواة بين الهانيين والمنشوريين قد تحققت) . وأن إسقاط حكم المانشو قد يسبب حالة من الفوضى والاستبداد، وأن الشعب ليس مؤهلاً لاشكال الديمقراطية ولابد من أن تسبقها اولاً مراحل تثقيفية لتطبيق الملكية الدستورية، ولاسيما ان الحكومة وعدت بتبني الدستور[٢]. وانتقص ليانغ تشي تشاو في مقالات أخرى من قيمة المساواة في ملكية الارض التي دعا اليها الجمهوريون ، وعبر عن خشيته من ان يؤدي ذلك الى (ظلم ملاك الاراضي) او ان (يقلب سلطة ملاك الاراضي الى استبدادية الفقراء) ، واضاف

---

(1)Tikhvinski. Op. Cit., PP.471-472; Liew, Op. Cit., PP.51-52.

(٢) ثورة ١٩١١، ص ص٤٨-٥٠؛ Liew. Op. Cit.. PP.51-52.

ان الثورة تفسح المجال امام التدخل الاجنبي وتقسيم الصين . وهذا ما نفاه الجمهوريـون، الذين قالوا إن الثورة وحدها الكفيلة بإنقاذ الصين من خلال ترويجهم لفكرة الاستقلال والديمقراطية، ومحاولة تحييد الاجانب . ولقيت آراؤهم رواجاً أكبر من آراء الاصلاحيين[١] . ويرد ذلك في احد جوانبه الى تباطؤ المانشو في تنفيذ الاصلاح السياسي في ذلك الحين ، وحدوث الكوارث الطبيعية في منطقة اليانغتسي الناجمة عن فيضان النهر، الذي أسفر عن تشرد قرابة نصف مليون مواطن، وانتشار المجاعة في صفوفهم . ولاسيما ان ذلك تزامن مع ارتفاع أسعار الرز في آيار عام ١٩٠٧ نتيجة مواسم زراعية سيئة، مما شجع عدداً منهم على الانضمام الى الجمعيات السرية الراغبة بإنهاء حكم المانشو [٢] . ومن جانب آخر منيت الصين منذ عام ١٩٠٦ بأزمة مالية، إذ أسفر الاصدار المفرط للقطع النقدية المعدنية والورقية من جانب حكومة بكين والحكومات الاقليميـة ، عن مضاعفة كميات النقود المتداولة الى ثلاث مرات بين عامي (١٩٠٨-١٩٠٩) وثماني مرات عام ١٩١٠ موازنة بما كانت عليه عام ١٩٠٥ . مما ادى الى حدوث تضخم نقدي كبير وفوضى في الاسواق التجارية والمالية، وارتفاع كبير جدا في الاسعار وانخفاض كبير في القدرة الشرائية، وانخفض حجم الاستثمارات الخاصة الى ثلاث مرات عما كانت عليه في المدة (١٩٠٦-١٩٠٨) . وانتشرت موجة من الافلاس في الاوساط التجارية والمالية في شنغهاي ونانكينج وهانكو وتينتسين وننجو ومناطق أخرى . ففي المدة بين عامي ١٩١٠- ١٩١١ أعلن (١٧ -٢٧) مصرفاً أفلاسها[٣] . وعلى الرغم من محاولات الحكومة لمعالجة هذه الازمة من خلال وضع ميزانية خاصة بالحكومة المركزيـة وأخرى خاصة بالمقاطعات، مُنيت كل محاولاتها بالفشل[٤] . وقاد ذلك الوضع الى حالة من الهيجان

---

(1) Tikhvinski, Op. Cit., PP.473-474.

(2) Cameron, Op. Cit., P.384.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., P.481.

(4) Der Gesandt in Oeking Graf Von Rex An Den Reichskanzler Von Bethmann Hollweg Ausfertigung, Nr. A 37, Peking, De30. Marz 1911, Die Diplomatis Chen Akten Des Auswartigen Amtes 1871-1914, Herausgegeben in Auftrage des Auswartigen Amtes, (Perlin, 1928) , PP.222-223.

سنرمز لهذه الوثائق الالمانية في الصفحات القادمة بالرمز

(D.A.A.)

والاضطراب في البلاد[1]، زاده سوءاً لجوء الحكومة الى فرض مزيد من الضرائب للتعويض عن النقص الحاصل في الاموال ، وميلها لتركيز السلطة بأيدي المانشو على الرغم من إعلانها عن برنامج الاصلاح السياسي ، في وقت اضطرت فيه لتقديم المزيد من التنازلات السياسية والاقتصادية للدول الاجنبية ، دون ان تهتم بمصالح الطبقة البرجوازية التي عانت من إشتداد حدة منافسة رأس المال والبضائع الاجنبية التي فتحت امامها (٨٤) ميناء و(١٢) إقليماً عام ١٩١٠[2]. كل ذلك وضع البلاد على حافة كارثة وطنية كبرى، إذ ان كل تلك الدلائل أصبحت تشير الى ان حكومة المانشو أصبحت غير شرعية على وفق منظور نظرية التفويض الالهي في الحكم ، ولاسيما بعد ان عجزت بنظرهم عن ترويض الكوارث الطبيعية وتوفير الامن والغذاء للشعب الذي فقد ثقته بها، وبعد ذلك أصبحت الثورة عليها أمراً مسوغاً وفقاً لتلك النظرية .

وعلى أساس ذلك شهدت الصين منذ عام ١٩٠٧ حتى قيام ثورة ووتشانغ عام ١٩١١ حالة من عدم الاستقرار السياسي نظمته جمعية التحالف المشترك بالتعاون مع الجمعيات السرية . وانضم اليها الفلاحون والعمال وموظفو الشركات الاجنبية والطلبة والبرجوازيون وبعض ملاكي الاراضي ممن عانوا من فداحة الضرائب المفروضة عليهم، وزاد عدد الانتفاضات والحركات المعارضة في تلك المدة على التسعين[3] . وفي عام ١٩٠٨اضطر صن يات صن ، بتأثير ضغط حكومة المانشو على الحكومة اليابانية الى نقل مقر التنظيم الثوري الى هانوي القريبة من الحدود الجنوبية الغربية للصين، ومنها أخذ ينظّم قواعد المعارضة وينسق الجهود مع الحاميات العسكرية في المقاطعات الجنوبية والغربية للقيام بالانتفاضات[4]، التي كان أخطرها انتفاضة تشانغشا في هونان عام ١٩١٠ التي نظمها صن

---

(1) Tikhvinski. Op. Cit., P.481.

(2) Chesnuax and Others, Op. Cit. , PP.352-354.

(٣) ثورة ١٩١١، ص٧٠-٧٣، مجلة بكين، العدد (١٩)، آيار ١٩٧٩، ص٤٧؛ William L. Tung, The Political Institutions of Modern China, Martius Nijhoff, Second Printing, (Netherland, 1968), P.16; Lucien Bianco, Origins of the Chinese Revolution 1915-1949, Trans. From French by Muriel Bell, Stanford University Press, 1971, P.12; Franke, Op. Cit., PP.71-72; Liew, Op. Cit., P.53.

(4) Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit. , P.309; Frank, Op. Cit., PP.71-72; William L. Tung, Op. Cit., PP.16-17.

يات صن بالتعاون مع الحامية العسكرية للجيش الجديد في كوانجسي . إلا ان هذه الانتفاضة فشلت، وعقب ذلك نقل الجمهوريون مركزهم الى تشانغشا عاصمة هونان وسط حوض اليانغتسي تمهيداً لإقامة حكومة عسكرية فيها ثم الزحف شمالاً واحتلال نانكنج، وبعد ان تتم السيطرة على حوض اليانغتسي يتم التوجه تحت قيادة هوانغ هسنغ أحد زعماء جمعية التحالف المشترك . وحدد يوم ١٥ آذار عام ١٩١١ بداية للانتفاضة ، إلا ان اكتشاف أمر الذخائر المهربة أدى الى تأجيل اعلانها . وفي ٢٧ نيسان قامت جمعية التحالف المشترك بآخر انتفاضة، من سلسلة الانتفاضات التي سبقت ثورة ١٩١١، في كانتون أخمدتها الحكومة وأعقبتها بمذبحة مروعة خلدتها بناية تذكارية لـ(٧٢) قتيلاً القي القبض عليهم وأعدموا وتم دفنهم عند تل الزهور الاصفر في ضواحي كانتون[١]. وفي ٣ آيار عقد زعماء التيار الجمهوري في هونان وهوبي مؤتمراً عدّوا فيه هونان وهوبي مركزين رئيسيين للثورة الجمهورية وأكدا أهمية الدعم المتبادل بينهما وضرورة السعي لتعبئة الجيش والرأي العام على الثورة الشاملة ضد المانشو[٢].

٢- مقدمات ثورة ١٩١١

مهدت إجراءات حكومة المانشو في المدة ما بين تشرين الثاني عام ١٩١٠ وآيار عام ١٩١١، الطريق أمام الجمهوريين لاعادة تنظيم صفوفهم وكسب المرحلة الاخيرة من مراحل الثورة[٣] . فعلى صعيد الاصلاح السياسي أدت موافقة الحكومة الجزئية لمطالب الاصلاحيين الدستوريين بتقديم موعد عقد البرلمان الى عام ١٩١٣ بدلاً من عام ١٩١٦، وأمرهم بحل تنظيماتهم ووقف نشاطاتهم السياسية، ولجوؤها الى تركيز السلطة بأيدي أمراء المانشو لدى تسميتها لمجلس الوزراء في آيار ١٩١١، الى حدوث إنقسامات كبيرة في صفوف مؤيدي الاصلاح . وظهرت بينهم مظاهر خلع سلطة المانشو عليهم ، ولاسيما التخلي عن ارتداء ثياب الوبر وقص ظفائرهم التي كانت تذكرهم دائماً بالاصول الاجنبية

---

(١) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٩٤؛

Sun Yat Sen, My Role in Chinese Revolution, In Dun J. Li, Op. Cit . ,P.311-313; Dreyer, Op. Cit., PP.29-32.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.502; H.Owen Chapman, The Chinese Revolution 1926-1927. A Record of the Period Under Communist Control As Seen from the Nationalist Capital Hankow, Constable Co. LTD, (London ,1928) , P.3.

(3) William L. Tung, Op. Cit., P.17.

لأسرة المانشو، وعدوها رمزاً لتخلف الصينيين . وتم تشكيل جمعيات قص الظفائر في عدة مقاطعات، وعبر عدد من الطلاب عن دعمهم لها بقص ظفائرهم ، وفي هونغ كونغ نظمت تظاهرة كبرى قام خلالها ستمائة شخص بقص ظفائرهم . ورداً على ذلك أصدرت الحكومة مرسوماً بمنع التخلي عن ذلك التقليد بدعوى ان ذلك سيقود لاحقاً الى التخلي عن الزي الصيني التقليدي وارتداء الالبسة الغربية المستوردة، ويترتب على ذلك كساد تجارة المنسوجات الصينية . إلا انها في الواقع خشيت من ان يكون ذلك مقدمة للتخلي عن ولائها، وهو ما حدث فعلاً إذ قام أتباع ليانغ تشي تشاو بإبلاغه أنهم أصبحوا يؤيدون طريق الثورة التي كانت غير ضرورية برأيهم، ولم يعد أمامه هو الآخر سوى ذلك[١].

ولم يكن من قبيل الصدفة ان يرتبط عدم الاستقرار السياسي عام ١٩١١، بسياسة الحكومة في استلاف القروض ومنح امتيازات سكك الحديد للدول الاجنبية[٢]، فمنذ عام ١٨٩٨ منحت حكومة المانشو امتياز إنشاء خط كانتون ـ هانكو الحديدي، لإحدى الشركات الامريكية (شركة التنمية الامريكية الصينية)[٣] التي أُسِّست عام ١٨٩٦، في الوقت الذي طالب فيه كبار الوجهاء والتجار في هونان وهوبي وكوانغتونغ الحكومة بتولي إنشاء ذلك الخط بإنفسهم. وتأخرت الشركة في الشروع بذلك الخط بسبب ظروف حرب البوكسرز، ولم تنجز منه حتى عام ١٩٠٥ سوى ثلاثين كيلو متراً، ثم باعت أسهمه لتجار بلجيكيين، ناقضة بذلك الاتفاق المعقود بشأنه . فعبر البرجوازيون الصينيون في هونان وهوبي وكوانغتونغ عن رفضهم ذلك ومارسوا ضغوطاً كبيرة على الحكومة من خلال عدد من المسؤولين الذين أيدوا هذا الاتجاه، ولاسيما تشانغ تشي تونغ لإسترداد حقوق ذلك

---

(١) ادغار سنو، رجل آسيا ماوتسيتون، ترجمة زكي خيري، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٤٦، ص٤٣؛

Rhoads, Op. Cit., PP.205-206.

(2) Der Botschafter in Washington Graf Von Bernstroff An Das Auswartige Amt, Telegramm Entzifferiung, N.125, Washington, Den-Dezmber 1911, (D.A.A.), P.239;

فرانسو غودومان، سلسلة تجارب الشعوب. نهضة آسيا. القرن الواحد والعشرين آسيا تطل برأسها، ترجمة نظير جاهل، الدار الجماهرية للنشر، بنغازي، ١٩٩٤، ص٤٣.

(3) Hu Sheng, Imperialism and Chinese Politics (1840-1924), Foreign Languages Press, Peking, 1955, P.177; Cameron, Op. Cit., PP.383-384;

مجلة بكين، العدد (٣٤)، آب ١٩٧٩، ص٩.

الامتياز(١). وبعد محاولات متعددة تمكنت الحكومة بمساعدة القنصل العام البريطاني فريزر، من استرداد حقوق ذلك الامتيازعام ١٩٠٥ في مقابل مبلغ أربعة ملايين دولار(٢)، ومثل ذلك الموقف جانباً مهماً من جوانب نمو قوة الطبقة البرجوازية وشعورها بأهميتها في المجتمع وحقها في إستثمار المشاريع الاقتصادية بدلاً من أستئثار الشركات الاجنبية بها.

وعلى اساس ذلك عهدت الحكومة بإكمال خط كانتون – هانكو، لإحدى شركاتها، إلا ان ضعف الموارد المحددة لذلك، أعطت مجالاً لفتح باب الاستثمار أمام البرجوازيين وملاكي الاراضي ورؤوس الاموال . وتحت شعار الاسهام في انشاء ذلك الخط، عهدت الحكومة الى موظفيها في هونان وهوبي وكوانغتونغ ، بتحصيل ضرائب المرور (ليجين) على الملح والرز، وبذلك أصبح غالبية سكان المقاطعات مسهمين في إنشاء ذلك الخط ، الذي أصبح يمثل مصالح القطاع المختلط، ومع ذلك فقد بقي إنجازه يسير ببطء ، نظراً لضعف التمويل ونقص الخبرات فضلاً عن انتشار الرشوة بين أعضاء الشركة وتعسف الادارة المحلية(٣). وقد هيأ ذلك الوضع الفرصة أمام بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة لممارسة ضغط على حكومة المانشو بقبول قرض بقيمة (٥,٥) مليون جنيه استرليني لاكمال المشروع، مستفيدين من تأزم وضعها بسبب تصاعد حركات المعارضة ضدها، وحاجتها الى الدعم المالي ، ورغبتها في إعاقة تعزيز استقلال الاقاليم وإضعاف موقف البرجوازية(٤)، التي حذرت الحكومة الصينية، عبر صحافتها من مغبة الاقتراض من الدول الغربية لتمويل إنشاء ذلك الخط(٥).

(1) Madeleine Chi, Shanghai-Hngchow-Ningpo Railway Loan A Cas of Study of the Rights Recovery Movement, Modern Asian Studies, No.1, 1973, PP.85-86; Hu Sheng, Op. Cit., P.177.

(2) Der Gesandte in Pekin Graf Von Rex An Den Reichskanzler Fursten Von Bulow. Ausfertigung, Nr.1183 Peking, Den 12. Marz 1909, (D.A.A.), P.3; Madeleine, Op. Cit., PP.86-87.

(3) Tikhvinski, Op. Cit., PP.515-516; Jerom Ch'en, Op. Cit., PP.28-29; James E. Sheridan, China in Disintegration. The Republican Era in Chinese History 1912-1949, The Free Press A Division of Macmillan Publishing, (New York, 1975). P.38.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P.516; Madeleine Chi, Shanghai-Hngchow-Ningpo Railway . PP.86-87.

(5) Der Ges Chaftstrager in Peking Graf Von Luxburg An Den Reichskanzler Von Bethmann Hollweg, Ausfertigung, Nr. 11667, Peking, Den 1 Mai 1911. (D.A.A.). P.60.

وعلى اساس ذلك وبمشورة وزير الاشغال والمواصلات شنغ سوان هواي (١٨٤٩-١٩١٦)[١]، أصدرت الحكومة في ٩ آيار عام ١٩١١ مرسوماً قضى بتأميم السكك الحديد . وعقب ذلك وقع الوزير في ٢٠ آيار مع المجموعة البنكية للدول الاربع قرضا قدره (٥,٥) مليون جنيه إسترليني بفائدة سنوية مقدراها (٥) بالمئة، حُدِّد لإنشاء خطي سيتشوان – هانكو وكانتون . وضُمن هذا القرض بضرائب المرور الداخلي (ليجين) وضريبة الملح في مقاطعتي هونان وهوبي، وفضلاً عن ذلك ضمنت بنوده الحق للمجموعة البنكية بمراقبة توظيف القرض، وتمويل المشاريع الصناعية والحديدية في انحاء البلاد كافة، وقد سجل هذا القرض انعطافة مهمة في طريق خضوع الاقتصاد الصيني الكلي لتلك الدول[٢]. لقد رسم هذا القرض الذي فضلت فيه الحكومة الاستثمار الاجنبي على مساهمات البرجوازيين الصينيين ، الطريق أمام حكومة المانشو للانزلاق في الهاوية ، إذ أفقدها ذلك بشكل نهائي ثقة من كانت تعتمد على وولائهم من البرجوازيين الدستوريين الذين كانوا قد نذروا انفسهم سابقاً، لإبقائها في السلطة إن حافظت هي على مصالحهم وحرياتهم في تطوير مشاريعهم، ولكن بعد إنتهاكها لمصالحهم وتفضيلها جانب الدول الغربية أيقنوا ان لامناص من إسقاطها وإقامة حكومة جمهورية ديمقراطية على وفق ما دعا اليه صن يات صن.

لذا لا غرابة ان يكون التأميم وتوقيع ذلك القرض الفتيل الذي اشعل برميل البارود، ولاسيما ان التعويضات التي قدمتها الحكومة لم تكن مرضية للمسهمين في المشروع[٣]، فقد عوضت بعض الاسهم في هونان وهوبي بنسبة مئة بالمئة، ولكن من دون ان تحتسب قيمة الفائدة، ووعدت بطرح سندات بقيمة (٦) بالمئة من المبالغ التي قدمها بقية سكان هاتين المقاطعتين . وفي كوانغتونغ دفعت الحكومة (٦٠) بالمئة من المبلغ المقدم نقداً، وقدمت لهم سندات بقيمة (٤٠) بالمئة بغير فائدة أيضاً . أما مسهمو سيتشوان فقد كانت

---

[١] عرف شنغ سوان هواي بأنه شخص مرتشٍ سيء السمعة، جمع ثروة طائلة من خلال ادارته لمشاريع مشتركة وشاع بين اوساط الشعب بأن نصائحه حول القروض هي التي مكنت اليابانيين من السيطرة على اوسع حقول الفحم والحديد في الصين. للمزيد عن ذلك ينظر: نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٩٧.

(2) Tikhvinski, Op. Cit., P.516.

[٣] جيان بوزان وآخرون، موجز تاريخ الصين، دار اللغات الاجنبية، بكين، ١٩٨٣، ص١١٨؛

Sheridan, Op. Cit., P.39.

خسارتهم أكبر، إذ لم توافق الحكومة على تعويضهم بالسندات الحاملة لفائدة مقدارها (٦) بالمئة إلا بخصم مقداره (٤) مليون تايل تستثمر في انشاء خط هانكو ـ سيتشوان، كما بقي مبلغ قدره (٥) مليون تايل بغير تعويض . اما الاسهم التي قدمها صغار البرجوازيين والحرفيين والتجار في تلك المقاطعات، فقد الغيت ولم تقدم الحكومة عنها اي تعويض[1]. لقد أضاف ذلك عاملاً جديداً لتذمر تلك الاوساط من حكومة المانشو، ولاسيما أن هذا تزامن مع فيضان نهر اليانغتسي في صيف ذلك العام ، وأدى الى شحة المواد الغذائية وانتشار المجاعة، فترسخ الاعتقاد بين السكان بأن السماء (الأله الاكبر) قد غضبت على المانشو، فسادت موجة من الاعتراضات والتظاهرات نظمها أولئك الذين تضررت مصالحهم ووطنيون أغاضهم الاعتماد على الاموال والشركات الاجنبية والاقليميون من الوجهاء والاعيان الذين كانت لهم مصالح مباشرة في المشروع صاروا يشكون في نوايا الحكومة المركزية وخططها عادّين سيطرتها على السكك الحديد بداية للسيطرة المباشرة على مقاطعاتهم وتهديداً لحرياتهم فيها فقادوا حملة إحتجاج وعنف في هوبي وهونان وسيتشوان ، بدأت بمقاطعة البضائع الاجنبية والاحتجاج على سياسة الحكومة[2]. وتحولت المجالس الاقليمية الى مركز للمعارضة التي شكلت جمعيات حماية السكك الحديد في اغلب المقاطعات، وارسلت ممثلين عنها الى بكين للاحتجاج لدى حكومة المانشو، ونظم الطلاب حركات إضراب واسعة دعماً لها، وعبرت صحيفة الصين اليومية التي أصدرتها جمعية التحالف المشترك في هونغ كونغ، عن تأييدها لذلك المجهود[3].

أما في سيتشوان أدت الخسائر الكبيرة التي تكبدها المشتركون ، الى تداعيات خطيرة، ففي ١٧ حزيران عقد المسهمون إجتماعاً في شينغدو مركز سيتشوان، وشكلوا جمعية حماية السكك الحديد، وأنتخبوا عضوي المجلس الاستشاري في مقاطعة بوديان جيون ولوه لون وهما من الاصلاحيين الدستوريين، رئيساً للجمعية ونائباً له على التوالي . وأُسندت هذه الجمعية التي فتحت لها فروعاً عدة في المقاطعة، من الطلبة ورجال الدين . ولمزيد

(1) Tikhvinski, Op. Cit., P.517.

[2] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٩٧؛

Jerome Ch'en, Op. Cit., P.29.

[3] ثورة ١٩١١، ص٩٥-٩٦؛

Sheridan, Op. Cit., P.39.

من الضغط على حكومة المانشو وتوسعاً لنشاطها ولتعبئة الرأي العام أقامت الجمعية علاقات مع الجمعيات السرية في المقاطعة . ومع أن الحركة في بدايتها إتخذت طابع تقديم الالتماسات والعرائض ، إلا ان الرفض المتكرر من جانب الحكومة ، ادى الى قيام عدة إضرابات من الطلاب واصحاب المتاجر، حوّلها عدد من الفقراء الى اعمال سلب ونهب لمراكز الشرطة والكنائس والارساليات التبشيرية . وقد أرغم هذا الهيجان الثوري الاوساط الصناعية والتجارية في الجمعية على ممارسة ضغط كبير على الحكومة من خلال التحريض على عدم دفع الضرائب والهبات الامر الذي حرم حكومة المانشو ، من مورد مهم من موارد دخلها ، وغدت الحركة أكثر طموحاً في شعاراتها فقد دعا الوجهاء والاعيان، السكان للدفاع عن سيتشوان وصولاً الى الاستقلال . ورداً على ذلك تشددت الحكومة في عمليات القمع ، ففي التاسع من أيلول أطلق حراس دار الحكم والقضاء في المقاطعة النار على المتظاهرين الذين طالبوا بإطلاق سراح قادة الجمعية المعتقلين، مما ادى الى مقتل(٣٢) شخصاً وجرح العشرات وحدوث حالة هيجان عام في المقاطعة[1]. وفضلا عن ذلك أقام فيها الجمهوريون وحدات خاصة عرفت بـ"جيش الانصار"، الذي تشكلت قاعدته الاساسية من أعضاء الجمعيات السرية والفلاحين والطبقات المعدمة وعمال السكك الحديد والحرفيين والتجار وعدد من ممثلي المثقفين وملاكي الاراضي ، وعدد من الطلاب الذين تلقوا تعليمهم في اليابان . وأنقسم هذا الجيش على جناحين جنوبي وشرقي قاد النضال في مقاطعة سيتشوان ولقي دعماً من جمعية التحالف المشترك التي حضر عدد من اعضائها المقاطعة ونظموا حملة لجمع التبرعات لثوار جيش (الجنوب) و(الشرق)، وفي ٢٥ أيلول اعلن جيش الشرق إستقلال قضاء رونغ شيان شرقي المقاطعة . وبقي النضال متواصلاً حتى بداية تشرين الاول حينما تمكنت الحكومة من القضاء على مراكز الثورة ولم تبق سوى بعض العمليات المتفرقة التي تزامنت مع انطلاق ثورة ووتشانغ، وقد كان لثورة ستيشوان صداها في مختلف انحاء البلاد وشكلت بداية لثورة عام ١٩١١[2].

لقد قوضت سياسة الحكومة القائمة على إعطاء الافضلية للشركات الاجنبية على حساب مصلحة المستثمرين المحليين، من قاعدة التأييد الشعبي لها، على نحو كبير، ولاسيما مع ظهور بوادر رغبتها في الاحتفاظ بالسلطة وعدم منح المجالس المحلية سلطةً فعلية

---

(١) ثورة ١٩١١، ص٩٩.

(2)Tikhvinski. Op. Cit., P.521.

وحرمانها من اتخاذ اي قرار . فكان من نتيجة ذلك أن تحولت تلك المجالس التي قادها الاصلاحيون الدستوريون الى مراكز لمعارضة سياسة الحكومة على الصعيدين الداخلي والخارجي وظهر ذلك واضحاً في موقفها من قرار تأميم السكك الحديد ومنح القروض، وعليه أصبحت حكومة المانشو في عزلة هيأت المناخ السياسي لحالة من المد الشعبي شمل أطياف متعددة من المجتمع ومهد الطريق أمام ثورة كبرى أطاحت بالنظام الامبراطوري.

٣- ثورة ووتشانغ

حدد الاجتماع الذي عقده الجمهوريون في هونان في الثالث من آيار عام ١٩١١، هونان وهوبي مركزين رئيسين للثورة كما ذكرنا ذلك سلفا. ولم يأت ذلك التحديد أمراً عرضياً بل إن هاتين المقاطعتين شهدتا تطوراً ملموساً في المشاريع الصناعية والمدارس الحديثة منذ قيام حركة التعزيز الذاتي . وفي الوقت نفسه شهدت توغلاً كبيراً للتجارة ورأس المال الاجنبي الذي أصبح منافساً قوياً لمصالح التجار والمستثمرين البرجوازيين وأصحاب رؤوس الاموال و أتضح ذلك جلياً في إصدار قرار التأميم والموافقة على القرض الذي تقدمت به المجموعة البنكية للدول الاربعة . والى جانب ذلك عرفت هونان وهوبي نمواً كبيراً في طبقة المثقفين والعسكرين المتأثرين بأنظمة الحكم في الدول الغربية، والذين تلقى أغلبهم تعليمهم وتدريبهم في اليابان، وتهيأت لهم هناك فرص التأثر بالافكار الجمهورية والاصلاحية وتشكيل الجمعيات المناوئة لسلطة الحكومة مثل جمعية دراسة العلوم التكميلية والجمعية الادبية وجمعية التقدم الشعبي التي أقامها المثقفون والعسكريون القادمون من اليابان، والتي إتخذت من ووتشانغ إحدى مدن ووهان في مقاطعة هوبي قاعدة لنشاطها[1]، لذا لا غرابة أن يتخذ من هاتين المقاطعتين مركزاً ومنطلقاً للثورة.

وعلى أساس ذلك وبعد الاخفاق المتكرر لانتفاضات كوانغتونغ، قرر أعضاء تلك الجمعيات، التي انخرط أغلب اعضائها في صفوف الجيش الجديد، بدء الثورة في المركز هونان – هوبي . وحددوا السادس عشر من تشرين الاول موعداً لإنطلاقها، وأرسلوا موفداً عنهم لإبلاغ جمعية التحالف المشترك بذلك، وقبل أن يصلهم ردها، اضطروا لتقديم

[1] راجع نشاط حركة المعارضة١٩٠١-١٩٠٦ من هذا الفصل .

موعد الثورة الى التاسع من تشرين الثاني[١]، وذلك بعد أن اكتشفت السلطات المحلية وجود حركة عسكرية حين انفجرت قنبلة في مقر جمعية التقدم الشعبي في منطقة الامتيازات الروسية في هانكو ، في اثناء اتخاذ الاستعدادات للثورة، وحين تقدمت الشرطة نحوها جرى تبادل لإطلاق النار وجرح عدد من الثوريين فيما فر الباقون . وفي مقر الجمعية اكتشفت الشرطة قائمة بأسماء المشتركين في الحركة ومعظمهم من العسكريين المنتمين لتلك الجمعيات، فتم القبض على ٣٢ مشتبهاً به اعدم اربعة منهم في الحال[٢]. فأصبح موقف الجمهوريين أكثر حراجة وخشوا من ان تخمد الثورة قبل اندلاعها، ولاسيما بعد أن شرعت الحكومة بعمليات اعتقال واعدام واسعة، فقرروا إعلان الثورة في الحال، فتولت الكتيبة الهندسية الثامنة في ليلة العاشر من تشرين الاول بداية العمل الثوري ثم انضمت اليها وحدات المشاة والمدفعية وكتائب التموين والطلبة في المدارس العسكرية، وتمكنوا من الاستيلاء على مخازن الاسلحة في اليوم التالي . واستهدفوا بعدها دار الحكم والقضاء مما أجبر حاكم ووتشانغ والقائد العام للجيش على مغادرتها وبعد ان أصبحت ووتشانغ بأيدي الثوار الذين أعلنوا خلع حكومة المانشو وإقامة سلطة الصينيين واحترام ممتلكات المواطنين وعدم التعرض للأجانب، انتفض الجيش في هانيانغ في ١٢ تشرين الاول واستولى عليها بسرعة، وهو الامر الذي شجع على توسيع نطاق الثورة فتم تشكيل أربعة الوية جديدة ضمت المثقفين والعمال والفلاحين[٣].

ومن الناحية التنظيمية جرى تعيين لي يوان هونغ آمر لواء ٢١ رئيساً للحكومة العسكرية التي أقامها الثوار في ووتشانغ، إذ اعتقد الثوار أنه شخص جدير بذلك المنصب وأن مشاركته في الثورة رفعت من معنويات جيشها وقوة أدائه ضد جيوش المانشو، في حين عين تانغ هوان – لونغ رئيس المجلس المحلي في هوبي، وهو من الدستوريين الذين تلقوا تعليمهم في اليابان، مسؤولاً عن الادارة المدنية[٤]. وقد شجعت تلك الانتصارات السريعة بقية المقاطعات على اعلان الثورة، في ظل الدعاية الثورية التي روجت لها جمعية

---

(١) غودومان، المصدر السابق، ص٤٥؛ Tikhvinski, Op. Cit., PP.553-554.

(٢) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٩٩؛ جيان بوزان وآخرون، المصدر السابق، ص١١٨.

(٣) ثورة ١٩١١، ص١١٠-١١٢.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., P.553.

التحالف المشترك، فمنذ قيام ثورة ووتشانغ حتى نهاية تشرين الثاني انفصلت عن سلطة الحكومة ١٤ مقاطعة وبمدد كادت أن تكون متقاربة، هونان في ٢٢ تشرين الاول وكيانجسي وجيانغسو وتشكيانغ في٢، ٣، ٤ تشرين الثاني على التوالي وآنهوي وفوكين ٨ و ٩ تشرين الثاني، وامتدت الثورة شمالاً الى شنسي وشانسي في ٢٢و٢٣ تشرين الثاني على التوالي وفي الجنوب شاركت كل من كوانغتونغ ويونّان في ٣١ تشرين الاول وكياوتشو وكوانجسي في بداية تشرين الثاني ثم تلتها ستيشوان في ٢٧ تشرين الثاني . ولم تعد الحكومة تسيطر إلاّ على مقاطعات منشوريا الثلاث (فغ تيانغ، هيليونغ جيانغ، جيلين) وعلى كل من تشيلي وهنان وشانتونغ القريبة من بكين[١].

لقد أفصحت تلك الانهيارات السريعة لسلطة حكومة المانشو، عن قوة نفوذ الجمعيات السرية في الجيش الجديد، ونجاحها في استخدامه لتحقيق اهدافها، وبينت عفوية استجابة الفئات الاخرى في المجتمع الصيني في رفد الثورة التي أصبحت كالسيل المنهمر واكتسحت اغلب المقاطعات، ولم تبق سوى تلك المحيطة بالعاصمة بكين والتي طالما ركزت الحكومة أهم قواتها فيها وذلك لشعورها بخطورة موقعها المطل على العاصمة بكين.

٤ – الاطاحة بحكومة المانشو

وضع سقوط أغلب المقاطعات الصينية الجنوبية والغربية بأيدي الثوار، حكومة المانشو على حافة الانهيار، ولاسيما بعد أن أُحبطت محاولاتها في الاعتماد على جيش بيانغ (الجيش الشمالي) في الدفاع عن نفسها . إذ إن ولاء هذه القوات كان يعود لمؤسسها يوان شي كاي اكثر منه الى العرش، وصار واضحاً أمامها أن خلاصها يعتمد على مصالحة يوان شي كاي، الذي أُعفي من مناصبه قبل ثلاثة أعوام، وأصبح في ظل الوضع الجديد قادراً على فرض شروطه على الحكومة[٢] . فبادرت الى استدعائه بموجب مرسوم أصدره الوصي على العرش تساي فنغ في ١٤ تشرين الاول عام ١٩١١، قضى بتعيينه بمنصب نائب عن الامبراطور في هونان وهوبي وعهد اليه بمهمة القضاء على الثورة . إلا أن ذلك المنصب لم يكن يرضي طموح يوان الذي أراد الافادة من الوضع

---

[١] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٢٠٠؛ ثورة ١٩١١، ص١١٣؛ جيان بوزان، المصدر السابق، ص١١٩؛ Edmund S.K. Fung, Op. Cit., PP.121-122.

[٢] نوري عبد الحميد العاني ، المصدر السابق ، ص٢٠٠.

الثوري في فرض شروطه عليها، فتباطأ في إجابة ذلك الاستدعاء بدعوى أن ساقه لم تشف بعد، وأوعز في الوقت نفسه، خفيةً، الى عدد من قادة جيش بيانغ الموالين له بتأخير زحف قواتهم لمقاومة الثورة، لمساومة الحكومة على إجابة مطالبيه في تعيينه قائداً عاماً للجيش ومنحه صلاحيات كاملة، وحل مجلس الوزراء وإعادة تشكيله[١]. والواقع أن هذا التوجه كان يحظى بدعم وإسناد بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، التي خشيت على مصالحها من الثورة على الرغم من تعهد الثوار بعدم المساس بمصالحها . فقد وجدت في يوان شي كاي الشخصية القوية القادرة على الإمساك بزمام الامور بدلا من أسرة المانشو التي أصبحت على حافة الانهيار[٢]. فاقترح الوزير المفوض الامريكي على الوصي استدعاء يوان شي كاي وتعيينه بمنصب مستشار ونائب عن الرئيس، ودعمت بريطانيا بدورها هذا التوجه ففي تشرين الاول عام ١٩١١ كتب جوردان الوزير المفوض لبريطانيا في الصين، الى وزير الخارجية البريطاني ي . غري قائلا "ليس هناك شخص أفضل من يوان شي كاي، للقيام بدور الوسيط بين الشعب الصيني والملكية المنشورية التي خدمها هو وأسرته عبر أجيال متعددة" ، وفي رد وزير الخارجية على ذلك اوضح أن حكومته تعدّ يوان شي كاي "شخصية محبوبة جداً وتنظر اليه بإحترام"[٣]. وفي السياق نفسه رحبت اليابان التي تمكنت من احتلال كوريا منذ عام ١٩١٠[٤]، وشجعت الثورة في اول الامر بقصد زعزعة الوضع الداخلي وإضعاف حكومة المانشو

---

(١) ثورة ١٩١١، ص١١٦؛

Tikhvinski, Op. Cit., PP.572; Edmund S.K. Fung, Op. Cit., PP.122-123.

(2) Der Gesandte in Peking Von Haxthausen an den Reichskanzler Von Bethman Hollweg, Ausfertigung, Nr.217, Peking, Den 8.Dezember 1911, PP.7-8; Der Gesandte in Peking Von Haxthausen an den Reichskanzler Von Bethman Hollweg, Ausfertigung, Nr. A229, Peking, Den 14, Dezember 1911, (D.A.A.), PP.201-243.

(3) Tikhvinski, Op. Ci , PP.585-586; Hu Sheng, Op, Cit., P.183-184.

(4) W. Reginald Wheeler, China and the World-War, The Macmillan Company, 1919, PP.7-8; Arthur Judson Brown, The Mastery of the Far East, Charles Scribner's Sons, (New York, 1919), PP.215-220.

والتخلص من نفوذ بريطانيا في وسط وجنوب الصين، بذالك التوجه . وانسجاماً مع موقف بريطانيا وفرنسا رحبت روسيا التي أرادت تعزيز نفوذها في منشوريا ومنغوليا، بهذا الموقف على لسان وزيرها المفوض فوق العادة في بكين كوروسرفيتس الذي قال "من المستحيل بالنسبة لنا معارضة رغبات فرنسا وبريطانيا على نحو مباشر، فهم أصدقاؤنا الذين نرتبط معهم في مسائل مختلفة ذات أهمية جوهرية"[١].

وفي خضم ذلك الوضع أعلنت الفرقتان "السادسة" و"العشرون" خروجهما عن سلطة الحكومة، وقدم قائدهما وولوتشن وتشانغ وتشينغ احتجاجاً لها اشتمل على (١٢) مطلباً ركزت على إيقاف عمليات القمع ضد الجمهوريين، وتطبيق الملكية الدستورية، مهددين بهجوم قواتهما على العاصمة بكين في حال الرفض . وقد تزامن ذلك مع إرتباك الوضع في الاقاليم التي بقيت خاضعة لسلطة الحكومة وهروب اكثر من (٢٥٠٠٠٠) شخص من المنشوريين الى شمال شرق الصين[٢]. عندها أيقنت حكومة المانشو أن خلاصها رهين بإجابة مطاليب يوان شي كاي، فبادر الوصي على العرش الى اعلان دستور جديد تضمن إقامة مجلس نيابي ومجلس وزراء مسؤول أمامه وضع دستور دائم للبلاد واشترط الدستور الجديد مصادقة المجلس النيابي على جميع القوانين[٣] . زيادة على ذلك عمد الوصي على العرش الى تعيين يوان شي كاي قائداً عاماً للجيش ومنحه سلطات واسعة وأسند اليه في ١٩تشرين الثاني تشكيل حكومة جديدة تولى هو رئاسة وزرائها وأسند أغلب الحقائب الوزارية الى مؤيديه، وعرض حقائب أخرى على الاصلاحيين الدستوريين مثل ليانغ تشي تشاو وشيانغ جيان اللذين رفضا التعاون مع يوان في تلك المرحلة[٤]، وقد يرد ذلك الى ضلوعه في اغتيال أحد أقطاب حركة الاصلاح الدستوري وو لوتش قائد الفرقة السادسة[٥]. مما تقدم يلاحظ أن يوان شي كاي تمكن من الافادة من ظروف الوضع الثوري الذي أنهى سلطة الحكومة على أغلب المقاطعات وأربك سلطتها على تلك التي بقيت خاضعة لها، فحقق طموحه في الاستحواذ على أكبر قدر من سلطات الحكومة السياسية

(1) Tikhvinski, Op. Cit., PP.585-586.

(2) Ibid., P.573.

(٣) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٢٠١.

(4) Tikhvinski, Op. Cit., PP.573.

(٥) ثورة ١٩١١، ص١١٩.

والعسكرية، ومكنه في ذلك خضوع أغلب قادة الجيش الجديد لسلطته وولائه حتى في اثناء إعفائه من مناصبه.

وفي سياق آخر شهدت المدن الكبرى في الاقاليم الخارجة عن سلطة الحكومة ظهور منظمات ثورية متعددة، كان أبرزها "الرابطة الشعبية ــ منشيا ــ" في ووتشانغ التي اسهم في تشكيلها عدد من أعضاء جمعية التحالف المشترك، وانضم اليها عدد من المتنفذين والموظفين الذين حاولوا الحفاظ على مناصبهم والارتقاء الى مناصب أعلى في ظل الحكومة الجمهورية المزمع قيامها، ويزاد على ذلك انضمت اليها "رابطة التقدم العام" التي مثلت ملاك الاراضي الصينيين المعارضين لأسرة المانشو . وعلى نحو عام رمت "الرابطة الشعبية" برئاسة لي يوان هونغ الى الاستيلاء على السلطة في كل الاقاليم التي أعلنت استقلالها عن حكومة المانشو، وتحويل الحكومة الاقليمية في ووتشانغ الى حكومة مركزية. ولانجاز ذلك طلب لي يوان هونغ في ٩ تشرين الثاني عام ١٩١١ من الحكام العسكريين في الاقاليم الخارجة عن سلطة الحكومة إرسال مندوبين عنهم لتشكيل حكومة مركزية مؤقتة، وتقديم مرشحيهم لتسنم المناصب الوزارية في هذه الحكومة، واقترح عليهم تعيين فوتنغ فانغ وزيراً للشؤون الخارجية وتشانغ جيان وزيراً للمالية[1]. ويلاحظ هنا أنه على الرغم من عدم وجود حزب متماسك يستطيع أن يمثل جميع الاطراف المعارضة لحكم المانشو إلا أن نزوع هذه الرابطة نحو تشكيل حكومة مركزية مؤقتة تمثل كل الاقاليم الخارجة عن سلطة الحكومة عبر عن إدراكها أهمية توحيد الجهود لمواصلة التقدم نحو إسقاط حكم المانشو وتحقيق سيادة حكومة الصين الجمهورية لتخضع لها أنحاء البلاد كافة.

وفي السياق نفسه برزت "الرابطة الجمهورية الموحدة" في شنغهاي وعبرت عن مصالح الطبقة البرجوازية ، ورغبت بأن تقام الحكومة المركزية المؤقتة في شنغهاي وعقدت لأجل ذلك اجتماعاً لممثلي الاقاليم الخارجة عن سلطة الحكومة في ١٥ تشرين الثاني، وأسفر هذا الاجتماع عن قرارين نص الاول منهما على ضرورة إنعقاد مؤتمر ممثلي تلك الاقاليم في شنغهاي ، ونص القرار الثاني على أن تكون شنغهاي مقراً للحكومة المركزية المؤقتة . إلا ان وصول ممثلي حكومة ووتشانغ الى شنغهاي أثر في تغيير هذين القرارين إذ تم الاتفاق في ٢٤ تشرين الثاني بين أعضاء الرابطتين على أن يُعقد مؤتمر ممثلي الاقاليم في

(1) Tikhvinski, Op. Cit., PP.577-578 ; Edmund S.K. Fung, Op. Cit., PP.120-123.

ووتشانغ وتعيين لي يوان هونغ رئيساً أعلى لقوات الاقاليم الجمهورية كلها . وفي ٣٠ تشرين الثاني عقد مؤتمر لممثلي ١١ إقليم في منطقة الامتيازات البريطانية هانكو، ونجم عن هذا المؤتمر إعلان "الرابطة الموحدة لممثلي الحكومات والحكام العسكريين لمختلف الاقاليم" ووضع دستور للحكومة المؤقتة حدد بموجبه صلاحيات رئيس الحكومة الذي ينتخب من اعضاء البرلمان الذين يمثلون الاقاليم المستقلة بنسبة ثلاثة ممثلين عن كل اقليم، وحدد الدستور صلاحيات البرلمان نفسه. وناقش المؤتمر، أيضاً، إمكانية الافادة من سلطة يوان شي كاي وكسبه الى جانب الثورة بإغرائه بمنصب رئيس الجمهورية في حال موافقته على إسنادهم في إسقاط حكومة المانشو وإعترافه بالحكم الجمهوري[١].

والواقع أن اتصال الجمهوريين بيوان شي كاي قد سبق إعلان قيام الحكومة المركزية المؤقتة في ووتشانغ، إذ إن ميله للإصلاح وخلافه مع أفراد الأسرة الحاكمة، وقيادته للجيش الجديد ، جعل عدداً من الزعماء الجمهوريين يميلون لتوليه رئاسة الجمهورية، ومع أنه كان مسؤولاً عن حماية الأسرة الحاكمة ، فإنه كان شديد الرغبة بالاستيلاء على السلطة، وهو أمر شجع الجمهوريين، الذين إنقسموا على انفسهم ، حول مقاومة التفاوض مع يوان، وبناء على ذلك أُجريت مفاوضات بين ممثلين عن الطرفين في شنغهاي نجمت عن التوصل في ٢٠ كانون الاول إتفاقية سرية للسلام تضمنت إزاحة المانشو عن السلطة والاعتراف يأتي:

أ- أن يكون النظام جمهورياً.

ب- معاملة الإمبراطور والاسرة المالكة معاملة كريمة.

ج- أن يكون الرجل الذي يزيح المانشو عن الحكم اول رئيس للجمهورية[٢].

وبعد خمسة أيام من توقيع تلك الاتفاقية ، التي تباطأ يوان شي كاي في تنفيذها ، عاد صن يات صن من المهجر ووصل شنغهاي في ٢٥ كانون الاول عام ١٩١١، وأستقبل بحماس كبير، وادرك حينها أن الثورة إصطدمت بعقبات كبيرة ووجد أن أغلب قادة الثورة أيدوا الاتجاه الذي مضى به لي يوان هونغ في التفاوض مع يوان شي كاي بحجة أن لاقدرة للجمهوريين على الاطاحة بحكومة المانشو دون مساومة يوان شي كاي . وفي ٢٩ كانون الاول انتقل مركز الحكومة المركزية المؤقتة الى نانكنج وانتخب صن يات

---

(1) Tikhvinski, Op. Cit., P.576.

[٢] نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص٢٠٤.

صن بأغلبية مطلقة رئيساً مؤقتاً للحكومة الجمهورية ، ليس لكونه الاكثر شعبية في الصين ، بل بقصد الضغط على يوان شي كاي وإرغامه على إسقاط حكومة المانشو . وفي الوقت نفسه طلب أعضاء البرلمان من صن يات صن توجيه رسالة الى يوان شي كاي أؤكد له فيها انه في حال تنفيذ ذلك الاتفاق سيقدم استقالته[١] . وهو الامر الذي فسح المجال امام يوان شي كاي لتولي السلطة، والشروع بتصفية مناوئيه من جمعية التحالف المشترك ــ الكومنتانغ ــ حتى وفاته عام ١٩١٦[٢].

(1) Tikhvinski, Op. Cit., P.579.

[٢] للمزيد عن ذلك ينظر: نوري عبد الحميد العاني و آخرون ، تأريخ آسيا الحديث و المعاصر ، بغداد،٢٠٠٦، ص ١٧-١٨؛

Jean Chesneaux and Others, China from the 1911 Revolution to Liberation, Trans. From French, Pantheon Book, (New York, 1977), PP.3-33.

الخاتمة



الخاتمة

في ختام البحث تم التوصل إلى عدة نتائج منها :

١ - عكست حرب الافيون الاولى في احد جوانبها صورة التصادم الثقافي ما بين الثقافة الصينية التقليدية التي كان الغربيون وفقا لمنظورها (برابرة) تابعون لامبراطورية الوسط ، وبين الثقافة الغربية . وفي جوانب أخرى عكست التصادم بين سياسات الدولتين . سياسة الصين القائمة على الاكتفاء الذاتي ، وسياسة بريطانيا التوسعية ورغبتها بتطبيق مبدأ حرية التجارة . وفي سياق آخر شكلت حرب الافيون الاولى بداية مهمة في تأريخ الصين الحديث نحو التغيير سواء أكان في سياستها الخارجية أم في نظمها الداخلية . إذ أشرت المعاهدات التي وقعت إثرها نهاية نظام الكوهونج وسياسة العزلة التي طبقتها أسرة المانشو قرابة قرنين ونصف ، فأسفر ذلك بطبيعة الحال عن بداية الاحتكاك بالغربيين والتأثر بهم وبأنظمتهم التي طبقوها في مناطق الامتيازات .

٢ - أوضح إقرار بنود معاهدات تينتسين١٨٥٨ واتفاقيات بكين ١٨٦٠، حالة العجز التام للقوات الصينية عن مواجهة التحديات الأجنبية ، التي تزامنت مع حركات المعارضة التي استهدفت القضاء على حكم المانشو، في وقت لم تكن فيه الحكومة الصينية قد أعدت نفسها لمثل هذه المواجهة . وخلافاً لذلك فإنها رأت أن الدول الغربية التي لم تكن تستهدف القضاء على سلطة المانشو، أقل عداوة من ثورة التايبنغ التي استهدفت القضاء عليها . فتصافحت معها ومنحتها الامتيازات على أمل المساعدة في القضاء على تلك الثورة . بدليل أنها ضمنت بعض بنود الاتفاقيات شرطاً قضى بعدم فتح مناطق اليانغتسي للتجارة ، إلا في حالة (إقرار السلام) في المناطق المتنازع عليها مع التايبنغ، مما يعني بطبيعة الحال أن هذه الأحداث تركت بصماتها على الوضع السياسي الداخلي للبلاد.

٣ - في الوقت الذي عبرت فيه حروب الأفيون عن الاختلاف والتصادم الحضاري، بين الحضارة الصينية، والحضارة الغربية، كانت ثورة التايبنغ ذات الصبغة الدينية المسيحية، والميول الإصلاحية على وفق النظام الأوربي الحديث قد عبرت عن تأثر الفكر الصيني بالحضارة الغربية . وعلى الرغم من تأثر التايبنغ بعدد من مظاهر الحضارة الغربية ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينسلخوا عن الفكر الصيني القديم ، ولاسيما في طرحهم فكرة السيادة العالمية للملك السماوي هونغ على كل مسيحيي العالم التي تقترب كثيرا من نظرية إمبراطورية الوسط . إذ عدَّ التايبنغ كل مسيحيي العالم أتباعا

لهم ، ولكن من دون ان يطلقوا عليهم لفظ (البرابرة) وذلك بوصفهم إخوانا لهم في الدين . وقد كانت هذه المسألة بحد ذاتها عاملاً من عوامل عجز التايبنغ في إدارة علاقات مملكتهم مع الدول الغربية التي نقمت كما لاحظنا على تمسك حكومة المانشو بتلك النظرية، فلم تسعفهم حنكتهم السياسية في التخلي عن هذه الفكرة، ومحاولة إيجاد بدائل دبلوماسية في التعامل مع تلك الدول ومحاولة الإفادة منها في صراعهم مع حكومة المانشو .

٤- عبرت سياسة التعزيز الذاتي عن وعي عدد من المسؤولين بأهمية مواكبة التطور العلمي والصناعي في اوربا والولايات المتحدة وأهمية العلاقات الدبلوماسية وتنظيم أسلوب إدارتها . الا انهم مع ذلك فشلوا في تعزيز قوة الدفاع الوطني ووضع حد للتدخل الاجنبي . إذ أقترن تأكيدهم ضرورة اكتساب المعرفة بالعلوم الحديثة والحد من التدخل الأجنبي ، بالاستمرار في الاعتماد على الأجانب أنفسهم في تنفيذ مشاريعهم وتمويلها وإغراق الصين في قروض جديدة زادت من خضوعها للدول الغربية، فضلا عن ذلك ان هذه السياسة لم تستهدف اصلاح نظام الحكم لذا عجزت عن النهوض بواقع الصين ، وعن وضع حد لتمادي لدول الغربية في المطالبة بالامتيازات، وثبت فشل هذه السياسة عسكرياً في هزيمة الصين في الحرب مع فرنسا عام ١٨٨٥ ومع اليابان عام ١٨٩٥.

٥- أدى التنافس الدولي حول الصين بعد هزيمتها في الحرب مع اليابان ، إلى تحولها إلى دولة شبه مستعمرة سياسياً واقتصادياً . وذلك بإغراقها بالقروض التي ضمنت بموارد الكمارك وضريبة المرور الداخلي وهي المورد المالي الرئيس لحكومة المانشو، وهو الأمر الذي جعل اقتصاد الصين رهينة بأيدي تلك الدول التي حولت الصين الى مناطق نفوذ لها ، ومن دون شك انعكس ذلك على وضع حكومة المانشو التي كانت المسؤول الأول عن ذلك بنظر الشعب . فكان يجب والحالة هذه القيام بمحاولات لإنقاذ الصين من خطر التقسيم ، ولاسيما بعد فشل سياسة التعزيز الذاتي في ذلك، فأخذ التياران الجمهوري والإصلاحي مهمة تحقيق ذلك كل بحسب توجهه.

٦- عند إمعان النظر في الدعوة للإصلاح الدستوري يمكن تبين النتائج الآتية : يمكن القول انه إذا كان الصينيون تمكنوا من المحافظة على ثقافتهم التقليدية و أسلوب حياتهم ولمدة قرنين في ظل سيطرة المانشو فذاك لان المانشو أقل حضارة من الصينيين أنفسهم فانغمس المانشو بثقافة الصينيين و تطبعوا بطباعهم . والحال هذا لاينطبق مع أسلوب استجابتهم لتحديات الدول الغربية . ولاسيما بعد أن أثبتت لهم الأحداث أن إمبراطوريتهم ليست أرقى الأمم ، و أن هذه الدول ليست متبربرة كما وصفوها . أنما هي أمم حازت على نصيب من العلم مكنها من تطوير مؤسساتها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العسكرية ، واستطاعت أن تلحق بالصين هزائم متكررة لدرجة أوشكت فيها الصين على الانهيار . فكان من نتيجة ذلك أن زُلزل أسلوب تفكير الصينيين ، وضعف تمسك من تأثر منهم بالثقافة الغربية ، بالثقافة الصينية التقليدية ، التي ثبُت عدم قدرتها على مواجهة تحديات تلك المرحلة . و أيقنوا أن البلاد مشرفة على الانهيار وان مؤسساتها التقليدية ، ولاسيما السياسية ، لم تعد ملائمة لروح العصر . ولابد من القيام بحركة إصلاحية شاملة على غرار تلك التي قامت في اليابان ، والتي اتخذت من المؤسسات الغربية مثالا احتذت به في نهضتها في المجالات كافة . إلا أنهم مع ذلك ، لم يستطيعوا أن ينسلخوا عن الثقافة الصينية التقليدية التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ ، والتي ظهر تأثيرها واضحا في آرائهم الإصلاحية ، إذ جعلوا منها الأساس في الإصلاح . ولعل ذلك يعود ، جزئياً ، إلى ارتباط مكانتهم في المجتمع بالمحافظة عليها وجعلها الأساس في الإصلاح والتطور ناهيك عن المحافظة على الأساس الأيديولوجي الذي يؤمّن بقاء المانشو في سدة الحكم . لذا فإنهم لم يقدموا حلولا جذرية لمعالجة مشاكل الصين ، فهم دعوا إلى ضرورة تحويل نظام الحكم من ملكية مطلقة إلى ملكية دستورية يشترك فيها البرجوازيون إلى جانب الإقطاعيين في السلطة وهذا ما اشتمل بطبيعة الحال على إبقاء النظام الإقطاعي من دون محاولة الإطاحة به مثلما فعل اليابانيون ، فظهرت دعوة صريحة من بعضهم إلى تشكيل برلمان يتوارثه الإقطاعيون فيما بينهم . ومع ذلك يمكن القول أن ظهور التيار الإصلاحي في الصين في ذلك الحين حالة متقدمة قياسا لما كانت تعيشه الصين من تأخر .

٧- وعلى الرغم من أهمية ما أصطلح عليه في التأريخ بحركة إصلاح المئة يوم في الاتجاه الرسمي نحو تبني الإصلاح ، لم ترق القرارات التي أتخذها الإمبراطور في أثنائها إلى مستوى طموح دعاة الإصلاح . إذ لم تحد تلك القرارات من سلطات الحكومة والحكام العامين والإقطاعيين ولم تشرك البرجوازيين في السلطة ولم تشر إلى تشكيل برلمان ولم تتعرض إلى كيفية تنظيم العلاقات الخارجية ، وهو الأمر الذي دل على أن الإمبراطور لم تكن لديه النية الحقيقية في التخلي عن سلطاته كافة ، ولم يملك القدرة على تحقيق أكثر من ذلك أمام الضغوط التي تعرض لها من جانب الإمبراطورة الأرملة وجناحها الذين سعوا للقضاء على هذه الحركة . والواقع أن هذه الحركة وإن فشلت إلا أنها تركت أثرها في موقف عدد من جناح المحافظين من الإصلاح نفسه ، ولاسيما تشانغ تشي تونغ الذي آمن ابتداءً ، بأهمية الإصلاحيات التربوية والاقتصادية والعسكرية . وهو بذلك لم يتعدَّ ماسعى إليه زعماء سياسة التعزيز الذاتي، غير أنه أدرك لاحقاً أن لامناص لحكومة المانشو من تنفيذ الإصلاح السياسي إن أرادت البقاء في السلطة مدة أطول . وأخيراً تركت حركة إصلاح المئة يوم أثراً ايجابياً في تشجيع مختلف أفراد المجتمع على نقد إجراءات الحكومة وتقديم الاحتجاجات ، على الرغم أن الإمبراطورة الأرملة حرمت ذلك حتى على موظفي الدرجة الثالثة بعد انقلاب أيلول عام ١٨٩٨.

٨- حدد تطلع الطبقة البرجوازية إلى التحديث والتوسع بالصناعات الحديثة، موقفها السلبي من البوكسرز الذين عارضوا الصناعات الحديثة بوصفها سبباً في تراجع الصناعات الحرفية وتراجع أوضاع الحرفيين الاقتصادية . والواقع أن هذا يعد واحد من ابرز نقاط ضعف البوكسرز وحال دون حصولهم على تأييد الطبقة البرجوازية ، زيادة على ذلك كان سوء تقديرهم لقوة الأجانب وظنهم أن مايعتمدون عليه من رقى وتعاويذ سحرية كفيل بتحقيق النصر عليهم كان سبباً مهماً في أسباب هزيمتهم ، ولاسيما إذا ما أضفنا لذلك كون اغلبهم فلاحين وليس لديهم خبرة عسكرية.

٩- أكد برتوكول البوكسرز الوضع شبه الاستعماري للصين وحط من سيادة الحكومة على أراضيها طالما أصبح هناك إقرار رسمي بوجود القوات العسكرية لحماية حي الأجانب. وقوضت الغرامة الباهظة والتعديلات في الاتفاقيات التجارية والملاحية إمكانية النهوض بالاقتصاد الصيني . ووضع هدم حصن تاكو العاصمة بكين تحت رحمة الأساطيل

الأجنبية بعد إزالة ذلك الحصن الذي كان عقبة في طريقها . زيادة على ذلك حقق البرتوكول إذلالاً للصين بإجبار حكومتها على تقديم اعتذار رسمي لألمانيا . وأخيراً شكل هذا البرتوكول هزيمة منكرة لسياسة التيار المحافظ المتطرف بزعامة الإمبراطورة الأرملة الذي وقف ضد سياسة الإصلاح ودعا أكثر من مرة الى الخيار العسكري دون أن يحسب الأمر جيداً. وفي ظل تلك الظروف تشجع التياران الإصلاحي والجمهوري على المضي في تحقيق أهدافهما كلٌ حسب قناعته.

١٠- شكل ظهور جمعية نهضة الصين ومن ثم جمعية التحالف المشترك برئاسة صن يات صن، تحولاً مهماً في قيادة حركة المعارضة ، وتحولها من الطابع الفلاحي إلى الطابع البرجوازي الجمهوري . ومثلما حمّلت حركات المعارضة الفلاحية في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حكومة المانشو مسؤولية كل الهزائم التي منيت بها الصين، حمّلها المعارضون الجمهوريون مسؤولية ذلك أيضا . ووجدوا أن فشل سياستها في التعزيز الذاتي ورفضها تبني الإصلاح الدستوري كانت من أسباب ضياع سيادة البلاد . فوضعوا نصب أعينهم هدف الإطاحة بها واستبدال الحكم الملكي بالحكم الجمهوري خلافاً لحركات المعارضة الفلاحية التي أراد بعضها إرجاع حكم أسرة المينج او المجيء بأسرة جديدة مع بقاء نظام الحكم الملكي.

١١- فشلت محاولات توحيد صفوف الإصلاحيين الدستوريين والجمهوريين في اليابان . نظراً لاستمرار تباين اتجاهاتهما في انقاذ الصين إذ بقي الإصلاحيون محافظون على ولائهم لأسرة المانشو ووجدوا أن إنقاذ الصين يكمن في تبنيها النظام الدستوري وإجراء جملة إصلاحات عامة . و بقي الجمهوريون مؤمنون بحتمية الثورة على أسرة المانشو التي بقيت متشبثة بالأنظمة القديمة التي لم تكن تلائم روح العصر وأدركوا عدم إمكانية إقامة نظام دستوري حر في ظل سيطرة الطبقة البيروقراطية التي ستلجأ لمختلف السبل للاحتفاظ بمناصبها . لذا أصر الجمهوريون على إسقاطها وهم في ذلك لم يقفزوا فوق الواقع ويعلنوا ثورتهم ضدها وضد التدخل الأجنبي في آن واحد، بل أرادوا الإفادة من ظروف التدخل الدولي لخدمة أهدافهم ، في مقابل منح الامتيازات السياسية والاقتصادية وهم نقضوا بذلك مبدءاً مهماً من مبادئ جمعيتهم ألا وهو مبدأ الاستقلال ، ولعلهم أرادوا بذلك تثبيت إقدامهم أولا وإقامة الحكم الجمهوري ومن ثم

الشروع بتنظيم علاقات الصين الخارجية وفقاً لما يحقق استقلالها السياسي والاقتصادي.

١٢- على الرغم من أهمية إصلاحات الحكومية في مطلع القرن العشرين في تحديث الصين إلا انها تركت آثاراً سلبية على وضع الحكومة فإلغاء امتحانات الخدمة العامة أضعف الطبقة البيروقراطية المثقفة ثقافة كونفوشيوسية، التي كانت تستند إليها الحكومة في السلطة . فضلا عن ذلك أبعد ازدياد تأكيد أهمية الدراسات العلمية الحديثة الطلبة عن المبادئ الكونفوشيوسية، وكل ذلك كان يصب في اتجاه ضعف الأساس الآيديولوجي الذي استندت إليه أسرة المانشو في بقائها في السلطة، ولاسيما مع بروز مسوغات سحب التفويض السماوي منها بحسب رأيهم نتيجة عجزها عن توفير متطلبات الشعب التي أسلفنا ذكرها . وزيادة على ذلك كله زاد شمول ملاك الأراضي، الذين أخذوا ينسجمون مع البرجوازيين والتجار بالضرائب لتمويل عمليات الإصلاح في حنقهم عليها، ولاسيما مع إدراكهم أهمية دورهم في المجتمع ورغبتهم في الاشتراك في السلطة، فاتجه بعضهم للانضمام إلى صفوف الإصلاحيين الدستوريين ، فيما انضم بعضهم الآخر إلى صفوف الجمهوريين . لذا شكل العقد الأول من القرن العشرين علامة انتهاء إمبراطورية عمرها ألف سنة وأصبح سقوط أسرة المانشو يمثل سقوط نظام الحكم نفسه.

١٤- لقد قوضت سياسة الحكومة القائمة على إعطاء الأفضلية للشركات الأجنبية على حساب مصلحة المستثمرين المحليين، من قاعدة التأييد الشعبي لها، على نحو كبير، ولاسيما مع ظهور بوادر رغبتها في الاحتفاظ بالسلطة وعدم منح المجالس المحلية سلطةً فعلية وحرمانها من اتخاذ أي قرار، فكان من نتيجة ذلك أن تحولت تلك المجالس التي قادها الاصلاحيون الدستوريون إلى مراكز لمعارضة سياسة الحكومة على الصعيدين الداخلي والخارجي وظهر ذلك واضحاً في موقفهم من قرار تأميم سكك الحديد ومنح القروض ، لذا أصبحت حكومة المانشو في عزلة هيأت المناخ السياسي لحالة من المد الثوري شمل أطيافاً متعددة من المجتمع ومهد الطريق أمام ثورة كبرى أطاحت بالنظام الإمبراطوري.

١٥- رسم القرض الذي منحته المجموعة البنكية للدول الأربعة في عام ١٩١١، الطريق أمام حكومة المانشو للانزلاق في الهاوية . إذ شكل إنتهاكاً واضحاً لمصالح الطبقة

البرجوازية ، و أفقد حكومة المانشو بشكل نهائي ثقة وولاء من كانت تعتمد عليهم من البرجوازيين الدستوريين الذين كانوا قد نذروا أنفسهم سابقاً ، لإبقائها في السلطة إن حافظت هي على مصالحهم وحرياتهم في تطوير مشاريعهم . ولكن بعد انتهاكها مصالحهم وتفضيلها جانب الدول لغربية أيقنوا أن لامناص من إسقاطها وإقامة حكومة جمهورية ديمقراطية وفقاً لما دعا إليه صن يات صن.

الملاحق

خريطة
بلاد الصين

منغوليا

تركستان الصينية

تبت

الصين الاصلية

البحر الاصفر

كانسو

شنسي

هونان

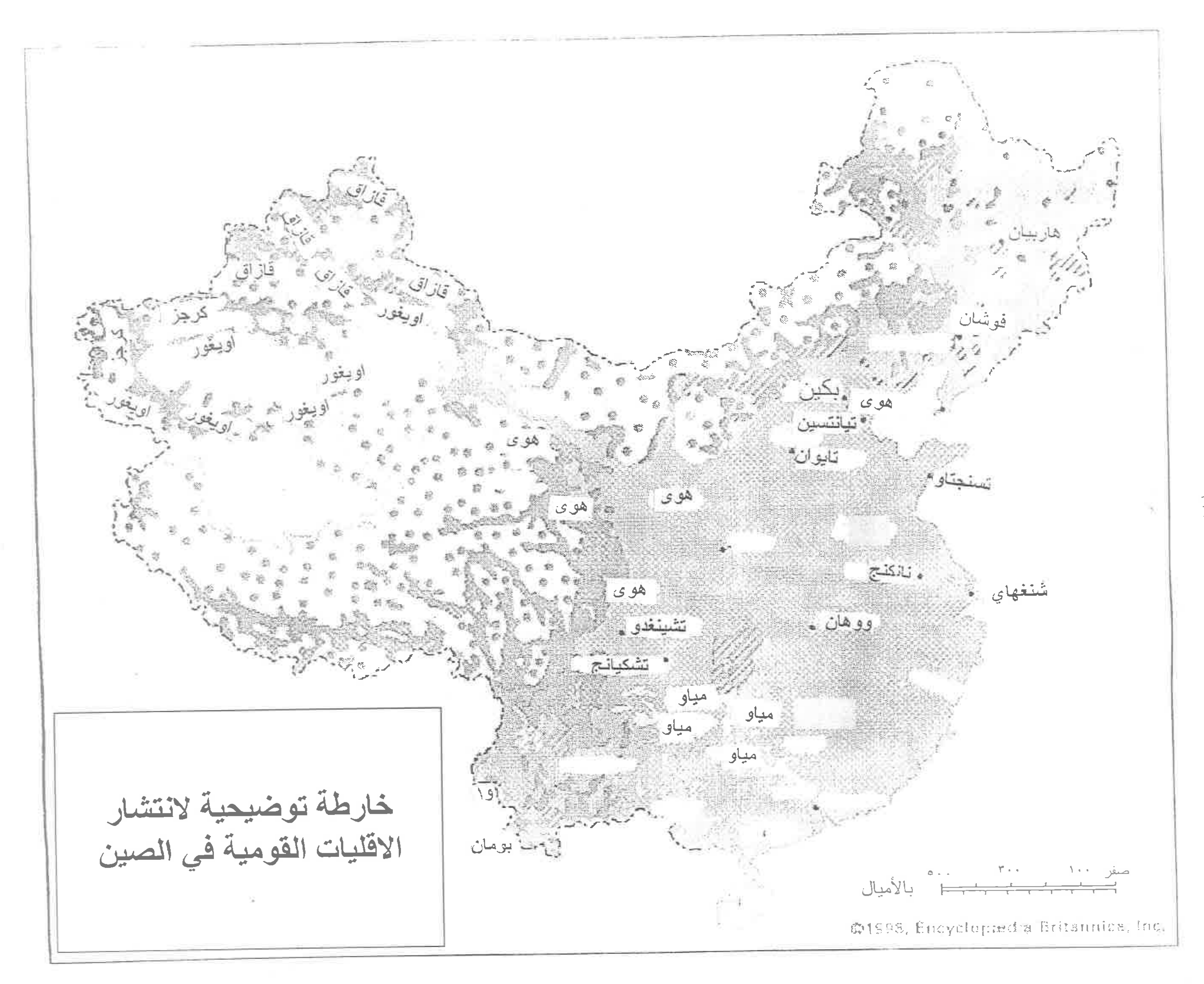
كويتشو

يونان

فوكين

منشوريا

كوريا


خارطة توضيحية لانتشار
الاقليات القومية في الصين
قازاق
كرجز
اويغور
هاربيان
فوشان
بكين
هوى
تيانتسين
تايوان
تسنجتاو
نانكنج
شنغهاي
ووهان
تشينغدو
تشكيانج
مياو
يومان
صفر ١٠٠ ٣٠٠ ٥٠٠
بالأميال
©1998, Encyclopaedia Britannica, Inc.

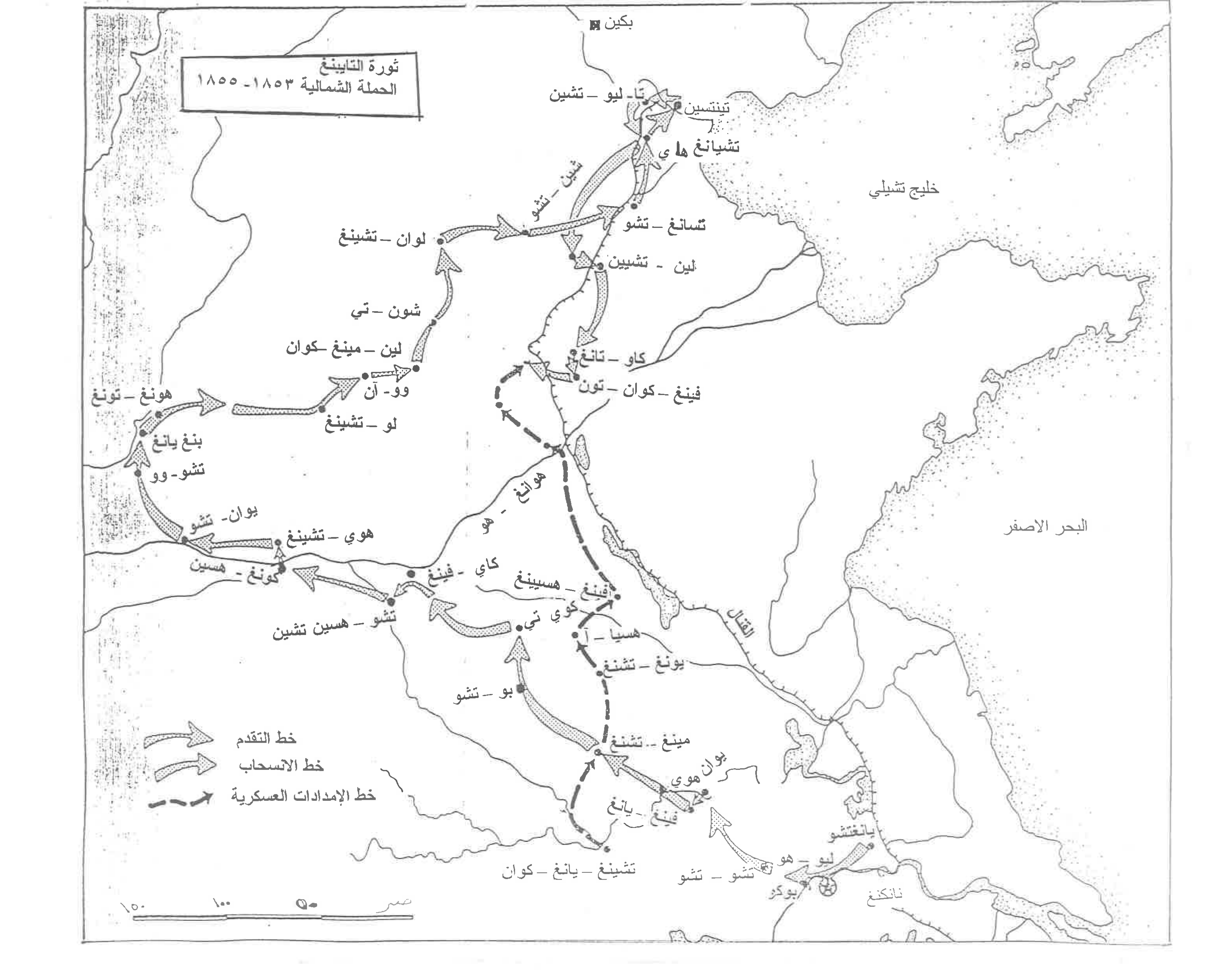


ملحق رقم ٣

المناطق الرئيسية للنشاط التايبنغ
و النين وحركات المعارضة الأخرى

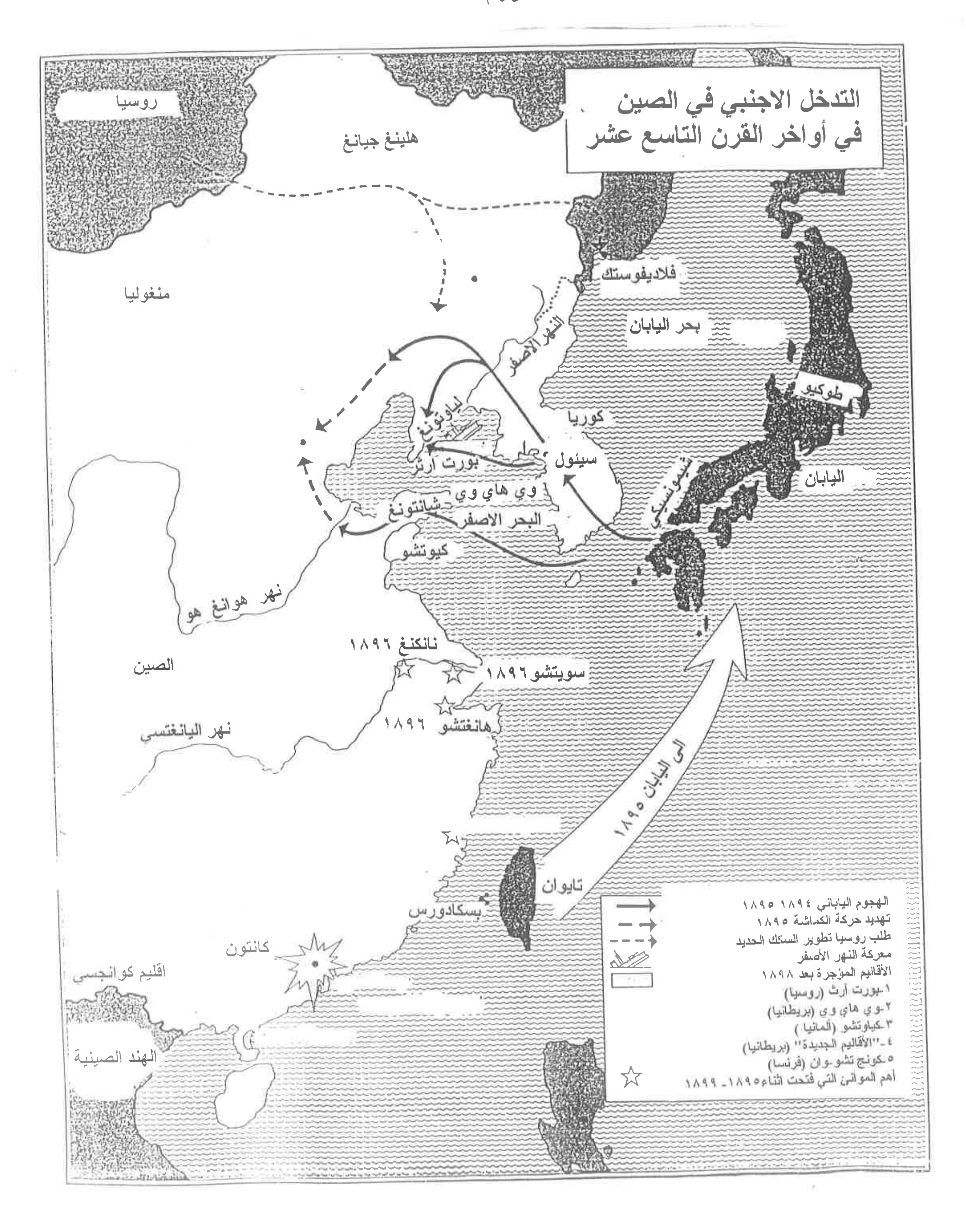
تشنغهاي
يونان
زيتشوان
كانصو
شينسي
كويتشو
كوانجسي
هنان
هوبي
هونان
شانسي
تشيلي
بكين
شانتونغ
انهوي
كيانجسو
نانكنغ
شنغهاي
تشكيانغ
فوكين
كيانجسي
كوانغتونغ
هونغ كونغ
ماكاو
تشنغتاو

Ssu-yu Teng, Op. Cit., In : Frontispiece



ثورة التايبنغ
الحملة الشمالية ١٨٥٣- ١٨٥٥
بكين
تا- ليو – تشين
تينتسين
تشيانغ ها ي
شين – تشو
تسانغ – تشو
لين - تشيين
خليج تشيلي
لوان – تشينغ
شون – تي
لين – مينغ -كوان
وو- آن
لو – تشينغ
هونغ – تونغ
بنغ يانغ
تشو- وو
كاو – تانغ
فينغ – كوان – تون
هوانغ - هو
يوان- تشو
هوي – تشينغ
كونغ - هسين
كاي - فينغ
فينغ – هسيينغ
كوي تي
تشو – هسين تشين
هسيا – آ
يونغ – تشنغ
بو – تشو
مينغ – تشنغ
يوان هوي
فينغ - يانغ
تشينغ – يانغ – كوان
يانغتشو
ليو – هو
تشو – تشو
بوكو
نانكنغ
القنال
البحر الاصفر
خط التقدم
خط الانسحاب
خط الإمدادات العسكرية
١٥٠
١٠٠
٥٠
صفر

ملحق رقم -٥-



Brian Atchpole, A Map History of Modern China, (London, 1976), P.33.

ملحق رقم ٦

روسيا
منغوليا الخارجية
أعلنت استقلالها عن الصين عام ١٩١٢
سينكيانج
منغوليا الداخلية
تشيلي
بكين
مانشوريا
النفوذ الروسي
١٩٠٠-١٩٠٥
النفوذ الياباني
١٩٠٥-١٩١١
كوريا
اليابان
التبت
أعلنت استقلالها عن الصين عام ١٩١٢
تشنغهاي
كانصو
شانسي
شنسي
شانتونغ
هونان
هوبي
كيانجسو
نانهوي
زيتشوان
تشكيانج
كيانجسي
هنان
كويتشو
فوكين
يونان
كوانجسي
كوانغتونغ
تايوان
بورما
الهند الصينية
سيام (تايلند)
هاينان

وهان عاصمة مقاطعة هوبي
وهي تشتمل على مدن (هانكو، ووتشانغ، هانيانغ)
القوى الثورية الاولى التي دخلت الصين
الاقاليم المؤيدة للثورة
فرق يوان شي كاي
مناطق النفوذ الياباني
مناطق الصراع الرئيسة في عام ١٩١١

ثورة ١٩١١

Catchpole ,Op. Cit. ,P.37.

المصادر

ABSTRACT

الوثائق المنشورة :

أولاً- الوثائق البريطانية :

1. Foreign Office, Handbook of Commercial Treaties e t c with Foreign Powers, Fourth Edition, (London, 1931).
2. Hurst, Michael, Key Treaties for the Great Powers 1814-1914, Redwood Press Limited, (Great Britain, 1972).
3. Wieno, Joel H. (e.d) , Great Britain Foreign Policy and the Span of Empire 1689-1971, A Documentary History, (New York, 19).

ثانياً- الوثائق الأمريكية :

1. Annals of the American Academy of Political and Social Science, United States of America, Vol.237, 1945, Vol.255, 1948, Vol.280, 1951.
2. Brockway, Thomas P., United States Foreign Policy, Van No strands Company, Princeton, 1957.
3. Papers Relating to the Foreign Relations of the United States with the Annual Message of the President Transmitted to Congress December 6, 1910, Government Printing Office, (Washington, 1915).

ثالثاً- الوثائق الألمانية :

(eds) . J.Lepsius , A. Mendelssoh-Bartholdy, P.Timme, Die Grosse Politik Der Euro Paischen Kabinette 1871-1914,Bande32, (Berlin, 1926).

رابعاً- الوثائق الفرنسية :

Dinster Des Afairs Etrangeres, Documents Diplomatiques Francais (1871-1914), Paris, Vol.

المصادر

-الكتب الوثائقية :

1. Dun J. Li, China in Transition 1517-1911, (New York, 1969).
2. Ssu-Yu Tang and Others, China's Response to the West A Documentary Survey 1839-1923, Fifth Printing, Harvard University Press, 1979 .

الإصدارات الحكومية

١- الن. اس. وايتنغ، التأكيد على القومية في السياسة الخارجية للصين، مركز البحوث والمعلومات، وزارة الخارجية العراقية.

٢- كان ناى كوان، المبادئ الثلاث للشعب، المفوضية الصينية في بغداد، مطبعة المعارف (بغداد، ١٩٤٦).

- الاطاريح غير المنشورة

١- سهيلة شندي عوان البدري، وليم غلادسون والقضية الايرلندية ١٨٦٨-١٨٩٤، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب ـ جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

٢- صفاء كريم شكر العزاوي ، السياسة الأمريكية تجاه الصين (١٨٥٠-١٩٣١) دراسة تأريخية ، أطروحة دكتوراه مقدمة الى المعهد العالي للدراسات الدولية-الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥.

- الكتب

اولاً- الكتب العربية والمعربة

١. أ. ابشتاين، مولد الصين الشعبية من حرب الافيون الى التحرير، ترجمة حسني تمام، الدار المصرية للطباعة، (القاهرة، ١٩٥٧).

٢. أ.ج. جرانت و هارولد تمبرلي، اوربا في القرنيين التاسع عشر والعشرين ١٧٩٨-١٩٥٠، ج٢، ترجمة محمد علي ابو درة، لويس اسكندر، مطابع سجل العرب، (القاهرة، ١٩٦٧).

٣. آرمينوس فامبري، تاريخ بخارى من أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود الساداتي، (القاهرة، د.ت).

٤. أريك وولف، الحروب الفلاحية في القرن العشرين، ترجمة أكرم الرافعي، دار الحقيقة، (بيروت، ١٩٧٧).

٥. أغنس سميدلي، الطريق العظيم. حياة تشوده وعصره، ترجمة سامي مسلم، مؤسسة الابحاث العربية، (بيروت، ١٩٨٢).

٦. أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي. معهد الشرق الاقصى، الصين المعاصرة مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية (مجموعة مقالات)، دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٥).

٧. آلاستر لامب، كشمير ميراث متنازع عليه ١٨٤٦-١٩٩٠، ترجمة سهيل زكار، (دمشق، ١٩٩٢).

٨. آلان بيرفت، يوم تنهض الصين يهتز العالم، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، (بيروت، ١٩٧٨).

٩. ادغار سنو، رجل آسيا ماوتيستون، ترجمة زكي خيرى، مطبعة الرشيد، (بغداد، ١٩٤٦).

١٠. ادوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، (الكويت، ١٩٨٩).

١١. بدر الدين و. ل. حي الصيني، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الانشاء للطباعة، (لبنان، ١٩٤٧).

١٢. ----------------، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية للنشر، (القاهرة، ١٩٥٠).

١٣. بيير رونوفان، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٨).

١٤. تشستر ابين، الشرق الاقصى موجز تاريخي، ترجمة حسين الحوت، (مصر، ١٩٥٨).

١٥. جاي ونت، أضواء على آسيا، ترجمة روفائيل جرجيس، مكتبة الانجلو المصرية، (مصر، د.ت).

١٦.جلال يحيى، الشرق الاقصى الحديث والمعاصر، دار المعارف، (مصر، ١٩٨٥).

١٧.جواهر لال نهرو، لمحات من تأريخ العالم، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين منشورات المكتب التجاري، (بيروت، ١٩٥٧).

١٨.جورج هـ.ث كمبل، مناطق الهجرة في العالم، ترجمة دولت احمد صادق، دار سعد للطباعة، (مصر د.ت).

١٩.جيان بوزان وآخرون، موجز تاريخ الصين، دار اللغات الاجنبية، (بكين، ١٩٨٣).

٢٠.حسان حلاق، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار النهضة العربية، (بيروت، ٢٠٠٠).

٢١. حسن علي سبتي الفتلاوي ، العلاقات الأمريكية اليابانية أهداف ثابتة سياسات متغيرة،(بغداد ، ٢٠٠٤).

٢٢.خالد محمد المقامس، الصين، الجانب الآخر من العالم ـ نظرة كويتية، مؤسسة دار الارقم، (الكويت، ١٩٧٨

٢٣.دار النشر الصينية، الصين الارض والشعب، (تايوان، د.ت).

٢٤.دولت احمد صادق وأخرون، الجغرافيا السياسية، مطبعة الانجلو المصرية، الطبعة الثالثة، (القاهرة، ١٩٦٥).

٢٥.رادفر توماس، تاريخ العالم (١٩١٤-١٩٥٠)، ترجمة حسين كامل ابو الليف، مكتبة النهضة المصرية، (مصر، ١٩٥٦).

٢٦.روبرت باين، ماوتسي تونغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٦).

٢٧.روبير شنيرب، تاريخ الحضارات العام، القرن التاسع عشر، ترجمة يوسف اسعد داغر وفريدرم داغر، منشورات عويدات، (بيروت، ١٩٦٩).

٢٨.رومين، آسيا المعاصرة . العاصفة، ترجمة احمد فوزي عطا الله، دار التحرير للطباعة والنشر، (مصر، ١٩٦٢).

٢٩.روى ماك جريجور هاستي، ماوتسي تونج حياته وعصره، ترجمة حسين الحوت، (مصر، د.ت).

٣٠.شيوى قوانغ، جغرافيا الصين، دار النشر باللغات الاجنبية، (بكين، ١٩٨٧).

٣١.صباح محمود محمد، الشؤون الصينية، معهد الدراسات الآسيوية والافريقية، الجامعة المستنصرية، (بغداد، ١٩٨٤)، ج١.

٣٢.عباس محمود العقاد، سن ياتسن ابو الصين، منشورات المكتبة المصرية، (بيروت، د.ت).

٣٣.عبد الرزاق مطلك الفهد، تاريخ العالم الثالث، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد، د.ت).

٣٤.عبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، (بيروت، ١٩٧٤).

٣٥.فؤاد العشا، النظام العالمي الجديد. عالم بخمسة رؤوس الحقيقية والوهم، دار الجمهورية، (دمشق، ١٩٩٤).

٣٦.فؤاد محمد شبل ، البوذية ، دار المعارف ، مصر (د.ت).

٣٧.----------، حكمة الصين دراسة تحليله لمعالم الفكر الصيني منذ اقدم العصور، ج٢، دار الفكر العربي، (مصر، ١٩٦٨)،.

٣٨.فرنسو غودومان، سلسلة تجارب الشعوب. نهضة آسيا. القرن الواحد والعشرين آسيا تطل برأسها، ترجمة نظير جاهل، (بنغازي، ١٩٩٤).

٣٩.فرنك اوين، الصين ماضيها وحاضرها، (لندن، ١٩٤٥).

٤٠.فريق من الباحثيين بإشراف انور عبد الملك، الجيش والحركة الوطنية (مصر، باكستان، اندنوسيا، اليابان، الصين، الكونغو)، ترجمة حسين الفيل، دار ابن خلدون للنشر، (بيروت، ١٩٧١).

٤١.فهمي هويدي، الاسلام في الصين، عالم المعرفة، (الكويت، ١٩٨١).

٤٢.فوزي درويش، الشرق الاقصى. الصين واليابان (١٨٥٣-١٩٧٢)، مطبعة غباشي، (مصر، ١٩٨٥).

٤٣.---------، اليابان الدولة الحديثة والدور الامريكي، مطابع غباشي، (طنطا، ١٩٨٩).

٤٤.فيصل السامر، الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى،دار الطليعة ، (باريس،١٩٧٧).

٤٥.قسم تأليف سلسلة كتب تاريخ الصين الحديث، ثورة ١٩١١، دار النشر باللغات الاجنبية،(بكين، ١٩٧٦).

٤٦.------------،حرب الافيون، دار النشر باللغات الاجنبية، (بكين، ١٩٧٩).

٤٧.------------، حركة يى خه توان عام١٩٠٠، دار النشر باللغات الاجنبية،(بكين،١٩٧٩)

٤٨.ك.م. بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٢).

٤٩.كونيليا سبنسر، اليانج تسي، الطريق الرئيس الى قلب الصين، ترجمة مصطفى عبد الهادي، مؤسسة الحلبي وشركاه، (القاهرة ــ نيويورك، ١٩٦٨).

٥٠.لاوتزو تاوتي تشنغ، نصوص من الفلسفة الصينية القديمة، ترجمة هادي العلوي، دار ابن رشد للطباعة، (بيروت، ١٩٨١).

٥١.لوثروب ستيورت لوثروب، شكيب أرسلان، حاضر العالم الاسلامي، ترجمة عجاج نويهض، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٩٣٣).

٥٢.ليز متشيسون، الصينيون فيما وراء البحار، ترجمة لجنة الترجمة في دار الشرق الجديد، سلسلة عالم المعرف، (د.ت).

٥٣.لين يي، موجز تاريخ الصين ١٨٤٠-١٩١٩، دار النشر باللغات الاجنبية، (بكين، ١٩٦٥).

٥٤.مجموعة اساتذة كليتي التاريخ بجامعة فودان وجامعة المعلمين في شنغهاي، مملكة تايبنغ، سلسلة كتب تاريخ الصين الحديث، دار النشر باللغات الاجنبية، (بكين، ١٩٧٧)

٥٥.محسن صالح، قضية الاقليات القومية في الصين الشعبية، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٧٣).

٥٦.محمد الدرة، تجربة الشيوعية في الصين مشاهدة ودراسة، دار الكتاب العربي ــ دار الكفاح، (بيروت، ١٩٦٤).

٥٧.محمد العزب موسى، حرب الافيون، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٨).

٥٨.محمد حسن العيلة، أواسط آسيا الاسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني، دار الثقافة، (الدوحة، د.ت).

٥٩.محمد علي القوزي و حسان حلاق، تاريخ الشرق الاقصى الحديث، دار النهضة العربية، (بيروت، ٢٠٠٠).

٦٠.محمد عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، دار المعارف، الطبعة الرابعة، (مصر، ١٩٥٧).

٦١.محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل ، (بيروت،١٩٧٧).ز

٦٢.محمد مصطفى صفوت، الجمهورية الحديثة، منشأة المعارف، (الاسكندرية، ١٩٥٨).

٦٣.محمد نعمان جلال، الصراع بين اليابان والصين، مكتب مدبولي، (مصر، ١٩٨٩).

٦٤.محمود شاكر، سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية في آسيا: تركستان الصينية (الشرقية) مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٧٩).

٦٥.مؤسسة روز اليوسف ، صاحب الجلالة الجنايني ،(مصر،د.ت) .

٦٦. ميلاد المقرحي، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر. شرق آسيا، الصين، اليابان، كوريا، (بنغازي، ١٩٩٧).

٦٧-نوري عبد الحميد العاني، تاريخ الصين الحديثة، مكتب الكلمة الذهبية، (بغداد، ٢٠٠٣).

٦٨- ---------- وآخرون، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر، (بغداد، ٢٠٠٦).

٦٩-هـ.جـ كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس الى ماوتسى تونغ، ترجمة عبد الحميد سليم، (القاهرة، ١٩٧١).

٧٠-هانز جي مورجنتاو، السياسة بين الامم. الصراع من اجل السلطان والسلام، ترجمة خيري حماد، الدار القومية للطباعة، (د.ت).

٧١-وفيق حسين الخشاب، آسيا، المطبعة العربية، (بغداد، ١٩٦٤).

٧٢-ول وايرايل ديورانت، قصة الحضارة . الشرق الاقصى، الصين،ج٤، ترجمة محمد بدران ، دار الجيل للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩٨).

٧٣-وليم ز. فوستر، تاريخ الحركة النقابية العالمية، ترجمة عبد الحميد الـصيافي، دار الثورة، (بغداد، ١٩٧٤).

٧٤-يقظان سعدون العامر ، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة، (مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٩٠)

٧٥- يوري ستراخوف، الثورة الاشتراكية وشعوب الشرق، ترجمة النور، دار الحقيقة، (بيروت ، ١٩٥٨).

ثانياً- الكتب الأجنبية

أ- الكتب باللغة الانكليزية

1. Allen, G.C and Others, Western Enterprise in Far Eastern Economic Development China and Japan, George Allen and Unwin Ltd., (London, 1954).
2. Anderson, Frank Maloy, Hershey, Amos Shartle, Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914, Negro University Press, 1969.
3. Bays, Daniel A. China Enter the Twentieth Century. Chang Chih-Tung and the Issues of A New Age 1895-1909,University of Michigan, 1978.
4. Beckmann, George, The Modernization of China and Japan, Harpert and Row Publishers, (New York, 1962).
5. Benjamin, I. Schwartz (e.d) , Chinese Communism and the Rise of Mao, (Great Britain, 1951).
6. Boulger, Demetrius C. , The Lif of Gordon ,(London,1975)
7. Bourne , Kenneth , The Foreign Policy of Victorian England 1830-1902 , Oxford University Press , 1970 .

8. Bianco, Lucien, Origins of the Chinese Revolution 1915-1949, Stanford University Press, 1971.

9. Broomhall, Iṣlam in China A neglected Problem, (Shanghai, 1910).

10. Brown, Arthur Judson, The Mastery of the Far East. The Story of Korea's Transformation and Japan's Rise to Supremacy in the Orient, Charles Scribner's Sons, (New York, 1919).

11. Bureau of Parliamentary Research. India-China Border Problem, (New Delhi, 1960).

12. Buss, Claude, Asia in the Modern World A History of China, Japan, South and South East Asia, (United States of America, 1964).

13. Catchpole, Brian, A Map History of Modern China, (London, 1976) .

14. Caldwell's, John C., Far East Travel Guide, The John Day Company, (New York, 1961).

15. Cameron, Marybeth E. and Others, China, Japan and the Powers, The Ronald Press Company, (New York, 1952).

16. Cantwell, Wifred, Islam in Modern History, Oxford, 1957.

17. Chapman, H. Owen, The Chinese Revolution 1926-27, A Record of the Period Under Communist Control As Seen from the Nationalist Capital Hankow, Constable Co. Ltd., (London, 1928).

18. Chatterji, B. R., Modern History of China. A Short History, (India, 1969).

19. Chesneaux, Jean, Peasant Revolts in China 1840-1949, Thames and Hudson Ltd., (London, 1973).

20. ---------------- And Others, China from the Opium Wars to the 1911 Revolution, Trans. from the French, (New York, 1979).

21. -----------------------------, China from the 1911 Revolution to Liberation, Translated from French, Random House, (New York, 1977).

22. Chu-Yuan Cheng (e.d) , Sun Yat-Sen's Doctrine in the Modern World, Westview Press,(United States of America, 1989).

23. Chun Tu Hsueu, Revolutionary Leaders of Modern China, (United States of America, 1971).

24. Club, Edmund, 20th Century China Columbia University Press, 1972.

25. Clyde, Paul, and Berrs, The Far East. The History of the Western Impact and the Eastern Response (1830-1970), 5th Edition, (New Jersey, 1971).

26. Collis ,Maurice, Foreign Mud. The Opium Imbroglio at Canton in the 1830's and the Anglo-Chinese War, W.W. Norton and Company, (New York, 1968).

27. Coye, Molly Joel, Livingston, China Yesterday and Today, 3rd Edition, (London, 1979).

28. Davis, John Francis and Others, The Chinese General Description of the Empire of China and It's Inhabitants, (New York, 1972).

29. Dillon, Michel, Dictionary of Chinese History, (Great Britain, 1979).

30. Dingle, J. Edwin, China's Revolution 1911-1912. A Historical and Political Record of the Civil War, Haskell House Publishers Ltd., (New York, 1972).

31. Dulles, Foster Rhea , Prelude to World Powr . American Diplomatic History 1860 -1900 , (New York, 2965) .

32. Eastman, Lloyd E., Throne and Mandarins. China's Search for A Policy During the Sino-French Controversy 1880-1885, Harvard University Press, (United States of America, 1967).

33. East, W. Gordon and Others (e.d) , The Changing Map of Asia Apolitical Geography, Methuen and Co. Ltd, (London, N.D).

34. Eberhard, Wolform, A History of China, Rutledge and Kegan Paul Ltd., (Great Britain, 1960).

35. Epstein, Israel , From Opium War to Liberation, New World Press, (Peking, 1956).

36. Esherick, Joseph W., Reform and Revolution in China. The 1911 Revolution in Hunan and Hubel, University of California , 1976).

37. Europa Publications Limited, The East an Australasia 1977-78. A Survey and Directory of Asia and the Pacific, Ninth Edition, England, (1977-78).

38. Fairbank, John King, The United States and China, (United States of America, 1962).

39. ------------------, Reischauer, Edwin O., China Tradition and Transformation, George Allen and Unwin, (Hong Kong, 1973).

40. ------------------ and Others, East Asia Tradition and Transformation, George Allen and Unwin Ltd., (London, 1973).

41. Feuerwerker, Albert and Others (e.d) , Approaches to Modern Chinese History, University of California Press, 1967.

42. Foreign Languages Press, Handbook on People's China, (Peking, 1957).

43. Foreign Languages Press , China Handbook Series, (Beijing, 1982).

44. Forsythe, Sidney A., An American Missionary Community in China 1895-1905, East Asia Center Harvard University, 1971.

45. Frank, Wolfgon, A Century of Chinese Revolution 1851-1949, Oxford, 1970.

46. Gerald, C.P. Fitz, A Concise History of Asia, (United States of America, 1966).

47. Gillett, Maries Boyd, Between Mecca and Beijing. Modernization and Consumption Among Urban Chinese Muslims, (United States of America, 2000).

48. Grant, Pamela, Celestial Empire China in the Twentieth Century, Macdonald Qeen Anne Press, (Great Britain, 1988).

49. Gray, Jack (e.d) , Modern China's Search for Political form, The Camelot Press Ltd., (Great Britain, 1969).

50. Greenberg, Michel, British Trade and the Opening of China 1800-42, Second Edition, (Great Britain, 1969).

51. Gupte, R. S., History of Modern China Nationalism and Communism in China, (New Delhi, 1974).

52. Hao Chang, Liang Ch'i-Ch'ao and Intellectual Transition in China 1890-1907, Harvard University Press, 1971.

53. Henthorn, William E., A History of Korea, A Division of Macmillan Publishing Co., (New York, 1974).

54. High Lights of China History. China Reconstructs, (Peking, 1962).

55. Hibbert, Christopher, The Dragon Wakes. China and the West 1793-1911, William Clotves and Sons Limited, (London, 1970).

56. Ho Kan-Chih, A History of the Modern China Revolution, Foreign Languages Press, (Peking, 1959).

57. Hollington K. Tong , Chiang Kai-Shek, China Publishing Company, (Taipei, 1953).

58. Hu Sheng, Imperialism and Chinese Politics, Foreign Languages Press, (Peking, 1955).

59. Hucker, Charles O., China to 1950 A Short History, StanFord University, 1978.

60. Immanuel C.Y Hsu (e.d) , Reading in Modern China History, (United States of America, 1971).

61. ------------------------------, The Rise of Modern China, Second Edition, Oxford University Press, 1975.

62. Isaacs, Harold R., The Tragedy of the Chinese Revolution, Stanford University Press, 1961.

63. James, David, The Rise and Fall of the Japanese Empire, Second Printing George Allen and Unwin LTD., (London, 1952).

64. Jansen, Marius B., The Japanese and Sun-Yat Son, Harvard University Press, 1954.

65. Jerome Ch'en, Studies in the Social History of China and South-East Asia, (Cambridge, 1979).

66. ---------------, Mao and Chinese Revolution, Hazell Watson and Viney Ltd., (Great Britain, 1965).

67. Kissling, H. J. And Others, The Muslim World A Historical Survey, Part III, The Last Great Muslim Empires, (Netherlands, 1969).

68. Kungtu C. Sun, The Economic Development of Manchuria in the First Half of the Twentieth Century, East Asia Research Center Harvard University, 1969.

69. Latourette, Kenneth Scott, A Short History of the far East, Forth Edition, (New York, 1964).

70. Lattimor, Owen, Studies in Frontier History Collected Papers, Oxford, 1962.

71. Levenson, Joseph R., Modern China An Interpretive Anthology, Macmillan Publishing Co., (New York, 1971).

72. Liang Ch'i-Ch'ao, Intellectual Trends in the Ch'ing Period (Ch'ing-Tai Hsueh Kai-Lun), Harvard University Press,1959.

73. Loewe, Michael, Imperial China. The Historical Background to the Modern Age, Georg Allen and Unwin LTD., (London, 1966).

74. Liews, K. S., Struggle for Democracy. Sung Chiao-Jen and the 1911 Chinese Revolution, University of California Press, 1971).

75. Li Chien-Nung, The Political History of China 1840-1982, Trans. By Ssu-Yu Teng, Jeremy Ingalls, Van Nostrand Company, (Princeton, 1956).

76. Macgowan, I., The Imperial History of China, Third Edition, (London, 1973).

77. Mackinnon, Stephen R., Power and Politics in Late Imperial China. Yuan Shi-Kai in Beijing and Tianjin 1901-1908, The Regents of the University of California, 1980.

78. The Macmillan Company, China Hand Book 1937-1943, A Comprehensive Survey of Major Development in China in Six Years of War, , (New York, 1943).

79. Madeleine Chi, China Diplomacy 1914-1918, East Asia Research Center Harvard University, , 1970.

80. Mason, Isaac, The Moslem World. Chinese Moslem Chronology, (Shanghai, N.D).

81. Maurice Collis, Foreign Mud the Opium Imbroglio at Canton in the 1830's and the Anglo-Chinese War, W.W. Norton and Company, (New York, 1968).

82. Mendoza, Juan Gonzalez De, The History of the Great and Mighty.

83. Munemltsu, Mutsu, Kenkenroku A Diplomatic Record of the Sino-Japanese War 1894-95, The Japan Foundation, (Japan, 1982).

84. Pat want, Singh, The Struggle for Power in Asia, Hutchinson and Co. LTD., (Bombay, 1970).

85. Peffer, Nathaniel, The Far East A Modern History, University of Michigan Press, 1958.

86. Pichon, P.Y. Loh, The Early Chiang Kai-Shek. A Study of His Personality and Politics 1887-1924, Columbia University Press, 1971.

87. Ping-Chia Kuo, Second Edition China, Oxford University Press, 1965.

88. P. C. Kuo, A Critical Study of the First Anglo-Chinese War with Document, (United States of America, 1973).

89. Ping-Ti Ho, Studies the Population of China 1368-1953, (United States of America, N.D).

90. Price, Don C., Russia and the Roots of the Chinese Revolution, 1896-1911, Harvard University Press, 1974.

91. Purcell, Victor, China, (Great Britain, 1962).

92. Qi Wen, China A General Survey, (Peking, 1977).

93. Rene Albrecht – Carrie, A diplomatic history of Europe since the congress Of Vienna(London,1970).

94. Rhoads, Edwards J. M, China's Republican Revolution the Case of Kwangtung, 1895–1913, Harvard University Press, 1975.

95. Riecort, A Maury De, The Soul of China, (London, 1958).

96. Ronning, Chester, A Memoir of China in Revolution from the Boxer Rebellion to the People's Republic, A Division of Random House, (New York, 1974).

97. Rowe, David Nelson, Modern China Brief History, (United States of America, 1959).

98. Royal Institute of International Affair, Information Department No.21, China and Japan, Chatham House, (Great Britain, 1938).

99. Roy, M. N., Revolution and Counter Revolution in China, (United States of America,,1973).

100. Russell, Bertrand, The Problem of China, Second Edition, Georgallen and Unwin Ltd., (London, 1966).

101. S.Y. Teng, The Taiping Rebellion and Western Powers, (London, 1971).
102. Schiffrin, Harold Z., Sun Yat-Sen and the Origins of the Chinese Revolution, Second Printing, University of California Press,1968.
103. Schwartz, Reflections, On the May Fourth Movement. A Symposium, East Asian Research Center, Harvard University Press, 1972.
104. Shih, Vincent Y. C., The Taiping Ideology It Sources Interpretations and Influences, (United States of America, 1972).
105. Schrecker, John E., Imperialism and Chinese Nationalism. Germany in Shantung, Harvard University Press, 1971.
106. Siang-Tseh Chiang, The Nien Rebeellion, Second Printing, (Washington, 1967).
107. Smith, Wilfred Cantwell, Islam in Modern History, Oxford Unversity Press , 1957.
108. Steeds, David, Ian Nish, China, Japan and 19th Century Britain, Irsh University Press, (Ireland, 1977).
109. Steiger, George Nye, China and the Occident the Origin and Development of the Boxer Movement, Russell and Russell, (New York, 1966).
110. Stephen Hugh-Jones, The Giants of Asia. (India, Pakistan, China, Japan), George Allen and Unwin Ltd., (Great Britain, 1967).

111. Sutton, Donald S., Provincial Militarism and the Chinese Republic the Yunnan Army 1905-25, Center of Chinese Studies of the University of Michigan Press, (N. D.).

112. Siang-Tseh Chiang, The Nien Rebellion, Second Printing, University of Washington Press, 1967.

113. Thomson, Ian, The Rise of Modern Asian, Butler and Tanner Ltd., (London, 1957).

114. Thorne, Christopher, The Limits of Foreign Policy. The West, The League and the Far Eastern Crisis of 1931-1933, The Pitman Press Bath, (Great Britain, 1972).

115. Toland, John, The Rising Sun. The Decline and Fall of the Japanese Empire 1936-1945, 9th Printing, Patman Books, (United States of America, 1981).

116. Tuchman, Barbara W., Stilwell and the American Experience in China 1911-45, (United States of America, N.D.).

117. Valkenbury, Samuel Van, Pacific Asia A Political Atlas, (United States of America, 1947) .

118. Wakeman, Fredric, Strangers at the Gate. Social Disorder in South China 1939-1961, (United States of America, 1966).

119. Watson , Hugh Seton , The Decline of Imperial Russia, (London , 1968).

120. Wheeler, W. Reginald, China and the World Wars, The Macmillan Company, (New York, 1919).

121. William L. Tung, The Political Institutions of Modern China, Second Printing, Martin us Nijhoff, (The Netherlands, 1968).

122. Willoughby, Wrestle W., The Sino-Japanese Controversy and the League of Nation, Green Wood Press, (New York, 1968).

123. Wint, Guy, Asia A Handbook (e.d) Fredrick A. Praeger, (New York, 1968).

124. Woodward , Sir Liewellyn , The Age of Reform 1815 – 1870 , Oxford University , 1971.

ب – الكتب باللغة الفرنسية

1. Barthold, W., Histoire Des Turcs D'asie Centrale, Librair D'amerique Et D'orient, (Paris, 1945).
2. Jean-Paul Roux, L isalm En Asie, Payat, (Paris, 1958).
3. Tikhvinski, S., Histoire La China Les Temps Modernes, (Moscou, 1983).

الموسوعات والقواميس

اولاً- الموسوعات والقواميس العربية والمعربة.

١- احمد عطية، القاموس السياسي، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية،(القاهرة، ١٩٦٨).

٢- بطرس البستاني، دائرة المعارف،المجلد الخامس ، مطبعة المعارف، (بيروت، ١٨٨٠).

٣- دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الخامس ، (طهران، د.ت) .

٤- روجر باركنسن، موسوعة الحرب الحديثة ، ج٢، ترجمة سمير عبد الرزاق الجلبي، دار المأمون، (بغداد، ١٩٩٠) .

٥- كلين دانيال، موسوعة علم الآثار، ج٢، ترجمة ليون يوسف، دار المأمون، (بغداد، ١٩٩١) .

٦- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الخامس، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٧١).

٧- عبد الوهاب الكيالي و كامل زهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للطباعة، (بيروت، ١٩٧٤).

ثانياً- الموسوعات باللغة الانكليزية

1. The American Peoples Encyclopaedia Vol.19 , Groller Lucor Povated, (United State of America, 1962).
2. The Encyclopedia American, Vol. ,The Internatioal Refernce Work, American Corporation, (United States of America, 19), .
3. Ecyclopaedia Britannca , Vol .16 , (London , 1962) .
4. Ecyclopaedia Britannca , Vol.IV ,William Benton Puplisher, (London, 1982) .
5. Ecyclopaedia Britannca , Vol. 2, (Chicago , 1985) .
6. The World Book Encyclopedia, Fild Enterprises Educational Corporation, (Chicago, 1962).
7. Kodansha Encyclopedia of Japan, Vol.1 , (Japan, 1983) .
8. The New Caxton Encyclopedia, Vol.5, Caxton Publication Limited, (London,) .
9. The World Book Encyclopedia , Fild Enterprises Educational Corporation, (Chicago, 1962).

البحوث والدراسات المنشورة

أولا ــ البحوث والدراسات المنشورة باللغة العربية

١. احمد منسي، الأقليات الدينية في الصين إعادة البحث عن الهوية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٢)، نيسان ١٩٩٨.
٢. محمد حرب الصراع الصيني التركستاني ومستقبل تركستان، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٢)، نيسان ١٩٩٨.
٣. نادية كاظم محمد العبودي، ظهور الاتجاه الاصلاحي في الصين ١٨٨٥-١٨٩٥، مجلة كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، العدد (٤٥)، ٢٠٠٥.

٤. يقظان سعدون العامر ،خصوصيات أستعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة ، ١٨٧٠ – ١٩١٤ ،المؤرخ العربي ، العدد ٥١ ، ١٩٩٤-١٩٩٥ .

٥. ---------------، العلاقات الامانية الروسية في عهد السياسة العالمية ١٨٩٤ – ١٩٠٢، مجلة الاستاذ ،العدد ٥٩ ، ٢٠٠٤.

ثانيا- البحوث والدراسات المنشورة باللغة الانكليزية

1. Armentorout, L. Eve, The Canton Rising of 1902-1903. Reformers, Revolutionaries and the Second Taiping, Modern Asian Studies, Vol. , Part , 1976.
2. Barnett, Sazanne Wilson, Protestant Expansion and Chinese View of the West, Modern Asian Studies, Vol.1 , Part 10, 1972.
3. Bays, Daniel, The Nature of Provincial , Political Authority in Late Ching Times. Chang Chih-Tung in Canton 1884-1889, Modern Asian Studies, Vol.4 , Part 4, 1970.
4. Beonomic, Shannon R., The Partially Opend Door. Limitations on Economic Chang in China in the 1850, Modern Asian Studies, Vol.12 , Part 2 , 1978.
5. Bernal, Martin, The Tzu-Yu Tang and Tai Chi T'ao 1912-1913, Modern Asian Studies, Vol.9, Part 19, 1975.
6. Botham, M.E., Islamin Kansu, Moslem World, Vol.X, 1920.
7. Carroll, Ewing W., The Ear Sa Chu, Religion in China to day, Eastern Horizon, Vol.XIX, No.6, 1980.
8. Chan Pao-Min, Ch'en Tu-Hsiu. In Quest of Chinese Liberalism, Journal of Asian and African Studies, No.17, 1979.
9. Cole, Jamse H., Social Discrimination in Traditional China, The To-Min of Shaohsing, Journal of the Economic and Social History of Orient, Vol.XXV, Part 1, 1982.

10. Conolly, Niolet, The Soviet Far East and Eastern Siberia. Impressions of Recent Visit, Asian Affairs, Vol.XII, February, 1981.
11. Dean, Britten, Sino-British Diplomacy in the 1860s. The Eastaplishment of the British Concession at Hankow, Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol.31, 1971.
12. Drake, Fred W., Amid-Nineteenth-Century Discovery of Non-Chinese World, Modern Asian Studies, Vol.2, Part 6, 1972.
13. Duiker, William J. Duie, Ts'ai Yuan-P'ei and the Confucian Heritage, Modern Asian Studies, Vol.5, Part 3, 1971.
14. Eastern Herizon , Korean in Japan, , Vol.XVI, No.5, 1977.
15. Edmund S.K. Fung, Military Subversion in the Chinese Revolution of 1911, Modern Asian Studies, Vol.9, Part 19, 1975.
16. Edward I-Te Chen, Japanese Colonialism in Korea and Formosa. A Comparison of the System of Political Control, Harvard Journal Asiatic Studies, Vol.30, 1970.
17. Fay, Beter W., The French Catholic Mission in China During the Opium War, Modern Asian Studies, Vol.4, Part 2, 1970.
18. Fogel, Joshua A., To Refrom China. Naito Konan's Formative Years in the Meiji Press, Modern Asian Studies, Vol.16, Part 3, 1989.
19. Frank W. Ikle, Japan-German Peace Negotiations During World War I, American Historical Review, Vol.XXI, No.1, 1965.
20. A Guangming Daily Report, The Reassessment of the Boxer Movement Goenon, Eastern Horizon, Vol.XIX, No.7, 1980.

21. Harris, Georg K., The Rebellion in Kansu, The Moslem World, Vol. XIX, 1929.
22. Hudson, Geo Frey, The Far East at the End of the First World War, Journal of Contemporary History, Vol.4, No.2, 1969.
23. Hugh Deane, Herbert Hoover and the Kailan, Eastern Horizon, Vol.XX, No.5, 1981.
24. Hunter, G.W., The Chinese Moslem of Turkestan, The Moslem World, Vol. X, 1920.
25. Husein Rofe, Early European Notions of China, Eastern Horizon, Vol.XIV, No.4, 1975.
26. Immanuel C.Y. Hsu, The Great Policy Debate in China 1874. Maritime Defense Vs. Forntier Defense, Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol.25, 1964-1965.
27. Israel, Jerry, "For God, For China and For Yale". The Open Door in Action, Eastern Herizon, Vol.LXXV, No.6, 1970.
28. Japan Quarterly , Japanese Thought in Post-Meiji Times, Vol.XIII, No.2, , 1960
29. J.Y. Wong, The 'Arro' Incident. A Reappraisal, Modern Asian Studies, Vol.8, Part 3, 1974.
30. Kenneth Ch'en, Filial Piety in Chinese Buddhism, Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol.28 , Part , 1968.
31. Kessler, Lawrence D., Chinese Scholars and the Early Manchu State, Harvard Journal Asiatic Studies, Vol.31, 1971.
32. Kley, Edwin J. Van, Europe's "Discovery" of China and the Writing of World History, The American Historical Review, Vol.76, No.2, 1971.

33. Kwang-Ching Liu, The Confucian As Patriot and Pragmaist. Li Hung-Chang's formative Years 1823-1866, Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol.3, 1970.

Laffey, Ella S., In the Wake of the Taiping. Some Patterns of Local Revolt in Kwangs. Province 1850-1875, Modern Asian Studies, Vol. , Part , 1976

Land,

. J. Kim Munhol, 'Collaboration Strategy' and the French Pacification of Tonkin 1885-1897, The Historical Journal, Vol.24, No.3, 1981, P.127.

34.

Leonard, Jane Kate, Chinese Overlordship and Western Penetration in Maritime Asia. A Late Ch'ing Reappraisal of Chinese Maritime Relations, Modern Asian Studies, Vol.6, Part 2, 1972.

35.

36. Macfarlane, Duncan, China, Japan and Western Impact in the Nineteenth Century, AsianA ffairs, Vol.1x, Part. II, June 1978

37. Madeleine Chi, Shanghai-Hangchow-Ningpo Railway Loan A Case Study of the Rights Recovery Movement, Modern Asian Studies, Vol.7, Part 1, 1973.

38. Malcolm, Elizabeth L., The Chinese Repository and Western Literature on China 1800 to 1950, Modern Asian Studies, Vol.7 , Part 2, 1973.

39. Mcleman, D., Chinese Railway and the Townley Agreement of 1903, Modern Asian Studies, Vol.7, Part 2, 1973.

40. Mclean, D., The Foreign Office and the First Chinese Indeminty Loan, 1895, The Historical Journal, Vol.XVI, 1973.

41. Mitchel, Peter M., The Limits of Reformism. Wei Yuan's Reaction to Western Intrusion, Modern Asian Studies, Vol. , Part, 1972.